

أمين الرحيماني

ملوك العرب

أر
رحلة في البلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقسام

مزينة بالخرائط والرسوم
وفهرست اعلام

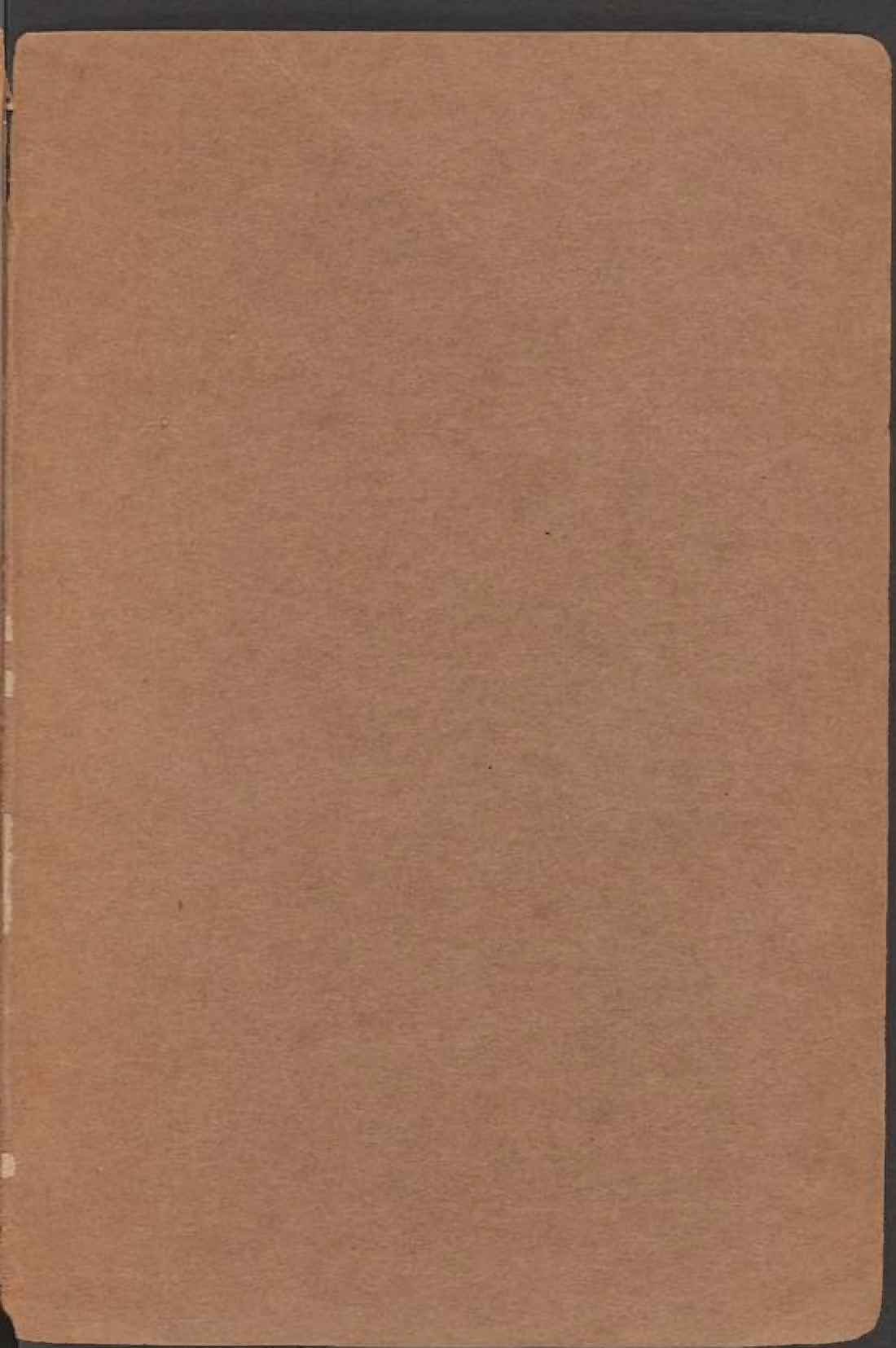
الجزء الثاني

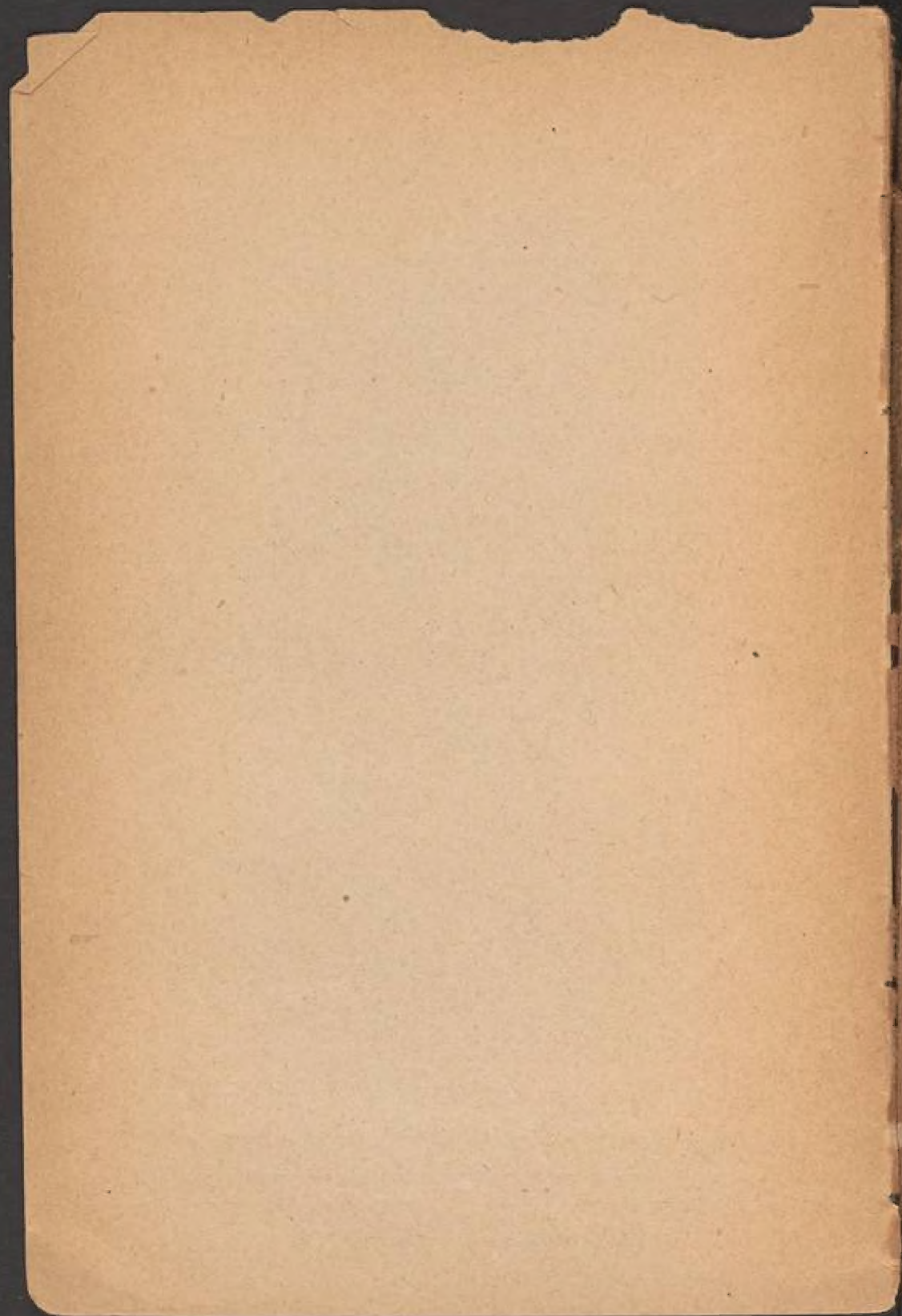
سلطنة نجد وملحقاتها
الكويت - البحرين - العراق

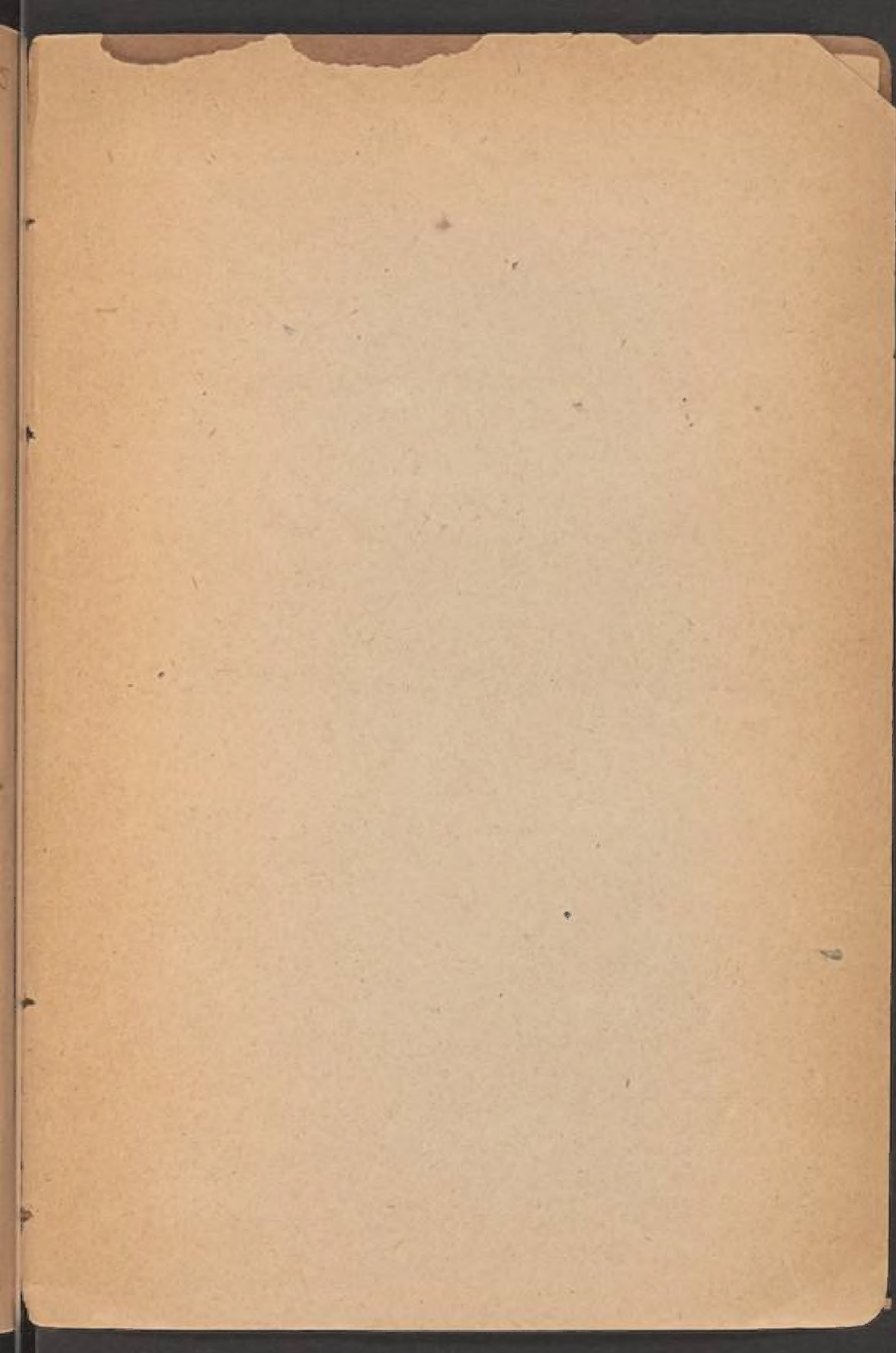
الطبعة الثالثة

اشرف على تصحيحها وطبعها البرت الرحيماني شقيق المؤلف

طبع في مطابع صادر رحيماني - بيروت ١٩٥١







Rihani, Amreen Fares

/Mulūk al-ʿArab/

أمين الحيايني

مُلُوكُ الْعَرَبِ

أَوْ
رِحْلَةٌ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ تَشْمَلُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ

مُرَبَّبةٌ بِالْخَرَائِطِ وَالرُّسُومِ
وَفَهْرَسْتِ أَعْلَامٍ

الجزء الثاني

سلطنة نجد وملحقاتها

الكويت - البحرين - العراق

الطبعة الثالثة

أشرف على تصحيحها وطبعها البروت الريحاني شقيق المؤلف

طبع في مطابع صادر ريحاني - بيروت ١٩٥١

الطبعة الاولى : بيروت - ١٩٢٤

الطبعة الثانية : بيروت - ١٩٢٩

الطبعة الثالثة : بيروت - ١٩٥١

DS

49

7

R5

1957

v. 2

c. 1

فهرس الجزء الثاني

القسم الخامس

عبد العزيز آل فيصل آل سعود سلطان نجد

صفحة	
١٢	سلطنة نجد وملحقاتها
١٤	الفصل الاول : شئنا حرمه فشاء الله اضرمه
١٨	الثاني // في بغداد
٢٥	الثالث // في البحرين
٣٢	الرابع // في ظل الشراع
٣٦	الخامس // الملتقى في النفود
٤٦	السادس // في موكب السلطان
٥٣	السابع // السلطان عبدالعزيز
٥٩	الثامن // بين العراق والحجاز
٦٦	التاسع // مؤتمر العقير
٧٤	العاشر // العدل اساس الملك
٨٢	الحادي عشر // الاخوان
٨٩	الثاني عشر // في القصر بالرياض
٩٧	الثالث عشر // ونفعل فوق ما فعلوا
١٠٣	الرابع عشر // الوشم
١١٨	الخامس عشر // القصيم
١٢٧	السادس عشر // الدهناء
١٤٤	السابع عشر // الحفر

القسم السادس

آل صباح شيوخ الكويت

	صفحة
الكويت	١٥٩
الفصل الاول	١٦٠
في الكويت	
آل صباح	١٦٦
امراء الكويت من آل صباح	١٧٥
مشكل الكويت	١٧٦
الثالث	
الشيخ احمد الجابر آل صباح	١٨٢
الرابع	
الشيخ خزعل	١٨٦
الخامس	

القسم السابع

آل خليفة شيوخ البحرين

البحرين	١٩٧
الفصل الاول	١٩٨
سلسلة من المذهبات	
مهد الحضارة والشراع	٢٠٩
الثاني	
البحرين	٢٢٣
الثالث	
البحرين في التاريخ الاسلامي	٢٢٩
الرابع	
آل خليفة	٢٤٠
الخامس	
الشيخ عيسى والانكليز	٢٥٩
السادس	
النهضة الوطنية	٢٦٧
السابع	

القسم الثامن

الملك فيصل والعراق

صفحة	
٢٧٨	العراق
٢٧٩	الفصل الاول
٢٩٥	الثاني
٣٠٢	الثالث
٣١٢	الرابع
٣٢١	الخامس
٣٢٦	السادس
٣٣٦	السابع
٣٤٥	الثامن
٣٥٠	التاسع
٣٥٧	العاشر
٣٦٢	الحادي عشر
٣٧٤	الثاني عشر
٣٨٠	الثالث عشر
٣٨٨	الرابع عشر
٤١٣	الخامس عشر
٤٤٠	السادس عشر
٤٥٣	الخاتمة او تسمية البحث في الوحدة العربية
٤٦٠	فهرس الاعلام

من العروبة الى المغرب
لا حكومة ولا انتداب
مآدب النعم
الامير فيصل في الحرب
معان وعمان
مناطق الفوضى
لجنة الاستفتاء الاميركية
مرجعيون
ملك سوريا
ميسلون
الثورة في العراق
فليحي الملك
المعاهدة
اصحاب المعالي
اصحاب القوافي
حجر الزاوية

فهرس الحرائط و الرسوم

صفحة	
١٠	عظمة السلطان عبد العزيز آل فيصل آل سعود
١٥٧	ممو الشيخ احمد الجابر آل صباح
١٩٣	خارطة مقاطعة الاحساء
١٩٥	ممو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين
٢٧٦	جلالة الملك فيصل بن الحسين بن علي



عظيمة السلطان عبد العزيز آل فيصل آل سعود

الفصل الخامس

عبد العزيز آل فيصل آل سعود
سلطان نجد

سلطنة نجد وملحقاتها^(١)

سنة ١٩٢٢ م ١٣٤٠ هـ

حدودها : شرقاً خليج فارس من الجافورة وقطر الى رأس المشاب ثم منطقة الحياض بنجد والكويت من رأس المشاب الى رأس القلعة .

جنوباً خط يمتد من أبيها في عسير الى ملتقى الخطين الثامن عشر من العرض الشمالي والسادس والاربعين من الطول الشرقي ، ثم يدور شمالاً الى السيل ومنها حول الربع الخالي شرقاً الى الاحقاف فحدود قطر فالجافورة حتى الخليج

شمالاً منطقة الحياض بين نجد والعراق ، وهي في شكل قطعة بقلادة بين الخطوط ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من العرض الشمالي والخطوط ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ من الطول الشرقي ، ثم خط يمتد من قرب شعب الاعوج شمالاً الى بير ليفه ، ثم شمالاً بغرب الى بير منيا فجديده فجبل عنبر الكائن بين الخطين ٣٢ و ٣٣ من العرض الشمالي والخطين ٣٩ و ٤٠ من الطول الشرقي .

اما غرباً من جبل عنبر الى شرقي الاردن ومن شرقي الاردن الى آخر الحجاز الجنوبي العربي فلا تزال الحدود مختلفاً عليها . الا ان الجوف وحرة خيبر هما اليوم في حوزة سلطان نجد .

(١) محافظة على التاريخ اقيمت اسم سلطنة نجد وحدودها كما كانت يوم رحلتي ويزم صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، اما تطور البلاد التجديدية واتساع حدودها ومباينة سلطانها ملكاً بعد ذلك فقد دونت اخبارها في كتابي « تاريخ نجد الحديث »

عدد سكانها : نحو مليوني نفس .

ساحتها : نحو خمسة الف ميل مربع .

اهم قبائلها : مطير وحرب وعتيبة وسبيع والدواسر والسجبان والعوازم
والسهول وبنو مرة وقحطان .

اهم بلادها : الرياض ورييده وعتيقة وحابيل وثمده وشقرا والمجمعة
وحوطة والمفوف والقطيف .

مذاهبها : الوهابية والشيعة وبعض السنة .

الفصل الاول

شئنا حرمه فشاء الله أضرمه^(١)

العقبات الثلاث بيني وبين ابن سعود - في فر الإركان بعين - الحمى والجلدي والاكثير - قلت نجد : فقالوا : العراق - جاء الاذن بالسفر - الفرصة لستيناني في بمباي - السفر الى العراق - مطبوع معزوم - الامر الذي يتعلق اسري . وكيل ابن سعود يضل الى بمباي - مولانا السلطان يوجب بكم - والاكثير لا يأخذون - كتاب من خاتب اسرله العاهل العام في الامور السياسية الى مدير الفرقة في بمباي .

كنت في لحج يوم كتبت الى عظمة السلطان عبد العزيز اطلعه على الغرض من رحلتي في البلاد العربية واستأذنه بزيارته والسياسة في بلاده . وكان بيني وبينه بحر الهند ثم النفوذ ثم الدهناء ثم الانكليز . اما العقبات الثلاث الاولى فقد كانت والحق يقال سهلة بالنظر الى الاخرة . هي ذي العقبة الكأداء حقاً وقد يكون في قصتها عجة للسياسيين وفائدة للسائحين والقراء . كتبت كتابي قبل ان سافرت الى صنعاء وارسلته بواسطة تاجر معروف في عدن ليرسله الى وكيل ابن سعود في البحرين ، وفي الكتاب رجوت من عظمة السلطان الاسراع في الجواب عن يد وكيله القصبي حتى اذا مرت بالبحرين في سفري الى العراق اشرف بعلم توقف عليه خلتي في الرحيل . وكان في نيي اذا كان الجواب بالايجاب ان اسرح في نجد قبل ان ازور العراق . هي خطة يوجبها المسلك الجغرافي وطريق البحر ، فضلاً عن الاقتصاد بالوقت والمال .

عدت بعد ثلاثة اشهر من صنعاء الى عدن واقت فيها تحت سراق

(١) مثل من امثال نجد يضرب بها كلمات الزمان ، وحرمه وضرمه بلدان في المارض هم يسكنون فاء الاسم أضرمه .

القيط ، في فم البركان ، بين أشباح الجدري والحمل ، ستة أسابيع انتظر من اصحابي الانكليز اذنًا بالسفر الى - الى نجد ؟ كلا . بل الى العراق . فان ابن سعود عند هؤلاء الاماجد شخص مقدس لا يدنو منه غير المقربين من قدس الاقداس على شاطئ التيمس . وانك اذا جهزت لاحد الوكلاء او المندوبين السياسيين في السواحل العربية برغبتك فضلاً عن الاستئذان نجد الرجل واحداً من ثلاثة : فاما انه يزجي ، ويسوف سياسة ، او ينسجم هزأ ، او يرفض بتاتا . وقد لقيت الثلاثة في اولياء الامر بعدن . قلت : نجد ، فقالوا : العراق . قلت : ابن سعود ، فابتسموا ثم رفضوا : لا علاقة لنا بالرجل واموره . ثم جاءني كتاب من الحاكم يقول فيه : قد وصلنا نبأ برقي من المندوب السامي في العراق يأذن لك فيه بالسفر الى بغداد . ومن كتاب آخر تلاه علمت ان لا بأس بمروري بالبحرين ، وانني بعد مقابلة اولياء الامر في بغداد اسافر الى نجد اذا كان جواب ابن سعود يأذن بذلك .

كان قد مر اربعة اشهر ونيف على كتابي الى السلطان عبد العزيز ، فسافرت من عدن الى يباي قاصداً من هناك البصرة ، وفي قلبي تشوق الى الجواب شديد . ولا اكتم القارىء ان رغبتي بزيارة رجل نجد الكبير كانت تزداد شدة كلما تعددت وحالات دونها العقبات .

وصلت الى يباي فوجدت ان امري موكل برجال الشرطة هناك . ولكنهم اكرموا وفادتي فزرت الدائرة ولم يكلفوني زيارة السجن . وقد اظهر المدير رغبته في التعرف الى هذا السائح العربي الاميركي الذي تفتح له ابواب افئدت مراراً دون سواه ، اذ ان السقوف في تلك الايام حتى الى العراق كان محظوراً على غير الانكليز . وقد علمت ان بعض التجار الاميركيين انتظروا شهرين في يباي ليجيئهم الاذن بالسفر الى العراق ، وكانوا بعد ذلك من الحائزين . فلا حجب اذا أكبر امري . وقد ظهر لي ، بعد ان اقلت

اسبوعاً في بياي وتحدثت وبعض رجالها من تجار وكتاب وسياسيين ، اني من المغبوطين في سفري الى بغداد . ولكن ذلك لم يسرني كثيراً .

شئنا حركته فشاء الله أضرّمه . قال المديرو : امرنا بان نسهل طريقك الى العراق . واطنهم اي « اولياء الامر » في ما كتبوا الينا يقولون ان لم يصلهم بعد الجواب من ابن سعود . سأبحث عن الامر وارسل نسخة اليك اذا شئت . شكرت للمدير هذا التلطف وعدت الى القزل فاذا بعض التجار والادباء من المسلمين ينتظرونني هناك . وقد اخبرني احدكم — وما كان حديثي في تلك الايام ليخبروا من سؤال عن نجد وسلطان نجد — ان عبدالله القصبي وسكيل ابن سعود في البحرين وصل صباح ذلك اليوم الى بياي . فبادرت في اليوم التالي اليه يصحبني الحاج علي رضا زينل احد كبار التجار في الهند وفي الحجاز .

وكان موضوع الحديث السلطان عبد العزيز وكتائي اليه . قال الوكيل : نعم وصلنا كتابكم بوقتته وارسلناه الى حضرة الامام ، فجا . الجواب مرجأ بكم وقد امرنا باعداد كل ما ياتزم من اسباب السفر والراحة عند وصولكم الى البحرين . ثم قال : ونحن من زمان نتنظركم . ابطأتم في السفر او انكم غيرتم في الخطة التي كتبتم الى حضرة الامام عنها . قلت : لا التغيير ولا الابطاء بيدي . فقال : بل بيد الله . فقلت مستغهاً : واصحابنا الانكافرو ؟ فضحك الوكيل وسكت . وبعد رجوعي الى القزل استلمت كتاباً من معاون مدير الشرطة ضمنه نسخة الامر المتعلق بسفري ، وهذه ترجمته الحرفية :

رقم ٣٥٨ —

الدائرة السياسية . مكتب كاتب الاسرار . بياي في ٢٢ آب سنة ١٩٢٢ من أي . ف . كيندوزلي كاتب اسرار حاكم بياي في الامور السياسية الى مدير الشرطة .

الموضوع سفر المستر امين ديجاني الى البحرين ونجد .

سيدي :

جواباً على كتابكم رقم ف - ٢٠٧١ المؤرخ في ٢١ آب سنة ١٩٢٢
اقول ان قد امرني الحاكم ان اخبركم لكي تبلغوا المستر امين ريجاني ان
الاذن يسفره الى نجد لم يصلنا حتى الان ولكنه منتظر في البحرين .
اما سفره الى العراق فلا اعتراض عليه . وفي كل حال يجب ان يسافر
اولاً الى بغداد . اكشرف يا سيدي بان اكون

خادمكم المطيع

من كاتب الاسرار السياسية

دجاي . اراقون

اما التناقض بين كلام الوكيل ، وكيل ابن سعود في البحرين ، وبين
امر الحكومة ، حكومة بريطانيا العظمى في الهند ، فسوف تنجلي الحقيقة
فيه ان شاء الله .

الفصل الثاني

في بغداد

حقيقتان جوهريتان - ملقاة نجد - الكاوية عراقية - ولا تزال امرأة -
التقاير السرية - الملك فيصل - صراحة بغداد - سكوت يهدف عن الريب -
وما الغرض الحقيقي من رحلتي ؟ - « جزيت علي ابتسام باهتسام » - المندوب
السامي - حادث العيد في القصر - زيارة ابن البعود - اشد العتبات - « واشتغلين
الانكليز » - انفلاتات الاتمية - اما السياسة فالبيداء دونها - تباركت المرأة -
الباب يفتتح - تملاني بالوعود - « سأبقى في بغداد الى ان يجيشني الاذن بالسفر
الى نجد » - صوت في الهاتف يقول : « ستسافر مع المندوب السامي » - ما
تحدث به الحكمة .

لم يؤذن لي بالسفر الى البحرين .

شفتا حرثه فشاء الله اضربه . وصلت الى العراق وقلبي يتحدثني بنجد ،
وسكري يبعثني عن حسن الظن بالانكليز . وقد وجدتهم في بغداد ، كما
ثم في بجاي ، السادة المطاعين برغم النهضة الوطنية والدسائس السياسية .
ثم بدت لي حقيقتان جوهريتان استغربت بهما قولاً وعملاً في عاصمة السياسيين .
الحقيقة الاولى هي ان مفتاح نجد الاجانب الذين يبعثون الدخول الى تلك
البلاد من الجهة الشرقية اذا هو بيد المندوب السامي . اما الثانية فهي ان
الباب قلما يفتح لغير الانكليز ، بل لاولئك القلائل منهم المتشددين لأمور
سياسية او المقربين من النظارة الخارجية . وقد رفض الوكيل السياسي في
تخليج العجم غير مرة ان يأذن لبعض اطباء الاميركيين في البحرين بالسفر
الى نجد . هذه هي الحقائق الواضحة التي تُبهِت بها في الدوائر السياسية وغير
السياسية . بسوا جلساري في بل لجهاتي في الجديدة ، واحالوني في عدن على
المندوب السامي ، وسوفوني في بجاي ، فاذا عسى ان يكون من امرهم في بغداد ؟
بعد ان زرت جلالة الملك فيصل على شاطيء دجلة الشرقي جئت الى دار

الوكالة في الشاطي، القروي، لا قابل السيدة جرتود بل كاتبة اسرار المندوب السامي في الامور الشرقية . والعراقيون يدهونها الخاتون . الا انها في قوامها ونحوها وتقطها انكليزية لا غير عليها . كانت المقابلة الاولى في مكتبها . وكانت ، وهي القابضة على زمام الحديث ، تدخن السيكارة تلو السيكارة ، ثم تنهض عن الديوان فتخطل في القاعة ، ثم تجلس وترفع رجلاً على رجل وهي تتكلم ثم تتكلم بدون انقطاع . فقلت في نفسي : لا تزال الخاتون امرأة والحمد لله . عرضت امامي عقلها في الخلسة الاولى فاعجبت به ، وكشفت الحجاب عن زاوية من قلبها فدهشت . بل كادت ترفع الستار السياسي كله لتريني انها اخلصت العمل لفصيل والعراقيين ، وان الانكليز لا يزالون اصدقاء العرب واقرب الناس اليهم . ثم قالت : لا شك انك تيقنت ذلك في رحلتك يا امين افندي .

كنت شاكراً لانها لم تقف اتسمع جوابي ، بل استمرت في الحديث . واطلعتني على امور تتعلق برحلي لم يدهشني علمها بها ، لاني اعلم ان وكلاء انكليز السياسيين ومندوبيها في البلاد العربية يتبادلون التقارير السرية من حين الى حين . ومنهم من يكتب تقريره كل اسبوع فيرسل نسخاً منه لزملائه في مصر والسودان والعراق والهند الغربية .

عادت السيدة جرتود الى الملك فيصل الذي كان في تلك الايام غاضباً على المندوب السامي وعليها ، فلا يوقع المعاهدة المشهورة بين الانكليز والعراق فقالت : قد سميت سبياً متواصلاً من اجل الملك فيصل ، فاقعت رؤساء المشائر واستأثم اليه . كانوا يقولون لي يا امين افندي : هذا حجازي اجني . وكنت اقول لهم : انا اكفله ، انا الكفيل . صدقت يا امين افندي اني احب العراق اكثر من حيي بلادي . انا عراقية .

تفقت في مجلس الخاتون وتفككت . على ان اعجابني بها وهي امرأة

كان اقل من اربعين بشأها وهي ولاية الامر او ولاية العشائر في العراق . ولا بظن القاري . ان كتابة المندوب السامي باحت بكل اسرارها الشرقية والعربية والعراقية في الجلسة الاولى . لا ولا في الجلسات العديدة التالية . فهي من هذا القبيل تكذب ما نسيه نحن الرجال عن النساء .

ما جئت على ذكر السيدة جرترود في هذا الفصل من الكتاب الا لانها كانت في عهد السر برسي كوكس تقبض على مفاتيح الامور السياسية في العراق ، وفي البلدان العربية والعجبية على الخليج التي يتولى المندوب السامي البت في شؤونها . ومفتاح نجد من هاته المفاتيح ، فهل تأذن به يا ترى ؟

سألته سؤالا دون ان اكشف عما جال في صدري من الريب بحسن نية زملائها ، ودون ان اشير الى التناقض في ما قاله لي وكيل ابن سعود وما كتبه حاكم بياي ، فتغيرت عندئذ لمجةها وتغير اسلوبها ، فلم تجبني بالراحة التي عرضت امامي مثالا منها في حديثها عن العراق . ذلك لانها كانت لا تزال في ريب عما قد يكون من امري وسلوكي السياسي في بغداد . اجنت مبشرا بالوحدة العربية ، ام جنت اضرم نار الثورة على الانكليز ؟ اجنت انصر الحزب الوطني او الحزب الحر او اصحاب الانتداب ، ام جنت من اميركا رسولا سرياً لثورة من شركات النفط هناك ؟

هي بعض الاشاعات التي انتشرت في بغداد وحامت على مكتب الخاتون ، ولكنها لم تنازل ان تسألني سؤالا واحداً صريحاً بخصوصها . بل كانت في حديثها تشير اشارة الى ما فيه الحجة الراهنة - بحسب ظنها - على عالمها الوافر الشامل بكل ما يختص بالسياسة الانكليزية في البلاد العربية . اظنها التحدث سكوتي دليلاً على الاقتناع ، او انها قرأت فيه شيئاً من الميل الى التصديق . والوم او بعضه علي . فقد كنت حتى في ابتسامي اول مرة قابلت الخاتون غير الرجل الذي اعرفه ويعرفه الناس . وما ذلك الا خوفاً ان تحول

دون رغبتي ، فداريتها في دارها . على اني لم اخاتل ، ولم اداج ولا جمعت الكلام في كل ما القيته من الخطب في بغداد . خرجت من مكتب المس بل وفي نفسي يتنازع الريب والامل . هي الحاملة المفتاح ، مفتاح نجد ، فهل تفتح لي الباب ؟^(١)

بعد ذلك قابلت المندوب السامي امر برسي كوكس ، فكان نقيض كاتبة اسراره الخاتون في انه اولى جليسه اولاً الحديث . سأني سؤالات تتعلق برحلي فاجبته عليها بصراحة زمامها التحفظ . ثم ذكر حادثة القصر عندما راح يهنيء الملك بعد جلوسه ، فتكلم بنا ببعض نفسه من الصف والاستبداد في نفسه زعماً ، الحزب الوطني واقفال جرائمه وناديه . ثم انتقلنا في الحديث ، فاخبرني حضرة المندوب ان في زيفه زيارة السلطان عبد العزيز قريباً ، انه يتوفى الى رثى الامر بينه وبين العراق . وهناك معاهدة يريد استئناف المفاوضات بخصوصها .

قلت : زيارتكم اذاً في سبيل السلم والولا . بين اثنين من ملوك العرب . فقال : بل اكثر من اثنين ، وان اقصى غنياتي ان امهد سبيل الاتفاق والولا . ما استطعت . فقلت : هو كذلك قصدي وسعي . خذني معك اذاً الى ابن سعود فاخدمك في ما تاذن به ولا اتقاضاك والحكومة الانكليزية اجرة على ذلك . فضحك وراه بكلمة لم اسمها ، لان الخادم دخل اذ ذاك يقول : النداء حاضر . فاستأذنت وانصرف .

خرجت من مكتب المندوب كما خرجت من مكتب الخاتون متيقناً ان محبتي لا تزال بعيدة ، بل ان العقبة الاخيرة بيني وبين نجد هي كما قلت في اول الفصل اشد العقبات صكلها . وليس الذنب في ذلك ذنب ابن سعود .

(١) في الفصل الرابع عشر من القسم الثامن نسبة الكلام على هذه الامراة الفذة التي توفيت في صيف سنة ١٩٢٦ في بغداد رحماً الله .

فقد اجاب على كتابي كما تقدم بالايجاب والترحاب . بيد ان الانكليز في سياسته عوازل يتساهل احياناً بالعرض منها ليتمكن من مقاومة ما هو جوهري خطير .

جلست اسأل نفسي واناقتها : هل يمنونك وانت اميركي ؟ قد منعوا غيرك من هذه التبعة ، وهم يكرهونها في العراق . الا يستطيع قنصل اميركا السعي من اجلك كما فعل زميله في عدن ؟ هو لا يعترف بالعجز ولا يثقن الفوز اذا سعى . الا يقدرعون خدماتك في اليمن وعسير فيجازوك عليها ولو باجازة سفر الى نجد ؟ الانكليز لا يمتفرون رسمياً بخدمات تقدم لهم مجاناً . قد يشكرون وبعد ذلك لا يذكرون . واذا رغب ابن سعود بزيارتك وهم رغبوا عنها فاية رغبة تحقق يا ترى ؟ لا رغبته ولا رغبة ابن سعود . لان سلطان نجد لا يقيظ الانكليز في صفة او كبرة من اجلك .

هذا ما كنت اعتقده بسياسة ابن سعود في تلك الايام . ولا ازال على شيء من الظن انها الخططة المثلى - وان كانت علي فالت اليوم - في ما لا يضر بمصلحته ولا يخفف بحقوقه . فمن هو الريجاني ايعادي سلطان نجد الانكليز من اجله ؟ ومن هو ليتقلب على الانكليز ؟ عيت عن الجواب ، ولكني لم افقد الامل ولا ينست . بل سررت جداً برعم مقولي عندما قال المندوب السامي : سأنور قريباً ابن سعود . فرأيت نفسي - وما القائدة من الحبال ومن الاحلام اذا كانت لا تشررك بنفسها ؟ - رأيت نفسي مسافراً واياه الى الحسا . ولم يهني اني في عملي هذا اثبت التهمة على نفسي . فيقول المخدوعون من الاصدقاء . والاعداء : الا تورثه مسافراً والمندوب السامي ؟ فكيف لا يكون في خدمة الانكليز ؟ لا بأس بذلك . كنت اعود ، ساعة يستحوذ علي اليأس ، الى هذه الرؤيا فأنعش بها املاً بزيارة نجد كعاديتي ، فيتمشي الامل واميح اذ ذاك همس صوت يقول : ولتغلين الانكليز .

أقيمت الحفلات الأدبية في بغداد، الأولى والثانية والعاشرة .
 وسكانت الحكومة حكومة الانتداب تبعت من يسع فيضها أو ينجح
 بالآخرى المس بل بما أقول . واضمني هدمت جانباً من معقل الويب في أول
 خطبة فمت بها . تباركت في مثل هذه المواقف المرأة ، فانها اسرع الى
 التصديق وحسن الظن من الرجل . دعني المس بل الى بيتها بعد ذلك مراراً .
 واقامت في مكتبة السلام التي هي رئيسها حفلة دعت اليها كبار العراقيين
 والانكليز وافتتحت هي الحفلة بخطبة ما اثر في ثناء مثل الثناء فيها ، ليس
 لانه من امرأة عالة فهية ، بل لانه من نفس احسنت بعد ان اصابها الظن .
 واخلصت بعد ان اظهرت الوداد .

ومع ذلك كنت عندما أقول : نجد . تقول هي : العراق . وعند ما
 أقول : ابن سعود ، تعلاني بالعود . وفي الشهر الاول وتلاه اسبوعان من
 الشهر الثاني في بغداد واقامهين مكارم الادباء العراقيين ومهمهم كما اشرت
 بعض افاضل الانكليز . وقد تصني لي ان ازور اثنا . ذلك الاماكن التاريخية
 والاثار القديمة في العراق ، فلم يبق في النفس حاجة ولا في البلاد اثر بشغلي
 او يسليني عن اميتي القصوى .

متي شيع السائح من بلاد ما تقفل ابواب عقلة دون الاستفادة منها .
 كان من اسبابها ومظاهرها شيعت من العراق ، وسمنت الإقامة خصوصاً
 في بغداد لاني مرضت ثلاث مرات فيها بالحمى . زد على ذلك اني سكنت
 مشتاقاً الى بلادي راهلي ، فعددتني نفسي موارداً بالسفر الى سوريا . الا اني
 كتبت ذلك عن المندوب وعن الخاتون ، وما اظهرت غير تلك الرغبة الشديدة
 في زيارة ابن سعود . بل نشعت في مجالس رسمية ان سوف لا تحرك من بغداد
 حتى يجيئني الاذن بالسفر الى نجد . الحرب خدعة وحرب الارادات لا تحلو
 من الخداع . اني على يقين ان لو علم المندوب السامي آنشد بما جال في خاطري .

او علم الي شئت الاقامة في بغداد وكنت على وشك السفر الى سوريا ،
لسرفني اسبوعاً آخر ولا فلتحت سياسة الملاطفة والتأجيل . فأكون قد حرمت
علم اهم ما في البلاد العربية اليوم .

ولكن السر بل اخذت الامر بناصيته عندما حان وقت السفر المندوب
السامي والتي مرفقاً اسجله لها ، شاكرأ سعيها وحسن ظنها . كلمتي يوماً
بالمخالف فقات : ستمافر مع المندوب السامي . بيد ان سقوط وزارة نويد
جورج في ذلك الحين اضطرت المندوب الى تأجيل سفره . وبنا الي كنت
وعدت ادباء البصرة بزيارة سافرت من بغداد قبله ، وفي نيتي حسب الاتفاق
ان انتظره هناك ، فنترافق الى البحرين ثم الى العقير .

اشرت ليا تقدم الى مظهر في سلو كي الادبي والاجتماعي هو ثورة الاسفار
في البلاد العربية ، بل ثورة الحكمة العملية . قالوا تلك الحكمة كنت
فشلت في اولى المراحل وعدت خائب الامل . اجل ، قد داريت في بعض
الامور ، واكثرها سطحية ، لأفوز بكل ما اروم من العلوم والاختبار . او
بالاخرى كنت صريحاً على عادي عند ما كانت الصراحة تفيد . وقد كنت
اشد تحفظاً واتقاء في المعيشة والاسفار حباً بالرجوع سالماً أولاً الى اهلي وثانياً
الى مهنتي . اذ ما الفائدة لمثلي من رحلة عربية اذا كنت لا اسلم فيها لأخبر
عنها ولو في كتاب واحد ؟

كانت الحكمة العملية شرعي اذا ودائي . فهي التي حملتني على السفر
وحدي الى ابن سعود . واطلها أوجت للسريسي كوكس كذلك في
الموضوع فالتصح مثلي بنصيحتها ، فابرق يخبرني بأنه سيتأخر اسبوعاً ثانياً وان
لي ان اسافر قبله اذا شئت . حسناً فعل المندوب السامي وحسناً فعلت انا
كما ستؤي في سياق هذا الكتاب .

الفصل الثالث

في البحرين

نجدي يعترفني من السياحة في نجد - رسول البتير والوزير - « عظمة السلطان
يلتظركم في الجبا » - من سراديب بغداد الى قصور البحرين - في ضيافة وكيل
السلطان - الشوق يهجد والفكر يشتغل - من حواشي سبوح - ما سمعته في
الحجاز وفي العراق - رأي الانكليز - رأي اديب نجدي - كتاب من السلطان -
ما تخبئه الصحراء .

وقد حاول بعض اصحابي في البصرة ان يحولوني عن عزمي وقصدي .
قالوا اني لا اقوى على مشقات الاسفار في البلاد النجدية ، في تلك البلاد
الغنية بالغارز والرمال . جسوا في عيني المخاطر في ركوب البعير ، وفي الدهناء ،
وفي بلاد البدو والاخوان . كنت ذات ليلة ضيف حضرة الفاضل احمد باشا
الصانع متصرف البصرة ، وهو نجدي لا يزال يلبس العباءة والعمالة ، فقلت
خلال الحديث عن اليمن : عند ما دخلت الى صنعاء احسست اني رجعت
بفتة الى الجبل العاشر . فقال احمد باشا : وسترجع الى الجبل الخامس في نجد .
ما لك وهذه السياحة وكلها مشقات واطوار ايممكنك ان تورر ابن سعود في
الحبس وترجع . هوذا نجدي يجذبني من السياحة في نجد . فهلا انتصحت
واذعويت ؟ لا انكر انه اعتزاني آتئذ شيء من الخوف .

على انه زارني في اليوم الثاني اديب من الادباء ، شامت الاقدار ان
يكون بعدئذ رفيقي في السفر وعشيري في الرياض ، فعرفت فيه العربي الحر
ابن القفار والبحار الذي يسرك ويسر اليك عفواً دون تصكلف في احد
الامرين . وسيجتمع القاري . من حين الى حين ، بالسيد هاشم ابن السيد
احمد الرفاعي من الكويت . كان يومئذ في خدمة سلطان نجد كتاباً من
كتاب ديوانه ، وقد جاء البصرة في مهمة رسمية ، فزارني يوم كنت والحق

يقال في حاجة شديدة الى زيارة مثله . حدثني السيد هاشم فازال ما سكان
مخامرني من الحوف في السفر الى نجد ، ومن الرب يرغبة ابن سعود الحقيقية
في زيارتي ، ثم قال : عظمة السلطان يعرفكم بما يطأه عنكم في الجرائد
التي تصله كل اسبوع ، وهو منشوق الى مشاهدتكم وبتظركم في الجلسا .
نعم ، السلطان عبد العزيز يحب الاجتماع بكل اديب عربي مخلص لبلاده .
وقعت هذه الكلمات في اذني وقع الانعام المطربة . ولكنك قبلت السيد
هاشم بين عينيه لو ان الرسميات التي القتها في البلاد العربية تسمح بذلك الا
ان القلب رقص طرباً دون ان يشين اذني او يحط من كرامتي امام الزائر
الكريم . سافرت وانا في هذه الحال الى البحرين . ومن حسن الاتفاق ان
السيد هاشم كان رفيقي في الباخرة .

البحرين ، جزيرة الاول ، هي بعد الكويت اهم محطة في الجهة العربية
من خليج العجم لبراخر الهند وللتجارة بين الهند ونجد . وهي كذلك درجة
امام الباب - باب نجد للشرقي - لا بد للمسافر ان يقف عندها فيستبدل فيها
البضار بالشراخ اذا كانت وجهته المقيع او القطيف . وفي البحرين وصالة
لاين سعود يرأسها عبدالله القصبي احد اعضاء البيت التجاري المشهور هناك .

تزلنا من الباخرة بجدين من الجزيرة وسرنا في شراخ فوق منازل الاول
الراقد تحت الامواج ، والبحر ساعته زهو ، والهواء عليل ، وشمس الصباح
تتهادى بين الاتنين . فبدت المتانة خلالها مشرقة بيضاء كأنها ابراج شيدت
من الاول . بل هي اميرة الالي وقد صمدت من اماكن القوس واستوت
على عرش الخليج . وكان الشراخ يهس سلافاً كلاماً شرع آخر ، وكلها
مثل اجنحة الحمام تيس وتهادى على بساط من الزمرد ، كأنها تنلوا القوائد
في مديح ربه الدُر ودُرّة البحار .

وما سامنا ان وصلنا اليها لانها عن كسب وعن بعد سوا . فمن الرصيف

سرنا الى بيت على البحر جميل اعده القصبي لضيوفه وضيوف سلطان نجد .
و كنت انا والسيد هاشم في اليوم الاول سيدي تلك الغرف الفسيحة المترفة
كلها على الخليج ، وذلك الايوان الواسع العلويل المحيط بها من الجهات الاربع .
ثم انفردت في اليوم الثاني بالسياحة فانساني هذا القصر سراديب في بغداد
كنا نأوي اليها في النهار ، وسطوحاً نلجأ اليها في الليل . ليست البحرين
بنجد ولا من بلاد نجد اليوم . على ان ضيافة ابن سمود وممكارمه تبادر
الزائر اليها للرحب به وتحييه باسم سيد العرب في بلاد العرب . جاءني القصبي
بكسوة ونجيات يوم وصلت فاصبحت في اليوم الثاني واقفاً عربي نجد في ما
تحت وما فوق الزبون^(١) وزرت في المحرق الشيخ شيوخ آل خليفة فعلت أسفاً
اني اخطأت فيما سبق من امري فلم ازل خيفاً عليهم . ولكنني اقت بعض
الواجب الاهلي وكان عملي على ما اظن مرضياً .

عند دخولي البحرين فقدت حريتي في ما يتعلق بالاسفار او بالاحرى
تنازلات للسيد هاشم عنها . وكان من فضل الرجل انه وقف نفسه على خدمتي
قبل ان يتدبه السلطان لذلك . فتمد اليوم الاول في الجزيرة الى آخر يوم في
الرياض تواصلنا وتآخينا في ما يشمل العقليات وشيئاً من الروحيات . بيد انه
لا بد في مثل هذه الحال من فترات تنقبض فيها النفس فتضيق الطريق ،
ويهيء الرفيق الى الرفيق .

سافر السيد هاشم وحده الى الحسا ليجيب عن المهمة التي انتدب لها في
البصرة ، فأرسلت معه كتاباً الى عظمة السلطان اخبره بوصولي الى البحرين .
وعدت بعد ان خلوت بنفسي الى النظر في ما اجتمع لدي من الآراء المتضاربة
فيه . عندما قربت من الرجل سكن الشوق قليلاً واستيقظ الفكر وما بلازمه
من الهواجس والظنون . فقد كان شوقي قبل وصولي الى البحرين كتار الغضا

(١) الزبون في العراق وفي نجد هو الغباء او ما يسمى في سوريا الفباز .

تأجيباً ، فاصبح وقد قربت محبتي ، وزالت - فُذِلَّت - المقبة الكهوى ،
كلهيب الرفيع صامتاً هادئاً .

ذكرت ما قيل في الحجاز وفي العراق : ابن سعود يدوي جاهل . ابن
سعود جلف ، لا قلب ولا دين له . هو من الخوارج ، بل من الذين يخذعون
ويتناقون باسم الدين . والاخوان رجاله ذئاب تعصب ضاربة يذبحون
ويخذون الله . يسلبون وينهبون ، ويكفرون من لا يقتدي بهم . يشنون
بالقتل في الحرب ويرتكبون من الفظائع ما تقشعر منه الابدان . . . ان
دعوة ابن سعود مذهبية لذلك لا تنجح خارج نجد . لا أمن في الجزيرة ولا راحة
للعرب ومطامع ابن سعود السياسية تزداد يوماً فيوماً . هذا ما يسمعه الناس
دائماً في الحجاز وفي العراق ، وقد رددت مصر والشام صدى القطرين .

وذكرت ما قيل لي في الحديدة وفي عدن وفي دار الوكالة الانكليزية
ببغداد : ابن سعود رجل حكيم . هو نايبة بلاده ، هو السياسي الحكيم ،
والقائد الباسل ، والحاكم العادل . عر اكبر امراء العرب اليوم واقواهم . . .
رجل عظيم رجل نجد . هو ابن البادية التي ينبع فيها من حين الى حين كبار
الرجال . فيظهرون فجأة ويسودون الناس بالعقل قبل ان يسودوهم بالسيف .
هذا ما كان يقوله الانكليز وبعض العرب خارج الحجاز والعراق .

اما رأي الفريق الاول فصدره مكة والاشراف . بل هو قوة ذاك العداء
القديم الذي لا يزال متعكماً بينهم وبين الوهابيين . ومصدر رأي الفريق
الثاني انما هو المشاهدة والمقول عن شاهدها . وقد يكون مصدره السياسة
او المصاحبة السياسية . كنت اعجب عندما اغربل هذه الاداء المتناقضة في
سلطان نجد لما تبقى في الغرابة فاقول : وشهادة الصديق مثل شهادة العدو ،
اساسها الميل والتعرض . فلا تصدق الاشراف ولا تصدق الانكليز . الرجل
حليف هؤلاء ، وصديقهم ، وهو عدو اولئك الاكابر .

ثم اجتمعت في البحرين رجل يرى غير ما يراه الفريقان ، وهو ادب
وعالي من ادباء نجد معجب بابن سعود ، الا انه قليل الكلام فيه . سألته
رأيه فقال : انت ذاهب اليه والراغب مثلك في الحقيقة يصم اذنيه ويفتح
عينه . ثم قال : سألك يا حضرة الاستاذ بل ارجو منك ان تشد على
عبد العزيز وتلع عليه بان يفتح المدارس في بلاده . رسخت هذه الكلمة في
ذهني لان قائلها مجرد عن الاهواء السياسية والمذهبية . هي مصباح بيد
صديق لابن سعود اخا . موطناً من مواطن الضعف في بلاده . وقد ذكرني
كلمة متصرف البصرة : ستنقل وانت في نجد الى القرن الحامس .

كان في البحرين يومئذ رجل آخر معجب بابن سعود ، راغب في تحسين
حال من احوال نجد ، هو المجر دكسون وكيل المندوب السامي او بالاحرى
مأمور الارتباط بين المندوب السامي في العراق وبين السلطان عبدالعزيز .
ذلك لان السلطان طلب من الانكليز ان يكون اتصاله بحكومة لندن رأساً
اي بواسطة مندوبها في بغداد لا بواسطة حكومة الهند^(١) . والمجر دكسون
انكليزي ولد في سوريا وله شغل بالعرب وبلادهم . حدثني ذات يوم قال :
ابن سعود رجل عظيم وقد يكون نظري فيه نظر من يؤله الابطال . هو
اسلم العرب الوحيد الذي تمكن من تأديب البدو وعرف كيف يحكمهم .
عنده السيف ، وله القلب الكبير ، ولكن يلزمه ادارة في ملكه . ويلزمه
زيادة في الخراج . اني اود من جميع قلبي ان يكون القطيف ميناء كبيراً لنجد
ترسو فيه البواخر فتتحول اليه التجارة من البحرين ومن الكويت . على ان

(١) الفرق بين الاثنين كالفرق بين طريق العربات في الجبال وطريق الرجل اي
الفرقة . والسلطان عبدالعزيز على ما اعلم يكره الدورات . ان الحكومة الهند مثلاً
وكيلاً في البحرين ، ولها دوائر سياسية ونظارة خاصة في لندن لا يهم ابن سعود شيء
منها ، لان علاقته هي مع نظارة الخارجية . وما حكومة الهند غير عفة ، بل هي
مثل الدماء بينه وبينها .

ذلك يستوجب ان يكون في القطيف قنصل انكليزي . والسلطان عبد العزيز لا يقبل قنصل في بلاده . حدثه في الموضوع عندما تقابله .

هاك من انكليزي مصعب باين سعود نوراً يضي . موطناً آخر من مواطن الضعف فيه . وهل هو من مواطن القوة ؟ كأنني باهل نجد يقولون نحن نحنى الاجانب ولا زبدتم في بلادنا . الرجل الاولى تجرب وراهها الالوف . انه لعذر مقبول ، ولكن ما العذر في الجهل ؟ أبكره التعليم غير البدو ؟ أيرغب في الجهل غير البدو ؟ أبدي اذاً سلطان نجد ؟ وهل للبدوي اخلاق سامية وشعور لطيف ، ومطامع في الدنيا مقرونة بالحكمة والاعتدال ؟ ها اني قربت من ابن سعود فقربت من الحقيقة فيه ، وبت انتظر جوابه لأصل اليها واليقنها بنفسي . وهاك الجواب الذي جاءني بعد اسبوع من سفر السيد هاشم :

باسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود الى حضرة الوطني القيور والمصلح الكبير امين افندي الريحاني المحترم دامت افضاله امين .
سلاماً وشوقاً وبعد فباشرف طالع وردني كتابكم الكريم المنبي .
يوصولكم الى البحرين وانكم مزمعون التوجه الى طرفنا . اهلاً وسهلاً على الزحب والسمة . بالله لقد سررت جداً بذلك فظالما كنت مشتاقاً لقيامكم . وقد حققت الايام شوقي والحمد لله . الا انه لا يعني الا ان اظهر شديد اسفي لعدم اشعاركم لنا تفرافياً في حين توجهكم من البصرة ذاك الامر الذي اوجب فتوراً قليلاً في اخبارنا وكيدنا في البحرين للملاقاتكم لاني سألت الحبيدين بمعرفة اوقات وصول المراكب الى البحرين وعلمت منهم ان المراكب القادم من البصرة ربما يتأخر ولهذا وحده حصل تاخير منا فارجوكم المسامحة . نحن بانتظاركم وقد امرنا

وكيلنا القصبي ان يهيء لكم سفينة تقلكم الى القبر ووصولكم اليها تجدون السيد هاشم بانتظاركم وبالحمام تفضلوا بقبول الاحترام وودعهم.

الحلم

في ٢٧ ربيع اول ١٣٤١

هذا اول كتاب جامعي من السلطان عبد العزيز ، نشرته لتظهر حقيقة فيه اثبت الحُبْرُ خبرها . فالرجل لا يتكلف اللطف ولا يتكلف التواضع ، لانهما من خلاله الفطرة . ولسان اللطف والتواضع اجل ما في الكتاب لولا شدة الاخلاص . ومع ذلك فلا بد من التحليل والتعليل توصلاً الى الحقيقة كلها . قد تقفون غفراً رقة الشعور بالشدة حتى في البدوي ، فهو اذ ذاك رجل كبير الخلق . وقد تقفون كرهاً اي صناعة ، فهو اذ ذاك سياسي يحسن التليس والحماقة . وقد لا تقفون قطعاً ، فهو اذ ذاك ، اسواء . كان شديد البأس ام دمث الاخلاق ، رجل عادي له من يومه ما لعامة الناس . فهل الرجل الذي انا ذا اثره ممن طبعوا على شية اللطف والرفقة وكانت القوة فيهم او في اعمالهم بات الحوادث والاحوال ؟ ام هو سياسي محنك يغلب خصره بالمكائرم ويسرد امته بالدهاء ؟ هل ابن سعود من اولئك الافراد القليل عددهم في البلاد العربية بل في العالم اجمع ، اولئك الذين يبقون على شيء من الفطرة معها عظموا او تعاطفت شؤونهم ، اولئك الذين يسعون الى محبتهم في الصراط المستقيم فيأخذون الحكمة من لوح الوجود لا من الكتب ، يغبون ولا يتفوقون ، ويكرهون ولا يخافون ، ويحبون ولا يلقون ، ويسودون ولا يظلمون ، ويمدون ولا يخافون غير الله ؟ اننا في الطريق ايها القارى . وستكشف لنا الحقيقة التي تحبها الصحراء دون ذلك الافق اللاذودي . وراء تلك الاكلم الذهبية .

الفصل الرابع

في ظل الشراع

حسانات السفر البطيء - السفينة والقطار - مشكرات البهار - في ظل الشراع -
الجهنم - سكن الربيع - طرد في القبة - الامر برفع الشراع - د شلنا وتوكلنا
على الله - الرهبان لمسيح البهار - الصلاة في ظل الشراع - الامور والتصر -
ما حيا في نجد - العزيز - موالي السلطان الثلاث - الطريق الشرقية الى نجد -
من البحر وسفن الصحراء تتبادل احوالها .

من حسانات الاسفار تنوع اسبابها وطرقها . وان الابطاء في القديم منها
أحب الى السائح من الابطاء في الحديث الذي اخترع ليطارد الريح فيهب
كما يقال المسافات . ما الفائدة اذاً من تجار لا يجسم الذهب ؟ المجرت من
عدن ووجهتي ابن سعود فاجزت اولاً بحر الهند في باخرة كبيرة فغصة الرياح
معتدلة في سيرها . ثم خليج العجم ، فصدرت الباخرة ، وبجست العدة ،
وطالت علينا المسافة والايام . ثم قطعت فيا في العراق بين البصرة وبغداد في
قطار مخلع مروج - هو اثر من آثار الحرب - لا شك ان قطار الشين في
اميركا اسرع منه ثم عدت من بغداد في مركب من مواكب دجلة وقد آليت
على نفسي الا اكون غير شرقي كسرول فلا اعد الساعات ولا احاسب البهار
والآلات . فصكنت السفرة لذلك جملة ، قصرت وان تعددت ايامها . ثم
في رجوعي من البصرة الى البحرين خفت في البواخر ابطأها سيراً فقلت :
تباركت الاقدار في الاسفار . هي تبدل في الاسباب التي تزداد ابطاء كلما
قربنا من محبتنا ، فنتسوق اثناء ذلك على الصبر والتحمل ، وعلى التأمل
والتفكير . ونصل الى تلك المحبة برغم طول المسافات وبطء المطايا البخارية
والحيوانية ، اللهم اذا ثبتنا في السير والترحال .

قد كان سروري في غروحي من البحرين مثل سروري في الوصول اليها .

وكيف لا وكل خطوة الان تدليني من البنية القصوى ، فقد ذلت من العقبات البحر والانكليز ولم يبق امامي غير زاوية من الخليج رأى البخار ، وارض لا تلين لغير الابل . ان الساحل في تلك الزاوية ، جنوباً بغرب من البحرين ، على مسافة اربعين ميلاً من النامة ، هو اول ما نشاهده من ملك ابن السعد . هناك المقبر^(١) وشاطيء الاحياء الذي يرمى من مكان في اخر الجزيرة يدعى رأس البر . اما المسافة بين البلدين فهي رهن الشراع ، والشراع رهن الرياح . فاذا لاذت كان حفظك من السفر على طريقة الاجداد ست ساعات فقط . واذا عارضت تقفز بالثلاثين . وقد تتجاوز الثلاثين اذا كنت الى « نبتون » من المقربين .

اجبني الله البحر فاستبقاني في محلي بالجلبوت^(٢) نهاراً واحداً وليلتين . اذ بعد ان خرجنا من مياه النامة مساءً مسكنت الريح ولم تتحرك بنا يرضي الله والشراع حتى انتصاف الليلة الثانية . وكنت اننا . ذلك اذكر القصبي بالخير واشكره خصوصاً على كرسى جعلته سريري وعلى ظام انعشتي بشيء من المرق . وبينما انا نائم في الليلة الثانية ، او بالاحرى مومي كملود في القبة وقد برد الدم مني وتعتدت الاعصاب ، سمعت صوت الناقوزاء يصدر الاواسر برفع الشراع ، وسمعت الملاحين يرددون انشاداً : شلنا وتوكلنا خلافة . شلنا - وتوكلنا خلافة . فتحركت في مقلي الصغير وقد انعشتي الهواء . كما انعش من الجلبوت الشراع . وشكرت مسكن الرياح وشيها . فقلت : لا شيل

(١) القاف في بعض الكلمات تلفظ جي في نجد فيقولون المنجير .

(٢) الجلبوت مركب شراحي صدره ، وهو للبضاعة ، مرفوع مستطيل . وفي مؤخره قبة او علية للسافرين يسيرها الملاحون مرساة . وهو اذا كان كبيراً شبيه بالهبة في العراك وبالسنوك في البحر الاخر . واذا كان صغيراً فلا يكون له عرشة فيشبه اذ ذاك الهم . اما اسمه جلبوت ، ولا يسمى كذلك الا في البحرين ، فهو على ما اظن تحريف jolly boat في الانكليزية اي مركب للترعة لطيف .

يقيناً لولاه ، ولا توكل على سواه — شلنا ونوكلنا على الله .

كنا في المجمع الثاني من الليل قوبيين من بر ظننته الاحياء . فإ صدق الظن . وشد ما كانت دهشتي وخيبيتي لما علمت اننا لا تزال عند بر الجزيرة . على ان الرياح تجاري اذا شامت البهار ، وتسبق الحديد الدوار . ولا اظنك اذا كنت ملاحاً تاريني في ذلك . اجل ، عندما ينتفض فيستلي . الشراع ، فقل للمسافات : الوداع . ان هي الا ساعة حتى اجتازنا رأس الهر وكان الهواء قد انقل جفني فنمت قليلاً ، ثم ايقظني صوت الملاحين وهم اذ ذاك يشتغلون في قلب الشراع طوعاً والريح يوددون : صل على النبي صل . عالا الثاني ! وربك ايها القاري . ما سمعت في انعام الليل على المياه اطرب منها . الا ان يكون صوت المؤذن في الخليج وهو يؤذن الفجر . ليس في صلوات الامم كلها ادعى منه الى الورع والخشوع ، وقل فيها ما هو اجل وقفاً في النفس من صلاة الملاح في ظل الشراع

صلى اخواني الفجر ، عندما دخلنا ميناء القير ، ورفعوا العلم ، علم ابن سعود ، وهو اخضر ذو حاشية بيضاء . مكتوب عليه : لا اله الا الله . وقد كان يتفارقا هناك على ارضين السيد هاشم واهل العصر ، فشبنا معها الى البيت المد للضيوف ، وفيه سرير ابجني مرآه . واعجبت كذلك بذوق رفيقي الذي علم السبب في ابطاء السفينة وقرأ في وجهي قصة اليتيم ، ففرسني والسرير وانصرف .

ذكرت الامير والقصر . فلا يظن القاري . ان القصر قصر وان الامير امير . بل هي اسماء اصطلاح اهل نجد عليها . فهم لا يرغبون في الانقلاب بل يزدهرونها ، ولا يرون غير المساواة وقد ساوى بينهم دين التوحيد ، شرعاً وسنة . اما اذا شاء امامهم ان يسمى عماله امراء ، وقد يتضمن ذلك التحقير لمن يدعون النبالة ولا يستحقونها ، فهم لا يعترضون . واذا شاء التجدي ان

يسمى خربة له في الصحراء قصراً فلا الامام بمقرض ولا الرعية . اما الامير
الحقيقي عندهم فهو من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به احداً ، ولا يخاف ولا
يرتجى سواه . واما القصر الحقيقي فهو المسجد .

ليست العقير بمدينة او قرية ولا هي حتى مضرباً من مضارب البدو . اذا
العقير اسم لقصر من القصور التي ذكرت ، ولطرك من جوارك نجد في الاحساء
على ساحل الخليج . العقير هي احد مراني . السلطان الثلاثة يتبعها القطيف
والجبل شمالاً منها . ولكنها مراني . قلما يرى فيها غير المراكب الشراعية .
ومن العقير تبدأ الطريق الشرقية الى نجد .

اما القصر فهو بناء كبير مستطيل يقيم في جناح منه الامير والضيوف ،
ويستخدم الجناح الآخر للجمر كالحامية التي لا تتجاوز العشرة الافقار .
وامام القصر على الساحل ساحة كبيرة ترح فيها الابل وتُقزل اليها البضاعة ،
فتبادل سفن الصحراء وسفن اليم احملها . الحاتم والارز والسكر من عباي
والزيت من عبادان - احملها يا بعير الى ما وراء الدهناء . والتمر من احسا
والطود والصرف من سد ير والوشم ، والسنن من الخرج والافلاج - خذها
يا جدوت الى ابجر من لتقل من هناك الى ما دون الخليج والبحار .

الفصل الخامس

الملتقى في النفود

غداً المندوب من العراق - خروج السلطان من الحنا - أول يوم على الدلول -
 الفزالتان - النفود - امر النثر - الحصار للحنا - المرائم والمناش - الشيوخ -
 الارمن اللعينة - السادة والخدم يلعبون - حذر تعلقه الايام - « من الزهد »
 « السلطان قاهر اليكبر » - القاهب لاستتباله - سعادة روحه ولار مشجومة -
 « يا سعيد ا » - الليل والنفود - « طبع المكان بسوكب السلطان » - السلطان
 يزورنا في الخيمة - ما قيل له وما قاله بمقصود من الزيعاني - امر « العرب والوحدة
 العربية » - « حنا (نحن) العرب » - « أول من دعا الامراء الى الاجتماع والانقلاب
 - رجل يثق بالله ويثق به .

يوم سفري من البحرين اخبرني الميجر دكسون بان المندوب السامي السر
 برسي كوكس يسافر من بغداد في القريب العاجل وقد يصل الى الجزيرة بعد
 بضعة ايام . وعندما وصلت الى العقير اخبرني السيد هاشم بان عظمة السلطان
 يخرج قريباً من الحساء ليلاتي المندوب السامي في المكان الذي نحن فيه .
 فاخرجت خوريستي وقسمت المسافة بين الحسا والعقير - ٤٠ ميلاً - وقابلت
 بين اثنتي عشرة ساعة على الدلول ذهاباً ومثلها اياباً ، اذ لا بد من الرجوع
 مع السلطان ، وبين يوم على الشاطي . استعيد فيه قواي واستعد ، اقرن على
 ركوب البعير ، لاسفر في البادية ، فكان الحكم والحكمة في جانب الثاني ،
 وصكتبت الى السلطان اطلعه على حقيقة حالتي واستشيره في الامر . - اذا
 امرتم بالقدوم اليكم او بانتظاركم في العقير فسمعاً وطاعة في الحالين .

حمل كتابي لحجاب الامير صباح الثلاثاء ، وعاد صباح الارباء بحجاب فيه
 ما تناهى من لطف الاسلوب ورقة الشعور . - الامر راجع لرغبة حضرتكم
 وتبعاً لراحتكم . وقد اخبرني السلطان انهم سيخرجون يوم الخميس من الحسا
 ويسهون الهويتا ليصلوا صباح السبت الى العقير . صكتبت قد غرمت على

حلاقاته في منتصف الطريق اذا قويت على ذلك ، وعندما علمت من السيد هاشم بان سموه قد يوجب في الاجتماع بي قبل ان يجتمع بالندوب السامي شددت حقوي وقلت : الى البادية .

أعدت انا الركائب فمرحنا - مافرقا - ضياح الخيول انا ورفيقي الاديب يصحبنا خمسة من الخدم . وكان اول عهدي بالذلول^(١) وبالنفود^(٢) فاجبتني هذه وازعجني ذلك . بل كنت في كل حركة احس بشيء ينجني او حول رجلي وجني لا يجوز في نظري ان يكون هناك . والفرالتان^(٣) بليتان ، تدق الواحدة صدري والاخرى ظهري كلما حدثت الى الامام والى الورداء . والكور ، اكاد اطيع منه . هر مائل الى الامام ، مائل الى اليسار ، مائل الى اليسار والشداد - الرجل - ان فيه إما يحتك بالجنب ، وما يقرص

(١) الذلول المجهين للمعد للركوب من ذلك دله للركوب . ولا يكون الذلول غالباً الا ناقة وما سميت له جمعاً فهم عندما يريدون الجمع يقولون الركائب .
(٢) النفود بادية رمل بين ساحل الخليج والاحساء غدت من القطيف شيلا الى راس الجافورة جنوباً وعرضها من حيث تقطعها الى الحسا ٣٥ ميلاً . اما الاسم فقد يكون مشتقاً من قد اي نفذت الارض من الماء والكلالة . والنفود تختلف عن الدهناء في تكوين نخلها الرملية وعلمها . فهي في بعض الاماكن شبيهة بالجبال وليس فيها مقال اي مراعٍ والدهناء في بلاد العرب واحدة . والنفود كثيرة .

(٣) الفرالتان خشبتان مرفقتان مستقيمتان في الكور، واحدة الى الامام والاخرى الى الوراء . فبان الراكب من السفوط وتستخدمان في التحميل لسد الخيال وتعليق الاحمال . وما في شكها وفي وضعها انواع . فالفرالتان في نجد مثل الحظبين المستقيمتين في الهندية ، او مثل المستقيمتين في شمدان واحد . وفي بعض الاكوار تراها مائتين الواحدة نحو الاخرى وتسمى الراكب ينسجها كأنه فحسة في ملقط . ولكن العجدي على الذلول اقوم من الفرالة وأثبت . اما في الشمال اي في بادية الشام فالفرالة توضع في شكل زاوية منفرجة Optuse ، الواحدة الى الورداء والاخرى الى الاحساء ، فيصبح مكان الجلوس في الكور متفرجاً والراكب معاً حداً في مأمن من الدق والاحتكاك . اما اهل عمان فهم يستفنون عن الفرالة ، والكور عدم مثل السرج الانكليزي .

الرجل ، وما يسي . - اي والله يسي . الادب ايا سيد هاشم . . . فاجابني بقوله : ابشر ابشر .

بارك الله فيه ما كان الطفلة في تلك الايام واكرمه . أنحننا الركائب ، وجاء احد الخدم يقول سم^(١) فعدل الرجل واصلحه . ثم ركبنا وتوكلنا على الله ، فاجتازنا الاول والثاني من افانق النفود الذهبية ، ووصلنا الى مكان يدعى ام الذر^(٢) ، أنحننا فيه وكنت انا اسرع الى ذلك من سواي . لان « سم » الخادم لم تصالح الرجل ولا لأنت قلب الغزالة . عند ما أنحننا لطفن الربيع ينسكتون الرمل بايديهم فيظهر الماء تحت قدم او قدمين منها . ان ام الذر مورد القوافل الوحيد في هذه الطريق من النفود .

ملأنا القرب واستأنفنا السير . وكان معنا حمار مجان ، كثير الاسفار والهديان ، يحمل حمارة بعض المواين والخطب ، وهو يعدو وراءه كالسمدان ، فيرقص رجله ويديه ، ويسمنا فسكات اهل الامصار - البصرة والبحرين والكويت - ويمثل لنا رقص البطان ، ويردد كلمات ما سمعناها لا في الشرق ولا في الغرب . حمار مجان انا رأيت اصقع منه حيناً كان يجشو على ركبته كل مرة يظن نفسه اجاد ، وما اجاد بغير البذاءة لفظاً واياء . على انه انساني بعض ما كنت اناسي من ركوب الدلول . وكانت ضحكتي تضع في قهقهة الربيع ، وكلمتي تنلثني عند امواج ثرتهم .

- اسمع يا هويدي - تصغير عبد الهادي - جابوب الأستاذ . هو يسألك

أبشر الله مؤثره^(٣) ؟

(١) سم يختصر بسم الله في اصطلاح اهل نجد .

(٢) ام الذر من شجر حول المكان يدعى الذر وهو شبيه بالمشر .

(٣) في البلدان العربية على ساحل الخليج وفي العراق يسبون السيارة « مؤثر » من اسمها الانكليزي Motor ويطلقون في البصرة اسم المؤثر على الراقصة التي تجيد الرقص .

- الموتى يا افندي تجري ، وتقرن ، وتدور - الله ، الله ! الدعشوقة ،
الخفيفة ، السريعة الحركة هي الموتى .

قال هذا ووقف بهز كتفيه وعطفيه . مها كان من بداءة الرجل فقد
احسن الي في يومي الاول في البادية ، فحفظ مشقة عشرين ميلاً اجتازها في
ذلك اليوم . ثم مرحنا^(١) العصر في مكان يدعى العلاء^(٢) وعلا من بعض
الذين كانوا قادمين من الحسا بان الشيخ^(٣) مارحون في الجشة على مسافة
عشرة اميال منا . فارسل السيد هاشم رسولاً يطلبهم فكان مرادنا ، واننا
سنقف لهم هناك في الطريق صباح الغد . واظنه رغبة في راحتي ، اناج الرسول
بما كنت ادول كتمانته . قل الامام : ذبح^(٤) الذلول الاستاذ .

ولكن التعب والالم لا يدومان طويلاً في فصح الرمال وسكينة النفود .
فبعد ان نصبنا الخيمة وشيئنا النار وقهرنا^(٥) تهافتت حسنات المسكان على .
فلكني من السرور ما كان قد هجرني راكباً ، ودرجت اتقي بدح ارض يحاو
هواؤها ، يحاو شكلها وفسحاتها ، يحاو لونها وسكونها ، يحاو وطاؤها ، تحاو
محبتها . وبعد المشاء تبارينا برمي الجريد ، وتمايقنا حفاة في العدو ، ووقف
ماجد على يديه ليجهن لرجحان ان رجله ارفع من رأسه (اي رأس رجحان)
وانه مستقيم وان كان ابدؤي - بدؤياً - كيفما وقف او مشى ، والله قوي

(١) مزج النوم اي اباخوا للنبيت وصرخوا اي خرجوا من مراحمهم . ويسر
المكان المراح . اما الاناحة فلا تكون الا للراحة والترب النفوة اثناء الرحيل .
(٢) العلاء من علو المكان على ما اظن وهو لا يعلو اكثر من ثلاثه قدم فوق
سطح البحر .

(٣) يطلق لفظ « الشيخ » في الاصل على الامام وحاشيته من اقاربه وخدعه اذا
كانوا مجتمعين . ولكن اهل نجد يخرجون عن القاعدة الاصلية فيقولون الشيخ وهم
يريدون السلطان او الامام بينهم .

(٤) انصكه واضناه في اصطلاحهم .

(٥) شربنا النفوة .

يقبله بكل شيء : بالصراع ، بالعدو ، بالخصم ، بالكوب ، وبال...
أوقفناهما عند هذا الحد في المفاخرة ، فاستعاضوا عنها بالثنا ، و « اللعب »
أي الرقص .

دخلت الحية والحكم لا يذانون في السر ، فاستلقيت على السرير وأنا في بهجة من حققت الايام حطاً من احلامه ، فيها هي الصحراء ، وهذا المجهين ، وهؤلاء العبيد عبيدي ، وها انا اذا جاز لامير من امراء العرب ، سلطان نجد . ما كاد هذا الحلم الذهبي يغمض جفني حتى سمعت صوتاً يسأل : من الربيع ؟ ثم اناخ عند نارنا رجلان عرفهما السيد هاشم ، ورجلان من رجال السلطان ، جاءا يثناننا بان رسولنا وصل وان صموه - نهض السيد هاشم مدهوشاً وبادر الي بقول : قم يا استاذ ، قم حالاً . السلطان قادم اليك .

نهضت مسرعاً فلبست ثيابي - وما احسن الثياب العربية خصوصاً في مثل
 هذه الحال - حملت عباءة تغطي بها قيص النوم ثم كوفية وعقال ثم - حي
 الله الخاي ، مرحباً بالضيف .

راح الربيع يحيمون الخطيب للنار وغرشنا انا والسيد هاشم البيت امددنا
السجادة ثم وضعنا الكور في الصدر مستداً على عادة العرب - وهذا كل ما
هنالك تأها لاستقبال ملك من ملوك العرب .

وكان الليل صافي الخيول ، رقيق الجباب ، شأنه في البادية . تدنو النجوم في صاته من الأرض بريقاً ، وتسمع فيه الاصوات ، كأنها على طول المسافات ، الاوراق في القابات ، لها دوي لطيف ينجد ويغور ، وحدي يتسوح كالنور . وما ارب وما اجهل صوتاً سمعناه آنشد وراء الاكام في مروج الليل ينادي : يا مُعَيَد - يَتَمَازِد ! مبشراً بتقدم السلطان او بمروره في ذلك المكان . ان المنادي يتقدم المركب السلطاني حتى اذا صعد احد من البادية او الحضر يروم من سيد البلاد امراً ، او يحمل اليه شكاية ، او يبغي

الركوب في مركبه ، فهو يقصد مسرعاً الى مكان الصوت فيفوز ببنيته -
يا سَعِيد - يَنْفَعَايِدَا^(١).

وبعد هنيهة ضحك المكان ، بمركب السلطان ، فاناخ عندنا ، على اكتاء
حول شراعنا الصغير ، متنان من الركائب ، وهي تريد وترعى . إخ - إخ -
- وصوت الخيولان على رقاب البعدين كصوت المطر على النخيل . ثم نُصِبت
الحيام ، وشبت عشرات من النيران ، وُصِحت على الفور المداق في الاجران .

خرجنا نبادر الى استقبال الزائر الكبير ، فاذا هو قد خف الينا ، وفي
معيته اثنان فقط من حاشيته . قلت الزائر وهو الذي شاء تطلقاً وتنازلاً ان
يعكس الاية . وكانت المشاهدة الاولى على الرمل ، تحت السماء والنجوم ،
وفي نور النيران المتقدة حولنا . الفيتة رجلاً لا يمتاز ظاهراً بتغير طولهِ ، وكان
يلبس ثوباً ابيضاً ، وعباءة بنية ، وعقالاً مقصباً فوق كوفية من القطن حراء .

ابن ابية الملك وفضفضة السلاطين ؟ انك لا تجدهما في نجد وسلطانها .
وان اول ما يملكك منه ابتسامة هي مضناطيس القلوب . لست ادري كيف
حريته واقا في دهش وابتهاج من تلك المفاجأة الكبيرة . ولكني اذكر انه
حياتي يامناً بالسلام عليكم وظل قابضاً على يدي حتى دخلنا الحنية ، فجلس
والصبر الى يمينه يستند اليه ، والنار قبالة تنير وجهه . ثم عرفني بمن كان

(١) سَعِيد الصغير الصغير الشائع كثيراً في نجد وسعيد نداء ابن سعود يدل على
تواضع في امره هذا البيت جميل . كان الأمير يقول لكل واحد من رعيته : ان
السعادة الكبرى من الله . واما الصغير الصغير منها فقد يجيئك من الأمير . ولا شك
امرأة العرب منادون وكلمة نداء خاصة بهم ينادي بها كذلك يوم يخرج الأمير
الى الحرب او الى القزو . في الحجاز مثلاً كان نداء الملك حسين : يا فرحانة
وفي جبل شمر كان نداء ابن الرشيد : يا مرزوق .

في معيته ، وهما الدكتور عبدالله الموصلي^(١) وعبدالله طيف باشا المندبيل
فجلسنا كلنا في صلب امامه .

وما اضمتا وقتاً في تبادل المبتذل من السلام والتحية . اعتذرت من
الابطاء في الوصول اليه وقلت ان ساطعه على حقيقة الامر فيعلم ان الذنب
ليس ذنبي ، فقال : علمنا بذلك واستغفرناه . اما نحن فما ترددنا ولا ابادة
في الجواب . وكيف نرد من يبقى زيارتنا وهو من صميم العرب ؟ قالوا انك
انك اميركي حيث تنشر الدين المسيحي في البلاد العربية . وقالوا انك تنشر
بعض الشرعيات وحيث تبغي الامتيازات . وقالوا انك قادم من احجار
وانك شريفي تسمى لتحقيق دعوة الشريف . وقالوا غير ذلك . فقلنا اذا
كلمنا في الرجل ما يضر فحين نعرف كيف نتقيه . واذا كان فيه ما يجمع
فنعرف ايضاً كيف ننتفع . ونحن اعلم يا حضرة الاستاذ بهمتك . بارك
الله فيك .

فاستأذنته اذ ذاك ان اخبره بالمقاصد الثلاثة في رحلتي فقلت : وقد تم
الاول بشاهدتكم ، وسيتم الثاني بما سأكتب ان شاء الله في ما شاهدت
اما الثالث فلا يتم الا بمساعدة ابن سعود . والي متيقن يا مولاي ان الوحدة
العربية لا تتحقق الا باجتماع امراء العرب كلهم للتعارف اولاً والتفاهم ، فهو
اليوم في منزل بعضهم من بعض اذا لم نقل في احتواب دائم ، ولا يعرف

(١) الدكتور عبدالله الدعرجي الموصلي هو طبيب السلطان ، وكتب سره في الامور
الخارجية ، ورسوله وترجماته ووكيله في ما يختص بالاجانب سواء اكنوا من رجال
الحكومة ام من رجال العلم السائين ، والدكتور عبدالله درس في الاستانة ، وغير
الطباية في الحروب وغير الحياة في عواصم اوروى ، فطاف وشاف وعاف ، عافه
الله ، ثم رما في نجد .

(٢) عبدالله طيف باشا المندبيل ، صديق السلطان الحميم ووكيله في العراق ، هو نخدي
الاصل ، هراق الإقامة ولا يزال للبدواة اثر في حديثه وفي سلوكه الحر . راجع
الحاشية في آخر الفصل الثاني عشر من المسم الثامن .

الواحد منهم الآخر معرفة حقيقية .

فاجابني بكلمة صريحة رددتها بثلاثها دون ان ادرك انها تلمس فيه وتراً حساساً . فقد تكلمت في حضرته عن امراء العرب كما تكلمت في حضرة سواه ولكنني ، وهو يعرف انه كبيرهم ويظن انهم في غير بلادهم لا يستند كثيراً بهم ، لم يسكت عما قلت . فاستدت انتهي من كلمتي ان امراء العرب في عزلة بعضهم عن بعض حتى قال : ومن هم العرب ، نحن العرب ^(١) قال ذلك وضرب السجادة بقضيب يحملة من الخيزران .

من غريب الامور اننا في الجلسة الاولى تناقشنا في الموضوع . وما كان ذلك نقاشاً في تأديني . فلم امكن لاقدم على مساجلته في تلك الساعة او لم يتقدمني بصراحة علمت بعدئذ انها من سجاياها الكبيرة ، وانه قلما يقف فيها عند حد من حدود التحفظ . اجل ، قد هدم السلطان بكلمة من كلماته حواجز الرحيات ، فجعل نفسه تنازلاً في مقام الصنو والرفيق

— لك الحرية يا حضرة الاستاذ ان تتكلم معي بكل حرية . ولا اقبل منك غير ذلك . وانا اكللك بكل حرية . ولا تتوقع مني غير ذلك . انت تقول امراء العرب . اسمع انا اعلمك . انا اعرفهم ، وقد خجعتهم ، عجت عودهم ، العرب يا حضرة الاستاذ لا يعرفون الا مصالحتهم ، وغالباً لا يعرفونها فتنهم بها ونكروهم عليها . وقد فاسدنا كثيراً في سبيلهم ، وكانت الحيانة في اقرب الناس منهم اليها .

دخل عيد من العيد يحمل بيده البسرى ابريق القهوة وباليدين الفناجين نصب للسلطان اولاً ثم لي ثم للحضور .

— اعترف يا استاذ اننا اول من دعوا امراء العرب الى الاجتماع والاتلاف ؟ ومنظمتك ان شاء الله على ما يشئت ذلك . فتأكد اننا اقربهم

الى الافة والاتحاد . رحنا اهل نجد لا نبغي المحافظة الا على امرين : ديننا وشرفنا . . . ثم قال : ولا نشغل عليك الليلة وفيك تعب يدور الى النوم .

فما نشيع السلطان ، وكان قد انتصف الليل فغيم على المضارب السكون ، ولم يبق حولها غير بضيق من النار . وعندما عدت الى الحنية التي كانت منذ حين محاس سلطان اقل ما يقال فيه انه عربي حر كريم لم يكن " في " لا تعب ولا نوم ، فاشعلت الشمة وكتبت في مذكراتي بضع صفحات انقل منها ما يلي :

" ما قد قابلت امراء العرب كلهم فما وجدت فيهم اكبر من هذا الرجل . است مجازفاً او مبالغاً في ما اقول . فهو حقاً كبير : كبير في مصافحته ، وفي ابتسامته ، وفي كلامه ، وفي نظراته ، وفي ضربه الارض بعصاه . ينصح في اول جلسة عن فكره ولا يجتري احداً من الناس بل يقتني سره ، وما اشرف السر ، سر رجل يعرف نفسه ، ويشق بعد افقه بنفسه . " حنا العرب " ان الرجل فيه اكبر من السلطان . وقد ساد قومه ولا شك بالمعكارم لا باللقاب . . . غريب عجيب اجنت ابن سعود والقلب فارغ من البض ومن الحب كما قلت له . فلا رأي الانكليز ، ولا رأي الحجاز ، الا الثناء ، ولا المطاعن اثرت في . وما قد ملأه ، ملأه حباً في اول جلسة جلسناها . على ان الحب لا يكون مقروناً دائماً بالاعجاب . سقى . قد عاهدته على ان اكلمه بصراحة وحرية . وسأكون في ما اكلمك كذلك حراً صريحاً . . . ولكنني احسن شيئاً من الفراسة ، وصرت اركن الى ما تشعر به النفس في المقابلة الاولى . فضلاً عما عندي الان من الملوكة المقابلة والتفضيل . . . اني سعيد لانني زرت ابن سعود بعد ان زرتهم كلهم . هو حقاً ملك الحنات . "

كانت الساعة الاولى بعد نصف الليل عندما غمت والساعة الرابعة عندما
 ايقظني رفيقي السيد هاشم قائلاً : قام السلطان . وكانت ضجة التأهب
 للرحيل . سمعت الابل ترفو وتمج وقد يادر العبيد والحدم اليها بالرجال
 والاحمال . ورأيت النار تشب في كل جانب ، وسمعت المداق في الاجران
 تدق البن ، ثم صوتاً يؤذن الفجر : الصلاة خير من النوم . الصلاة خير من
 النوم ! لا اله الا الله ، لا اله الا الله ! وما هي الا فترة حتى صلى السلطان
 «رجاله وشربوا القهوة وارتحلوا . رفع العرب الحيام ، كما يقول الشاعر
 الانكليزي ، وسرحوا ساكنين .

الفصل السادس

في موكب السلطان

السفر في نجد - غلبت في الابتكار - بهارة تجهيزي فهاة جالوزي - في موجب
السلطان - من على السائر في التلوة - حديث في السياسة - اميرها والرهس
ولسون - اوروبا باب من جديد لا شي - داخله - المضي - الاستقبال على الرمل
- في اقر اللئاس في مجلس الله - المراس - ساعة مع السلطان - التهاب في
البادية - الصلاة - السلطان يقضب - قهد الهدال والانكليز - لا ينهي غور الحق
ولا لطف غور الله .

من عادات العرب في السفر ، خصوصاً عرب نجد ، انهم يكرهون وغالباً
يسرون . والسلطان عبدالعزیز ابكر المبكرين دائماً واعجلهم تأهباً للرحيل .
حتى انه يهبط الفجر احياناً اول وقت الصلاة كي لا يضطر الى الاناغة بعد
ذلك قبل الضحى . هو نظام عسكري يتشى عليه ، ولا بدع فالرجل قوي
البنية ، شديد العصب ، يكفيه من النوم ساعتان ، ثم ربع ساعة للرحيل .

وما هنا غلبت . قد يكفيني ما يكفيه من النوم ، ولكنني في يوم
الثاني في البادية لا استطيع ما يستطيعه لا في التأهب ولا في الركوب . الا
ان اعجوبة حدثت صباح ذلك اليوم فكان قد سبقنا الموكب الكبير ، موكب
السلطان ، وسرت انا والسيد هاشم في موكبنا الصغير تحت الركائب حتى
لحقنا به بعد ساعة . وكان الشفق يتخرج وردياً وعصراً على الاكلم ، وقال
سلطان نجد الذهبي هادياً في رأس الموكب فوق كل الرؤوس . فاختزلت
الصفوف ، احث ذلولي ، وانا محجب بهارة في الركوب جاءني دفعة واحدة ،
فهاة ، كما يجي . الوحي الشعرا . . . فاعتزلت ربي وسرت مستقلاً ابني

(١) قد يكون الفضل في ذلك للذلول لا لي . وقد علمت بعد ذلك انما من العانيات
اي نجائب الابل التي تأتي السير الا في مقدمة الجيش .

الى نائب السلطان مكاناً . وفُتِرت به فادعشته فقال انه رآني : ما غلظناك
تنهض باكراً .

صبرت ابن سعود اول مرة من علي السنام في النفود . وسرت واياهُ محمدو
في وجه الشمس بصف يتراوح عدده بين الخمس والخمس عشرة من الركائب
يتبعه خمسة صفوف او خمسة عشر آخر دون نظام في مثل هذه الحال . اننا في
الصريق لا الى الغزو ايها القاري . بل الى مؤقر سلم . يُعقد في البداية . لذلك
كنت ترى البنادق^(١) معلقة بالرحال من وراء ، والسيوف في اغمارها ثم في
بيوت من الجبل تتأيل حولها المفائف الحمراء والشراريب الطويلة . وكل في
رحله ملتف بعباءة السكينة والاطمئنان . انه لمركب مبهج مبهج . وكانت
افضل السير في مزخرفة لاملاً النظر منه لولا رغبة اشد ، وواجب احب الي .
السلطان عبدالعزيز فصيح اللسان ، سريع الخاطر ، لطيف الجواب .
وهو مثل امراء العرب كلهم يقدم السياسة في الحديث وتهب على الخصوص
منها سياسة اوروا في الشرق الادنى . على انه شاء هباح ذاك اليوم ان يكون
الموضوع اميركا وسياستها مع الاحلاف .

سأني السبب في سقوط الرئيس ولسون فاعلمته بطرق الانتخابات هناك
وبه الاحزاب السياسية من السيطرة على الحكومة وعلى البلاد .

- عجيب ألا يسوقهم الشقاق الى الحروب ؟
- يحاولون مشاكهم السياسية بالاقتراع .
- ذين . وكل حزباً عندهم ؟
- الرئيسية اثنان والثانوية كثيرة .
- ذين . وكيف يرضي الحزب المنتصر بقية الاحزاب ؟

(١) العرب يختصرون لفظة بدقية فيقولون بندق جمعها بنادق .

- الأقلية تخضع دائماً لمولاي لحكم الاكثرية .
- وكيف سقط ولسون اذاً وهو الحاكم والاكثرية مع الحاكم .
- لم تكن معه في الانتخاب الاخير فقد هجره من انصاره كثيرون انقلبوا واقترحوا عليه .

فهز السلطان عصاه يوبت بها رقبة الذلول وقال : لا اظنهم احسنوا . لان ولسون رجل عظيم ، وله الفضل الاكبر في تنبيه الشعوب الصغيرة المظلومة . استنهضهم ولسون الى الحرية والاستقلال . وهو ايضاً عرفنا باميركا ، ما كنا نعرفها قبل ولسون . اما اليوم وقد تكلمم بلسانهم فله فضل عليها . كما ان فضلها على العالم . . . انا احترم اميركا ، يا حضرة الاستاذ ، وان كانت سياستها الان مع الاحلاف غير سياسة ولسون . . . اميركا ام الشعوب الضعيفة . ونحن العرب منهم . والعامل بكيفية التنبيه والاشارة . . . احسن اليك - ومال بوجهه اذ ذاك الى من كان في الجانب الاخر منه - اقتبني كذلك ان اطعك بيدي ، ان اضع اللقمة في فمك ؟ يكفي ما عملته اميركا ، ما قائلته للشعوب الصغيرة المظلومة ، ما قاله ولسون عنها . والعامل من سعى وانتفع .

اما اورويافلسلطان عبدالعزيز رأي فيها افصح عنه بكلمة بليغة وجيزة اذ قال : اشبه اوروياب اليوم بباب حديد كبير ولكن لا شيء داخل الباب . وهو لذلك لا يلوم اميركا على اعتزالها الاحلاف وانسحابها من السياسة الاوروبية . ثم قال مخاطباً احد رجاله : ان مشاركة اميركا واوروياب اليوم مثل مشاركتي انا ابن سعود وبادية الشام . ترى الصحيح .

فهز الرجل رأسه استحساناً .

صعد الى آكة فيسيحة ستديرة بين العلاء وام الذر اختارها السلطان مناحةً فاتخذا وتفرقتا ارمحاً كل رمط جلس في حلقة على الرمل . وكان وقت

الضحى^(١) أي ساعة الفطور فطاف الخدم بجفان مما كان قد طبخ الليلة البارحة من الأرز واللاحم ، ثم قدموا الشمر وصبروا اللبن من القرب لمن أراد ، فأسكننا وغسلنا أيدينا ، وكان قد اتهم السلطان عمله مثلنا فسمعناه ينادي من مكانه : أنجيئكم أو تحيئوننا ؟ فإدركنا إليه فتصافعنا ثم عرفني ببعض حاشيته اذ كان منهم أخاه محمدًا وعبدالله بن متعب أمير حابيل الأخير وعبد فيصل بن الرشيد ، فوقفوا صفًا أمامي بعد المصافحة والتسليم دون أن يقول أحد بكلمة . ثم ، بإشارة من السلطان ، انصرفوا . فجلس اذ ذاك سموه على الرمل وقال : تفضل يا استاذ ، هذه الحسن سجادة غدتنا

يقينًا هي كذلك . فأي فرش انعم من رمل النفود وانظف ؟ واية سجادة أجل لونًا واعجب صنعاً ؟ جالسًا متربعين على افخر الطنافس في مجلس الله . وكان السلطان فينا اجمدا اتضاعًا وافضحتنا في لغة الحكمة والورع اساءة : « حنا » أهل نجد لبغني المحافظة قبل كل شيء . على امرين ، ديننا وشرقنا .

استأنفنا السير ونحن بعد ساعتين عند ام الذر التي كانت مواضعنا ذاك اليوم . فسرحت الابل ، ونصبت الحيام ، فكان فسطاط السلطان على رأس الاكمة والمضارب حوله متفرقة متنوعة ، منها الخيم الأوروبية ، ومنها بيوت من الشمر كبيرة وصغيرة . ثم حُفرت الحفر وشبث فيها النار ، وأُخربت الماعيل^(٢) ، وبعد قليل شرع السقا يطوفون بالأباريق والفناجين . جاء اذ ذاك عبد يدعوني الى مجلس السلطان فشربت القهوة هناك وبقيت وسمرو ساعة كان الانسكاذ فيها موضوع الحديث .

عدت الى حبيتي وفي شيء من التعب والناس ، فوجدت فيها جيشًا من

(١) قبل الظهر بساعتين والمكان الذي يتبخون فيه للفطور يسمى المضحى .

(٢) الماعيل في اصطلاحهم هي ادوات القهوة أي مقلاة التحميص والجرون والأباريق والفناجين .

لذباب استحال علي طرده والتغلب عليه . ما رأيت حياتي انقل واقبح من
لذباب في البادية ، في صحراء الرمل ، في تلك الجنة التي جردها الله من كل
شيء سوى السكينة والهواء الطيب ، وجاء الذباب يفسدهما عليك . ومن
ثم يجيء ٩ هو يركب الذلول واياك . على ظهرها ، وعلى ظهرك ، وعلى رأسك ،
يرافقت مواجياً ، فيسبقتك الى الحية ويذبح فيك ما تبقى من أمل بالحياة .
ثم يجيء الله سبحانه الامل عند الغروب . فيخرج الناس من الخيام ملبيين
دعوة المؤذن ويصطفون وراء الامام ، والسلطان في وسط الجماعة وأحد الحجاب
يراه يحمل السيف ولا يشترك في الصلاة^(١) . وكانت اول مرة سمعت الوهابيين
يصلون وهم يرغنون بعد تلاوة الفاتحة : آمين ، فتجيء شبيهة بصلاة المسيحيين .
غير المغضوب عليهم ولا الضالين . اذ ذاك يصعد من الصقوف صوت متين
من المصلين يرمح ترميحاً : آمين ! فيترجع الصوت في الفضاء المهيب كه صوت
الاحراس في الجبال ساعة الغروب . ما اجل اصوات المصلين في تلك الساعة
التي تبشر بقدوم الليل وبركاته . اصوات المصلين وهم يذكرون الله رب
العالمين - اهدنا الصراط المستقيم ! من ذا الذي يردد هذه الصلاة تحسراً في
البادية ؟ انها لطيفة تصح حقيقة كما صحت مجازاً في تلك الفياقي والمغازات .
ي بالله . ان شكل من سائر حادياً في بحر من الزمال ، في ارض تهب فوقها
لرياح فتسبح بنظرة كل اثر فيها من آثار البشر والحيوان ، ليعني الصراط
لستقيم . واننا لنهلك يقيناً اذ لم ضللتناها .

في صباح اليوم التالي جاء نحاب من العنبر يحمل الهربد الذي يتبع السلطان
الى حيث يكون ، وفيه خمر من البحرين يسفر المندوب السامي اليها . فدفع
لكتاب الى اخيه ثم الى بعض حاشيته فتناوبوا قراءته وكل يهمس ان الحمر
غضب السلطان .

(١) قتل الامام تركي بن سعود في وقت الصلاة فجرت المادة منذ ذاك الحين في
استخدام حاجب يمس الامير ساعة بعلي في الجماعة .

سار المركب والسكوت يظلم والمهاجرة قاشية ، فما كنت تسمع غير صرير الرجال وطق الخيولان على رقاب الركائب . ثم رفع احد الركيب صوته يتوسلنا من القرآن ، وكلنا نحدو في وجه الشمس ساكتين خاشعين ، ونحدو تحتنا الابل على نغم الايات . وبعد قليل ساد السكوت ثانية وقد نجسم فيه غضب الشيوخ . ثم تكلم فاعلمنا بما اغضبه صباح ذاك اليوم .

ان المندوب السامي على ما يظهر قد اصطحب رجلاً غير مرغوب فيه ، رجلاً من العرب الناقم عليهم ابن سعود . وهو فهذا الهذال^(١) شيخ المرات في الثال ، والمرات ههنا من عتري^(٢) . ولم يكن لفهد دخل في السياسة او على الاقل في المصالح التي سيعقد مؤتمر المقيم من اجابها . بيد ان الانكليز قصدوا اصطحابه كما ظن السلطان وقد جاءوا يحققون هذا القصد على حساب ابن سعود . وقد يكون لفهد الهذال كذلك قصد جاء يحققه على حساب الانكليز .

فرفع رجل نجد صوته في تلك الاوجاء الرملية ، وهو على ذلوله ، والخيولان بيده ، يسير في راس المركب ، بين اثنين من رجاله .

— لا لا هذا ما يصير . لا نننازل عن شي من حقوق اجدادنا . اما اذا قال الانكليز ينبغي هذا منك وجازوني باسمي محتوم فانا ابن سعود اسلم فر ، ولكن في اول فرصة تسمح اسمي لاسترجاع حقوقي المهضومة . ترى الصحيح . وماذا يقولون لابن الهذال ؟ وماذا ينبغي ابن الهذال منا ؟ دعهم يقولون فانا لا نتحول عن جادة الحق ، ولا نعمل عملاً فيه ظلمة او غش . ووجه هذا

- (١) لفهد بك الهذال النخب بعدئذ عضواً في المجلس التأسيسي في العراق . وقد اصطحبه يومئذ المندوب السامي لانه كان قبل خبير بالحدود بين العراق ونجد . واعتقد ان السياسة الانكليزية كانت ترجح اعطاء بعض الاستقلال في حاجته او ترضى شعبة مستقلة من المرات بين العراق ونجد على طريقته حول عدن .
- (٢) العرب يسكنون فاه الاسم فيقولون عتري .

الضحى ، لا نعمل عملاً ولا نقول كلمة فيها ظلمة او غموض . ولا نطلب غير
 حقوقنا ولا نخاف غير الله . . . ومن هو ابن الهذال ليجرأ علينا ؟ ابن الهذال
 القزالي ، ليفزل وعشائره ما شاؤوا ليفزل . . . الانكليزي . . . من اجلهم .
 قال ذلك وهو يرفق الاستحارة بحركة من سبابته لطيفة . انا ابن السمود لا
 اعرف غير الجادة القويمة ولا اقول غير الحق . است من القزاليين . اما
 « الانكليز » فهم اصدقائي وانا صديقهم . اذا قالوا : تبغي هذا منك ،
 قلت : لكم ما تشاؤون . ولكن - ولكن الصبر له حدود . ويظهر اننا
 قربنا منها ذا الحين . ترى الصحيح .

الا لا يجهان احد علينا فتجهل فوق جهل الجاهلينا

الفصل السابع

السلطان عبد العزيز

يشتمل ويتطابق - عيشه وعشاء - الورد والنضل في شفتيه - ساعة الغضب -
 - ساعة خاطره - تهكمه - نكتته من نكتاته - الزهر العالي - مدينة العترة -
 سلطان في السطاط - عرشه وقراشه - ساعته ولناظوره - « علينا الكبيرة
 والصغيرة » - حافظته وتيقظه - مع الاكابر هل عالمة متبدلة - « السلطان
 على الزمن » - « تعني التي لنا والتي علينا » .

السلطان عبد العزيز طويل القامة ، مفتول الساعد ، شديد العصب ،
 متناسق الأعضاء . وهو يصر اللون ، اسود الشعر ، ذؤلبية خفيفة مستديرة
 وشاوب يقضيه على الطريقة الوهابية . له من السنين سبع واربعون ، وله في
 التاويين - تاريخ نجد الحديث - مجد اذا قيس بالاعوام تجاوز السبع والاربعين
 والمئة . يلبس في الصيف الثوباً من الكتان بيضا ، وفي الشتاء « قنابيز » من
 الجوخ تحت عباءة بيضاء . وهو يتعلم ، ويتطبيب ، ويحمل عصاً من الشوحط^(١)
 طويلة يستعين بها على الافصاح عن ارائه - على تشكيل كتاباته ، اذا صحت
 الاستشارة ، وعكفتها . ان له في الحديث غيرها من الاعوان . له انامل طويلة
 لدنة يشجر بها في مواقف البلاغة . وله عينان عسيتان تنيران اماكن العطف
 والاعطف ساعة الرضى ، وتضمران في كلامه ساعة الغيظ فار القضا . وله فم
 عر كورق الورد في الحالة الاولى ، وفي الحالة الثانية صكال حديد . يتقاص
 فيشدد ، فهو اذ ذاك كالنصل حداثاً ومضاء .

اجل ان ابن سعود ليتغير ساعة الغضب كل التغير ، فيذهب المطف من
 ناشويه ، ولون الورد من شفتيه . ثم في افتراده يستحيل النور ثلثاً بيضا .

(١) الشوحط شجر تنخذ منه القسي او نوع من النبع شبه الزبرقان بنبت في حد القرية

هو اذ ذاك رهيب . سألني لما كان يصب غضبه على الهذال والقرالين^(١) : وما رأيك يا استاذ ؟ وكان بيني وبينه بضع مطايا ولا رأي لي اصيح به في تلك الساعة ، فاجبته بكلمة مبتذلة : ان افه مع الصابرين يا مولاي . فردد الكلمة وركز كتف ذلوله بزعجه ، فراح يذرعهم وتبعناه كلنا امدرمين^(٢) .

لا اكتم القازي . انه اعترافني شيء . من الانقباض اول مرة شاهدت ابن سعود غضباً . وكنت عندما يقاطعني الحديث قائلاً : اصعب انا امليك ، احسن الي في مجلس رجل غير الرجل الذي دارني في خيستي بالنفوذ^(٣) . بيد انه سريع الغضب سريع الرضى . فهو اذا ضرب الارض بعصاه مرة يلس القلب منك عشر مرات . وقد ينسرع في الكلام احياناً ثم يثبته لذلك فينتزع من خصمه السلاح . أحضر امامه رجل ليحجب عن ذنب اقترفه ، فقال بعد ان سمع قصته : الحق علي لاني لم احذرک ، فلا اقاصك هذه المرة .

ان في الرجل ضميراً حياً كعالمه وسرعة خاطر تقارن التيقظ في ذهنه . يبدد بكلمة غيوم الانقباض في مجلسه ، ويخلو افقاً قد يكون الاضطراب فيه من كلامه . وهو خفيف الروح ، حلو النكتة ، لطيف التهكم . كان يحضر مجلسه احد الثقلاء المتجرفين وهو من بيت معروف في نجد فقال السلطان يصفه يوماً : هو ربيع الدنيا ، ثم اردف كلمته بـ « الحالي » - ربيع الدنيا الحالي . وقد اشار الى الربيع الحالي في بلاد العرب - الحالي من كل شيء غير الرمال .

عندما نصبت الحيام المؤقت في العقيق كان نصفها معداً للمندوب السامي

(١) اي اصحاب المقاسد والفتن .

(٢) الدرهم ، درم يدرم ، نوع من المتب والمفظة من اصطلاح شرب نجد والحجاز وهو ثلاث درجات : درهم خفيف ، ودرهم « صلاوي » نسبة الى الجبل الصلاوي ، ودرهم يقرب من الفارة .

(٣) النفوذ : اي صحراء النفوذ بين ساحل الخليج القازي والاحساء .

ودمد العراق ، وهي من الخيام الكبيرة الجميلة ، وكانت في معزل عن خيامنا
بيننا وبينها قرب مئة باع ، وفيها فسطاط للاستقبال وآخر للاكل لتناولنا فيه
الشاي يوم وصولنا . فقال مجوء : هذا شاي متدن - وكان قد نصب مع
الخليب في فناجين كبيرة بدل ان يكون صرفا في الاقداح كما هي العادة في
نجد والحجاز - شاي متدن !

وسلطان يتهمكم ويسر . كان عندما ينتقل من الجهة الغربية الى تالة
الجهة الاوروبية يقول لي : الى مدينة العقير ، تعال يا استاذ تسافر الى البلاد
المتدنة . لا تظننا بعيدين كثيراً عنها ، عشر خطوات فقط وها نحن
في المدينة - مدينة العقير - هات الشاي يا غلام اشم بخلص على الجكرسي
قائلاً : لتدن قليلاً . تفضل يا استاذ شاركنا في التدن . وهو يشير الى
كرسي آخر .

جئت خيام تلك المدينة وخيامنا على قل مشرف على الخليج وفي معزل
عن القصر . وكانت خيمتنا ، انا والسيد هاشم ، عند رأس التل قوب
الفسطاط السلطاني الكبير ذي الابواب الاربعة التي يُفتح ويغلق بعضها وفقاً
لمهب الريح ولرغبة مجوء في الهواء . سكان الفسطاط مفروشا بالخنافس وفي
الصدر فراش فوقه سجادة فضة ورَّحَل يُقسمة الى مجلسين ، مجلس السلطان
- عرشه - ومجلس اخر لمن يُكرم اكراماً خاصاً من الضيوف .

لكل عربي ، من هذا القبيل ، بيته وعرشه ، اي المضرب ، والسجادة
والرَّحَل . والسلطان عبد العزيز مثل كل اعراقي ينام على الفراش والسجادة
في الليل ، ويضعها تحته على الكور في السفر . وهو لا يحمل شيئاً في جيبه ،
لا ساعة ، ولا قللاً ، ولا ذهباً ، ولا فضة . ربما لا يكون في ثيابه جيبوب
الته . الا انه يحمل ساعة في خرج عند السفر ويضعها تحت الوسادة عند
يقوم في مكان . يحملها في الصندوق الخشبي الذي جاءت فيه من المعسل

ويجمل كذلك ناظوراً كبيراً لا غنى له عنه . فهو دائماً يواكب من مجلسه
حركات رجاله وخدمته حتى انه لا تغيبه في الافق الا رفع اليها الناظور
مشقاً متيقناً . - امرنا مُشكيل يا حضرة الاستاذ . علينا الكبيرة والصغيرة .
فاذا كنا لا نداوم المراقبة لا نكون عالمين بكل ما يتعلق بشؤوننا . . .
العبد والامير ، عينا على الاثنين حتى نصف دائماً الاثنين ونعدل بينهما .

كان اذ ذاك يواكب قافلة اتاحت عند خيمة المونة تحمل اليها الحضر
والعلماء من الاحياء . فامر ان يحضر قتيها ، فسأله سؤالاً بخصوص حمل من
الجمال ، فقال القيم : هو اخرون يا طويل العمر . فاجابه السلطان : اتركه
يرعى مع الجيش ^(١) لا ترجعه معك .

ثم عاد الى حيث وقف في الحديث فاستأنفه قائلاً : العدل عندنا يبدأ
بالر - الابل - ومن لا ينصف بعيره يا حضرة الاستاذ لا ينصف الناس .

كثيراً ما يقف السلطان عبدالعزيز في حديث مهم لينظر في امر ظاهره
خفيف ، ثم يدخل عليه احد الخدم او الكتاب فيقطع عليه الحديث ثانية
فينظر في الامر الثاني ، ثم يعود - وهذا ما كان يدعشني جداً - الى الكلمة
الاخيرة من حديثه الاول دون ان يسأل كما هي العادة في مثل هذه الحال عند
اكثر الناس : ماذا كنت اقول ؟ لا . ما سمعته مرة ، وكانت احاديثنا
معرضة دائماً للتقطع ، يسأل هذا السؤال . فهو شديد الحافظة ومتيقظ دائماً .
عليه الصغيرة والكبيرة يقيناً . وله اليد الصالحة المصلحة في الاثنين .

اقنا في المتبر ثلاثة ايام قبل وصول المندوب السامي وكان الخدم في
اثنائها - العرب وربك - يشتغلون في تشييد المدينة الجديدة ، مدينة العقير
نصبوا الحيام ، وفرشوها بالطنافس ، والكواشي ، والمضدات ، واواني
الشرب ، والفسل ، ومعدات الكتابة . لم ينقص حتى في فسطاط المائدة

(١) الجيش تطلق على مجموع الابل من ركائب ومصلات .

شيء من اسباب المدنية ونوافلها . فقد جني . لاخواننا المتشددين بالاء ليس من وراء الحسايل من وراء البحار - من اوروبا في القناني المختومة . وما فات الانكليز منهم شيء مما القوه . اما نحن في مضارب البدو فما كان فينا على ما افطن من مجدهم على ذلك .

اعجب لهم لا . الانكليز الذين لا يتنازلون عن شيء من « انكليزيتهم » حتى في البادية . رأيت احدهم في رحلي يسير وفي قافلته حمار يحمل صندوقين كبيرين من قناني الصودا . واظن ان الوسكي كانت هبة في الاحمال الاخرى . ولما دعيت الى تناول الطعام على مائدة المندوب السامي كان سعادته وسعادة حاشيته وصاحب الاقبال مندوب العراق في الثياب الرمية (smoking) بالعبير . ولما وحدي مع السلطان في الثياب العربية . فر صر بذلك . ولكنه لم ينتقد « الانكليز » حتى ولا مندوب العراق العربي الذي لم يتنازل فيلبس الباءة والمقال .

اكلنا تلك الليلة بالاسباب ، اي الشوكة والسكين والمعلقة ، وشربنا من ماء « بريبر » المبارك ، وقدم لنا الطعام بانتظام وترتيب ، وكانت الحلويات تزيد على ما تعودنا ، وفوق ذلك الثمار من موز وتفااح وبرتقال . ولصتنا لم نشعر في تلك الليلة بان سعادتنا قد قدت على الارض وكللت في زاوية من الجنة قدعى العبير .

خرجنا من « حطام المائدة الى فسطاط الاستقبال فودعنا المتشددين عند الباب ، وسرت والسلطان عبد العزيز ، وقد نزعنا نعالنا ، نششى ويدي في يده . حفاة على الرمل - على الرمل البارد المنعش ، تحت النجوم القروية البريز ، الدافئة الضياء . فاحسست اذ ذاك بان ما يقربني من هذا الرجل وبغربة مني ليتجاوز القيافة والاشتراك ذوقاً ببعض العادات . هو هو السر الذي يقرب منا النجوم ويعود تحت ارجلنا رمال البادية . اليك ايها القارى . كلمة اخوى من مذكراتي :

معها قيل في ابن سعود فهو رجل قبل كل شيء . - رجل كبير القلب
والنفس والوجدان . يحري تجسست فيه فضائل العرب الى حد يندر في
غير الملوك الذين زينت آثارهم شعرا وتاريخنا ، وتجسست فيه كذلك من
آفاتهم ما لا يحاول ان يخفيه رجل صافي الذهن والوجدان ، خله من
الادعاء والتصلف ، خاو من التظاهر الكاذب . قص علينا ليلة أمس
قصة حرب من حروبه وبيت الرشد وختم قصته المعجبة بهذه الكلمات :
لا اخذناهم في تلك الوقعة ولا كسرونا . ترى الصحيح . نخذي الي
لنا والتي علينا^(١) نفخ بعد ذلك في يده وقد رفعها في شكل يوق الى انه
كانه يقول : نثرها كاللهواء لمن يريد بها ولا تخاف غير الله

(١) ضحك الذي لنا والذي علينا . عرب العراق والشام يلقنون الكاف ثر
وعرب نجد ينفقونها فيلقنونها تس . غلتي - غلتي .

الفصل الثامن

بين العراق والحجاز

مؤتمر الحيرة - المعاهدات بين نجد والعراق - العمارات والضمير - خبر الشا - تسما - وشهد جميع ثلاث غورنا - رعايا اجدادنا - العمارات والرولة ففقدان - عزى - لوري الشعلان وفهد الهذال - ابن سعود والاكثير - الشريفة - اولاده - جريدة القبة - حجاب من الملك حسين - حاري خير - مصالح - الاكثير في القبة المعيني - ابن سعود حامي وعضائيا المظلي - لا يسعدون الامراء في عقد مؤتمرا عراقي عام ولا يتركون الامراء وشأنهم - سيل يحسمون الخلاف بين اميرين متخاصمين .

اول مرة قابلت المندوب السامي في بغداد قال لي ، كما يذكر القاري ، ان القصد من زيارته لابن سعود هو ابرام المعاهدة بين نجد والعراق ، تلك المعاهدة التي عقدت في مؤتمر الحيرة ولم يوقعها السلطان عبدالعزيز لان مندوبه تساهل يومئذ في امر القيلتين ، العمارات والضمير ، اللتين يدعيهما وتدعيهما كذلك حكومة العراق . وقد قال لي الملك فيصل ان خير حل لهذه القضية هو ان تعين لجنة من الخبراء بالمشاور والحدود للنظر فيها ، وان تقبل الحكومتان حكمها . فجاء السير برسي كوكس الى العقير ليقيم صديقه ابن سعود في وجوب عقد المعاهدة وقبول حكم الخبراء في العمارات والضمير .

ولكن السلطان عبدالعزيز جاء الى الحسا ثم الى العقير ليرى هذه الغاية ، ولم يكن يتخطر في باله ان المندوب السامي وحكومة العراق يريان تجديد النظر في معاهدة الحيرة . فلما علم صباح ذلك اليوم بقدم المندوبين غضب تلك القضية الشديدة وهو راكب في مركبه يجتاز النفود . وما قاله لي ان هو الذي طالب الاجتماع بالمندوب السامي ، فدعاه الى الحسا ، وجاء من اجل ذلك بلاقيه الى العقير . اما العمارات والضمير لما كان يكلف نفسه الحروج

من الرياض من اجلها . وقد كان احد لندوبه في مؤتمر الخرصة دافعا عن حقوقه فيها هذه خلاصته :

أولاً : عند ما سقطت دولة آل سعود ، انقسمت الى قسمين كان احدهما بيد الترك والآخر بيد ابن الرشيد . ثم ظهر السلطان الحلي ، الذي احيا تلك الدولة واستعاد ملك ابيه واجداده . فاستولى على نجد ، واخذ القسم من يد ابن الرشيد ، وهزم الترك وطردهم من الاحساء والقطيف . وهو لا يزال يطالب بما تبقى من املاك اجداده وعشائهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً .

ثانياً : ان عشيرة الضفير التي تقطن اليوم الشامية « بالعراق » كانت في الماضي من رعايا آل سعود . اما المارات والولا فهما فخذان من افضاء عترى ، وسكانوا يسكنون نجداً خصوصاً القصيم ، ومشايخهم بنو الهذال وبنو الشعلان هم ابنا عم آل سعود ومن رعاياهم .

ثالثاً : ان الانكليز عند ما احتلوا العراق اعترفوا فيه حدوده السابقة التي كانت تحتها الحكومة العثمانية . كالحُدود الشرقية بين حكومة ايران والعراق مثلاً ، والجنوبية بين العراق والكويت . وقد اعترفوا ايضاً بالاحوال الجارية والقواعد المرمية بين الترك قبلهم وحكام العرب المجاورين لهم ، وفي مقدمتهم اماره بيت الرشيد . وبما ان سلطان نجد الحلي استولى على اماره الرشيد . وادخل في ملكه وحوزته جميع ما كان لتلك الامارة المتفرقة من بادية وحضر ، فله الحق من كسر او تسرب منهم ، اي المارات والضفير ، الى العراق .

كثيراً ما سمعت السلطان يقول : عم رعايا ابائنا واجدادنا ، بل عم ابنا . معنا . وهذه الكلمة الاخيرة كانت غالباً تسبق كل حجة في كلامه عن الخلاف بينه وبين امراء العشائر - هم ابنا . معنا . اضمحكتني مراراً منه هذه الكلمة ،

بل شملت بالي . فقد خفت أن تصل دعواه إلى سوريا والسوريين وهناك
الطامة الكبرى . الا ان قوله ان ابن المذال وابن الشعان من ابناء رعمه هو
مبني على كونها شيعي المبادئ والرولا . وهاتان القبيلتان فخذان من عتري
كما قلت ، وعتري كما هو مذكور في كتب الانساب ، اخو وائل من ربيعة ،
ونسب ابن سعود السلطان عبد العزيز يتصل بـ بكر ابن وائل . فقبيلة عتري
اذن هي كلها جماع ابنة عمه وله عليها حق الرعاية . واذا كان نوري لا يحسن
سياسة معانرها وفهد لا يستطيع ان يؤدب بدوها ، فالشوحط بيد ابن سعود
بلي الطلب . وما الشوحط الا خشية ، اذا كان لا يسارع به الى الثبات
فيجسي ذمار ابنة عمه عتري المتكررة الضاربة في وادي العراق والشام ، ثمالي
جبل عنبر شرقاً وغرباً ، ويعلمها حسن السلوك ، ليطبق بالك يا فهد ، وليطبق
بالك يا نوري ، وليطبق بال صديقيكما انكلكما وفردا . ان لشوحط ابن
سعود ما يشغله عنكم الآن . ولكن من يكفل المشاهرات والانتدابات
الى الابد ؟

قلت ان السلطان عبد العزيز هو الذي دنا السر برسي كوكس اليه ،
وجاء يلاقيه في العقير . اما القصد من هذه الدعوى فزدوج . حدثني صود
قال : « يظن الناس اننا نقبض من الانكليز مبالغ كبيرة من المال . والحقيقة
انهم لم يدفعوا لنا الا اليسير مما تستحقه الاعمال التي قناها أثناء الحرب
وبمدها ونحن لا نخلف معهم قبل ان يخلفوا معنا . بيننا وبينهم عهد تحافظ
عليه ولو تضرروا في انفسنا ومصالحنا . . . الانكليز مديونون لنا ، ترى الصحيح
يا استاذ ، ونحن لا نطالبهم ، من المار ان نطالبهم . ولكن ما هي سياستهم
الآن ، تراهم يقرولون وينزلون . تراهم يدسون الدسائس علي — علي اقا
صديقهم ابن سعود — احاطوني بالاعداء . اقاموا دويلات حولي ، ونصبوا
من اعدائي ملوكاً ، وهم يعدونهم دائماً بالمساعدات المالية والسياسية . الشريف
في الحجاز ، وابنة عبد الله في شرق الاردن ، وابنة فيصل في العراق . . . ما

التقص من هذه الاعمال ؟ وما الداعي اليها ؟ انا ابن سعود صديق الانكليز
وعم في سياستهم الشريفة يعاملونني معاملة العدو . . . ومن هو ابن سعود
في نظر الشريف واولاده ؟ هو الخلف الصكاقر الخارجي . ترى الصحيح
يا حضرة الاستاذ . قد قالوا ذلك . بل قالوا اكثر من ذلك . وعم مع ذلك
يطلبون مني ان اعمل على الفرنسيين في سوريا لايخرجهم منها . ترى الصحيح ؟
ونادي اذ ذاك احد كتاب ديوانه ، فامرته ان يحضر بعض اعداد من
جريدة القبلة ، فاطلعت فيها على قصيدة ثبت كلامه الاخير . قصيدة لشاعر
حجازي يستنجد سلطان نجد على الفرنسيين في سوريا . وفي عدد آخر مقالات
صككها مطاعن في ابن سعود الخلف الخارجي . فقلت : الصحافة يا مولاي
واحدة ، ان كانت في ظل الحرمين او في ظل برج ايفل . والرجل الكبير
لا يسكت باقوالها . فقال السلطان وكان قد احترم غيظاً ، فذهب القرمز
من شفتيه ، ونور العطف من ناظره : اسمع . انا اعلنك ^(١) هذا قول
الشريف لا قول احد الكتاب المسترقين ، واساططك على ضده ، يحط به
. . . هات آخر كتاب جاءنا من مكة .

خرج الكتاب .

— هات اقنوه .

من عادات السلطان انه حين يجتهد غيظاً يطلب القهوة . فنادي الصدي
الخاب . اقنوه . وكثر الصدى خارجاً عند الدار .

١١١ كانت تليقني هذه الكلمة « انا اعلمك » حتى سمعتها من العبيد ومن احد خدامنا
فقلت لصديقي السيد حاتم وقد طفق الكيل : ايلمني حق العبد والبدو في بلادكم وم
لا تملكون شيئاً منا ، ولا احد يتاثر ان يجرنا او يظلم بافاننا ؟ فاجابني السيد
اليك ذلك . « ان ضد يملك وهو لا يريد غير الخير . اعلمك هو اصطلاحهم في
الخير . او ما سمعتم يقولون : هات علومك اي انبارك ؟ فلا يفل التعلم من
ملكك يا استاذ .

- لا نسلم بذرة من حقوقنا ، ولكننا لا نقول في اعدائنا ما يقولون فينا ، ولا نطلب غير ما كان لأهائنا واجدادنا قبلنا . ليعلم ذلك اصحابنا الانكليز .
وخرب بالشوخط السجادة عند قدميه .

حـ . الخادم بالقهوة فوق امامه وقفة جندي المالبي وسلم ثم انتظر الى ان ينتهي من كلامه .

- وليعلم ذلك الشريف واولاده . قالها بلهجة اشد من الاولى ومكنها حضرة اخرى . ثم مد يده ، فصب الخادم القهوة ، ثم صب لي ، ثم للحضور . دخل اذ ذاك الكاتب يحمل كتاباً تناوله السلطان ، وبعد ان شرب ثلاثاً دفعه الي . مرآته وانا مذهوش - بعد ان قرأت مذلة القبلة - بما جاء فيه من كتاب التورود والاصرام والتجويل . اسلوب الديوان الهاشمي لا يتغير . ثم دفع الي مصحفاً خطه غير خط الكتاب وفيه الخطر اليقين ، حاوي خير ، فحواء ، ان الملك حسين يدعو السلطان الى الصلح والى الولا . والاتفاق ، ويعرض عليه ذلك مقيداً بشروط منها ان تعاد ثوبه والحرمة^(١) الى الخياط ، وان يناد الى ابن الرشيد ملكه في حائل وسيادته في جبل شمر .

- سلام - كلام ولا ندري انصدق الكتاب ام الجريدة

ثم سأني رأيي وكانت قد تغيرت لهجته وسكنت فيه ثورة الغضب .

- يا رايبك يا حضرة الاستاذ ؟ لا نقل لي ان لا دخل لك بالسياسة ، وان سياحتك في بلادنا سياحة علمية فقط . « حـ » نفهم . ومرت يده على حبه وهو يديم بسته الخلابة . لا نخدعنا يا استاذ . لا نقول عندنا في المقاصد والكلام اصدقاء الخير . فقد قابلت الشريف وحدته ، وقابلت الامام يحيى والادريسي والملك فيصل وحدتهم كلهم . فأعطني الان رايبك . ابني نصيحتك . فكلمهم ويكفهم ان تقول رأيي تسداً « كذا » ولا جزم فنقبله

(١) راجع القسم الاول صفحة ٥٩ في الجزء الاول من هذا الكتاب .

منك . ولكني كلفتك بالحرية وابقي منك مثلها . المندوب السامي يصل
غداً . « حنا » دعواته للنظر في هذا الامر ، امر الشريف واولاده . فما رأيك
يا صديقي الاستاذ ؟ وماذا ينبغي ان اقول للانكليز غداً ؟ اراك ساكناً

كنت قد افصحت عن رأيي فيما يخص بالموضوع وفروعه في احاديث
سابقة . ولكني وجدت ان من المستحيل ان تخطو خطوة واحدة بدون ان
تتفق شي . الانكليز او من الانكليز في كل مكان ، خصوصاً في الخليج
المعجم وفي سواحل البلاد العربية على الخليج . فالانكليز يحتكرون الخليج
وهم يعززون هذا الاحتكار بنشر سيادتهم على ضفتيه الشرقية والغربية
ان لهم ها هنا ولا شك ما لهم في عدن من مصالح وحقوق قديمة لا يتنازلون
عنها . وهم يأبون ان يكون لسواهم من الاوروبيين او الاميركيين يد او
رجل او شراع في تلك البقعة من الارض . اما في الخليج وفي الجهة الجنوبية
منه فهم آمنون على انهم في السواحل العربية لا يطبقون كل الاطمان رغم
ما عقده من المعاهدات مع امراء العرب ولولا ابن سعود وهو اول المتعاهدين
واحكامهم لما امتروا التمديدات العربية والجزيرة . است ماله اذا قلت ان ابن
سعود هو حامي بريطانيا العظمى في الخليج ، لانه يستطيع اذا شاء ان يخرج
وكلاهما من الاساكن ويقضي على سياستها في السواحل العربية الشرقية
فيسولي عليها . ما ضره اذن لو قال الانكليز في سبيل مصاحته خصوصاً
ومصلحة العرب هو ما كلمة حق صريحة ؟

قلت جيباً على سؤاله : قل للانكليز يا مولاي ان قد حان الوقت باحد
من امرين . اما ان يساعدوا امراء العرب مساعدة حقيقية فيحلوهم على عقد
اجتماع عربي عام للنظر في الوحدة العربية او في تأسيس حلف عربي ، واما ان
يرفضوا يدهم من التدخلات ككلها فينهض امراء العرب انفسهم لهذا الامر
ويجتمعون دون واسطة اجنبية .

فأكد لي السلطان ان الانكليز لا يسمون لا هذا ولا ذاك ، ولو سموا
 سعيًا أكيداً ليجعوا امراء العرب ويوفقوا بين المتعادين منهم لا يفلحون ،
 بل يزيدون الحرق اتساعاً . ثم ضرب مثلاً على ذلك فأطلعني على طريقتهم :
 لنفرض ان شيخين من مشايخ العرب مختلفان في الحدود بينهما . والخلاف
 بسيط يمكن حسمه بواسطة شخص ثالث من البلاد . ولكن الانكليز يتدخلون
 في الامر فيعقد مأمورهم او وكيلهم السياسي فيصبح السلم بين المتخاصمين
 مستحيلًا اما الحق في ذلك فليس على المأمور الانكليزي وحده . كلاه العرب
 انفسهم يشاركون في الذنب . كل من الشيخين المتخاصمين يقول في نفسه :
 لا بد ان يتحزب المأمور الانكليزي اما لي واما علي . وهذا اكيد . هي
 عادة الانكليز في تدخلاتهم كلها . فبضاعت العربي مطالبه عشرة اصناف :
 ولسان حاله يقول : اذا كان الانكليز معي فيعطوني حقي وزيادة ، واذا
 كانوا علي فيعطوني في الاقل بعض ما اطلبه ، ولا بد ان يكون فيه شيء
 من حقي .

ثم قال السلطان : هذه طريقة العرب يا حضرة الاستاذ ، وهذه طريقة
 الانكليز . عسى ان الله يعطينا فننقل ويؤدبهم فيعدلوا . . . هات القصص .

الفصل التاسع

مؤثر العقير

بلاد العربية - خباء الكأبة والنمر - الرفيق العزير - الاستاذ المزين - الشوق
والحنين في المنقط - الشوق والحنين في المضارب - السر - اشجار نبطية -
« الله يفريل الانكليز » - وصول المندوب السامي - اول جلسة من جلسات
مؤتمر العقير - فتية السلطان ولكتته - الحكومة والعشائر - الحكومة الضعيفة
تسترضيه والحكومة القوية تضربه - « اقميدوا السيف فيطعنون لشهرا
السيف فيرتدعون » - رجال الاقتصاد في المؤتمر - الفتاة السورية الشرقية -
مركبة عبادان - امتياز العسا - الميجر فولك هومس - عهد الهذال - مندوب
حكومة العراق - السر يرسي كوكس يركل في السلطان .

ملكنا الإقامة في العقير ونحن ننتظر المندوب السامي . وما العقير غير
حواشي من الخليلج والنفود ، تحسها في شهر سكانون محركة ، ورطوبة هوانها
تنهت حتى الابل . ولها مزة اخرى بعدها العرب من الافات ، العرب الذين
لا يقصون زمانا في مكان وهم يستأنسون كثيرا بالاسفار . فقد قالوا ان العقير
هي العربية بعينها ، تبعدهم عن الاوطان ، عن الامل والمبال . ساد في المضارب
روح السامة والكأبة فكان أشد وطأة من الرطوبة في الهواء .

صحت حتى البعيد يشكون . وكانت خيستي ، وانا الوحيد بين هذا الناس
البعيد حقاً عن الاوطان ، البعيد عن الامل والحلان - واحق منهم لذلك
الشكوى - كانت خيستي خباء الكأبة والغم . فساءت رفيقي الاديب
المسيد هاشم عن السبب في بؤس حاله :

- هل هناك غير الهواء والوحشة والانكليز ؟

- لا شيء . من ذلك يا استاذ .

- وهل هو مما يستطيع مقاومته ؟ هل يمكنك ان تقوم بشيء يخفف

وطأته عليك ؟

- لو كنت يا عزيزي الاستاذ مريضاً ، وكان عندك مقص وكنت ترغب في خدمتي لعلت .

فتحت اذ ذاك حقيقتي وقلت : شروط ثلاث تم منها اثنان . فما المقتص وما انا ذا . اتبني ان اقص شعرك ؟

- لا يا استاذ ، بل هذه اللحية التي تطاولت علي ، فافسدت عيشي ، سررت ايامي

ولكننا لم نفر بقبليض شيء منها ، اي من ايامه . فيعد ان شذبت لحيتي رحمتها لحية فحيدة قصيرة مستديرة ، قال السيد الحزين : لله يا استاذ ما اضعف الانسان وما اضعف ارادة ساعة يستولي الحزن عليه . حاولت ان اخفي حزني في لحيتي فما تجتحت . اضعفكني يا مريض - زين الله حالك - ولكنك لم تفرح لحي . لله در من قال : لا تحف ما فعلت بك الاشواق . وكأنه لم يترأى ، شدته الى حد الان يده المجر والنوى ، فأنا ولسان حاله يقول : واشرح هراك فكلنا عشاق .

- كان لي امرأة يا حضرة الاستاذ بارعة جميلة ، حسنة الخلق ، لطيفة الدون ، شديدة الهيام ، وكانت وحيدة قلبي وبيتي . متعني الزمان بها ستين ثم جاء القواد الموت اختطفها من بين يدي . فهجرت الكويت وجئت نجد ابغني علاجاً في البعد والنسيان . ولكن المعقر تعيد اليّ ألم الذكرى ، ادنتني المعقر من الكويت والاحزان . . . لله ما اضعف الانسان . . . يا هويدي^(١) هات القهوة^(٢) .

(١) هويدي نصير عبدالمعادي .

(٢) في نجد يكونون قاه الاسم وهم كوث العين اذا كانت ساكنة ، او بالحري ينقلونها عن مكة الناء الى العين ، فلا يقولون قهوة او شجرة او الدفء ، بل القهوة واشجرة والدفء .

ولما كنا ذات ليلة في مجلس السلطان جاء النجاش بالبريد ، وفيه كتب
لأناس في معيته فوزعت عليهم . ثم شرع عظمته يقرأ كتبه والكتائب حائس
عند قدميه فيطرحها اليه شيئاً ، حتى وصل الى كتاب عرفه قبل ان يفضه ،
فأربد جبينه وهو يظالعه . ثم مال وجهه الي وقال : هو من الاهل ، و هم
يشكون البعد والهجر . منذ اربعة اشهر « حنا » في الحسا ، وفينا مثلاً فيهم
من الشوق والحنين . . . ما كنا نطلى . بالرجوع لولا المندوب السامي وهو
صديقنا . انا احب السر برسي كوكس واحترمه ، ولكنه ابطأ ، ابطأ جداً .
وهذا الهواء الردي ، هواء العقير ، وهذه الوحشة التي لولا انك يا استاذ لما
كانت تطاق . « حنا » اهل العارض لا تتصل هواء الساحل ، سشنا الإقامة
هنا ، مرضنا . وسنرجع اذا كان لا يصل السر برسي كوكس غداً ، اي باقة
نوجع ثم كلم الحاجب في الباب : هات اقهوه . فردد الحاجب : اقهوه .
واجاب راعي المعامل عند النار : اي والله اقهوه .

وبين كنا عائدین تلك الليلة الى الحياء مررنا بحاقة من حلقات الربيع
حول نار مشبوبة بزمها كل من يفيي القهوة من الخدم والسادة . فكانت
حافلة غامرة تباري النار تأججاً والاهيب حينئذ . فافسحوا لنا مكاناً وهم
يوصلون قص القصص ويروون من الاشعار ما يفصح عما فيهم من الشوق
والحنين ، فتردد الجلوس اثر كلمة من كل بيت وفيهم طرب يازحه القم

يا ليتني حرته ^(١)	احمل ذهابه وماه .	الجلوس : وماه
يا ليتني مهرته	وزينه ^(٢) عن عداه .	« : عداه
يا ليتني محبته	واكل معه من عشاء .	« : عشاء
يا ليتني نعلته	واطامه ما واطاه .	« : واطاه

(١) حرته اي ناقته الحرة النجيبة .

(٢) زينه في اصطلاحهم اي منده او حمام .

- زين بالله زين !

ولكنها آيات قُلت في مدح ابن رشيد . فقال راوية : ولكنها لسان حال صديق لي بالمنفوحة

يا جالي الحب ما تجلاه . تحبلي المودة وتفتن لي ^(١) . الجلوس : تفتن لي علواني الحب طوي اللها ^(٢) . عجزت عراوية تنجلي . الجلوس : تنجلي

- زين بالله زين .

- صب يا دحيم ^(٣)

فقال دحيم وهو يصب القهوة : حنا العرب لا نصهر على البعد واجفاء . فقال آخر شارحاً مفصلاً : يقول دحيم ، اننا لا نصهر على البعد عن الحريم . نبي النساء أيد ، دائماً ، والشيوخ أشد شوقاً اليوم . الله يغربل الاتكلى ^(٤) . وقد استجاب الله سبحانه طلبه الأعراي فغربل فريقاً منهم في اليوم التالي وقذف ما في الثربال إلى شاطي . المقيم . أجل وصل المندوب وحاشيته مسا . ، فبادر الحدم اليهم بالحيل ولأقامهم السلطان على الرصيف عند القصر ، ثم عادوا كلهم راكبين ، فترجلوا عند فسطاط الاستقبال وكان قد انير بنور قنديل اسمه « اللوكس » ويدعى هناك بالكهرباء .

جلس المندوب السامي إلى شمال السلطان ^(٥) وإلى جانبه كتاب سره

(١) يا بعدد الحب والمودة الا تفتن لي وتبعدني اي تدنوني منعياً .

(٢) اللها . قتر شجر الطلع . ولكي يستقيم الوزن والقافية يجب ان نلفظ اللها على القاعدة التجديبة يسكنين اللامين اي اللها . وهذه الآيات من الشعر النبطي الذي يتلقاه أهل نجد .

(٣) دحيم نصيب عبد الرحمن .

(٤) قلنا يسبون في نجد ولكنهم اذا اغتاظوا من احد يقولون : الله يفرله ، اي يزيل الشر منه ، واذا اشد غيظهم وسخطهم يقولون : سلط الله عليه .

(٥) كان المندوب اول من دخل الى الفسطاط وأظنه اغتار المكان تأدياً ، اما الشيخ فهد فلا اظن ان عظيمة السلطان اجلسه الى اليمين .

والوكيل السياسي في الكويت والميجر دكسون مأمور الارتباط في البحرين وجلس الشيخ فهد الهذال بيني وبين عظمته الى اليمن .

اعتذر المندوب السامي لانه ابطاً ، قبل السلطان العذر ، وشرح بعض مما كان يتقد في صدره وهو ينظر اليه غير مكثرت بسواه ، فجمعت الكلمة الاولى قبيلة زعمت المكان . - انا لا اخشى الا الرجل الذي لا شرف له ولا دين .

ثم قال : لاندري يا حضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكنني قد علمتها منها الخير . وما تعلمه علم اليقين ان العشائر ، خصوصاً عشائر العراق ، لا تواقع الى حكومة قوية شديدة الساعد ، بل لا تبقيها . لان الحكومة اذا كانت قوية تضربهم تؤذيهم ، فيتأديون . اما اذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم . العشائر يا حضرة المندوب لا يفهمون الا بالسيف . والآن هم يركبون على ظهر الحكومة ويسوقونها والبلاد الى مهاوي الخراب . . . اشهدوا السيف يرددها ، يتأديها . اغمدوا السيف ينهبوا ويقتلوا . ويتقاضى مع ذلك الخوة .

فاه عظمته بهذه الكلمات مولياً وجهه المندوب السامي وظهر له الهذال . وكان الشرح الطويل بيده يساعد بالافصاح والتسكين ، فرأيتي بل راعني منه هذا التصريح ، فقلت في نفسي : سامح الله عبدالعزيز . قد اخطأ في استرساله الى غرضه . ولكنه وهو السياسي الخنك اراد ان يهبط ابن الهذال بانه صريح مع الانكليز كما هو صريح مع العرب ، وانه في الحق لا يهاب بشراً . على ان المجلس ادغم هنية من كلامه فجاء هو على يادته ، صكراً قلت سابقاً ، يجنوه بكلمة لطيفة فأزال الانقباض الذي استولى على النفوس . لانه في غزوة قناة الهذال اهان حكومة الانتداب التي تدفع . شاهرة ليحفظ الامن في البادية بين العراق والشام .

— اغمدوا السيف يقتتلوا وينهبوا .

ثم مال بوجهه الى الشيخ فهد وقال مبشراً : اليس كذلك يا فهد ؟ عدا
نعرف بعضنا . فضحك كل من كان في المجلس سوى شيخ العرارات الذي كان
يحدث نظره في السجادة ، ثم رفعه خلسة الى المندوب السامي كأنه يقول :
لا بارك الله بساعة جنت فيها معك .

خله اول جلسة وان كانت غير رسمية في مؤتمر العقير ، اتبعها جلسات
سرية بين السلطان والمندوب ، وجلسات ههوية حضرها رئيس وفد العراق
ودكيل بريطانيا السياسي في الكويت والشيخ فهد الهذال . وكان الكتاب
واللغجون — الميجر دكسون من الجهة الانكليزية والدكتور عبد الله من
الجهة العربية — والاختصاصيون ايضاً من البدو الحجازي بارض الشمال وحدودها
واماكن الماء فيها ، يؤمون من حين الى حين خيمتي الصقيرة . قرأيت ان رغبة
الفرقيين بالنسبة حقيقة ، وان السعي مع ما تحمله من وعيد وتهديد على
متواصل حتى النهاية ، فكثلت في اليوم الخامس اعمال المؤتمر بالنجاح .

ولم يحرم مؤتمر العقير غير نمشي الصحافة . اما رجال الاقتصاد وطالبي
الامتيازات ، الذين يجومون على كل مؤتمر يعقد في اورشليم في هذه الايام ، فقد
شرف بعضهم العقير وكان البعض ، وهم على الشاطئ العجمي من الخليج ،
يتقربون من ذوي الامر فيه باسم الصداقة العرب — والبقول . فقد علمت
ان السيد آرند واسون رئيس شركة الزيت الانكليزية الفارسية في بلاد
صكتب الى صديق له في المؤتمر يسأله مفاوضة السلطان عبد العزيز بمحض
امتياز في الحسا .

ولكن الذي كان قد باشر المفاوضة فجاء بنفسه ونصب خيمته بالقرب
من فسطاط السلطان هو الميجر فرانك هومس وكيل النقابة العمومية

الشرقية يندون . كنت قد سمعت بالميجر في عدن وعسير ، فأدهشني امره
عندما احتضنت به على رمل العقير . هو في العقد الخامس من العمر ، وفي طور
الشباب همه ونشاطاً ، فقد ساه في تهامة وفي الاحياء ، بالرغم من انه لا يعرف
كلمة في اللغة العربية ، وهو يبحث عن الزيت وينشد مثل شركة عبادان
الامتيازات .

على ان الفرق بينه وبين تلك الشركة هو ان حكومة بريطانيا العظمى
تعطدها لانها تلك سبعين بالمئة من اسهمها ، وتقاوم كل شركة سواها تبني
امتيازاً في الشطر الشرقي من البلاد العربية . قال لي الميجر هومس ذات يوم
في العقير : لا احم لنا غير حكومتنا . ولكن لا دخل لنا في السياسة ، نحن
تجار نفتع ونستفيع

لذلك منحه السلطان عبد العزيز امتيازاً ، الحسا ، بالرغم من مقاومة
الحكومة الانكليزية التي كانت تفضل ان تمنحه لشركة عبادان . ثم شد
الميجر اظنابه في الكويت وفي البحرين حتى وفي العراق . فاذا جاء فوزه
مقارلاً لجزء من سعيه ، وكانت شركته بعيدة دائماً عن السياسة ، قد يصبح
اشهر من نالوا امتيازات في البلاد العربية واحبهم الى العرب .

وقف في صباح اليوم السادس مندوب المؤقر المصورين فينا وقفة الرضى
والامتنان . وكان الميجر هومس مع الفريقين ، من تصبروا ومن صبروا .
ثم انتمر العقد ورددت كلمات اوداع . فعاد كل في سبيله يتني على رجل
المؤخر ، بل رجل نوح الكبير السلطان عبد العزيز . حتى ان الشيخ فهد كان
صباح ذلك اليوم من الراضين ، المسرورين ، المادحين . سأل السلطان عند
اوداع : هل من حاجة نقضها لكم ، فاجاب : نعم يلزمنا بعض العمايات^(١) .
فقال عظمته : ارسل احد رجالك معنا نرسلها اليك من الحسا . ففعل . ثم

(١) الذوق العمايات من لثمان وهي اغيب الابل واعزها .

جاني يمتد ، والرضى ابو العطف والاتضاع ، لانه لم يرد زيارتي فقال : ان اشغال المؤتمر حالت دون ذلك ، وامر كاتب سره ان يدون اسمي في دفتره ، دفتر المقربين المضربين . ثم دعاني بارك فيه الى ديورته في الشمال قائلاً : سنقوم هناك بواجبكم ان شاء الله .

اما مندوب حكومة العراق فامرهم بخزن . كان قد مرض في الطريق الى القبر فوصل الينا ورديفته الحمى . وكان اثناء المؤتمر يشكو كل شي — قتل الهواء ، وملوحة الماء ، ووحشة البيداء ، وظلم السماء ، ويقبل مع ذلك يد السلطان عبدالعزيز . اظنه كان يجهل ان اهل نجد لا يقبلون يد السلطان ، وان تقبيل الايدي هو مستنكر عندهم . سألتني عند الوداع قائلاً : اصحيح انك مسافر مع السلطان الى نجد ؟ فقلت : نعم ، تعال معنا . فقال : ولين اعطيتني ثقل رمال البادية ذهباً لا اخطو خطوة اليها . ها هنا — وأشار الى البحر — خلاصي . البحر يوصاني الى بغداد . وكان في كلامه وفي تنهداته يشل العاشق المشتاق ، البعيد عن جزر الواق الواق . مسكين المتسكن الذي لا يستطيع ان يستغني عن المدنية ولو يوماً واحداً .

اما الانكليز في المؤتمر فما سمعهم مرة يشكون ، شأنهم في كل مكان . فهم يقبلون كل حال حسنت او ساءت ، عاملين عملهم جادين ، راضين بقسمتهم الوقتية ساكتين صابرين . ودعوني ولسان حال كل منهم يقول : عنيماً لك ، يا ليتني مسافر معك !

ولكن المندوب السامي السري كوكس قال لي ساعة الوداع : وهلا سافرت الى الربيع الحالي ؟ فقلت ضاحكاً : كأنك تبغي هلاكي . ثم فاه وهو يودع السلطان بكلمة انستي الاولى لان فيها منحة فتمناً سقى الحاجة الانكليزية . قال باللغة العربية مخاطباً السلطان ومشيراً الي : هو بذمتك . فاحاب السلطان بكلمة الطن منها واجل . قال ويده على كتفي : الاستاذ نجدي الان ، هو منا .

الفصل العاشر

العدل أساس الملك

عدل ابن سعود - الشرع - البسط في المنصب الوهابي - عرب الهذلية - العنابة -
 « لولا الشيوخ والله لا يبق » - الامن في نجد - من الاطيف الي ايها ومن
 وادي الدواسر الي وادي مراحان لا يسأل المسافر من اين والي اين؟ - طريق الحما
 في عهد الافراك - « القوة » حفل خمسة اميال - عبدالله ابن اجاوي - عمر
 الاحياء يومئذ ابنة - « اذا ضنا لا تبدا بالنسنا فكيف لعدل في غربنا » -
 لصوص بني مرة - ثمانية زوروس تقطع في ساحة الهولوف - التماخين في نجد -
 الصلاة - من يعطون ممن يدخنون ومن لا يعطون في السجن -

العدل اساس الملك ، ومن العدل ما كان يعجب ، ومنه ما كان يزعج
 ويخيف . وقد شاهدت من مظهره في بلاد نجد ما لم اشاهده في البلاد
 العربية كلها . بل ما وجدت خارج نجد بلاداً تمثل فيها هذه الخصصة
 « العدل اساس الملك » ذاك التمثل الصحيح الشامل ، ذاك التمثل العجب
 الخيف معاً . عدل ابن سعود ! كلمة تسميها في البحر وفي البر وفي طريقك الي
 نجد قبل ان تصل اليها . كلمة يرددها الركبان في كل مكان يحكمه
 سلطان نجد ، من الاحياء الي تهامة ، ومن الربع الخالي الي الجوف .

وما عدل ابن سعود غير الشرع - غير عدل النبي . اصف اليه قصوة في
 بعض الاحكام الاجتماعية اشتهر بها المذهب الوهابي . فمن يدخن مثلاً ببسط^(١)
 وكذلك من لا يبلي . اما احكام الشرع المعروفة الا انها تنفذ في نجد باز
 تردد ولا محاباة ، ولا مرافعات لوليات طويلات . حكم ابن سعود لا يعرف
 في سبيل العدل كبيرة او غنياً . كل الايدي الاتية عند احكام سواء ، وكل
 الرقوس سواء عند السيف . وكل من يمين في اول عهد هذا السلطان الكبير

(١) البسط عديم هو ان يطرح الرجل الي الارض ويضرب بالرطب من عيب الخيل

قطعت لمرقة صغيرة . وكمن من رؤوس طاحت الى الارض للذئب يخطفه في غير ذلك الحال وذلك المكان عذر وندامة . ان مثل هذا العدل ليشير خواطر المتشددين ويغضب من عاشوا في ظل الاحكام المدنية التي لا تخلو من الرافة والحنان ، وان كان العدل لا يسلم دائماً فيها .

شاعدت بسط رجل في الرياض لاقتصابه فتاة صغيرة . بسطه العبيد على بطنه وأمسك جدران منهم يديه ورجليه وسقط الصبيان الآخرون بالعيب الاغتر على ظهره يعدون الضربات الى ان عدوا الحسين او الستين . نقرت من ذا المشهد نفسي ، وسنمت العيش بعد ذلك اياماً . ولكن من يعرف عرب البادية ويقم بينهم ويخبرهم يرى وجوب مثل هذه القسوة في تأديبهم وضبط امورهم .

اما المظاهر الجميل في عدل ابن سعود فاليك مثلاً صغيراً منه . كنا في القيد نحتاج الى الكثير من الحطب ، وكان يجيء البدو باجمال منه يبيعونها الى رؤساء الحدم بأسعار غالية لقلة الحطب في ذلك المكان ولعلهم بحاجة الشيوخ وضيوفه الانكليز اليه .

وقف يوماً احد هؤلاء الجاهليين ومعه اربعة جمال بحملة . ساومه قيم السلطان عليها ، فطلب الجاهل روبيتين^(١) ثم كل حمل ، وسعره الاعتيادي نصف روبية . نزل الجاهل الى روبية ونصف . رفض القيم شراءها . ساق الجاهل جاله . قاده القيم ودفع له روبية فأبى . فقال القيم وكان الجاهل قد ولى باحاله : أبدي قواد . لولا الشيوخ والله لأدبته .

ولو كنا في معسكر تركي او اوروبي وكان الجيش بحاجة الى الحطب فهل تظن انهم كانوا يعاملون هذا الحطاب مثل هذه المعاملة ؟ بل كانوا يكوهونه على البيع بما يريدون ثم يسخرونه . لولا الشيوخ افضل الحدماء

(١) الروبية من عملة الهند وهي تساوي نحو سبعة قروش مصرية .

بالبدو الخطابين مثل هذه الفعالت . ولكن حق البدو يعطى لهم - وحقوقهم ان يديموا ما يملكون بما يشاؤون ويستطيعون . اما حق ابن سعود فيؤخذ منهم بالعدل ، وان اقتضى الامر بسيف العدل البتار .

اذا كان العدل اساس الملك فالامن اول مظهر من مظاهر العدل . وفي نجد اليوم من الامن ما لا نجد في بلادنا او في اي بلاد متسدة . لا يظنني القارىء مبالغاً بما اقول . ولست على ما اقول مستشهداً بنفسى ، مع ان رحلتي النجدية استمرت خمسة اشهر ، قطعت في اثنتائها الدهناء مرتين ، جنوباً في طريقي من الحسا الى الرياض ، وشمالاً في طريقي من القصيم الى الكويت ، وكانت حقايبى وفيها مالي مكسرة الاقفال مفتوحة وهي مع الحملة بعيدة من النهار كله ، وكان في خدمتى اناس من البدو ، فلم افقد مع ذلك شيئاً من حوائجى ولا ورقة من اوراقى . الا انى لا اقدم نفسى حجة لاثبات ما اقول من الامن في نجد لاني كنت اسافر بطريقة ممتازة مصحوباً بمشيرة الى خمسة عشر رجلاً من رجال السلطان .

واكن الامن في نجد لا يحتاج الى رحلتي مثلاً واثباتاً . ان له اسكبه دليل واقطع حجة في اهل البلاد انفسهم ، المسافرين من قطر الى قطر ، وفي القوافل التي تسير اربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف الى طرف ، من القطيف مثلاً الى ابها ، او من وادي الدواسر الى وادي سرحان ، دون ان يتعرض لها احد من البدو او الحضر ، دون ان تسأل من اين الى اين .

قدمت مثلاً صغيراً على العدل . وهالك مثلاً صغيراً على الامن في نجد اليوم . كانت الطرق في الاحساء في عهد الاتراك لا تعبر الا بقوة عسكرية ، او يدفع « الحوة » . وكانت الطريق بين القطيف والحسا ، وهي طريق التجارة الى نجد الاسفل ، اكثرها واشدها خطاراً . فكان التاجر العربي المسلم الذي يروم الوصول الى المهوف - مسافة اربعين ميلاً - يضطر ان يدفع

« الخطوة » كلها اجتاز خمسة اميال او عشرة من هذه الطريق الخفيفة ، طريق
التجار والاموال . جاءها العجمان من الجنوب ، وبنو مرة من الربع الخالي ،
والمناصير من قطر وما دونها ، وبنو هاجر من الشمال من نواحي القطيف
والكويت ، وجاء من داخل البلاد ، من وراء الدمام ، الدواسر الاشواش ،
فدأبوا على هذه الطريق وربطوها ، وقطعوها ، وتقاسوا اموال قوافلها .

كان يحجي التاجر من البحرين مثلاً فيدفع قبل ان يبطأ برجله العقير
« خوة » للعجمان . ومن العقير الى النخل خمسة اميال وخمسون ريالاً « خوة »
للمناصير . ومن النخل الى ام الذر خمسة اميال وخمسون ريالاً « خوة » لبني
مرة . ومن ام الذر الى العلاء خمسون ريالاً « خوة » لبني هاجر . ومن العلاء
الى ... الخ . واذا فاز التاجر المسكين بحياته وبقي شيء في كبسه ، فن
المؤكد ان احماله لا تصل كلها الى الحسا . وكان اذا خرج عسكر الترك
لتأديب احد من هؤلاء العشائر يطارد عم البدو فيغلبنهم ، ويأخذون خيلهم
وتيائبهم ، ويرجعونهم الى الحسا حفاة عراة . ثم يحجي البدوي منهم راكباً
حصان الجندي التركي ليططوه على مرأى من السلطة المدنية .

هذه هي حال الاحساء قبل ان سقطت في يد ابن سعود . اما اليوم -
فقد مررنا في النفود بجمل بارك ، رازح تحت حمله . فسألت عن صاحبه فقيل
لي انه سار في طريقه وسيرجع بعد ان يصل الى البلد بجمل آخر يحمل البضاعة .
وقد يموت الجمل الرازح ويبقى حمله على قارعة الطريق عشرة ايام فيعود صاحبه
فيجده ، وما استه يد بشرية ، كما تركه في مكانه . كيف فكّن ابن سعود
من اقامة مثل هذا الامن وتوطيده في بلاده ؟ بامور : اولها الشرع وثانيها
الارادة والوجدان في تنفيذ احكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التردد ولا التيسير ،
ولا الرأفة ولا المحاباة .

ليس السلطان وحده في هذا الامر الخطير . فان امرأه كلهم يأخذون

عنه ويستأثرون به . وبين هؤلاء الأمراء رجل مشهور بحكم الحسا ، هو أكبرهم همة ، وأشدهم تمسكاً للعدل ، يجلس في كرسي القضاء وحده . فلا تجلس معه الرحمة ، ولا تجلس معه المحاباة . عدله عدل عمرو بن الخطاب وقسوته قسوة البدو . يأمر بالقطع والنطع ولا يباي . هو عبدالله بن أجوي^(١) أمير الحسا وابن عم السلطان عبدالعزيز . ان اسم عبدالله ليرعب الناس اليوم ويروع منهم المجرمين . ان له صدى يقوم مقام الشرع في كل الاحساء ، من اطراف القطيف شمالاً الى وادي جهين جنوباً . انه ليخيف اكبر البدو ، واكثرهم استهتاراً . بل هو اسم تخوف الامهات به اطفالها .

ان عدل عبدالله بن أجوي عيلاً واحدة لا ترى غير المذنب ولا ترى في ذنبه غير ما يستوجب التأديب في الحال . وهو اسرع في تنفيذ احكامه واشد من ابن عمه السلطان عبدالعزيز . ان ساحة الخفوف لساحة الدم ، ساحة النطع والنطع . خذوه الى الساحة وبعد هتافه يلعب سيف السيف في شمس الضحى فتقع اليد او الرجل او الرأس في حجر القضاء ويهر العدل رأسه استجساراً .

جاء عبدالله ذات يوم رجل يشكو ولداً ضربته وشتمه . فسأل عبدالله : ومن الولد ؟ فقال الرجل : لا اعرف اسمه . فقال عبدالله : وهل تعرفه اذا عاينته ؟ فاجاب الرجل بالاجاب . فأمر الأمير ان تجتمع عنده اولاد ذاك الحي من البلد . فاحضروهم كلهم وجاء الشاكي فنظر اليهم وأشار الى غريمه ، فمس احد الحضور في اذنه : هو ابن الأمير . فجمع الرجل بعض كلمات اراد بها الاعتذار والعدول ، فردّه الأمير ، وسأل الولد فأقر بذنبه . فأمر العبيد ان يسطوه امامه وان يقدموا للشاكي عسيماً اخضر من النخل . فتردّد

(١) اصله جابري من جلاجلو ولكنهم في نجد يسكنون الفا . من الاسم ومن ذلك أيضاً قولهم : ابدوي اي بدوي .

العيد واحجم الرجل . فاختد الامير القضيبي بيده وشرع يضرب ابنه ويقول :
اذا كنا لا نبدأ بانفسنا فكيف نعدل في غيرها .

جاء ذات يوم الى القصر في الرياض بضعة رجال من بني مرة ، اشد
القبائل في الجنوب توحشاً ، يطلبون عيشاً وكسوة . فكان لهم من السلطان
ما يبيعون . ثم ارتحلوا شرقاً الى الحسا فورا في طرية بهم ببض الابهار ترعى
نساقرها امامهم فشكاهم اصحابها الى السلطان في الرياض ، فبعث السلطان
بنجيب يحمل الخمر الى الامير عبدالله في الحسا . وصل التجاب قبل ان يصل
عربان بني مرة ، فتحركت اسباب العدل عند الامير بالسرعة التي اشتهر بها .
ركب اربعة من رجاله وراحوا منتسبين اربعة اقسام ، شمالاً وشرقاً وجنوباً
وغرباً ، يفتشون عن عربان بني مرة الماصرس . وما مر اربع وعشرون ساعة
حتى جاؤا بهم وبالعارين المسروقة الى الهفوف ، فاقفواهم امام ذلك العربي
الروماني ، العربي شرقاً ، الروماني عدلاً ، وكان سؤال ، وكان جواب ،
وكانت الكلمة : الى الساحة !

هناك امام الامير والجمع المحشد يشتغل السيف ويستغل معاونته والطريقة
في الاعدام بسيطة سريعة مذهشة . فيها دقة نظر وفيها مهارة . انهم يركعون
المذنب على ركبته ، ثم يرقص امامه المعاون يليه عن السيف الاخر المرفوع
فوق رأسه ، فيكره أولاً السيف وكرة شديدة سريعة في رقبته تحت الخيش ،
فيتحرك الرأس الى الامام ، فيتقلص عصب الرقبة ، فيضربها اذ ذلك ضربة
— ضربة واحدة — يطبخ منها الرأس الى الارض . دقيقة واحدة تبدأ
بالرقص وتنتهي بالتقطع ، فيتحدث بها الركبان في نواحي البلاد كلها .

وفي ذلك اليوم الزهيب لمع سيف السيف لمعات ثانياً في ساحة الهفوف ،
وفي عس الضحى ، فرقت على الارض ثمانية وؤوس من بني مرة . ياراعي
البعوين ، ضاع لنا بعر فهل عابته في الطريق . . . هوذا يا خوي البعر

تعال خذ . . . العدل اساس الملك وسياجه . فان القلاع التي بناها الترك في الطريق الى الحما هي اليوم مهجورة متهدمة ، والقوافل تسير ثلثة ميل شرقاً وغرباً وثلاثة ميل جنوباً وشمالاً في ملك ابن سعود وهي تدعو له بطول العمر وتشكر الله .

قلت انهم يسيطون من يدخن في نجد ، ويسيطون كذلك من لا يصلي .
والكلتين شرح توجيه الحقيقة والانصاف ، لان الناس في ما يسمعون من عجيب الامور ومنكرها ببالعون ، ولا يهضم من الحقيقة غير ما ثبت منها المبالغات .

الندخين ممنوع في نجد بل في ملك ابن سعود كله ، ولا احد يدخن هنا او في الاسواق ، لا في الحما ولا في النارض ولا في القصيم . ولكنهم في احسا وفي القصيم يدخنون في بيوتهم ، والمشايخ يتساهلون . وقد رأيت في الرياض من يدخن سراً حتى في حضور اقرب الناس الى السلطان . ذلك لانهم لا يرون في الدخان ما يراه المتصبون من العلماء . اما السلطان فهو يحب الروائح الطيبة ويشهد من رائحة الدخان . وما كان يزورني كل ليلة على ما اظن لو كنت ادخن يوم كنت ضيفه في القصر بالرياض .

حدثنا المستر فلي في كتابه « قلب البلاد العربية » قال : كنت انا ورفيقي ندخن ذات ليلة (وكانا مثلي ضيفين في القصر) اذ دخل علينا عبد يطبخنا بقدم الشيوخ . وكانت الغلابيين وعلب التبغ مبعثرة على الديوان ، فقبأناها مسرعين وقتحنا الشبايبك كلها . الا انه عندما دخل السلطان كان الدخان لا يزال منتشرأ في الغرفة . فجلس متجاهلاً ، وكان لطيفاً على عادته . ولكن احد العبيد جاء توأ بالجمرة وفيها الطيب فقدمها لسره ودار علينا بها مراراً ثم تركها على السجادة في وسط القاعة تطهيراً للهواء .

تجاهل السلطان مع ان دخان الغلابيين اكروه شي . لديه ، وكان لطيفاً على

عادته . ولكنها كانت اول زيارة منه الى ضيوفه في منزلهم ، وآخر زيارة .
هالك مثلاً آخر من تعلقه وتساعده .

في الرياض حي يسكنه العلماء . ولعلماء حاسة شم تحترق الجدران فتعرف
ما وراءها من دخان ، وتميز بين الحلال منه والحرام . لذلك لا يجزأ احد في
ذلك الحي ان يشعل سيكارة لا سراً ولا في غرفة مظلمة تحت الارض او اذا
خاطر بنفسه واستهت ، فاكتشف امره ، يحاصصهم امام الشيخ ، وعند الناس
الجرم ، بعد استماع الشهود يبسط في الحلال لا محالة ، « يطقه » - بضربة -
المسيد من اربعين الى ثمانين ضربة حسب خطورة الذنب وسوابق المذنب فيه .
وقد سمعت السلطان عبدالعزيز يقول لرجل من اخصائه كان يبحث يومئذ عن
بيت لينقل اليه : في محلة الشيخ (اي في حي العلماء المذكور) بيت كبير
ولكنك تعلم انهم هناك يواطبون على الصلاة ويشددون في الاحكام فتتضرع
ان تصلي دائماً في المسجد .

ان في كل مسجد بالرياض كما قيل لي جريدة باحباء الذين يصلون فيه ،
يقرأها الشيخ كل يوم صباح مساء . فاذا كان احد غائباً يزوره وفد من
الاخران في بيته . قد يكون مريضاً فيعودونه ويؤاسون ، وقد يكون
مستغرقاً في النوم فينبهونه وينصحون ، وقد يكون كسولاً فيهدرون . اما
اذا تعيب عن الصلاة ثانياً بلا سبب فيعظونه ويوبخون ، واذا كثر فعلته
فيستطونه لا محالة ، ويعملون في ظهراء النخل او الخيزران .

هي حقيقة الوهابية في العارض ، بل في الرياض ، بل في حي خاص من
احياء الرياض . وكلها بدت من ذلك الحي ومن تلك المدينة ، وكلها حدثت
من العارض شمالاً او شرقاً ، تبعاً من القلوب في الدين - دين التوحيد - ومن
التعصب في تنفيذ احكامه الاجتماعية .

الفصل الحادي عشر

الآخوان

وصل الهول ورسى التوحيد - جنود ابن سعود - غار من غارين بدى جديد -
 - انا خيال التوحيد آخر من طام الله - العرب الشيرة - ساحل الناجين
 - مساجين - شجاعة الآخوان - حوسلهم : حيث عيوب الجنة : ابن ايت يا باغيها ؟
 - آتوت الامان - نوار مثال من الآخوان - الزكوت - التدخين والعنا - نوار
 - يصل من اجل المرفق الكافر - احذوا بالذبح - الله يجرنا وايضا من
 - النار - الآخوان ثلاثة اصناف : المهنون والمتعصب والتساهل - فلاسفة في
 - الشدة والفقير - قوة حائلة ينقصها ادارة وتظلم - خطبة السلطان عبدالعزى وهو
 - ينذر الآخوان .

من هم الآخوان ؟ من هم اولئك التجديون الروائيون الذين يردد الناس
 في كل قطر من الاقطار العربية اسمهم مستعدين بالله ؟ وقل من يعرف حقيقة
 حالهم ، ويدرك سر اشتغالهم . اعم رسل الهول والموت ، لم رسل دين لا
 يعرف غير الله والكتاب والسنة ، دين النبي محمد والصحابة ؟ اقول نعم جواباً
 على السؤالين .

الآخوان هم الفئة المحاربة ، الفئة المتعصب ، الفئة المذينة^(١) جديداً في
 الرواية . الآخوان هم جنود عبدالعزى بن سعود الذين حكمتوا بالامس من
 العرب الرجل ، من البدو الجاهلين ، فدينوا اي دانوا بدى التوحيد قصاروا
 مسلمين . وهم في غلوهم يعتقدون ان من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم ،
 فيشبهون الى ذلك في سلامهم بعضهم على بعض . - السلام عليكم يا آخوان^(٢)
 حيا الله المسلمين . واذا سلم عليهم سني او شيعي فلا يردون السلام .

(١) دين اي تعصب بمذهب الرواية في اصطلاح اهل نجد .

(٢) اهل نجد يدخلون في المناادة ال التعريف على الاسم فلا يقولون يا اخوان
 جواباً بل يا آخوان ويا لامير .

من الحقائق الناصحة في الأديان ونشأتها ان كل من دان بدين جديد او كان حديداً في الدين ، يأخذ منه الغلو مأخذاً يلتوي عنده العقل ، فيسترسل في ما يظنه فضيلة ولا يطيب له عيش الا بالتبشير والجهاد . قد كان كذلك المسيحيون الاولون ثم اليهودستانيون ، بل قد كانت شيع الاسلام كلها في بدعتها نازعة الى السيف معتقدة ان الدين كل الدين في نشره في الناس حرباً او سلباً ، كرهاً او اقتناعاً .

وها ان الاخوان في هذا الزمان يحملون البنادق والبيارق باسم الله ، فيجملون او كانوا يحملون على كل من لا يدين من العرب وكأني بهم لا يرون خيراً في حياة لا اكراه فيها على التوحيد ، فينادي الاخ منهم بمقتضا حسنة او رافعاً بندقية : انا خيال التوحيد اخو من طاع الله ، بين رأسك يا عدو الله اناهم من هذا القبيل مثل رجال البروتستانت الاولين الذين حاربوا شارلس ملك الانكليز . والسلطان عبدالعزيز هو شبه رجل تلك الثورة الكبير كرمويل .

علي اننا لا نحتاج الى الامثال والمقارنات من تاريخ الغريين وعندنا في تاريخ الاسلام مثل الوهابية الاعلى . أجل ان مثال « خيال التوحيد » لما هو النبي ، وان حروب الوهابية اليوم شبيهة من وجه خاص بالحروب النبوية . عودوا الى الله ايها المشركون ، عودوا الى النبي والسنة ، عودوا الى دين التوحيد . واذا كنتم لا تعودون فتكفرون بالطاغوت ولا تشركون احداً مع الله ، نحن الاخوان عليكم . ان سيفنا بثار ويومنا غضيب ^(١) .

قد برهنوا على ذلك في مواقع عديدة وانتبها جوابي على السؤال الاول

(١) بعد حروب النبي التي كان بعضها دفاعاً عن نفسه واتباعه وبعضها تعزيزاً لدين التوحيد صار الفاتحون المسلمون يرضون من الاسم الذي يتقبلون عليها الخضوع لسلطانهم دون ان تغير ديناً . وفي القرآن : لا اكراه في الدين .

فكانوا رسل افول و رسل الموت في كل مكان سمعت فيه « هوستهم » المشهورة : هبت هبوب الجنة ، اين انت يا باغيها ؟ فلا الحجاز يتساعم ، ولا الكويت بذكرهم بالحير ، ولا العراق يحسن بهم الظن ، ولا الجوف ولا الحيل ولا القصيم يكبر في ساعة الوغى سواهم ، ويردد خوفاً واعتباطاً غير اسمهم . الاخوان ، زرعو الهول في كل مكان . الاخوان يحاربون مسيئين مستهدين . روى الناس المواتون منهم والمعادون اخبار الشجاعة والبطولة التي اشتهروا بها . قالوا انهم شياطين الدين ، وقالوا انهم ابطال المسلمين . وما كانت البطولة بغير الايمان الحلي والثبات في الجهاد . لولا ذلك ما كان الاخوان ، وما كان ملك ابن سعود . هبت هبوب الجنة ، اين انت يا باغيها ؟ وكل يفيها . لذلك يحاربون وقلماً يهزمون . الجنة امامكم والنار وراءكم . فن منهم اذن يتقهقر ، ومن منهم يولي مدبراً ؟ هم شوكة ابن سعود في ايام الحرب ، وهم في ايام السلم الشوك في غصن الدين . يحاربون بلم التوحيد بالعرض ويزعجون احياناً حتى سلطانهم العزيز . حدثت كثيرين منهم فأ وجدت وراء الانسان غير قلب فيه اتون من الايمان ، فلا يهاب صاحبه الموت ولا يخاف غير الله . والسكتك تسألني : أمن روح هناك فيها شي . من الحنان ؟ ام من بقل فيه ذرة من الزهوان ؟

هوذا نوار اقدمه مثلاً قوياً كويتاً . وما نوار غير راعي بغير اكتراه منه شاب كان في خدمة السلطان يسافر الى القصيم . كنا يومئذ على اهبه الرحيل فأراد الشاب ان يواخينا فقبلنا ، فخرج راكياً معنا من الرياض ، ونوار صاحب الدلول يشي امامه او ورائه . وكان في بعض الاحايين عندما يتعب ، يسب الى الرجل رديفاً ، ثم يتوجل مستعيذاً بالله . ذلك لان الشاب الذي اكتراه نوار بعبه هو « ازكرت »^(١) يدخن ويغني والقنا . في نجد اليوم محظور وفي بعض

(١) ازكرت لفظة فارسية معناها من لا اهل له ولا عيال ، وتطلق في نجد على من يفضي ايامه في قصر السلطان او الامير خاوفاً او حول القصر ينتظر قسمة ربه .

مدن العارض والقوى الجديدة ، الحجر ، محرم مثل الدخان . اما الزكوت فكان يرفع عقيرته كما خرجنا من قرية وصرنا في الغلاة ، فيتلو اذ ذاك نوار التعويذتين . وعندما رآه لأول مرة يشعل السبيل كعادتي . كان ذلوله ماشياً الى جنب ذلولي وكان نوار وقتئذ رديفه ، فوثب فجأة الى الارض كأن نارا اشعلت تحته وهو يردد بصوت عال : اعوذ برب الفلق من شر ما خلق . . . اجرنا اللهم من النار . . . اجرنا اللهم من النار . والزكوت اثناء ذلك والربع كلهم يضحكون .

كان الاخ نوار مع ذلك لطيفاً وذا مروءة تشكر . فيعاون الخدم ، ويرعى الركائب عند المراح ، ويجمع الخطب ويشب النار ، ولا يأكل الا قليلاً . رافقنا هذا البشر الغريب ، آنانا كرهنا ، عشرة ايام ، وما من مرة سلم علي او كلمني او رد سلامي . مرضت اثناء السفر بالحي فسكنت ذات يوم على القواش في خيستي ونوار واقف اتفاقاً في الباب . فقلت مازحاً ، بل كنت اضايقه عمداً : يا نوار انا « مصخن » - مريض اليوم - . قال بوجهه المي « هاتفاً والحمد لله ! كانت عصاي طوع يدي قرب السرير فوميته بها لما ظففته منه وقاحة بل قساوة وعشية ، فأصابت منه الرأس واكبتها لم تحرك اللسان بكلمة واحدة .

نهضت بعد ذلك وخاطبته وهو واقف عند النار : انت يا نوار رجل نقي ورع صديق وانا رفيقك في السفر - مريض - « خوياك مصخن » اليوم ، ونبني الرحيل ولا رحيل مع مرض . فهلا ذكرتني في صلاتك وسألت الله لي الشفاء العاجل ؟ فلم يجيني بكلمة . فقلت : أفلا تصلي من اجلي يا نوار ! ظل معرضاً نبي ساكتاً . فقلت مصراً : انا « خوياك » ابقي منك ان تذكرني

والزكوت كثير الاسناد عادة وكثير الاعتراف ، من الغفل والمعلق ، يحسن الخدمة ويعتد كذلك التهم على الاخوان .

في صلاتك . هز الرجل رأسه متأففاً وبعد عني فتبعته وامسكته بعباءته ،
واخذني كنت محمواً فزادني هذا الصدم منه حرارة وغيطاً ، فقلت ولا مزاح .
اصبح يا نور انا اعلمك انت واحد و « حنا » خمسة عشر وكانا ندخن ونغني ،
فاذا كنت لا تصلي من اجلي وتسال الله في الشفاء ، نذبحك والله مثلما صنع
مسفر هذه الشاة . اخبر ان تهديدي راعه فعرك شفتيه بهذه الكلمات الله
يخبرنا وياك من النار . وهذا منتهى التساهل منه . لم يطلب لي الشفاء ، كان
بل لشركتي من فضله بالاستجارة من النار ، نار الجحيم . ككل الاخوان
المدتين جديداً هذا الرجل ، كلهم نور .

على ان هناك فريقاً آخر منهم ، قد مرّ على قديتهم او قديس آياتهم حقب
من الزمان ، فلطف فيهم سورة الايمان . هؤلاء يسلمون على غير المؤمنين
ومنهم من يدخن سراً ويغني اذا صار في القلاء^(١) ولا يلوام ابن سعود على
تساهله مع الكفار الانكليز .

وهناك فريق ثالث اكثرهم من جبل شمر ، دينوا بعد سقوط حائل او
قبله اما خوفاً واما ارتفاقاً . فهم يتساهلون تساهل السني ، ولكن الاخ
الجديد الاكيد يقول : انهم مدغلون .

قد كان في رجالي الذين عشت وياغم شهرين في السفر من العارض الى
القصيم والكويت من الثلاثة الاخوان ، الاخ المحبون ، والاخ المنصب تمصاً

(١) لا اظن اخداً من العرب موحداً كان او مشركاً يستطيع ان يقوم ما تحركه
الفلوات في نفسه من حب البناء او الهداء . كنا ذات ليلة حول النار نبحث في
هذا الموضوع فروى احد الربيع قصة عن السلطان عبدالعزيز قال : خرجنا يوماً من
الحما مع الشيوخ وكنا عشرين من خاصة رجاله . فلما وصلنا الى الدمام رفع عبدالعزيز
العقال والظفرة - الكوفية - عن رأسه ووضعها في المرح وقال باساً : لا اخوان
معنا . من سكان عباد حنن قابس معنا الان . فرحنا تغني والله حتى قطعنا الدمام
وعبدالعزيز مسرور طروب .

نسبياً معقولاً ، والاخ المتساهل . وكان في الصنف الأخير خليف ذكي القدرات . يحسن النكتة والجواب ، يدخن دائماً ولا يستأثر بالسبيل بل كان يقدمه عند كل « تعبيرة » الى رفقاته ، صارخاً بصوته العريض : « دخنوا يا اخوان » . بارك الله فيهم قد كانوا طيلة الطريق موضوع التهكم والضحك . اجل ، قد اضحكونا وفكهنونا في ساعات الضجر الطويلة .

ويقدم الاخوان ايضاً الى ثلاثة اقسام ، اي المطاوعة^(١) والعلماء والمتعلمين . اما المطاوعة فهم في كل نجد يعرفون من قياتهم التسمية ، من خلق اطلارهم . اما العمامة البيضاء الشبيهة بالضادة فان هي الان نصف دراج من الحام يلفه الطوع فوق النظرة على رأسه ويشكر الله . ثم يحمل عصا من الشرحط اذا كان كبيراً ، والا فقضياً من الخيران ويحبو البلاد في سبيل التوحيد . المطاوعة يعلمون الناس الدين ، والعلماء يعلمون المطاوعة ، وكاهن يوم الجهاد « خيال التوحيد اخر من طاع الله » . وكاهن في ايام السلم ولاسة في التجميل والقناعة ، في الشدة والصبر ، في الفقر والتقوى . ترى الاخ في الطريق حافياً لا يحمل غير عصاه ، ينفخ الهراء في اطلاره فيكشف عروء . وقد يكون مشى يومين او ثلاثة دون ان يذوق الخبز او التمر فتسأله بعد السلام : « وتسايف انت » - كيف انت - فيحييك بصوت عريض ، وقلب وطيد كأنه يمثل دوراً في رواية : نجير ونعمة والحمد لله ! انما هذه فضيلة الاخوان بل فضيلة التجديدين الكهوى . فهم على فقرهم وسوء حالهم في الدنيا قانعون راضون ، وقلما تسمع كلمة منهم فيها شيء من اليأس او الشكوى .

والسلطان عبدالعزيز امامهم في كل شيء . فهو يعرف الشجاع فيهم والثقي والصبور والماعل والخبون ، ويحسن سياسة الجميع ، فيستخدمهم في سبيل الله ومملك ابن سعود . اجل ان عنده لكل من الاخوان وظيفة ومقاماً :

(١) جمع مطوع اي المطوع في خدمة الله وامله متطوع فاذقم .

المشغل للخدمة ، والمتساهل للتجارة والسياسة ، والمجنون للقتال . اما امر
النصف الاخير ، اخوان نوار ، فقد يستعمل عليه في بعض الاحايين ، وقد
يعجز عن ضبطهم دائماً ، لان المسافات في نجد بعيدة والمواصلات كلها اولية .
الاخوان قوة هائلة ينتقصها نظام وادارة ، والا فتتفلت من يد سيدها وتكون
عليه وعلى سواه وخيمة العاقبة . مثال ذلك ما حدث في الشامية بالعراق يوم
هجم الدويش باهل الارطاوية على ابن سعدون وعشائر العراق فهزموهم شر
هزيمة واذاقوهم من هول الاخوان ما لا ينسونه حياتهم .

ولنا في ما حدث في اخفوف السنة الماضية مثال اخر . فمر ان عذر اخوان
اخفوف كان واهياً فلم يقبله السلطان عبدالعزيز . بل امر بالقبض على رؤسا .
تلك القزوة وباعضارهم مقيدون الى الرياض حيث سجنوا ثلاثة اشهر .

كنت في عاصمة نجد يوم اطلق سراحهم فاحضروا امام السلطان فطاطبهم
قائلاً : لا تظنوا يا اخوان ان لكم قيمة كبيرة عندنا . لا تظنوا انكم
ساعدونا واننا نحتاج اليكم . قيمتكم يا اخوان في طاعة الله ثم طاعتنا .
فاذا تجاوزتم ذلك كنتم من المفضوب عليهم . اي بالله ، ولا تنسوا ان ما من
رجل منكم الا وذبحنا اياه او اخاه او ابن عمه . وما ملكناكم الا بالسيف .
ترى الصبيح . والسيف لا يزال بيدنا اذا كنتم يا اخوان لا ترعون حقوق
الناس . لا والله ، لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم . انتم عندنا مثل التراب . . .
اما اذا عدلتم وعقلتم فحقكم بشرع الله تحذوه من هذا الختم - وضرب
بالسبابة انفه - وحقني آخذ منكم دائماً باذن الله . . . انتم ما دخلتم في
طاعتنا رغبة بل قهراً والي والله اعمل بكم السيف اذا تجاوزتم حدود الله .

الفصل الثاني عشر

في القصر بالرياض

القصر في نجد - بيت يشرع التاريخ - خيانات الأفريون - ولاه الأبعاد - ما
 نساء السلطان عهد المرز - السياسة فوق الجنسيات والمذاهب - بيتان من القصر
 فوق باب المجلس - سجاية أهل نجد - مليون الثور وقلما يكلفون السلطان شيئاً
 من التذفات - « هزيعونا في أيام العرب ونحن نعطيهم في أيام السار » -
 ممرض العطاء - مثل من الجريدة اليومية - إبراهيم بن جديعة وليس التشريفات
 والمستقر قلمي - امرأة العرب يجيئون إلى الرياض مسلمين - حذر السلطان مثل
 كرمه - شاموب وزير المالية والتموين - « الذي يعني » نقيده والذي يروم لقبه
 والنتيجة لا شيء - « جيش من الكسالى - فقر وقناعة - منات يأكلون في القصر
 مرتين كل يوم .

لا يزال للشعر مقام في نجد وإن رثت حواشيه وتغافم اللحن فيه ، فكثيراً
 ما تجد أثرأ على حيطان القصور من حكمة القدماء ونفائس الشعراء ينبتك
 بما يتشبه به الأمراء والعربان ، أو بما كان من حادثات الزمان . وفي القصر
 بالرياض فوق الابواب في رواق المجلس العام ، كتبت على الحائط بالحبر الاسود
 بخط ودي . أبيات من الشعر منها :

إذا خازنك الأدنى الذي انت حزبه فواعجباً ان سالتك الأبعاد

ان الليب العالم بتاريخ نجد الحديث ليقرأ في هذا البيت الوحيد فصلاً في
 الحيات والذسائس التي كان السلطان عبد العزيز هدفاً لها وسيفاً لأمها عليها .
 الحيات في اقرب الناس اليه ، وفي البدو ايضاً والاخوان . اما الأبعاد الذين
 سالهم بل والوه ، وكانوا له عوناً على اعدائه أثناء الحرب العظمى ، فهم حقاً
 من الأبعاد ، الأبعاد جنساً ، الأبعاد ديناً ، الأبعاد مزاراً . وما كان يربط
 آل سعود بهم غير السياسة والمصلحة . ليس قصدي ان افيض الآن في الكلام
 عن تلك الرابطة واسبابها ونتائجها - سينفح المجال لذلك في الكتاب الذي

أشرت سابقاً إليه - وأذا قصد أن أشير إلى ما في حياة ابن سعود من شدة قاساها ، وغم يكنه ، فيبدو في بعض الاحايين يأساً كالجرح القديم في وجه الجندي .

إن السلطان عبدالعزيز ، وإن كان قد ذل العقبان ، وفلّ حد النكبات ، وأصبح ، إذا صاح الحكيم على الرجل من حديثه ومحضره ، آمناً مطمئناً ، أنه ليفصح في هذا البيت من الشعر عن حقيقة لا يزال يؤله ذكرها وقد يكون امر بكتابته فوق باب مجلسه ليذكر ايضاً به أولئك الذين كانوا بالأمس حرباً عليه وأصبحوا اليوم من خاصة رجاله . أما ولا . الا بعد فالعجب فيه يتجاوز ظاهر امره . العجب كل العجب من مصالح تنصر حتى في نجد ، حتى في الحجاز ، على رابطتي الجنس والدين . فعبثاً يكثر الناس الأولى وبقدس الثانية . إن عرى الانثيين اتنعل وتنقطع ، كأنها جبال شمس ساعة الضحى ، عندما يبسنا منها الضر أو يستحشنا عليها قصد مادي أو معنوي .

وهناك ابيات أخرى من الشعر تفصح عن خلق حميدة مجيدة ، ليس في السلطان وحده أو في آل سعود أو في الأخوان ، بل في أهل نجد ككافة . ولكنني أقول انها تعبر عما في قلب كل عربي من الآباء والنخوة والشجاعة وعزة النفس لولا اني رأيت من العرب في غير نجد من لا اثر في انفسهم لتلك السجيا الشريفة . أما في نجد ، في البادية والحضر ، فلا غرو اذا قتل الناس بقول الشاعر الذي رفعه السلطان عبدالعزيز إلى ارفع مقام عنده ، فأمر بكتابة كلماته فوق بابه :

فأما حياة لا تدم حميدة يحدث عنها من اغار وانجد
تنال المني فيها ، وأما منية تريح فؤاداً خار من علة الصدا

هم يجهلون من كل حذب وصوب في أيام الفزو أو الحرب وهذا اسان حالهم . أجل ان امراً يصدر من الرياض فيجعله النجاةيون إلى اقاصي البلاد ،

ليُجمع على أحد الآبار أو في أحد الشعاب في اليوم المضروب الوفاً من أهل نجد ، بادية وحضر ، وقد جاء كل على ذلوه مسلحاً ببندقية ، وبمطلقاً بذخيرة ، وحاملاً بعض التمر والماء ، فهم أثناء القز أو الحروب لا يبيعون من سلطانهم شيئاً . هم يعطوننا - الكلام للسلطان عبد العزيز - ولا يأخذون منا . ونحن في أيام السلم نعطيهم ولا نأخذ منهم .

قد شاهدت معرض العطاء في الرياض ، بل كنت أشاهده كل يوم مدة اقامتي هناك ، وأعجب جداً لا لكرم هذا الرجل بل لآيانه وثقته بالله ، مصدر الخير غير المتناهي وولي النعم التي لا تروى . والا فكيف يزمل بدوام حال قسوته من العطاء في بلاد لا ثروة لها ثابتة دائمة ؟ هناك حكومة فردية ارتقراطية وديمقراطية مما تهرأ من قواعد الادارة والنظام كلها ، وبلاد ثلاثة ارباع مساحتها بادية قفراء ليس فيها من موارد الثروة غير الانعام ، ورعية ثلثها من البدو واكثرهم حتى اليوم لا يحسنون صناعة ما ، واقليم قيظه يحرق ويبيد وتتازره لا يصدق ولا يحسن الوفاء ، فتجني السئون المجدبة فتعقم المغالي ويعمم البلاء .

ومع ذلك ترى نجد اليوم عزيزة بعبد العزيز ، تستشع بأمن منقطع النظير في كل البلاد العربية ، وبعدل كبير شامل يحمل السيف والقسطاس ، ونجبر فوق ذلك لا تنفذ موارده

- هذه يا طويل العبر جريدة عين نوحوا اليوم .

يقدمها ابراهيم^(١) رئيس التشريفات فيقرأها السلطان ويكتب الى جانب

(١) ابراهيم بن حبيبة من حابل كان من اعداء ابن سعود في احترابه وابن الزبير وهو اليوم من اقدر رجال السلطان واكثرهم اخلاصاً له . قد رافق المستر فلي - كان امير حنته - الى وادي الدواسر . فسألت ابراهيم ان يقص علي قصة اهل الوادي وهالنصراني الكافر الذي رواها فلي في كتابه . فقصها علي وكان صادقاً ولا

كل اسم ما يجب ان يعطى صاحبه يوم ارجاله . اذن عظمته باحدى تلك
الجراند وفيها اكثر من مئة اسم ، فانقل من رأسها ووسطها وآخرها ثلاثة
اسماء ليطلع القارى على احوال ابن سعود كلها .

يخط رئيس التشریفات : حمود بن صويط معه فرسان وذلول

(بعض الزائرين يجيئون بالهدايا من خيل وابل)

يخط السلطان : الفان روية وبشت ويز معلم (اي عبادة مقصبة)

وذيون (قنباذ) جوخ وسيف مذهب .

يخط رئيس التشریفات : سليمان بن علي من اهل حابل .

يخط السلطان : اربعثة روية وبشت وذيون .

يخط رئيس التشریفات : هذاع بن سلطان بن زايد راعي (حاكم) عمان

معه عشر ركائب (فوق) عمانيات (هدية)

يخط السلطان : ثمانية آلاف روية وسبعون ليرة وعشرون

بنديقة وفرسان .

ثم الى رجاله الخمسة والعشرين كل واحد كسوة

شك اذا ما وجدت فرقاً بين الروايتين . ولكن الفرق كل الفرق انما هو بين
الانكليزي العالم وبين العربي الذي يكاد يكون امياً . الفرق بين اخلاق الاثنين
يستحق هذه الملاحظة . يظهر ان المستر فلي ، وهو صلب المراسم ، اختلف مراراً
وامير جلته . فلم يدرك مقامه في القصر على ما اظن ، وقاله ان عظمة السلطان اكرمه
اكراماً تتأزاً حين وكل امر جلته الى رئيس التشریفات . اختلف الاثنان في
الطريق ونافرا ، فقص المستر فلي القصة في كتابه وحمل على ابن جيمع بانة لا يفهمها
- طبعه في ظنره . ولعربي ان ما قاله لا يليق بشتم انكليزي ولا يجوز ان ينشر
في كتاب علمي نقى . اما ابن جيمع فاذا قال في المستر فلي : سألته مراراً ان
يقص علي القصة كلها فابى وتردد . وكل ما قاله عما يشتم منه التفور . فلي غضوب .
طبعه ما هو زين . ولكنه كرم ، اعطى كل واحد من الربع من الاربع الى العشر
ليرات . حبذا اخلاق العربي وحبذا معها العلم والتدبر .

وكيس فيه من المنة الى الخمسة روية
حسب مقامه .

هؤلاء ثلاثة من المئات الذين ينحرون^(١) الرياض مستعطين ولي النعم
فيها . ومنهم من يعود الى اهله ومعهم فوق الكسوة والمال حمل او حملان من
التبر والسن والشعير - الارز - والسكر والبن .

ان في الجريدة اسماء اناس من غير عايل ابن سعود ، جاءوا زائرين مسلمين .
منهم ابن صريط من مشايخ الضفير في العراق ، وابن مجلاد من مشايخ عتري
في الشمال ، وابن نايف من بني علي في المدينة المنورة ، وابن سلطان بن زايد
من عمان ، وابن الدخيل من قبل نوري الشعلان . كلهم يؤمنون الرياض لعلهم
ان فيها رجلاً من كبار رجال العرب اليوم بل اكبرهم . يؤمنونها اما حباً
ولجلالاً ، واما خوفاً واستعطافاً ، واما ابتغاء مساعدة مادية او سياسية .
وقدما يعود احد من عاصمة نجد خائب الامل .

انها لحقائق ايها القارى . مجردة من الغرض والفلو . واذا شئت الحقيقة
في الشعر ايضاً تجدها في بيت لزهير بن ابي سلمى . فكان شاعر الحوليات
نظر بعين العجب الى ابن سعود حين قال :

تراء اذا ما جئته متهاكلاً كأنك تعطيه الذي انت مائله

وهو في حله مثله في صكره . جاءه ذات يوم شيخ قبيلة حاربه بضع
سنين ثم دانت له ، فاقام الشيخ اياماً في الرياض وقال للسلطان عند الوداع :
قالوا لي انك سحار يا عبدالعزيز . صدقوا والله فقد سحرتني . ان اخبار حله
لادعى الى الدهشة والاعجاب من اخبار كرمه .

ليس من يتبخون في باب السلطان كل يوم الشاهد الوحيد على جوده ،

(١) غر البلد او الديرة اي قصدها سلاً او غزواً .

وليس من يجنون بمن كانوا بالامس اعداء، الشاهد الفرد على حلمه واقتداره .
فان في الخرج والافلاج^(١) وفي التقسيم ، وفي ظلال آجا وسلي^(٢) مئات من
يحمدون الله ثم ابن سعود على حياتهم وعلى ما هم فيه من خير ونعمة . وفي
الرياض جيش من السباهلة والفقراء يتراوح عددهم بين الالف والالفين يأكلون
في القصر مرتين كل يوم الظهر والمساء . وفيها ايضاً مئة اسيرة او ما يزيد ،
منها اسر بيت الرشيد ، لا يكلفهم الله على ما يظهر اقل سعي في سبيل
رزقهم . فالبيوت والحيل والابل والتياب والمزونة والجواري والعبيد ، كلها
من الشيوخ ، من السلطان .

— ادفع يا شلهوب . وزع يا شلهوب^(٣)

(١) الخرج والافلاج من مقاطعات نجد الجنوبية وهي جنوب الرياض .
(٢) ايجا وسلي من جبال بني طي قديماً ، وجبال شمر اليوم وغيرها حائل .
(٣) هو محمد بن صالح الشلهوب وزير المالية ووزير التكوين عند السلطان عبدالعزيز
وما الوزارة هناك غير صدى الارادة السلطانية وآلة من آلات احكامها . الا ان
الشلهوب هو صليب الشيوخ فيه عذاب وفيه خلاص — وفيه اخلاص لا ريب به .
معانته متددة تسبب الكبيرة والصغيرة ، من المدفع الى عود الكبريت . فهو يتولى
امر التوزيع العام الشامل . يوزع الخطب ، ويوزع السنن ، ويوزع السلاح ، ويوزع
المال . طريقته في الادارة اولية بدوية ، وحساباته قروية . قال لا فض فوه : الذي
يحيي قعيده ، والذي يروح قعيده ، والنتيجة لا شيء . وليس في طريقته محاسبة وتفضيل .
طوّف في ذات يوم في خازنه فدمعت لما في ذمته من الاموال ، وفي ذاكرته من
الاشياء . هذا خزن السلاح والذخيرة ، وهذا بيت التكوين ، وهذه الخواص صنع
الهند للسنن ، وهذا السنن مئات من الاكياس مرصوفة بعضها فوق بعض . ثم ادخلني
غرفة ذكرتي بها خان الزمور بلندن وبيروورك . كل ما فيها مهمل مجهول ومكسوس
بعضه فوق بعض سأت الشلهوب عنها فقال : غشنا في احدى المواقف ولا ادري
ما فيها .

ان خلافاً في هذه الادارات ، كلها لا بدد كنه شلهوب ولا يشعر به السلطان كيتجسم
فيثناقم امره . وليس في تقسيم الادارة خسارة . بل المكس . فان في توزيع المال
لذي يسهل شلهوب ، وان كاف نائب وزير آخر بل وزيرين ، كسب جزيل السلطان

رأيت العربان والاخوان ينتظرون في الرواق وشلهوب جالس وراء منضدة يمد الزويات ، واعوانه في المخازن حوله يوزعون الثياب . وكنت ارى كل يوم عند غروب الشمس صفاً طويلاً من العبيد ، ساسة الحيل ، كل يحمل وعاءه وينتظر عند باب من ابواب شلهوب ليحمله شيئاً . ان لشلهوب منازل كثيرة ومهبات متعددة . هو مثل يوسف في مصر القراعنة . وملكناه ... وملكناه على خزائن الارض . وهو مع ذلك القيم الاول في المطبخ السلطاني والمطابخ العام الذين لا يختلفان في غير الثمن اي الارز . فالصنف الذي يطبخ لاسلطان ورجاله احسن من ذلك الذي يطبخ للعربان والاخوان .

يوم وصلت الى الرياض هالي عندما انخنا امر اولئك العربان من بدور وحضر واخوان . رأيتهم جالسين خارج القصر وداخل القصر في الازقة على محال من الطين ، رجال وصبية ، وبايديهم العصي ينكتون بها الارض ، او يرفعون رؤوسها الى شفاههم يداءونها مثل اعاجذ الانكليز . وكل واحد عندهم رب امره ملتف برداء العظمة والسكينة ، كأنه امير خطير لا ينظر الى جاره ولا يكثرت به . مئات من الامراء جالسون صامتون - يتفرجون ؟ سألت رفيقي : هل جاؤا يتفرجون علينا ؟ فقال : لا . انما الآن وقت النداء . وهم ينتظرون الامر بالدخول ، الامر من وليه شلهوب . ولكنهم في دعائهم لعبد العزيز بطول العمر لا يذكرون شلهوباً بغير الدم . ولماذا ؟ - الثمن ما هو زين . الله يغربلك يا شلهوب .

وكنت ارى كل يوم قبل غروب الشمس ليس في ساحة القصر بل وراءه عند باب المطبخ جماعاً آخر يجتهداً هناك ، جماعاً كبيراً من فقراء البدو الخيسين خارج المدينة ، نساء يحملن اطفالهن ، وصبياناً عراة ، وبعض الرجال في اطار ممزقة بالية . جماعاً تأكله القذارة وتنشر منه الروائح الكريهة . وكلهم جاؤا في هذه الساعة وبايديهم اوان من الخشب او النحاس او الفخار ينتظرون

شيئاً من الطبع ، ينتظرون فضلات المائدة العامة .

ما رأيت في الفقر مشهداً أشد وبألاً وابلغ فصاحة في ما يشير التسخط والاحزان مثل هذا المشهد الهائل . انه لفقر في ذل ، وذل في قذارة ، وقذارة في ذل . وداء في قناعة ، وقناعة في جوع وكذبة .

لو كان مثل هذا الفقر في مدن نجد كلها لكان يخشى منه على ملك ابن سعود . ولكن العاصمة تنأى عن سائر المدن بمن يحوم على موارد الرزق والحجر التي لسيد البلاد . ومع ذلك فان مثل هذا البرص في قلب نجد ليحط في عين الاجانب من كرامة ولي الامر والنعم ، وفي عين الحضر من العرب ايضاً . فبهذا العبد باقتراح اقترحه على عظمة السلطان ، وهو ان يشغل السباهلة المعطلين بدلاً من ان يتصدق عليهم . ليشغلهم في الاشغال العامة ايام السلم ، كاصلاح آبار المياه في البلاد^(١) واكثرها في حاجة الى اصلاح وترميم ، فيأكلون اذ ذاك خبزهم بعرق جيئهم فينتفعون وينتفعون .

(١) ونصبت الطرق للسيارات التي بدأت اليوم «نطوي اليد طي» بين نجد والحجاز

الفصل الثالث عشر

ونفعل فرق ما فعلوا

بيت من الشعر فيه حكمة وفيه خلل - الشرقيون والمسلمون - الصناعية في العرب -
الاقتصاد بالاجداد - لا ونفعل فوق ما فعلوا - ما عثبت هذا القول في اعمال
السلطان عبدالعزيز - المشايخ والعلماء - تساهل السلطان - موقفه في الدعوة
المنهجية - يحجب على سواي - الدين والسياسة والحرب - العنصر اللامركزي -
رأيه في الوحدة العربية - المقاومة بينه وبين الملك حسين .

نقلت في الفصل السابق شيئاً من الشعر المكتوب على الحائط في رواق
المجلس العام ، وفيه تصوير لاختلاف النجديين وقواعد في الحياة يتشبهون عليها .
بل فيه ينعكس بعض ما يجالج السلطان عبدالعزيز من أليم الذكرى ومن
شريف المقاصد والآمال . وهناك بيتان آخران فيها مزيج من الحكمة ومن
الخلل الذي ألفه الشرقيون . عفواً ايها القارى . اننا نحجي على الشرقيين في
التمسك ، لأن اليابان والهند حتى الصين نبذت ذلك المزيج او اقامت تصليح ما
افسده الزمان في التقاليد والاحكام . يجب ان اقول اذن : ذلك المزيج من
الحكمة والخلل الذي ألفه المسلمون ، فخذ من العقل والروح والقلب
كذلك . خذ العقل فقلما ياشط الى فكر جديد ينمسه ويحييه ، وخذ
الروح فلا تسكتثر بما فيه صحتها ، وخذ القلب فلا يحبس بالبلية المشتركة
احساساً مدنياً قومياً يحمله على نبذ ما ألفه من قديم العادات ، وما يقيده من
ذم التقاليد والحزبات . قرأت مرة في حضرة السلطان ما كتب فوق بابه :

لسنا وان كرمنا او اثلنا يوماً على الانساب نتكل

وهو بيت المتروكل اللبني :

لسنا وان احساننا كرمنا يوماً على الاحساب نتكل

جاء مفاداً مبنى لا معنى ، فقلت ، والمعنى ما يهم : ليس اشرف منه
جداً يا مولاي ولا اجل منها حكمة . واني اجلكم واحترم اهل نجد لانهم
يعلمون بها ، ولان السيادة والمجد في بيت آل سعود نشأ عنها . انتم عصاميون
ديمقراطيون ، ونحن في زمن يُرفع العصامي الديمقراطي فيه الى اعلى المقامات .
ولكن البيت الثاني يا مولاي :

نبي كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلاً فعلوا

ها هنا الخطأ الاكبر . ها هنا المستنقع الذي تنتشر منه جرائم امراضنا
الاجتماعية والسياسية والدينية . وانا اذا تاملنا في تحليل البيت وتفسيره نسلم
بنصفه الذي ولا شك يدفع التورقين العمل به . اذ لا اظن اننا نستطيع نبذ
الماضي كله بمجذافه . فلا بأس ان نبي كما كانت تبني اوائلنا - ان تكون
حكوماتنا ملكية مثلاً . . . فقاطعتني عظمتة قائلاً : نحن نبي يا حضرة الاستاذ
~~ص~~ كانت تبني اوائلنا . ولكننا نفعل فوق ما فعلوا . فقلت : احسنت
يا طوبيل العمر احسنت . اعملوا البيت اذن حتى اذا قرأ كل من اشرف
بالمثل لديكم .

نبي كما كانت اوائلنا تبني ونفعل فوق ما فعلوا

نُحْتَدِم فيه شعلة الحياة الجديدة ، فيسمى وهو يحترم الاجداد في ما يؤهله
لاحترامهم . كذلك علينا ان نسمى انفوق ما قاموا به من خطاير الاعمال
ومجذافها في زمان حرم من اسباب الرقي والعمران التي يتنازعها زماننا . وحتى
يقال ان السلطان عبدالعزيز آل سعود استعاد في دوره الاول ، دور الفتوحات ،
ملك اجداده ، وعزز هذا الملك بالعدل والامن ، وبالدين الذي هو في نجد
مصدر الاثنين ، فلا يحطى . او يؤه اذا قال نبي كما كانت تبني اوائلنا .
ولكنه في تحضيره البدو ، وفي تأسيس الجديد من المدن والقرى التي تدعى

أطجّر^١ وفي استخدامه من يحسن الخدمة بها كان مذهبه ، وفي إعطاء امتياز احسا لشركة انكليزية ، وفي ارساله اولاداً من نجد الى مصر ليتلقوا فيها العلوم الحديثة ، وفي استحضاره الى الرياض السيارات وبعض الاطباء والمهندسين ، في كل هذه ما يثبت قوله انه يفعل فوق ما فعل اجداده .

ولا يبالي اذا كان المشايخ والعلماء لا يرضون دائماً عن هذه الحطة العمرانية ، اذ ليس لهم ان يعترضوه بشي . في سياسته الداخلية والخارجية التي لا تمس الدين . وهو ، وان قيل انه شديد التعصب المذهبي ، يحسن الإدارة فيتجاهل في ما لا يضرك ، ويتساهل في ما هو مفيد لبلاده . قد يفوه احد العلماء احياناً بكلمة فيها بعض ما يمكنه من الوجد والاسى فيقول مثلاً : في ايام اجدادكم يا طوليل العمر كانت الدنيا مستريحة من هذه المشاكل الجديدة كلها . فيسمع عبدالعزيز ويبسّم ثم يسبح في سبيله ليشتم مقاصده .

وقلما يكثر ما يشيعه عنه الاعداء وفيهم من الادباء من يجهاون نجد الحديث . لذلك تضاربت الآراء في كثير من الشؤون التي تتعلق به وبلاده خصوصاً في موقفه الحقيقي تجاه الوهابية وانصارها الارلين المتعصبين اي العلماء والاشيوان . فقد بددت بعض الظلمات على ما اظن في تصويري الرجل للقارى . تصويراً صادقاً حقيقياً ، رجحت الآن اشغل مصباحاً في زوايا السياسة المذهبية التي كان يخامر في منها بعض الريب .

سأنت ذات يوم احد رجال الساطان الاذكىء ان يصدقني الخبر او يحجر لي برأيه الخاص ، فقلت : لا انكر ولا ينكر احد صدق عقيدة الشيوخ

(١) الحجّر جمع هجرة . وكل مدينة او قرية جديدة في نجد بناها البدو الذين دبروا وتصوروا فهجروا اليها من الجمالة الى الدين ومن البداوة الى الحضر من هجرة . في تاريخ نجد الحديث الفصل الثامن والعشرين ص ٢٢٢ تاريخ هذه النهضة الإصلاحية الكبيرة التي قام بها السلطان عبدالعزيز .

الدينية ، فهو امام الموحدين . ولكنني حائر يا صديقي في امره والاخون .
فهو قلته يعتقد ان على الامام ان يحارب المشركين في كل مكان ، ان
يحاهدكم حتي يدنوا ؟ في نيتي ان اسأل عظته هذا السؤال . فقال صديقي :
لا تفعل . والذي اراه ان السلطان يعتقد من الواجب . لم يرضي جواب الرجل
الشبيه بفتاوى الكهان الاقدمين . فتطرق ذات ليلة الى الموضوع . وما
قلت للسلطان على ما اذكر اني في حيرة لا يزيلها سواه ، واذا سافرت من
الرياض احملها ساكتاً لا اكون راضياً عن نفسي ، وقد امي اليه فيما اكتب .
فقال عظته : اسألني كل ما تبغي وانا اجيبك عليه ، ولا اسألك اذا سافرت
من عندنا وفي نفسك حاجة نقضيها او مسألة تعجز غامضها . فقلت : هل
ترون ان من الواجب الديني محاربة المشركين حتي يدخلوا في دين التوحيد ؟

فاجاب على الفور : لا ، لا . وضرب الارض ضربتين بعصاه ثم قال :
هذا الحسا ، عندنا هناك اكثر من ثلاثين الفا من اهل الشيعة وهم يعيشون
آمنين لا يتعرض لهم احد . الا اننا نسلهم الا يكثرؤا من التظاهرات في
احتفالاتهم . . . ككن مطمئن البال يا استاذ . لسنا كما يراى بعض الناس .
فقلت اسحقوا لي بسؤال اخر . كان سؤالي الاول : هل ترون من الواجب
الديني . . وهل ترون من الواجب السياسي ان تحاربوا المشركين حتى يدينوا ؟
فاجابني قائلا : السياسة غير الدين . ولكنتا اهل نجد لا نبغي شيئا لا يحلله
الدين . فاذا حلل الدين ما نبغيه فالسياسة التي نتخذها لتحقيقه محالة . واذا
عجزت السياسة فالحرب ، وكل شئ في الحرب يجوز .

في الستة الاسابيع التي اقتضاها في الرياض كان السلطان يزورني في منزلي كل ليلة فتباحث في مواضع شتى ، نجدية وعربية وعامة ، وهو دائماً في حديثه فصيح صريح . ايت شعري اية صراحة ابره بما تقدم وما سأذكر ؟

يناقض عمله بالأمس ، وانه في السياسة غيره في الدين . فهو في حكمه البلدان التي امتلكها والمشار التي تغلب عليها يراعي شؤون اهلها الخاصة من مذهبية وقرمية . ويندر ان يؤخر فيها من هو من غير اهلها . هي السياسية الامركزية التي يؤيدها في نجد امران ، عدل السلطان في الرعية وحب الرعية للسلطان .

قبل ان اتم هذا الفصل يجب ان اطلع القارى على رأيه في الموضوع الذي يشغل افكار ملوك العرب اليوم وقلوبهم ، في الموضوع الذي شغل الصحافة العربية في كل مكان ، فكانت اخبارها واراها فيه مزيجاً من الحقيقة الناقصة والفرس الاعمى ، في الموضوع الذي شغل كذلك ساسة الانكليز وصحافتهم فساروا فيه على عادتهم سير صاحب المصلحة الذي يعد كل يوم اصحابه واعداً ، ويغير كل يوم من آرائه ما توجبه الاحوال .

كانت الوحدة العربية حديثنا في جلسات عديدة . ولكن السلطان ، عندما دنا يوم الرحيل ، افاض في الموضوع فدونت خلاصة حديثه تلك الليلة وعرضتها عليه في الليلة التالية ، فقرأها واصلح خطأي فيها ، واليكها ايها القارى في الحالين :

رأي السلطان عبدالعزیز في الوحدة العربية

من حديث له ليلة ٣ جمادي الثانية سنة ١٣٤١ في منزلي بالقصر

١ - هو ينبغي الوحدة العربية ويساعد من صمى باخلاص في تحقيقها .
فيحضر اجتماعاً يعقد لهذه الغاية ، ويقبل الزعامة والبيعة ملكاً على البلاد العربية كلها لا اعتقاده انه اهل لها ويستطيع تعزيزها .

٢ - واذا بايع العرب غيره فهو يقبل ذلك ولا يتحول عن فكرته ، بل يستمر في خدمة القضية العربية بما يستطيع .

٣- وإذا لم تتحقق الوحدة وكان الائتلاف أو حلف عربي بين أمراء العرب لتعزيز شؤونهم معنوياً وسياسياً ولضمان مصالحهم الاقتصادية المشتركة فهو ينضم إليه .

٤- وإذا لم تكن الوحدة ولا الحلف فهو على سياسته يحالف دولة تكون المصالح مشتركة بينه وبينها .

٥- وفي كل حال هو رجل سلم في بلاده لا يبغي الاعتداء على أحد ، ولكنه يأبى أن يعتدي أحد عليه .

كتب خلاصة الحديث تلك الليلة كما هو اعلاه واطلعت السلطان عليها لالتحق صحة الرواية . فقرأ ما كتب مادة مادة ثم اخذ القلم وضرب على المادة الثانية قائلاً : أنت فهمنا فيها . نحن لا نقول كلمة ينقلها عنا الأستاذ الريحاني ولا نثبت عليها . ولكن هذا لا يكون . اثار وهو يتكلم الى المادة الثانية ثم قال : نحن نعرف انفسنا ولا نقبل الرئاسة في غيرها .

أيدكر القارى . ما قاله لي الملك حسين ساعة الوداع ٩ - انا لا ايقبها - اي الزعامة - واساعد في تحقيقها - اي الوحدة - تابعاً كنت او متبوعاً . أو لا يذكرك كذلك انه رفض ان يوقع المعاهدتين بينه وبين الامام يحيى والادريسي لانهما لم يعترفا له بالزعامة العامة ، لم يتلقاه بلك العرب .

فاذا قابل القارى . بين القولين ، قول الملك وقول السلطان ، يرى الفرق بين الرجلين ، ويعجب وان كان شريعياً بصراحة ابن سعود .

الفصل الرابع عشر

الوشم

كبر مرة خذت في رحلي - الحبي والغربة - السلطان الواسي - الموت الذي يرعب
- السيد خاشع وصلح عقاله أمام المرأة - ما معنى ذلك الكويث - اكتف وصديقي
- أحب السيد خاشع حصتي في الجنة - «وقد جعلتك وارث مراكبي المضا» - لا
١٠٠ - لا في العذر - مكافؤ عبد العزيز - الثقافة تخرج من الرياض - المزرعة -
وادي حنيفة - خراب العيشة - تمدد القلبان ولا ما - اخوان سامون واستادون
سلامة - الزهر يفتون ويدهضون - احسن الرياضات الجديدة - العيسة
والعطب - الوشم - زعماء وشعرا - فحطان وتيمير - «لدي يا امين فخر جيك بنت من
بناتنا وتقيم عشدا» - غرارة الله في الوشم - قصور الوشم - «ديرة» امرى
القيس - بنت الشاعر نزيه - وادي السر .

قد غشيتي الرعب ثلاث مرات في رحلي العربية ، قد خفت ثلاث مرات
كما يخاف الناس ، ولا تفلسف ولا اعتذار . قبض الخوف على قلبي وحلقني
هنية وهنيهتين ، يوماً ويومين ، فزعزع مني الارادة والايمان ، فعرفت بمرئتي
عدو الانسان الاكبر ، وعرفت معنى السلامة والاطمئنان .

اول مرة خفت على حياتي عندما لحق بنا عساكر الخواشب واطلقوا النار
ليوقفونا من اجل الفطور . وخفت ثانية على حويثي في الاقل ، خفت ان
اعتقل في قلعة مظلمة عندما سئلت في ماوية : «أحسني انت ام حسيني ؟» وثالث
مرة بنست من رحمة الله عندما اسرني الحمى في القصر بالرياض ، فكنت اسيرها
اياماً ودرجة الحرارة تهس في اذني تلك الكلمة التي فيها خاتمة كل شيء .

نعم خفت مرة في الرياض واحسست لأول مرة في رحلي صكلها اني في
الغربة ، بعيد عن بلادي واهلي ، بعيد عن اسباب الصحة والشفاء ، وعن
الاطباء . بيد اني في تلك المحنة كنت اتعزى بما عاضني الله من صداقة رجل
نجد الاكبر سيد البلاد والمكارم كلها . فكان يعودني كل يوم ويحيي كل

سرة بشي . يخفف سورة الحمى . - هل اكلت الكنكيتا يا حديقي الاستاذ ؟
هذا شراب يبرد الدم . خذ منه . خذ منه الان ولكني في العقاقير ككاه
والمرطبات ما وجدت ما ينعشي مثل ابتسامة السلطان ومصافحته وكلماته .

قد كنت مع ذلك باقياً مكتئباً ، وخائفاً على حياتي . اقول ، يا حضرة
النجيب ، خائفاً على حياتي ، وما هي ، وحياتك ، بشي . ثين لولا ما سخر له
صاحبها كما يقول الاولياء . خفت الموت لان الموت يخيفني - اقول ذلك
اتضاعاً لا فخرأ - بل لانه يزعجني ، يقطع علي حلمي وانا في منهجة منه ،
يوقفني في نصف رحلتي . وكنت اسمع صوتاً فيه ارتعاش اذ كانت درجة
الحرارة على حدود الاربع بعد المئة ، وهي درجة يقتفر عندها الهذيان ، كنت
اسمع صوتاً يقول ويردد : الوشم ، وادي السر ، عنيزة ، بريده ، الكويت . . .
الى الكويت . هات الخريطة يا دحيم .

وكان دحيم - مختصر عبدالرحمن - وهو الساحة في سببه وعمله يروح
ويجي . في قبضه البيضاء القذرة كأنه طيف الموت بعينه . - ابشر يا استاذ
ابشر . ولكنتني ، قبل ان يجي . بالخريطة ، اكون قد سافرت على ظهر الحمى
الى الكويت عشر مرات . وكان لدي خرائط كبيرة وجدت في القصر
جسدت في نظري المسافات وضاعفت المشقات . اما رفيقي السيد هاشم فكان
قد تصلب من طول الصحبة ، او عاد الى صلابته ، فلم يعد يرثي لحالي لا
النساء حياتي وهو واقف عند النافذة والمرأة بيده يحكم وضع عقاله ، ويصف
لي مشقات الطريق الى الكويت . وكان كل مرة يرى الخريطة بيدي
يتناول تلك المرأة ليزين روحه ، فيزينها وهو يقول : لا ماء الا في الحفر ،
فيبرني الحياة كلها مغازات ، ويسمعي فوق ذلك : كلها مغازات . ألا فاستقي
سخماً وقل لي هو الغم .

الى الكويت ! ليس في الكلمتين ، اذا كنت في غير قلب البلاد العربية ،

ما يدعو الى الخوف والاضطراب ، هب انك في بيبي ومحبتك الكويت
فبالسلامة ترافقت في مركب بخاري تعددت فيه اسباب الراحة والاطمئنان .
ولو كنت في العراق وقلت : الكويت ، لك ذلك البخار ، فيجعلك
على العجلات من بغداد الى البصرة ويكلك هناك الى باخرة تريك ، وهي
تجري في شط العرب ، شيئاً من الجنة على ضفتيه ، وتترك في جون من
الخليج حفرته يد الزمان ، فاطنين اليه البحر والانسان .

ولكن تلك الكلمة : الى الكويت ، وانت في الرياض ، ورائك
الدهناء وامامك الدهناء ، والنفود ، ولست يا رجل من الدواسر او من بني
مره ، وليس لديك من السيارات والطائرات غير « البيل » - الايل - انما
هي الحنة التي تفاخرك دائماً باخوها الشقاء وابن عمها الموت . ومع ذلك فالسيد
هاشم كان يحب الى الأخت واخاها وابن عمها اكرواً للشيخ احمد آل صباح
والكويت . وامله اكثر من عشرين وفلسفتي فاستعجر قلبه .

- الشيخ احمد رجل زين ، يا استاذ ، متعلم متأهب ، سافر الى اوروبا ،
وهو يتألق بلابسه وما كاله . والكويت مدينة تنسيك الرياض . هي باريس
البلاد العربية . فيها دخان ، وفيها وسكي ، وفيها المباح من النساء ، وفيها
طبيب ومستشفى . نعم فيها طبيب ومستشفى . . . ثم يبادر الى المرأة
فيحكم وضع عقاله ويقول : لا ماء الا في الحقر .

- وقد اموت يا سيد هاشم قبل ان اصل الى الكويت .

- حياة الفلاسفة طويلة يا استاذ . وهب انك مت فقد شاهدت الرياض
والاغوان ، فيؤذن لك بالدخول الى الجنة .

- لجنة لكم لا لي . . . هات الخريطة يا دحيم . . . واعطني الماء .
سأشرب ما يكفيني الى الكويت .

السيد هاشم بعد ان عدل عقاله ووضع المرأة تحت المسند :

- هلا تعتقد بالجنة يا استاذ ؟
- لا اعتقد لا بها ولا بك .
- ولكن الجنة كائنة بشهادة النبي والكتاب الكريم
- جنة البقة كما قال القرآني . هي لك بخشيش مني .
- انت قرح .
- انا أبعد .
- اتبني حصتك فيها .
- وهتكها كلها .
- او تكتب لي نعيمة بذلك ؟
- يا دحيم هات الورق والجر .

فبادر اليّ بها السيد هاشم فكتبت ما يلي : على فرض ان الجنة موجودة فاني اهب السيد هاشم ابن السيد احمد الكويتي الذي الشافعي الرفاعي عصي فيها . ووقمت الصلح ودفنته اليه ، فأعاده قائلاً : يا الله يا استاذ امضه بالانكليزية ايضاً . فقلت ، وقد دونت اسمي باللغتين : أتظن ان لوضران . مستشاراً انكليزياً ان ان الانكليز اصحاب الانتداب في الجنة ؟ وقال : الله اعلم . وعاد الى المرأة بعد ذلك عقاله . كنت قد ادركت ما للمرأة من الاهمية في حياة صديقي فقلت والموت يداعيني : وقد جعلتك وارث مرآتي ايضاً . فسّر بالهيتين ونادى :

يا دحيم هات اقنونة .

يا دحيم هات الخريطة . هذه هي الرياض وهذا الوشم - مئة ميل - وهالك وادي السر فشقرا فغنيته فبريده - مئة وخمسون ميلاً - ومن يريده الى الحفر - مئة وخمسون ميلاً .

السيد هاشم : لا ماء الا في الحفر .

— توكلنا على الله . ومن الحفر الى الكويت مثلها — الجولة خمسة وخمسون ميلاً ، مسيرة عشرين ساعة في السيارة وعشر ساعات في الطائرة طيار « المون »^(١) ولكننا في بلاد لا يزيد ان نطير فيها ولا فوقها . فقد طابت لنا حتى في مفازاتها ، واحببنا اهلها واحببنا بماريتهم ، فوددنا السير فيها على طريقة دحج كالسحفاة لتزداد بهم وبها علماً وتزداد حياً .

قال لي احد الموظفين الانكليز عندما كنا في المقيم : احسنت في سفرك من هنا فستعود تدريجياً على ركوب الدلول فتصل الى القصيم وقد تصلبت فقرى . اذ ذاك على السفر من القصيم الى الكويت .

انها والحق يقال اوعر الطرق في نجد . ومعا صحتني من مكارم عظمة السلطان عبدالعزيز من اسباب الراحة والامن وخفض العيش فقد كانت هذه الراحة على اشد الرحلات مشقة وتعباً وهماً . خرجنا من الرياض اثني عشر ركباً وفيها ارفقي والحارس والخدام والطاهي والقهوجي وراعي البعيرين ، وهو يسوق قدامه عطية من النعم الازيح ، ومعنا في الحلة الحيام ، وفي مواضع المؤونة حتى الغسل من عير والبسكوت من لندن .

على انه كان معنا ضيف ثقيل خبيث ما رآه احد من الربع ولا علم به امير الحلة هذلول — هذلول الذي كان يرى ما ورامه كأنه امامه فلا يخفى عليه شي . يختص بالحلة او بمن جهزت من اجله ، لم يره ذلك الضيف الثقيل ولا علم به . فقد رافقنا من الرياض رديفاً ، رديفي انا بل رديفي الاول ، شيخ الحلى او كان يشهر حرباً علي من حين الى حين ليثبت وجوده وينفي وجودي فيحصل علي بالنار قاحل عليه بالكينا . دامت الحرب شهراً ويؤبد ، انتهاء الرحلة كلها ، دون ان يفوز احد منا . فكان يتبع كل وقعة هدنة ،

(١) يقول اهل نجد في السير البطيء « سير المون » .

وكل هدنة صلح كاذب . حتى اننا يئسنا من الصلح ففضلنا الحرب عليه . ولم يكتب لي النصر المبين الا بعد وصولي الى الفريكة واستنجادي بهواء لبنان . اين نحن الان من لبنان . اننا لا تزال ايها القاريء العزيز تحت مياه العارض وفي ظلال بساطين الرياض التي تمتد جنوباً الى المنفوحة بلد الاشئ احد رجال المعلقات . صعدنا قليلاً في جبل طويق ، وعاصمة نجد التي هي عند سفح الجبل ورامنا والمنفوحة دونها . ثم اطلقنا ، بعد سير ثلاث ساعات شمالاً ، على برج مهدوم اشار اليه هذلول قائلاً : هناك نصب ابراهيم المصري مدافعه واطلقها على الدرعية .

وبينا كان يقص علينا قصة تلك الحرب بدت بعد نصف ساعة الاطلال تحتنا غرباً بجنوب ، وقبلاتها شرقاً بشمال بساطين من النخيل والازل اغتبات فيها القرية التي هي اليوم الدرعية الجديدة . تولنا في شعب من وادي حنيقة الذي يفضي الى اليمامة ، وسرنا بين الدرعتين قليلاً ، ثم انحنأ في عقيق السيل بين ظني الاطلال والنخيل . وبعد ان امر هذلول بنصب الخيام واعداد العشاء ، ارسل الى امير البلدة رسولاً يطلب الحطب للنار والعلف للركائب ، ثم مشى يرافقتي الى عاصمة الزهادية التي دمرتها مدافع المصريين منذ مئة سنة ونيف .

صعدنا الى الجانب الغربي من السيل القائمة على حاشيته بقايا قصور آل سعود ، فاذا نحن في اسواق مدينة كبيرة كانت تكسrf شمالاً على جبل طويق وجنوباً على اليمامة التي هي اليوم بقعة صغيرة في مقاطعة الحرج ، فشدنا بين جدران تداعت ، وفي ساحات لم يبق من عمرانها غير الرسوم العافية ، ووقفنا على جسر متهدمة بين القصور ، وتولنا في درجات مهتمة الى ابار ردمها الزمان .

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حاناتها زجل

كانت الدرعية منذ مئة سنة اكبر مدينة في البلاد العربية ومحط رجال

العرب من الاقطار كلها . سرنا في اليوم الثاني ساعة في وادي حنيفة ونحن لا نزال في ضلال طاولنا الدوارس فلا نجد اذا كانت في ايام مجدها ، في عهد عبد العزيز الاول وسعود الاكبر ، قطب البلاد العربية بعد الحرمين ، يومها العرب من كل قطر قصي للاستنجاد بامرائها واللاجار . من عمان ومسقط وحضرموت كانوا يجيئون الى الدرعية ، ومن العراق والكويت والبحرين ، ومن اليمن وعسير والحجاز .

هذه هي عاصمة نجد في وادي حنيفة وقد دمرها العدو الاجنبي . وهذه هي جيلة قريبة منها وقد جعلها آل سعود في حروبهم الاهلية مثل الدرعية . وما نحن في « بلد الشيخ » على مسيرة نصف ساعة من جيلة . هي « بلد الشيخ » ، مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب ، الميمنة المشهورة ، وقد اخفى عليها الذي اخفى على اليد . كانت طريقنا بين خرائبها ورسومها ، فسرنا ساعة فيها ، فادهشنا عدد القلبان^(١) التي كنا نراها الى اليمين والى اليسار ، وهي حيفة ومحكمة البناء ، وكلها ، يا من اخفى على اليد ، جافة مردومة .

كانت الميمنة قائمة في وسط سهل فسيح ، سطحه يابس جاف ، غير ان تحته ولا شك مجاري من المياه كثيرة . فامعنى القلبان المتعددة لولا ذلك ؟ اما اليوم فلا ماء في الميمنة ، لا في عيونها ولا في قلبها . هجرتها السواقي الخفية ، فهجرتها الانس ، فنبئت البق^(٢) في دورها ، والجرمل^(٣) في حياها . ذلك تحتها ضلع من الارض ، فتجرات المياه عن مجاريها ، فنضبت القلبان ، ودكت فوقها المنازل والقصور . ولو ان في جوارها اليوم بعض الماء تقامت عندها عينة جديدة مثل الدرعية الجديدة . قد شأهدت في نجد غيرها من

(١) قلبان جمع قليب تلفظ في نجد جليب اي بئر ماء وصاقية .

(٢) بق الحجر نبات يملأ الصخور شبه الملحاح .

(٣) الجرمل نبات مثل الطيون لا تأكله الواشي . قبل ان حبه يخرج البانم والبرودا اذوالاً ويصني الدم .

البلدان التي هجرت أو نُقلت لتحويل مجاري المياه تحتها .

كانت العينة من مدن نجد العامرة يوم قرَّ هارباً منها محمد بن عبد الوهاب رجلاً إلى الأمير سعود بن مقرن في الدرعية . بل كان هذا الوادي وادي حنيفة عامراً في أيام الصحابة بالبلدان والقرى التي كان يتصل بعضها ببعض من الدرعية إلى العينة . أما اليوم فقبور الصحابة فيه و « ديرة » مُسَلَّمة ، ومسقط رأس الشيخ ابن عبد الوهاب هي كلها مثل القلبان تحت الأرض واحدة في الحراب والمجمران . بل قد هجر وادي حنيفة حتى الاطيار والازهار ، ولم يبق من الشجر غير الشوكي كالطلاح والسلام . كأنما غاب الزمان في كبد العمران أو اكاليل من الشوك للخلول الدوارس .

ومثل الطلح والسلام في الاخرية هولاء الاخوان في الدين . هلك ثلاثة ذاهبين إلى الرياض « ليقرأوا » - ليتعلموا القرآن والحديث . سلموا علينا فرددنا السلام . وراح هذلول يحدتهم ليستطلع « علومهم » - اخبارهم . ثم صمنا واحداً منهم يقول : ردوا لنا سلامنا . وصمنا هذلولاً وقد ادبر يذلوله يصيح : سلامكم رداكم . ثم اشعل السبيل فسأله الخبير فقال وهو يضحك ويدخن : بدو جهال . سلموا علينا ثم ندعوا على السلام . سأؤني عنك فقلت : سوري جا . يتاجر بالبل ، فا صدقوا ، وقال اجدهم : هو انك كلذي كافر . ردوا لنا سلامنا . فرددتهم وسلامهم إلى الجحيم .

فضحك المجاني بذأح ضحكته العريضة الغضاضة ، وراح يدرهم ويغني :
يا رأتب التي هجيتا زين « يا راكب الناقة التي درعها اي عدوها حسن »
ما ضيقت صدر راعيها « ما ضيقت صدر صاحباها »
اسرع من رماشتك بالعين « رش العين »
ورماشة العين تلهيها « اي التنز بالعين »
ممشي العشر تأخذ به يرمين

تجيك ما ملّ راعيها .

وكأنه كان يتنقّب بديح كل ذلول من ركائبة الاغارة سوداء شعراء
حرون ، صميتها الحفزيون ، كانت قلبي السير الاغارة ، فيضطر راعيها سالم
القهورجي ان يتخلف عن الربيع من حين الى حين ، ثم يطلق لها العنان فتجني .
كأنها « سامود صخر حطه السيل من علر » وهي تهدر كالرعد والبحر الهائج
معاً ، والمعاميل - مواعين القهرة - المعلقة بالرحل تصفق لها استحساناً . ولم
تسكد تلحق بنا حتى تسري منها الى ركائبة الكهرياء ، فتترق حبل ذلول
لمباراتها ، فيبادر الركاب الى الارسنة وقد كانت على القنارب ملقاة ، والى
الحفيران يبرلون بها فوق الزقاب ، وينادي هذلول بذخاً وبذخ يحبس هذلولاً ،
حي هلا ، حي هلا ، اجاب الحفزيون ، شنها سالم الحفزيون .

اسرع من رماشتك بالعين ورماشة العين تلهيها .

كنت في بداية امري بالفارات احس ان شيئاً في صدري يذوب فيحدث
غراماً يصعب غلظه النفس . وكنت اقصور الرجل يملو ويهبط كأنه موجة
تحتي الموجة ، بييد الي بالملمسة ملكت النفس والعنان ، وصبرت لهول الحفيران
كأنني من الدواسر او المعجبان . حتى اذا ما دنت مني الحفزيون كنت اسرع
الربيع الى النضوة والاعتزاز - خيال التوحيد اخو من طاع الله - وقرينهم
في الفارات .

ان تي ركوب المعجين خير الرياضات الجسدية . وهو يذل ولا يتعب اذا
بدل الراكب السير هوذا بالدرهم ، والدرهم بالفارة من حين الى حين . اي
اذا سار بشي المون عشر دقائق متلاً ، ثم مثلاً درهماً ، ثم بضع دقائق
اغارة ، وكذلك في المسير كله ، فلا هو يتعب ولا تنب الذلول . بل في هذا
السير الخطاط صحة الراكب والركوب وسرور الاتنين معاً . فالذي يشفق
على هجينه لا يسير شيئاً دائماً . ولم يكن هذلول يصبح باكثر من ساعة من

بسطه السيد فيقول اذ ذاك : هروا الركائب ، فنشأ فندرمهم جميعاً .

قد يخفى على القارىء المتشدن من لا يعرف من اخبار الابل - الابل - غير « سائق الاظمان يطوي البيد طي » وغيرها في الدراوين ما في الصلابة « هروا الركائب » من الحقيقة ، وما في العمل بها من الرحمة بالحيوان . ليعلم اذن ان السنام البعير هو من اعضائه الطرية الحساسة وان قل عندها ، بل هو اطرى ما فيه منها . وان الكور في شكله يحوق بالسنام ولا يضغط عليه فيبدو السنام منه للهواء كأنه قبة من الشمع في اطار من خشب ، فيستأنس البعير بذلك . وليعلم القارىء كذلك ان الحمل المحمل ، هاتقل حمله هو اوفر حظاً من الذلول لان الحمل يضغط على جذبيه وظاهره اكثر من ضغطه على السنام . اما الذلول فحماها ^(١) الاول الصكور - ثم القرش - وسادة وسجادة وخرج وجلد غم - فوق السنام يمنع عنه الهواء ، ثم الركاب وهو على السنام يضغط عليه فيزيد بصكرة صاحبه ، ولا سيما اذا سار الهون فلا يتحرك الا ترجعاً اي حركة افقية ، فتزداد بالفرك الحرارة ، ويمسي السنام كقطعة لحم مشوية . اما اذا درهم فتغير الحركية ، تصير عمودية ، فيدخل ، واثت تنفض في الرجل ، شي . من الهواء الى السنام فتنتعش الذلول المسكينة .

وحبذا اعتناء اهل نجد بالاشجار اعتناءهم بالابل . مودنا في وادي حنيفة ببيعة تدمي الحبيبة فيها غاب من الطابع والسلم هو اول ما شاهدت في نجد . ولكن الاشجار متفرقة منكسرة ، قليلة الاخضرار ، ضئيلة الظل ، تسطر على اصرفها وجديدها الانعام ، ويقتل بقرونها فأس اسطاب . في الحبيبة تحتطب الرياض . ولكن اهل العاصمة في غفلة عما يحذنه جهل الرعاة وجهل الخطابين . فهو لاء يقتلون الشجرة وارثك يجهرزون عليها ، ولا احد يشكو

(١) كنت في حاشية سابقة ان الذلول غافة تذلل للركوب ويندر جداً ان تكون من غير الزايق اي من المذكور .

ويقوم . ما رأيت ولا سمعت ان احداً اهتم لغرس الحديد من الطلح والسلم .
ولا ير والحال هذه عقدان من الزمن حتى يضطر اهل الرياض ان يشدوا
الخطب كما ينشد الرعاة في سنة الجذب الحيا - المرعى - في الاراضي القصية .
وقد لا يجدونه .

بعد خروجنا من الحليسة نطل على اول بلد في الوشم ، ذلك القاع
الصقاني بين وادي حنيفة ووادي السر ، الذي يمتد غرباً من سفح جبل
طريق . ان الوشم مشهور بقصوره ومزارعه وقريته وتقاليده . هذه النجدة
كانها في قصرها وتحملها واقفة عند الباب ويدها المفتاح الى وادي حنيفة في
تلك الناحية . هي قرية لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة نفس اكثرهم من
عرب مطير وفيهم مثنان من الاخوان المجاهدين .

اما ثمدا بعدها ، ثمدا الكثيرة الهلجان ، فان الماء المالح والماء القراح
يخرجان فيها جنباً الى جنب تحت النخيل . سكانها من بني تميم واميرها
العنقري الذي اضافنا وحدتنا عن العصامي والعظامي من الرجال هو من بني سعد
وعم اطيح جدوع تيم في الزمان الاول . قال لي هذا العنقري التميمي
العصامي واكد قوله ان عندهم في ثمدا ثلاثة قلوب وثلاثة الاف مجاهد .
ولكن امير شقرا الذي قرأ بعدئذ المديون في مذكراتي اسقط صغراً واحداً
من كليهما .

- هذا الصحيح . ثلاثون جليب ثلاثة مجاهد . او لم يملكك بطباخ
نساء ثمدا ؟ هن يكرهن الإقامة فيها . رجال ثمدا لا يعدلون في النساء .
لا يستطيعون . لذلك ترى نساءهم ، والحيل على الغارب ، في كل مكان .
لم اتسكن من الرجوع الى ثمدا لاصح ما يقولون هناك عن نساء شقرا .
واتسكن الامير القحطاني اكد لي ان نساء بدغم مقصودات الطرف لا يدخلن
خارج السور بديلاً . ثم قال : اذا هئنت يا امين فعرسك بينت من بنات

نقيم عندنا وتتحقق قولنا . ونعطيك مع البنية بيتاً وذولاً ، ونعطيك الفرو
وضرب السيف .

ان شقرا لأجل بلدان الوشم واكهرها . نخيلها ، مثل نساها ، داخل
السور يذبح البيوت ويحجبها بعضها عن بعض . عدد سكانها خمسة الاف وهم
عن بني زيد وبني خالد وفيهم قليل من قم . اما الاعاليه فهي لبني زيد وهم
كما يدعون من قحطان . وبني خالد من عتري فعدنان . على ان الجميع في شقرا
متآمرين متحابون . ومع ان الناس في نجد يستخرون بالقحطاني ويتوسلون
عليه ، فيموت بالبطن ، فقد وجدته في شقرا مثله في السن عربياً صكياً .
لست انسى الامير ووكيل المال والشاعر فيها . ولا انسى ضيافة حالت دونها
ودوني الحمى . وهم على كرمهم ودمائة اخلاقهم متضنون . ينحرون لك ،
ويجدون سحاطاً مكسباً ، ثم يقولون : ما عندنا في نجد غير فاكهتين الماء البارد
في القيط والذار في الشتاء .

ان شقرا مشهورة كذلك بانها ، ذلك الماء الذي ادهش البدوي عندما
شرب منه لأول مرة ، فصاح قائلاً : اقبح يا مطر . وعندما داخل السور ثمانون
قليلاً والاف من الاخوان المجاهدين يحرقون في ايام السلم الارض ويتعاطلون
التجارة . اما عمال ابن سعود فليس فيهم من لم يخرج ولو يوماً واحداً الى
الجهاد ، فادى شهادة النوحيد وحمل على المشركين . وانه ليدعشك ما يقوم
به العامل الواحد من الاعمال . فلا دوائر هناك ولا كتاب ، ولا كراسي
تجلس فيها الالقاء ، وتأخذ من مال الامة بلا حساب .

كننا في شقرا ضيوف وكيل المال محمد السباعي ، وهو رجل صغير نحيل
سليل ، يحمل في جيبه مفتاحاً من الخشب يفتح عشرين باباً في داره ، ويتولى
الحياكة في الوشم كله ، ان بيت السباعي مفتوح وان ناره مشبوبة على الدوام .
السباعي حية غافه كما يقولون هناك . اي انه ذو يسر وفضل وحية . ومع

ذلك فهو لا يوكل أحداً بعمل يستطيع أن يعمله بنفسه . - نباشر امرنا
بيدنا . الكاتب متيسر ولكن ما كل واحد نأمنه على الاسرار ، فنصم
على المشقة ولا نشكو غير ضعف في البدن . لو كان لنا ما للبدو من الصحة
والعافية . ثم طفت يشكو البدن . - ثم على صحتهم ككالي ، خاماون ،
ويحب علينا مع ذلك ان نلاطفهم عندما يدخلون علينا . ونحاملهم « ونحبهم »
- نقبلهم - بين عيونهم ونحمل لهم الاكل بيدنا . والا راحوا يسبونا
ويقولون اننا كفار . . . البدوي اذا شاف الخير تدلى ، واذا شاف الشر
تعلى . ثم انشد يقول :

من لا يحبها والديار خيفة (في خطر)

لا مرجأ به والبلاد عوافي (في عافية)

شكرت الحمى بعدد واشكرها الان على يومين في بيت السبامي
تداويت فيها بطيئتين لبنة وحديثه .

ذكرت ما في ثمرنا وشقرا من تعدد القلبان بما يدل على غزارة الماء في
الوشم . فان مياه جبل طويق تصب غروباً بجنوب تحت هذا القاع ، فتصل الى
الخرج والافلاج ، فتسكون هناك بجيوب شتى ، كما تصب شرقاً بجنوب
تحت الدهناء والحصان فتظهر في الاسماء . والشاهد على غزارة الماء في الوشم
تعدد القلبان في القرى وخارجها في القصور . قد اشترت فيا سبتى الى القصور
في نجد بازيد القاري . علماً بها ، او بالحري بتلك التي في الهد مثل قصور الوشم .
فالقدر هناك سور مربع في كل زاوية منه مقبول او برج ، وداخله بيوت للسكن
واللانداء ، وقليب ومقهاية ومسجد . هو اذن جامع بين القاعة والمزرعة
فيستخدم في ايام الحرب للدفاع . وهذه القصور بعيدة بعضها عن بعض ،
حول كل قصر منطقة خضراء مزروعة ، وبين كل منطقة واختها فقر قاحل
كالكاهان .

فإن عاد قم ورائل وقحطان اليوم إلى تاريخ أجدادهم في الأندلس مثلاً
 علموا بأن كان لهم على الأرض من الأيادي البيضاء ، لمعوا بما كان أولئك
 الأجداد يبنون من السدود والقني الري ، فسادون بين كل بقعة صالحة
 للزراع ويستثمرونها كلها . إلى على يقين من أن الأبار الأوتوازية في الوشم ،
 وبناء السدود والقني ، واستخدام الآلات البخارية الرقع والدفع فمكن أهله
 من ذرع كل باع فيه ، فتزداد غلاله ثمرة أضاعف . وما يصح في الوشم يصح
 في القصيم .

دع عنك ذكر الزراعة الآن . فها نحن في الطريق التي اسلمت قديماً تعال
 الشعراء ، في « الديرة » التي زانها يوماً من قال : قفا نبيك من ذكرى حبيب
 وموئل . است ادري إذا كان سبط اللوى هاهنا أو في ذا الجوار ، وإذا
 كانت حومل والدخول بين ثرمداء والنفود . ولكن هذلولاً وهو شاعر يقول
 أن إلى يسارنا على مسبعة نصف ساعة بلدة تدعى أثاثية هي مسقط رأس
 الشاعر جبري ، وإن بين ثرمداء وأثاثية مرأت بلد امرئ القيس .

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

ولكن الوشم اليوم أصيب بآفة كما أصيب بارضة . فإله من مجد عفت
 رسمه ، ومن بلد عفت علومه ، فصار حتى الدوسري يذري ابن الوشم ،
 والسديري يسخر بقراشه أي حماريه .

لا تحسبني من قواريش الوشم من ثرمداء والمشيقر والآثرات

إن أقدم بآذان الوشم هذين البلدين ثرمداء والمشيقر ، وإن اكبرها شقرا
 الكائنة في الطرف الشمالي ، وليس بينها وبين الطرف الجنوبي من القصيم غير
 وادي السر . على أن هناك بين الوشم والوادي ، النفود^(١) التي قطعناها بثلاثي

(١) النفود جمع نمد وهي مشتقة من نقد نقاداً أي ذهب وقتي ومهلك .

ساعات . وبكلمة اصح ان هناك نفدين اثنين ، الصغير الذي يدعى البيرة
وهو مسير ساعتين ، والكبير الذي يدعى اقزم وهو مسير ست ساعات .
وان بين النفدين حاجزاً من الارض الحصوبة المنحدبة التي تُستقرب جداً في
شكلها ومكانها ، هي دائرة بيضاء . بين تلك الكتب الذهبية ، وفي احد
اطراف الدائرة حجارة بركانية سوداء منها متبعثرة ومنها مرصوفة بعضها فوق
بعض . اعجب بها من ارض ييهجك تكوينها الرملي ، ويدعشك ظاهرها
البركاني . بعد ان نصلد خمسة قدم في النفد الكبير ، ونزل مثلها ، نُسرف
على وادي السر ، فنجرز العيون هناك ، ونسير في الوادي الى المذنب اول
بلدان القصم .

الفصل الخامس عشر

القصص

الهواء - والاخلاق - القاء في العوشية - نهر متجمد من الملح - اهل العوشية
 هذه الارض - الاشرف على عيشة - باريس نجد - سحر النفود والنفيل -
 خطر النفود - سوق عيشة - امر عيشة القديمة - اكرامهم للغريب - القهوة
 والشاي والطيب - قاعة الاستقبال - النقش على الجدران - حنينة عربية - آل
 سليم - آل يسار - القسائل في عيشة - لو جاءها « خليل النصارى » اليوم
 لاخره اهلها - وادي الرمة - الفرق بين عيشة وبريدة وبين اهل المدينتين -
 القصر في برودة - سريالين سوليان وشيل الامير - التهذيب العربي في اهل
 مقامه .

القصص يعاود زهاء الف قدم عن العارض ويعد مشي ميل عن القار في
 الدين ، فيتغير الهواء والنبات ، وتتغير كذلك اخلاق الناس . سرنا في وادي
 السر الى جانب النفود وهي الى عيننا قافلة من الكشب تدنو وتبعد عنا ،
 فيتقاص ظلها ويمتد ، ثم يختفي معها فلا نرى معها اذ ذاك غيغ الاسنة
 والوذوس الذهبية . وبعد مسير عشر ساعات في وادي يكثُر طلحه وشبانه
 اشرفنا على العوشية وعلى ما يشبه النهر شرقاً منها . فأتت هذلولاً :
 « سراب هذا ؟ فقال هذلول : هذا القاع . وسألت سالماً فاجاب : القاع .
 وسألت بداحاً فقال : هو القاع بعينه .

وما هو القاع ؟ في اليسن يطلقون الاسم على السهل فيقولون قاع يريم
 مثلاً وقاع الحقل ، فيكون القاع اذ ذاك اما اخضر واما اسود او احمر اذا
 لم يكن مزروعاً . بيد ان هذا القاع ابيض كالثلج ولم يتغير في قربنا منه ،
 ولا بدا على وجهه توج يدل على الماء . فعندما وصلنا الى العوشية بعد الظهر
 تركنا الخدم ينصبون الحيام ويعدون الطعام وسددنا خطواتنا انا ورفقي الى
 القاع شرقاً من القرية . فاجتزأ بستاناً من النخيل ، وغبطة من الطرفاء ،

وادعألاً من نبات طويل لرج يدعى الهرطليل ، فاذا نحن بعد ذلك في أرض
سبخة موحلة واذا بالنهر او القاع قيد بضعة انواع منا . أنهر في نجد ؟ اي
نعم . نهر من الملح المتجدد ، من فصقات السوداء ، عرضه نصف ميل ، وطوله
من الحصة الى السبعة اميال ، ووجهه كوجه الماء وقد عقده القر جليداً .

خضت الى الارض الموحلة الى الصفعة البيضاء . فالقيناها جامدة مصقولة
كالجليد ، وصلبة كالجلود ، وثائفة كالرمل ، ولا باردة هي ولا حارة .
جلست هناك وتربرت وشكرت الله على ذا المظهر الغريب العجيب في
السكائنات . هوذا نهر مازة جامد جاف ، وهي ذي بحيرة حار جليدها .
سألت رفاقي ان يجلسوا فترددوا خائفين . هي اول مرة جاؤا الى القاع
وتجربوا حقيقة . دقوا ما تحت ارجلهم بنحش البنادق ليتحققوا صلابته
وجلسوا وهم يضحكون ، ثم قال بداح : والله يا هذلول بلاد نجد عجيبه .
فاجابه هذلول : واعجب منها يا بداح نحن الذين لا نعرف ما فيها .

قطعتنا صفيحة من هذا الملح فاذا بمسكها اربع اصابع ويتناله شي . من
القراب والقش . اما اذا دنوت من وسط القاع فيزداد السمك ويصفر الملح
فيقل فيه الغراب . على العالم نر في اسواق عنيزة وبريدة ملحاً نظيفاً . فهم
يجلبونه من هذا المكان ويبيعونه صفائح كبيرة وصغيرة كما يقطعونها .

العشيرة قرية صغيرة حقيرة فقيرة لان تربتها اسحب هذا القاع جنبها سبخة
لا يصلح زرع او غرس فيها . ولكن اهلها ملتح الملح الارض . جاؤا وجبههم
يدعونا للقهوة - تفضلوا نقهرو بكم - فقلنا شاكرين ، وكانت اول ضيافة
من مثالي في القصص . جلسنا حول الموقد على الوسائد ووب البيت يجذبنا بلنا
هو يعمل القهوة . ثم اشعل السبيل ودخن وقدمه لهذلول فاداره على الريح .
ثم جأنا مخبيص يدعونه عبيطاً يعاونونه من التمر والسن استبذذته واستعدته .
فضحكك العوشري الكريم واتنى على حوريتي قائلاً : كأنكم من القصص .

جاء هذا العربي الفاضل في المساء برد الزيارة ويشرب القهوة فازدحت اعجاباً به وبكرم اخلاقه اذ قدم للربيع شيئاً من التبغ واعتذر قائلًا : لولا قلته والله زودناكم منه .

وكانت ضيافة العرشي فاتحة الضيافات في الايام التالية بمنزلة مليكة القصم . عنيزة حصن الحرية ومحط رحال أبناء الامصار . عنيزة قطب الذوق والادب ، باريس نجد ، وهي اجمل من باريس اذا اشرفت عليها من الصفا^(١) لان ليس في باريس تحيل وليس لباريس منطقة من ذهب النفود . بل هي اجمل من باريس حين اشرافك عليها لانها صغيرة وديعة تحلاة بالوانها ، كأنها صورة صورها مازنه^(٢) قصة من قصص الف ليلة وليلة ، وكأنها لؤلؤة في صحن من الذهب مطوق بالازورد . بل قل انها البسكينة مجسدة وقد بنت لها معبدًا بين النخيل ، زائنه بافريز من ذهب الرمال ، وكتلاته باكيليل من الائل . فهي في بحوف من الارض يحيط بها غاب من هذه الاشجار ايرد عنها رمال النفود التي تهددها من الجهات الثلاث ، من الشمال والغرب والجنوب . قلت مرة لاهليها : انتم والنفود قوم^(٣) فاعجبوا بالكلمة وتناقضوها . انها الحقيقة ولا مبالغة . فالنفود نجاريهم بالرمال تدفعها الرياح من كل جانب فتسفيها على المدينة ، وهم يحاربونها بالائل يزرعون غياضاً فوق الكثيب خارج السور .

قد تصغر عنيزة دون اهلها ، وهم زهاء ثلاثين ألفاً ، لان النفود تقيدها فلا تستطيع التيسر والامتداد . فهي لذلك مزدحمة بالسكان واكثر اسواقها كالسرايب لانهم يبنون فوقها الجسور وفوق الجسور البيوت . ولكن هناك سوقاً للتجارة كبيرة منيرة تدهشك بما فيها من الاشكال والوان . فتذكر كراميركا وبلاد الانكليز ، وتنقلك الى الهند واليابان ،

(١) الصفا مثل الصان ارض حصوية مبدية شرقي عنيزة وتطلوها نحو مئتي قدم .

(٢) كنود مانه Claude Monet المصور الافراسي الشهير .

(٣) قوم اي اعداء في اصطلاح العرب .

وتسمك اللغات الانكليزية والافرنسية والهندستانية ، ولهجات من العربية متعددة .

وفي عنيزة أسر قديمة عريقة بالنسب والفضل^(١) قد ساح اباؤها في البلدان القصية والامصار شرقاً وغرباً فزادتهم السياحة ادباً واتضاعاً ، فرفهوا الضيافة الى مقام تنضج عنده ابواب البيوت والقلوب معاً . اجل ، ان القريب لينسى في هذه المدينة كونه غريباً ، فسواء اكان مسلماً ام كافراً ، موحداً ام مشركاً ، فهو يشعر هاهنا انه بين الناس القوا مثله والقوا فوق ذلك اکرام الاضياف ايا كان . فيستأنس ايا استئناس ويلبي دعواتهم مسروراً شاكراً .

— تفضل نقهويك . هي دعوة شبيهة بدعوة الانكليز للشاي . وفي الضيافتين شي . غير القهوة وغير الشاي جميل ، فيها ميل الى الحديث والتعارف ، ورغبة في الالفة والاولا . على ان ضيافة العربي العنيزة تمتاز عن ضيافة الانكليزي في ان رب البيت يخدمك بنفسه من حين الاستقبال الى حين الوداع . وما اجل ذلك الكرم وتلك الوداعة لاسيما ان الفضيلتين نشأتا في غرة نفس لا تحتاج الى الالفة لتؤيدها .

ان قاعة الاستقبال عندكم تدعى القهوة . وهي مائة طويلة فسيحة عالية ، سقفها ، وقد سقف بنشب الاتي ، قائم على اعمدة من الحجر مصطبة بالجلس ، لها نوافذ مزدوجة ، النافذة فوق الاخرى ، العالية لندخان يخرج منها والواظنة للهواء . وعلى جدرانها رسوم هندسية نقشت بالجلس فوق ارضية من الطين ، فتدوي لونها الابيض والجنطي كأنها خرج افندي على قميص عربية . وفي الصدر مجوف مستطيل لا يزيد اذا كهر على الثلاثة الاذرع هو الموقد ، يكس منه رب البيت ويكس الى جنبه ابنه او اخوه او احد من اهله ، فينشئ . او احد يعمل القهوة والاخر يلدق البن في جرن من الحجر كبير شبيه بجرن

(١) مال آل سليم وآل سام وآل ذكير وآل حماس وآل قاضي .

الكبة في لبنان ، الا ان قطر ثقبه لا يزيد كثيراً عن قطر الماوان . وعند رأس الموقد خزانتان واحدة للحطب واخرى للمواين هما قيد يد الجالس هناك ، فلا يضطر ان يقف ليتناول شيئاً منها . واهم من كل ما ذكر الابريق ، وهي محور الدعوة وركن الضيافة المادي ، اباريق النحاس الوهاجة كأنها وصلت تلك الساعة من المعيل في دمشق ، وقد صفت امام المضيف صفاً متناسقاً من الاول الصغير الذي يكفي ضيفين الى العاشر الذي يسقي مئة ضيف ويزيد . هذه هي القهوة عندهم وهي في شكلها ورسومها ، ولوني جذرائها ، وسقفها العالي ، ونورها اللطيف الذي قلما يازجه نور الشمس ، تعيد الى ذهنك صورة معبد من معابد الاقدمين فتجدنك بحلال العتيق والقدم .

قال هنري دوطلي في كلامه عن عبدالله السام : « وكان لجرنه صوت شجي كأنه جرس الضيافة يدعو الناس للقهوة » . الا انهم لا يقفون في الضيافة عندها ، فهم يقدمون بعدها ، في كؤوس من الزجاج ، شيئاً من الشاي جزواه الاكبران الحليب والسكر . في بعض الاقطار العربية يسمى هذا الشاي القهوة الطارة ويقدم للضيف دائماً بعد القهوة المرة . وهم في الضيافة لا يسرعون ولا يلهون ، الهم اذا كانت الدعوة للقهوة فقط . اما اذا دعيت للغداء او العشاء فبعد الاكل الاية : واذا طمتم فانتشروا . ولا استثناء . لذلك كنت افضل الدعوات للقهوة رغبة في الحديث ، وما اكثر الفوائد والدهشات فيه خصوصاً اذا كان مضيفك بساماً او سالياً .

هذا سيدي عبدالعزيز بن عبدالله آل سليم وقد اضافنا مرات عديدة بين الصالحين وبعدها اصيلاً ومساءً ، لا لاسمعنا حديثه ، وما احلاه ، بل ليسمع حديثنا . وكنت من باب حب الذات والاستفادة اباريه في السؤالات ، فننقل من الجغرافية الى الزراعة ، ومن أمريكية ، كما كان يلفظها ، الى بلاد طي ، ومن الاطباء الى الشعراء . كان يسكن ، عفاة الله ، من ذكر الاطباء ،

خصوصاً «طبيب السنون» ، ويشكو خلو عنيقة منهم . — قيل لنا يا أفندي ان امير اهلواء الاسنان هم في امريكه . أصبح هذا ؟ قد نساقر الى امريكه فنشاهد بناياتها العالية ونصلح اسناننا .

وهذا عبدالله بن خالد آل سليم امير عنيقة وقد ازلنا في القصر الجديد الذي شيد حديثاً لعظمة السلطان عبدالعزيز ، ومد لنا في بيته سجاطاً ازدحت فيه الالوان ، واتارته من شيم الاماجد البشاشة والوقار . ثم ادهشنا صباح يوم السفر باكلة جمعت بين الحبيص^(١) والعييط ، جيء بها في جفنة كبيرة على سكانون من النار لتؤكل حامية . هي الحنينة بنت الحبيص والعييط ، وقد علمت قرصاً كقرص العيد ونحست بالسن والسكر .

والامير عبدالله مثل عمه عبدالعزيز مزارع كبير يشتغل ساعات الفراغ في بسائنده . غير انه مثل كل عربي لا يزال ، على شغفه بالزراعة ، اسير تقاليدها القديمة . سألنا عن الآلات البخارية لرفع المياه والري ، ثم قال : همنا ان السلطان عبدالعزيز ينبغي استخدامهما في الحسا . فقل قلبه ان شاء الله . الناس على دين ملوكهم — وعلى طريقتهم في الزراعة ايضاً .

وهذا عبدالله بن محمد آل بسام يثبت ما اقول . فهو على علمه وادبه وروحه المصرية في كثير من امور اهلواء ، لا يتقدم طويل السير في الرياض . لعبدالله ارض خارج المدينة حفر فيها قليلاً عمقه ثمانون قدماً ، وعرضه خمسة وعشرون بعشرين ، يشتغل في رفع المياه منه عشرة جمال ، وهو مطوي بالحجارة محكم البناء . كلفه اربعمئة ليرة انكليزية ، وبكلفه رفع المياه

(١) الحبيص في نجد هو غير العييط . الحبيص يعمل من الطحين والماء والسكر . يضع الطحين في القدر وحركه فوق النار حتى تفوح رائحته ، ثم يخل الماء والسن والسكر فوقه وحركه حتى تفوح رائحته ثانية ، فصب عليه السن وحركه حتى تفوح الرائحة الثالثة . فارفضه اذ ذاك عن النار ودعه يبرد ويشد ، ثم يدلك بالسن انه الى القدر ولا تكون جشماً . اما العييط فهو من التمر والسن كما تقدم .

يومياً ليلة واحدة في الاقل . اما ثمن الآلة البخارية فلا يزيد على نصف كلف القلب ، و ثمن البترول يوماً اقل من اجرة الجال . وعبدالله البسام الذي ساج في مصر والعراق والهند يدرك ما في الاستعاضة بالبخار من الاقتصاد والتوفير والسرعة في العمل ، ولكنه عربي . والعرب في الزراعة على طريقة ملوكهم واجدادهم .

اما في النسايل الديني فبين اهل عنيزة اليوم واجدادهم بون شاسع . ليس في عنيزة اليوم من يضرب بالعصا من لا يصلي ، فيسوق الى المسجد كالانعام من لا يلبون دعوة المؤذن . وليس في التقسيم كله من اولئك الرهابيين ، امثال الاخوان اليوم ، الذين اضهدوا « النصراني العاقر » هنري دوطي وطردوه من البلد . لم يجد الرحالة الانكليزي يومئذ غير بضعة رجال والره ، و اضافوه ، وساعدوه في محنته ، امهم ثلاثة هم امير عنيزة يومئذ وعبدالله القتيبي وعبدالله البسام . وقد ذكرهم دوطي في كتابه بالخير . نعمتهم بالفلاسفة واثني عليهم ثناء طيباً .

حدثني صديقه عبدالله قال : كنت شاباً يوم جاء « خليل » الى عنيزة وكان القيني اكبر اصدقائه ومساعديه . فاغضب سكان المدينة فسبهوه وتجنّبوه . قالوا انه كان مثل الانكليزي وها قد مر خمس واربعون سنة وانا اشاهد التطور عندنا . نعم الفرق كبير . ثلاثة يومئذ والوا الغريب علماً واكرموا ، ثلاثة فقط . اما اليوم فلو عاد « خليل » اليه لما وجد ثلاثة يستنون اليه فعلاً او قولاً . اهل عنيزة اليوم يفضّلون لأقل اساءة تلحق بالغريب في بلدهم .

بين عنيزة وبريدة الوادي ، وادي الرمة ، والنفود . ولكن بين سكان المدينتين فرقاً يكاد يكون ابعد من الفرق بين البدو والحضر . انما بريدة مدينة تجارية وليس لاهلها وقت لغير الاتجار والصناعة . هي محط رجال البدو

من مطير وعتيق وعتيقه وحوب وغيرهم ، يجيئونها للبيع واشتراء . هي بدوية مادية لا تهتم للأدب ولا تحرف من تليد العقل والفؤاد ، فلا تكرم الغريب ولا تسيء إليه . على أنه قلما يسمع فيها تلك الكلمة الطيبة ، تفضل نقويك ، التي هي صلة التعارف والولاء . لذلك تسمى عنيزة باريس ، مع أن بريدة أوفى حظاً منها في القول على النفود . إن الرمال تفسح لها ولا تناونها . فلو كانت المدن في انبساطها وانقباضها تؤثر في الأخلاق لكانت بريدة في الضيافة ، في بسط يدها وقلوبها إلى الغريب ، المدينة الأولى في القصر .

وهي لا تبعد عن عنيزة أكثر من عشرين ميلاً . مسير النفود بينهما ساعتين ، فنشرف ونحن في آخر ضلع منها على الجبوب التي تطوق بريدة كالقلادة - فلاة من الرميد في حيط من الذهب لبدوية القصر . إن الأرض لتضع امامها ، فتخضع لها ، وتقف بميدة عنها مبسوطة اليدين . لا كُتب حول بريدة قريية ، ولا واحات عاليات الجين - حولها الجبوب . والحُب منخفص من الأرض فيه ماء ، وائل ونخيل ومضارب واكواخ . الجبوب خنادق احتلتها جنود السلام أي المياه والأيدي الزارعة .

أقنا في بريدة اسبوعاً نجد ما وهن من القوى وما نفد من الزاد . فقد اجترنا في رحلتنا قديماً من بلاد نجد تعددت فيه القرى والمدن ، وطابت المياه ، وبقي امامنا القسم الأكبر والأوفر ثلاثئة ميل بين بريدة والكويت ، لا مدن فيها ولا قرى . ولا ماء الا في نصف الطريق . وهناك النفود الكهري ، والدهناء ، ووادي الرثمة ، والذبذبية ، كلها اقفار يضيع فيها حتى أبناء الفقار .

تولنا في القصر الذي اسمه ابن مهنا وبني جناحاً منه ابن الرشيد وآخر ابن سعود . هو قصر كبير ذو ابراج متعددة ، وأفنية رحبة ، وقلاع للدفاع الواحدة دون الأخرى . وفيه بيوت للضيافة وماء ، ومسجد ، وأيس فيه في هذه الأيام ، في عهد السلطان عبدالعزیز العادل ، غير حامية صغيرة لا يتجاوز

عددها المئة جندياً .

كان سويلم بن سويلم رئيس القصر وحاكم البلد في غياب الامير ابن مساعد جلوي^(١) وسويلم بن سويلم من الرياض ولكنه ليس من « محلة الشيخ » فيها ، فلا اثر للمعصب الديني لا في اقواله ولا في اعماله . قد انتدبه عظمة السلطان مراراً لمهمات خارج نجد ، فسافر الى سوريا ومصر والاستانة ، وكان في اسفاره من الكاسبين . على ان الامطار لا تنفع غير الارض الطيبة . ما اجتمعت بعامل من عمال السلطان انعم صوتاً ، والطف حديثاً ، واجل صبراً من ابن سويلم . كنت احضر مجلسه ساعة يقضي في الناس فيجئته البدو ، واصواتهم ككالاجراس ، غاضين شاكين ، فيسمع ابن سويلم شكواهم هادئاً ، صابراً ، ويحكم فيهم ذاك الحكم العادل الشديد الذي امتاز به اكثر عمال ابن سعود . على اني لم اتمعه مرة ينهر البدو او يغلف لهم الكلام . ولا سمعته مرة رفع صوته في الحديث او في التوبيخ . كأنه صيني لا عربي .

— سرق البعير يا لامي . ابدوي لص ا والله عاينته بعيني . ابدوي قوادا

فيسكته الامير قائلاً : اقصر الله يعافيك . فان لم يسكت بعيد الكلمة ولا يغير صوته او لهجته . بل يضرب الارض بعصاه مثل السلطان عبدالعزيز ويقول : اقصر الله يعافيك . ما اجملها كلمة تسكت بها الصياح الشتام . ولكنها قلما تفيد اذا لم يكن عند صاحبها شيء . من تلك القوة المعنوية الروحية التي تجعل كلماته الناعمة اشد وقعاً على البدو من السيف .

(١) هو عبدالعزيز بن مساعد آل جلوي عينه السلطان بعدئذ ابراً في حابل وجعل المنطقة التالية كلها بما فيه القصيم والجوف وخيبر تحت امرته .

الفصل السادس عشر

الدهناء

الدليل وارخان حربه - عين سعيد - الاحياء - لا ماء الا في البحر - المنود
 الكورى - جمال الضعوس في الشرق والغرب - الحى والشود والذلول
 الجوى - الدهناء - لا خير يادام - سكة زبيدة - اليريس - بقعة
 خضراء - نعى مع الابل - الفرق بين الدهناء والمنود - بعض النيات في الدهناء
 - مسر هو العجايب - دميم كزير - صيد دكان - مركة ومساك وعود الطيب
 - مسر يزر بوعده - ليلة راقصة - حنا اهل العوجا - حوسة الاخوان -
 لي في لي في لي في لي ! فصل الحكايات - حنا خذلول - يداد يقص قصته -
 حكاية حمود - سائر والسفد الذي معه على الملك حين - ساعة من الشور ثم
 صوت خذلول : قوموا ، قوموا صلوا - خذلول يعار يداد اصول التوحيد
 واركان الدين - يداد يعار خذلول افة العيون - شروط الصلاة - تواضع الرضوخ
 - الحياء شعبة من الايمان - مسر ويداد وشطآن

ما احتجنا الى دليل في الطريق من الرياض الى بريدة مع اثنا عشرين ثلاثة
 البحر من المنود . ولكنها بحيرات رمل اذا قسناها بالعروض التي لا يجتازها
 حتى العرب بدون دليل خبير . واذا كان هذا الدليل ذكرنا^(١) فله بعد امير
 الحلة المقام الاول ولا يثنى الا ومعه اركان حربه . نفعا الله بهم وبه . فقد
 اصحبنا سليمان بن سليمان من مطير ساح في الامصار ، ورافق السكبار
 والصفار ، وحارب مع الترك في الحرب العظمى ، ثم مع الشريف ، ثم مع
 ابن سعود . رجل رهيب له صوت يرجف حتى البدو ، وخفاوة كانت قد كوني
 بيت للمشي :

يطأ الثرى متدفقا في تيهه فسكانه آس يجس غليلا

اما اركان حربه جقيين^(٢) ومبارك وابراهيم فن العربان الشجمان ابنا الفر

(١) راجع شرح ذكرت في صفحة ٨٨ من هذا الجزء .

(٢) جقيين نصير جمعها وجمعها في محيط المحيط اصول الصائبان على وزن فعيان .

والطمان . على اني خشيت المنافسة بين الدليل والامير . ولولا حكمة هذلول
واتضاعه ، ورغبته في راحتي قبل كل شيء . كلما استقام الامر يوماً واحداً .
كان يضحكني المظلي ، وشر البلية ما يضحك ، عندما نذبح المراح .
فيقف اذ ذاك جانباً وقد انتف بعباءته وطرح احد طرفيها على كتفه ، كأنه
يثل على المسرح دور امير خطير . ثم يصدر ارأمره :

— يا مبارك ساعد مسافر في الذبيحة . يا جعيث هات الاوتاد . رخ يا حمد
ارح الركائب . وانت يا حمد ساعد في نصب الحنية . القرب يا بداح .
الحلب يا ابراهيم . . .

وكنت ارى هذلولاً ، برك الله فيه ، يشتغل وسالم في رفع الشراع
ويساعد الجميع دون ان يصدر امرأً واحداً . بهذا يتناز الرجال بعضهم عن
بعض ، وبذا يفلح العاملون ، ويفشل ، بالرغم من الجهر والاقتدار ، اولي
العجب والادعاء .

كانت طريقتنا من العارض الى القعيم شمالاً بقرب ، فاستقبلتنا الشمس في
بريدة وسرنا منها مشرقين الى الكويت . ولا ماء الا في الحفر . ما ادر كنت
خطر الطريق ووعورة المسلك الا بعد التأهب في بريدة ، اذ خرجت القافلة
عننا وقد ازدادت رجلاً ورجالاً وكائب . فاهيك باهتمام ابن السويعم وقد رافقتنا
الى خارج السود فوصى الدليل وألح على الامير بالرسالة كلمة اطمئنان بعد ان
نجتاز الدعنة .

فلما القرب وبعض الاروية^(١) من ماء عين عميد خارج المدينة ثم ملائناها
والصليان بقلة واحداً صليانة . ولكن جعشنا بظلم القاموس . فقد اخبرنا انه
امد ولدته عند جلع الله ، وان جلع الال يدعي جملة ، وهو قروي سوي ، فسمي
تسناً به جعشنا .
(١) القرية وطب من الجلع اي البهائم الصغيرة سنأ بجسارها الراكب منقذ بالرحل .
ولكن كل ركب قربة . والاروية جمع روي في القاموس الشرب التام . والرواء

ثنية كلها في اليوم الثالث من عين فريد في الاسياح . واطلنا من الاسياح على العروض ، اي النفود الكبرى بين القصير والكزيت ، ووراءها الدهناء ، ودون الدهناء ، المازلت . وكلها على الساعا اجف من الاسفنج في ذلك الطار . لا ماء الا في الحفر احجب الله عليك يا سيد هاشم كم ذكرتك في العروض وغبطتك وانت في المارض . لا ماء الا في الحفر . ودولنا ودون الحفر جبال وبحار من الزمال ، بيد دولها بيد ، وسبعة ايام من السير ، والحي تقوم يوماً بعد يوم !

ان العروض اي النفود الكبرى بين الاسياح وقبة^(١) هي عدة جبال من الرمل تشد طولاً من الشمال الى الجنوب وعرضاً من الغرب الى الشرق . وهي تدعى دعوصاً ، علو الدعص يتراوح بين الخمسة والسيعة قدم ، وبين كل دعص وآخر نحو اربعة اميال بؤلاً وضوفاً . احد عشر دعص هي ، بل احدى عشرة كربة ، كل واحدة اشد من الاخرى . هلك افقا امامنا وماره افقان او رأسا دعصين بعيدين . وفي كل افق رسول من الذهب الوهاج يدعونا لجميع الحيات بل حيات النعيم .

ما اجل ذهب النفود في الشرق وفي الغروب ، بل ما اجل اوجوانه اذا مال النخل وتصرح في الاصيل . وما ابعج ليل النفود وقد افتوشت رمالاً ناعماً

لما لكثير المروي . اما في نجد فالروي هو الوطى الكبير من جلد الابل او البقر يسع مداد خمس قرب من الماء . وم يملون في الادوية غالباً ماء الطبخ والنخل وكل دويين حل جمل .

(١) قبعة الغاف تلفظ جيداً وفاء الاسم تسكن في نجد فيقولون اجبته ، قيسمها الرحالة الادوية فيكتبها كما يسمونها قبيلها الكتب العربي عن الكتب الادوية ، فنجي . مكتوبة تحبه او جابه او جبيه . ومثلها الدهناء تلفظ ادناء فكشمت في الخرائط الادوية دهانا Dahana وغيرها من الاغلاط في كتابة الاسماء باللفات الاجنبية ثم في نقلها عنهم الى اللغة العربية . اما حان لنا ان نصلح اغلاطنا مع اغلاط الاجانب في هذا الباب ؟

كالحرير ، وأخيت نخباً دانياً في نوره منك ، كأنه يمس في اذنك كلمات
السكينة والحب والسلام . وما اجل اشكال الرمال وقد كونت اهراماً
وقباباً وفيها امثلة الصراط وقد شحنتها الرياح فامست كحد السيف .

١٠ اجل - ولكن - كانت ذلولي من العارض الى القصم سهلة المراس ،
لطيفة المزاج ، قصيرة الخطى ، خفيفة التوجه ، فيرتاح فوق سنامها من لم يألف
وكوب الجبال . ولكنها انقلبت علي قبل ان تصل الى بريدة ، فشرس خلقها ،
وثقلت خطواتها . وانما كانت خيرة بطريق الكويت ففضلت الرجوع الى
الرياض .

اما الذلول التي ابتاعها ابن سويلم في سوق الابل ببريدة ، وهي اكبر
سوق لبيع البعارين بالمراد في البلاد العربية ، وومعها بالنار على رقبتها يوسم
ابن سعود ^{١١} وقدمها لي قائلاً : احسن ما في السوق ، فقد كانت حادة
المزاج ، صعبة المراس ، طويلة الخطى ، سريعة السير . فيضطر الراكب ان
يعالجها دائماً بالرسن والخيزران ، فلا يذهل هنيهة عنها حتى في نصف النهار ،
في تلك الساعة ، ساعة الهاجرة ، حين يتسلسل النعاس الى الجفون فتلقى
الارسان على الفوارب ويستسلم الراكب الى النوم . اما هذه العمانية فلا تؤمن
اذا قيل لها : حبلك على غاربك . لم يكن ذلك ايووني وقد قرنت وتصلبت
لولا امران . فما همني طول خطواتها في الارض المنبسطة اليابسة ، وما همني
مزاجها في الايام التي انفردت بالرحل فكنت راكباً وحدي .

ولكن الحمى والنفود - لا اظن ان الاثنين يجتمعان لكثير من الناس
حتى في البلاد العربية . ومتى جاءت الحمى في الدرجة الرابعة من الخطر ،
وكانت النفود العروس ، وكانت الذلول عمانية جرحاً ، فاذا ينفع الرسن
باليد او على الغارب ، وماذا ينفع الخيزران . ان اصعب السير على الراكب
والراكب هو السير في النفود ، ولا اثر البتة لطريق فيها ، ولا مهرب من

امواج ومالها . تصمد الذلول في الدعص اى رأسه وهي تريح فتعوض حتى
الرسغ ، فتجبي . الخطوة الواحدة وفيها قد بُذل جهد عشر خطوات ، فتلق
حتى الرحال من شدة الحال . اما في التزول ، فتنتقم من الدعص الذلول ،
فقروح حاوية غاوية ، وهي تعوض في الرمل حتى الركاب ، فتجبي . الخطوة
مقدار خمس خطوات ، وفي كل منها للراكب خمس نكبات . زد على ذلك
ان الدليل الطائري كان يعبر المنحدر في خط مستقيم دائماً ، فلا يمه الرقيق
الحصوم ، فتنبه الركائب غائرة متدهورة اذا لم يكبح جماحه . وكيف
يقوى على كبح جماح ذلوله من كبحت جماحه الحمى ؟

لم تنفني قوة الارادة في تلك الايام ، ولا ما كنت اتدرع به من الكينا
صباح مساء . فقد رميت بنفسي على الرمل مرتين في العروض وانا انتفض من
البرد ، فانتظر مجي . الحمى ، التي كانت تتبع البرد ، انتأنف السبر . نعم ،
انتأنف السبر . فهل نقف لنجامل الحمى ورفيقنا الاكبر شبح الموت ؟

ليس في ما اكتب الان شي . من تأثير تلك الايام . انما الحقيقة كل الحقيقة
في ما اقول . ولا اقول غير كلمة فيها البرهان القاطع : الماء معنا لا يكفني
الا اياماً معدودة . فاذا انقضا كل مرة شرفتنا الحمى لنجاملها حتى تزول ، ينفد
ماؤنا قبل ان نجتاز نصف الطريق . ولا ماء الا في الحفر اوصب يا رجل
وتوكل على الله . لا اضلني توكلت في تلك الحقبة الفريدة على غير الله . بل
كنت احس ، استغفرك ربى ، انك ، وان كانت الحمى رديفي ، راكب
امامي قابض على زمام الذلول وزمامي .

يا ذلولي حبيبه ذلول ابن عبيد قريتي قطرت والمشي^(١) بعيد

وما كان بعده في ايام النفود ، في ذلك البحر الرمي الذي تعالت امواجه

(١) المشى مكان المراح للمشي .

جبالاً ومجلى جباله أمواجاً ، فطاق في اجتيازه حتى صدر الدليل المطيري .
ما كنت أظن ونحن نحوض عباره ان له نهاية تنتهي عندها الشدة والعذاب .
ولكن الدليل عندما اطلنا على الافق الاعلى ، قال بكلمة كانت منه الكلمة
الوحيدة التي اميجشي : هناك ظهر العروض ومنه نعين الدهناء .

ظهر العروض ، اخر ضلع من ضلوع الاسياح ، آخر دعير من النفود ،
آخر درجة من سلم التعذيب - شكرنا الله ثم شكرنا الله . وعندما اطلنا
على الدهناء تنفس الربح كلهم الصعداء وامر هذلول بالتكبير : كبر يا بداح .
فراح بداح يدرهم ويبصيح : الله اكبر ! الله اكبر ! وكانت ساعة القروب
فأثنا فوق السهل الذي يتد بين العروض والدهناء . وكنا قد عثرنا في ذلك
النهار على اثر من طريق قديمة هي سكة زبيدة ، ابي الطريق التي امرت
بفتحها وتعبيدها للاسباج زبيدة امرأة هرون الرشيد ، فبينا بها وكانت فاتحة
الجو الى يومين .

اكرم الله مشاك يا سني زبيدة وجعلت من القويين - اذا كان لم يفعل
سني الآن . وبأيت في المسلمين اليوم اختاك لك صغيرة تجدد في الاقل الطريق
التي شرفت باحمت . فها بركة من البرك العديدة التي بنيت في الصحراء في
سبيل البر والتقوى ، لتروي الانسان والحيوان .

لم افهم من مبارك قوله : هذه البركة^(١) حتى وصلنا اليها ، فالفيتها
بركة ماء المطر بل صهريجاً متهدماً مردوماً . واذا صبح فيه التصغير اليوم فلا
يصح ذلك في ما نبت هناك من الاعشاب ومن شجر الطلح والسلم .

ان ابرج ما يشاهد الانسان في الصحراء بقمة ارض خضراء . واكن
الحيوان ، ذا السنام كان او ذا القرون ، يشارك الانسان في ذا الابتهاج .

(١) تصغير بركة والكاف تلفظ نس .

وقد تبارينا كلنا حول المريتسه التي يدوم اخضرارها طيلة السنة . ان احسانك يا ستي زبيده خالد الهركات ولو في زاوية من النفر ، خالد هو ما دامت الارض خالدة . انما الركائب لقوى في ظلال احسانك . وكنت انا الحيوان الناطق المفكر اول من فاه باحملك شكراً واعجباً . كيف لا وقد لقيت في ذلك المرعى كما لقيت ذلولي ما ألقته العين والمعدة .

جامني مبارك وهو نياقي الحلة ببضع وريقات خضراء . يقول : هذا الحنصيص . هي عشبة صغيرة فيها حوضه يأكلها اهل نجد ويحملونها في الاقط . وكنت قد سمعت الالحم لانه في الثلاثة الاشهر التي مضت كان يصيبي ويسبي كل يوم دون سواه ، فجعلني احن الى ورقة خضراء حزين البعير الى العرفج والارطى . ثم جامني مبارك ، بارك الله فيه ، بعشبة اخرى سال لمواتها الاماب ، وهاج في القلب ذكر الوطن والاحباب . فياما احبلاها قبة تررع في لبنان حول البيوت ، وتسبح من غزوات الدجاج بالشوك . الرشاد ! جاءني مبارك بالرشاد . وهو في بادية نجد نفسه في لبنان لا يتغير اصلاً ولا طعماً .

تبعث مباركاً الى مواطن المرعى الطليبة ، ورسعت ارضي فيها كالنهر ، بل رحت ادب على الاربع مثل نبوكدنصر ، آكل الحشيش ، واشكر الله ثم الست زبيده ، فالتعشت وابتهجت حواسي كلها ، فصرحت اظن ان الرشاد والحنصيص فعلاً بالحي ما عجزت دوله الكينا . على انني ، في رجوعي الى الاصل ولو مساة ، اصلحت ليومين ما افسده الوقوف على الاثنين .

وعالم الدهناء تبسط لنا النارق البيضاء وترحب بنا فينبغي للقارئ ان يعرف بعض الشيء عنها قبل ان تصل اليها . تختلف الدهناء عن النفود بربعة اشياء ١ - بطولها وهي تمتد من الشمال الغربي فتساب كالحلية او تتعرج كالنهر شرقاً لجنوب حتى تصل الى الربع الخالي ٢ - بلون رمالها وهو ابيض

الا في اطرافها ٣ - بقلة كثيها وتجوفاتها فلا يتجاوز اعلى كثيب فيها المنة
 قدماً ٤ - بتنوع اشباها وغزارة الموعى فيها . زد على ذلك انها قليلة
 العرض جداً بالنسبة الى طولها ، والعرب لا يقطعونها الا في الاماكن التي هي
 اقل عرضاً من سواها . لذلك هي اسهل سيراً وايأس مشهداً من النفود .

يمرون بالدهناء خفافاً عيابهم ويخرجون من دارين بجر الحقائب

مورنا بها خفاف القلوب في الاقل فقطعناها من الغرب شرقاً الى الكويت
 بعد ان قطعناها من الشرق غرباً الى الرياض . وكان يومئذ بداح رقيقنا
 ودليلنا فصاح ثانية يمثل البدو عندما يصلون اليها طالبين الحيا^(١) : وايك هنا
 يرأس الدهناء او اطلق مبارك صوته في بيته المحبوب :

يا موفقين الخير يا اهل الأشدة معكم وزين (عديل) الروح الله يودم

سرنا في سكة زبيدة سير الهون اكراماً الركائب . وكيف لا نكرمها
 والارطى في هذا المكان من الدهناء الحضر جديد ، اشربت اليه الاعناق ،
 ووقفت عند كل شجرة منه تنفكه به بعد ان كادت تنضم من العرفج والعلقة
 والثام^(٢) . ثلاث ساعات حكل ساعة منها عيد لذوي الاربع وذوي الانثين
 معاً . ثم انحنأ فصلى الريع المغرب ومدوا السباط للعشاء . ثم جلسنا في حلقة
 حول النار وطلبتنا مسفراً بنا وعدنا به مراراً .

(١) الحيا اي الموعى . وفي القاموس الحصب وانظر . والعرب نسي النبات حيا
 لانه يتسبب من المطر .

(٢) الارطى شجر قره كالعقاب ويسمى ايضاً في نجد حنبلاً لان ورقه كورق الصوبر
 مقنول غير منبسط . وهم يستخرجون منه ومن قشره صياغاً اصفر . العلقة شجرة
 غصنها اخضر وورقها دقيق نقي في الشتاء فيعطف بها الابل حتى تدرك الربيع . الهام
 نبات ضعيف ورقه شبيه بورق النخل . ومن نبات الدهناء المرافج وهو للابل كالباقية
 الخيل وقيل هو القناد لشوكه فيه . الكندى الذي يشبه في ساقه الورد ال .

ومن هو مسفر وما وعده ؟ لا اظنك ايها القارىء تأبى التعرف الى الرجل وقد تشاركتني في حبه . مسفر هو مدير الحملة ^(١) ، ورئيس الحدم ، والعين الكالئة للزاد ، واليد الذابحة العاملة في سبيل البقاء . مسفر هو النفاخ الطباخ ، راعي الفأس والقراخ ، حامل الحناجر والسياخ . وهو في شكله نسكته مضحكة جداً قد لا تليق في مجالس المستدنين ، وهو في وجهه اقرب الى الريح منه الى يوسف الحسن . وجه مسفر هو ما يصفون في نجد بالعين فيقولون : وجه عفن وهو يظل عفناً حتى لو غسله بالحامض القوي ثم جاء الورد صباح مساء . فهل يصلح الماء والكيمياء انفاً تسطح على خديه ، وهذا تطاول الى اذنيه ، وجبيناً داس بشعره حاجبيه ، وعيناً جاءت من القرد اليه ؟

اما في لبسه فهو آية في البلاغة والابداع لا يعرف انجدي هو ام حجازي ، انياني ام عراقى . بل لم يكن عربياً في غير الفطرة والمقال . اصف الى ذلك حذاء مرقعاً تحض رجله فيه ، وسروالاً كان ابيض ، لا فطنه غسل في عهده او في عهد ابيه ، فوقه معطف كذلك من الخم مفضل مثل الفراك التركي ، وفوق المعطف زنار تلمع فيه الحناجر والسياخ . الا انه عندما يركب على بعيره الاسود ، فوق احماله ، يبدو ككليس من الاكياس .

هاك الرجل في ظاهره . اما في باطنه فتنبهان رب الصكائدات ، النافخ من روحه حتى في عجائب مخارقاته . ان في ذاك الوجه العفن مبساً ولا مبسم الحسان في جاذبيه ، مبساً يوقفك ويغويك ، ويضحكك ويهلكك ، مبساً ينسبك الفهم منه والالاف والجليل ، بل ينسبك الريح ، وضارح الاسياح . اي لانه . ما كان في رجالنا ، وقلنا نجد في الرجال ، من هو اخف روحاً .

(١) تقسم القافلة الى قسمين الحملة وهي الجبال التي تحمل الخفاب والراد ، والركائب التي تحمل المسافرين . وغالباً تدور الحملة قدام الركائب فتسببها بساعة او اكثر لانه لا يؤذن لاصحابها بالدخول خوف التكسير في ما يحملون ، فلنحلق بها ونجتبع كلنا في المشى وفي الراح .

وادمث خلقاً ، والطاف ذوقاً ، وارق شعوراً ، واسرع الى الخدمة يداً من هذا الدمع الكريم . قل : تبارك رب العالمين الرحمن الرحيم ، فهو اذا مسح الانسان قدراً يهبه من الجمال الروحي والخلقى ما يندر في يوسف الحسن وزين العابدين .

ان العصف الذي كان يلبسه مسفر جيوباً هني دكان بما حوت . اتبني خيطاً وابزة وزراً ؟ اتبني ملجأ او بهاراً او شيئاً من مسحوق الياقوت الخامض ؟ اتبني رقعة تسج بها فتجاناً او تضمد بها جرحاً ؟ اتبني قلماً وورقاً للكتابة ؟ اتبني مسواكاً من الاراك او شيئاً من السكحل ؟ سمياً وطاعة . لم يدهشي عندما رأيته اول مرة يستعمل لان اكثر رجال العرب يستعملون وقاية للعيون . ولكنه ادهشي ذات يوم اذ كنا حول النار نشرب القهوة ، فتناول مسفر حجراً وضع عليه بضع حبات ، ثم مد يده الى كيس في حذائه ، فخرج عليه صفيحة ، ففتحها واخذ منها باطراف اناقه ، ورشه على النار . البخور ، عود الهند ، الطيب اهو وخدمه كان يحمل هذه النقيصة من نفائس الحياة ونوافهاها ، فيطبخها دافئاً بعد الطعام .

على اني دهشت الدهشة الكبرى ولم اقال لك ان ضحكك عندما اشار بالسيابة الى رأسه كأنه يقول : مسفر لا ينسى شيئاً . ثم اخرج من حذائه امرأة صفيحة قدمها لي لاري وجهي وازين - احكم وضع - عقالي قبل الرحيل . هوذا حقاً اقبح خلق الله صورة واجملهم نفساً وذوقاً . ولا اظن انه كان يحرم على شيء في كل ١٠ بحمله حرصه على المرأة ، فمكث ان يتبلى بها وهو راكب فيتأمل طويلاً ذاك الوجه الذي وضعت .

ما السر في ذلك ؟ هل هو مشغوف ام ملهوف ؟ هل يرى في وجهه ما يراه الناس يا ترى ام ما يراه الله وقد تساوت في نظره الخباياات كلها ؟ أو هل هو الرياح ، ذاك المخلوق الاول في فيه ، وقد أعجب بهذا الشيء الذي يعكس

وجهه فكان مسجراً ! ما اقول سادتنا البلاء . علماء الجسد والروح ؟ أفلا يأخذهم العجب من الرجل الدميم ، اللدويم الى حد يضحك ويضحكي معاً ، الذي يحمل السكاكين والخناجر ولا يضع واحدة منها في قلبه عندما يرى وجهه في المرآة ؟ ولكنه على ما اظن حب الذات يقينا وبقية شر النفس اذا ما رأت العين منكرات الشكوى الظاهرة . اجل ، لولا حب الذات ، ذاك القرس المبارك الذي غرسه الله في كل حيوان صامت وناطق ، لكان الانتحار سبب التشويه الخلقي وحده اكثر شيوعاً من لعب القمار .

استغفرك ايها القاري . فقد اسهبت . ولكن غيري الفوا روايات ابطالها اشخاص مثل مسفر اختلقوها . ولا اظن ان « كاليبان »^(١) و « غونيدالين »^(٢) يتسايقان الى الصدر اذا جمعتها ومسفر الجالس . بيد ان « كاليبان » واخاه خيالان من خيالات شكسبير وهو غر . اما مسفر فصقيقة هو من حقائق هذه الرحلة ، كان يطبخ لنا دجاجة صكل يوم ، ويطبخنا يعود اللد بعد الطعام ، ويجددنا عن امرأته وعياله في سدوس^(٣) هالك الرجل ، وهاكبه مهراً بوعده . وما الوعد ؟

عندما كنا في شقرا رحنا ذات ليلة نتفقد مسفرا و « خوياب » في منزلهم ، مسعنا ونحن داخلون الى البيت صوتاً شجياً ينشد نشيد الاخوان ، فاطلنا من لشباك فاذا مسفر داخل والسيف بيده يصعب « الهوسة » برقصة رائمة . سألناه بعدئذ مراراً ان يرقص وينني فابى واعتذر . وعندما خرجنا من بريدة كنا نعيد سؤالنا كل يوم فيتذرع بالشغل او بالثقيل التي تحرم القناء في نجد . على انه وعدنا برقصة الاخوان عندما نصل الى الدهناء . — وها قد اجترنا

(١) « كاليبان » احد اشخاص رواية « العاصفة » تأليف وليم شكسبير .

(٢) « غونيدالين » بطل رواية « الرجل الضاحك » تأليف فكتور مرغو .

(٣) سدوس مدينة قديمة من مدن العارض بنجد .

الدهناء بآمان الله ، والمحمد لله ، وكان الجبور رفيقنا طيلة النهار . فهلا استغويته
يا مسفر بصوتك وسيفك ، فيظل معنا ليحل محل القمر في ذا السمر ؟

كنا حلقة حول النار امام الشراع ، وكانت الركائب باركة في حلقة
اخرى حولنا تجتر قاذمة مطمئنة ، وكانت السماء سافرة صافية الجبين فتلاآت
كواكبها سروراً لتقيب سيدها القمر ، فزاد الكلام كذلك في نور نهارنا .
— الخطب يا ابراهيم . وكان ابراهيم معاون مسفر الاول في النفع والطبخ
جالساً عند ركة من حطب العرفج والارطى ، فيمد يده وراءه ثم يمسحها
فوق النار ، فتقهقه طرباً وترداد تأججاً . وكان حمد العبد وهو يقرب في
حضنه مقلاة البز ، وهذلول الذي اتخذ صحناً من النحاس دقاً ، ويداح وقد
صفق كفاً على كعب ، ينادون مسفراً ويحرضونه . — فم يا مسفر . اسفر
يا مسفر . وكان كوكب السر قد دخل الحنية فخرج منها والسيف بالعم
بيمينه والخنجر بيسراه . فوثب وثبة ثم اخرج الى وسط الحلقة ، وطلق
ينشد نشيد اهل العوجا اي اهل الرياض ، وهو ينتقل نقلة خفيفة بطيقة ،
ويتأوى من وسطه الى اليمين وإلى اليسار كالثعبان .

نَارًا تَنَاقَه تَتَمُّ ثُمَّ — نَارًا تَنَاقَه تَتَمُّ ثُمَّ

حنأ اهل العوجا مروية الستين (نروي سنان الزماح)

عادتنا ستهج العدو بنحورنا (ان نهجم على العدو ليلاً)

كان يقف عند كل بيت بينا حمد وهذلول يردان عليه بالنحاس ، وهو
يهز السيف والخنجر هزة بطيئة خفيفة ، فيها ربح هول كأنه يتأهب
للوثوب . ثم عند البيت الاخير يشب فوق النار وهو يصيح : لى لى لى لى لى لى
فيجب الربيع : حي على احي على اوحده وهذلول يدقان على النحاس :

نَارًا تَنَاقَه تَتَمُّ ثُمَّ — نَارًا تَنَاقَه تَتَمُّ ثُمَّ

وما هذا كله الا الشهيد لهوثة الاخوان : هبت هبوب الجنة اين انت يا باغيها . غير مسفر نقلة رجله خفة واسراعاً ، ورعى السيف والخنجر في الهواء ، فتناول اليسرى الاول والثاني باليمين . - حطب يا ابراهيم . كفف يا اخوان .

هبت هبوب الجنة

تاراً تاراً تاراً ثم

اين انت يا باغيها

تاراً تاراً تاراً ثم

لعب الهوس بالرجال ، ووتب الهول من النصال . - هبت هبوب الجنة ! فتغير الوزن من السريع الخفيف الى الاخف والاسرع حتى اسى كرقص الدراويش . فاغمد مسفر اذ ذاك الخنجر وترع الطفرة والعقال عن رأسه ، فرمى بهما في النار ، فصاح الجميع : اين انت يا باغيها ! ثم اعتروا مرددين : اهل التوحيد ، اهل التوحيد ! حتى خمدت النار ، وقد ذهل ابراهيم في هوسه عن وظيفته ، فكان الحنّام الدخان والفلام .

حطب يا ابراهيم . وكان الفصل الثاني فصل الحكايات ، فقص هذلول خبر واقعة كانت له مع الجن في وادي الدواسر ، فقتل منهم اثنين وجرح كثيرين . وقص بداح قصة غرام هو بطلها ، وهو الفاسق الاكبر بشهادة نفسه ، فاخبرنا كيف اخبأته الحليبة في الصندوق عندما عاد زوجها الى البيت وكان قد خامرته منها الرب فسيها ، فسبته ، فطلقها ، فشكرت الله ، ونادت الخدام حالاً ليحمل صندوقها وهي تبغي العزوبة . - « فحمله وانافيه ، والله بالله ، وهي ورائنا تضحك » - وبعد ذلك يا بداح ؟ - لا تسأل يا هذلول . وحدثنا حمود قال : كنت حاملاً كتاباً من الشيوخ الى امير غنيمة فنوخت في شبيب بوادي حنيفة لأتشي . كنت وحدي وكانت الليلة مظلمة . عقلت الهذلول ، وجمعت الحطب ، وشيبت النار ، فسمعت في اطال صوت امرأة تولول وتصح : احجب علينا حجب الله عليك . فتأملت فعابرات تحت

الشجرة وجهاً كالشمس ، وحياة الله ، وشعرها طويل واسود كالليل . ظهر الوجه في النور لمحة بصر واختفى . فعدت الى النار اشياء ، فعدت تصيح : لا تشب النار الله يهلك من النار . احجب عينا استرقا . هي عروس الجن ، وقد كانت لطيفة كريمة ، فذنت من حمود وقلباته وهي ترجوه ان يسير في سبيله ويتركها وشأنها في ظلمات الليل . فاستجاب حمود طلبتها وامسرى تلك الليلة كلها وهو يشكو من حرق في وجهه . - والله باقه يا استاذ جيتي (قبلتي) هنا وكان فيها كالجرة . وحياة الله اقول الصدق .

ثم حدثنا مسفر قصص خبر غزوة من الغزوات التي كان فيها وخضها قائلاً : والله ذبحت اربعة عشر ومنهم ابن طوالة حي موجود . فضحك الربيع وكانت ضحكة بداح طويلة مستنكرة وقوت في نفس مسفر ، فصاح وقد استل مسكيناً من سكانه : اسبكت او اذبحك بالله . فقال بداح وهو لا يزال يضحك : مثلاً ذبحت ابن طوالة . فوثب مسفر فوق النار يبغي دم العجائبي ، فصدده هذلول ومسكن روعه ، ثم امر بداحاً ان يقدم له بيده فتجارت القهوة .

جاء دور راعي المعامل القهوجي سالم ، سالم الرزق السكوت ، وليد حاييل وريبب الامصار ، سالم الطواف الذي طاف في الحرب العظمى البلاد العربية كلها من أقصى الاقطار الى اقصاها ، من اليمن الى شرق الاردن ومن البصرة الى الشام . - هات حكايتك يا سالم .

والله يا استاذ ما عندي حكايات . عندي كبيالة على الملك حسين بثة وخمسين ليلة انكليزية ابيعك اياها بعشر روبيات .

- وكيف تقول ما عندك حكايات ؟ هات حكاية الكبيالة . فاخبرنا سالم بانّه كان في جيش الامير عبدالله جملاً يحمل الماء عندما زحف بعد الهدنة عن المدينة على تربة . وعندما وصلوا اليها ودخلها الامير صباح ذلك اليوم

مختصراً سأل سالم سموه ان يأمر بالاجازة والحساب لانه ينبغي الرجوع الى بيته وعياله . فاعطاه الامير حوالة على جلالة الملك ابيه بحسابه اى ستة وخمسين ليلة فأخذ الحوالة سالم وراح ينهر الطائف ليزور طاجياً له فيها . فاعترضه بداح يصلح الكلمة فأتىها . هي صريحة يا استاذ . انا اعرفها . لم يأبه له سالم فاستمر في قصته . اقام بضعة ايام في الطائف ثم نزل الى مكة . وكان ان الاخوان اتصروا على الامير ليلة يوم النصر ، وافنوا جيشه كما هو معلوم ، وحمل التجاب خبر التكة الى جلالة الملك . فلما وصل سالم يحمل الحوالة قال له صاحب الجلالة : الله يموض عليك وعلينا يا ابني ، خسرنا كل شيء .

انصف الليل ونحن لا تزال في فصل الحكايات ، والابل حوانا لا تزال تجتر قانعة مطمئنة ، وسالم يصل القهوة ثم الشاي ، الابريق تلو الابريق ، فأرقنا وما ملنا ، ولا كنا من القانتين . ثم نهضنا باكراً قبل الفجر الكاخب وكنت اول من سمع هذلولاً ينادي على عادته : قوموا - قوموا صلوا . بداح ، سالم ، حمود ، مبارك ، جعيت ، قوموا ، قوموا صلوا . . . اذن يا مسفر . - الله اكبر . الله اكبر . . . حيوا على الصلاة . . . الصلاة خير من النوم .

ثم تنهونا وسرنا في سحر برده شديد يصل الى العظم ، فأتينا بعد ساعة لنشب النار وندفئ . ارجلنا ، وكفت انا في جزمتي اسرع منهم ، وهم في النعال شبه حفاة الى ذلك . ليس في البلاد العربية من هم اصبر على الشدة واثبت في المشقات من اهل نجد .

استأنفنا السير وهذلول اميرنا وامامنا يملنا دين التوحيد . - يجب على كل مسلم ان يكون عالمًا بثلاثة اصول . اولاً : ان الله خلقنا ورزقنا وهدانا برسول ارسله اليانا . فن اطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار . واستدل على ذلك بقوله تعالى - وذكر الآيات . ثانياً : ان الله لا يرضى ان يشرك معه في عبادته احد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى

- ذكر الآية . ثالثاً : ان من اطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من
 حاد الله ورسوله . وذكر الآية دليلاً على ذلك . فاذا قيل لك ما الاصول
 الثلاثة ؟ فقل : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم .
 واذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين وهو
 معبودي ليس لي معبود سواه . واذا قيل لك بم عرفتك ربك ؟ فقل : بآياته
 وحقايقه . ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . ثم سأله بداحاً : ما
 هي اركان الاسلام ؟ فاجاب بداح الجاح : اني اعرفها يا هذلول . اذكرها
 انت فاردها . فقال هذلول الطيب القلب الورع التقى : اركان الاسلام
 خمسة : شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . فنشأ بداح يعد فقال :
 واحد . واقامة الصلاة . - اثنين . وايتاء الزكاة . - ثلاثة . وضوم
 رمضان . - اربعة . وحج بيت الله الحرام . - قام ، تعرفها والله .

ثم قال بداح : وانا اسألك اعرف آية العيون ؟ فاجابه الامير : وما هي ؟
 فطلق بداح بالآية التي كنت قد سمعتها مراراً من فيه ولا اظنه يعرف سواها .
 - كل عين باكية يوم الحشر الا ثلاثاً . عيناً صدمت عن محارم الله ، وعيناً
 دمعت من خشية الله ، وعيناً بائت تحرم في سبيل الله .

- علمتني يا عجماني . جزاك الله خيراً . وما هي شروط الصلاة ؟

- اعرفها . اولها الاسلام .

- الاسلام . وثانيها ؟

كانها يا لأمام^(١) فاجاب هذلول : الاسلام والعقل والتبليغ - وكان
 بداح يرددها وراءه - ورفع الحدث ، وازالة النجاسة ، وسد العورة ،
 ودخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية . فشكوه بداح ثم قال : وما هي
 شروط الوضوء ؟

(١) راجع الشرح في صفحة ٨٣ من هذا الجزء .

- غسل الوجه ومنه المضطمة والاستنشاق ، وغسل اليدين الى المرفقين ،
وغسل الرجلين الى الكعبين . الخ . ثم قال : وما هي فواقض الوضوء ؟
فاجاب المجاني : انا اعرفها . عليها التربع يا لأمام . فنشأ هذلول يمددها ،
هي ثمانية : الخارج من السيلين ، والخارج الفاحش النجس من الجسد ، وزوال
العقل ، ومس المرأة بشهوة ، ومس الفرج باليد ، واكل لحم الخنزير ، وتضليل
الميت ، والردة عن الاسلام اعادنا الله منها . - والله يا هذلول اشترط الرابع
ينقض وضوئي دائماً . قل لنا ما هي شروط الايمان ؟

- اركان الايمان يا بداح ستة . ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . والايمان يا بداح هو بضع وسبعون
شعبة ، اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اعاطة الاذى عن الطريق . والحياة
شعبة من الايمان .

- هذه الشعة من الايمان لا يعرفها بداح . الحياة عدو له .

الصوت الذي نطق بهذه الكلمة صوت مسفر .

وقال بداح : صدقت يا مسفر السدوسي . ولكن عندي اول الايمان
والآخر ، اعلاه وادناه . ولولا حرمة الاستاذ لمهنت لك اني مؤمن فازيلك
يا ثمانية الجوز ، يا شر الاذى ، عن الطريق .

- بر رز والله يا الله ! واستال مسفر خنجره وساق يمينه على بداح .
فوكر هذلول ذلوله وككر فاستوى بين الاثنين .

- وهل هذا من الايمان ؟ الله يغربلك يا مسفر . سلط الله عليك يا بداح .

- ومتى كان ابن العجمان يشتم ابن الدواسر ؟

- انا اذوب المجاني . دونك والحلة . امش فراح مسفر يهرير ويسب
العجمان . فضاظني بداح قائلاً : مسفر لا يجب النكته . وحنأ نحب نفيظه
انصايك .

الفصل السابع عشر

الحفر

الباطن - « ديرة » بني هلال - الحفر وآهوه - حروب القبائل - من يصعب الماء ؟
 - سائح يرقص عند وصوله الى الحفر وسائح يمشي - الريام الاربع تحترق في
 الحفر - جاء مسفر بتدور من الماء يقول : تبني تسبح ؟ - التراب في الماء وفي
 الطبيعة - قريباً من الحفر فلعقت هنا الريام - زهرة تبشر برجوع الحياة -
 والورقا والخفاف لا يكذبان - قصة امر سالم والاعرابي - البدو يختلطون
 « علمنا » - « وايش لون خذ الشعيب ؟ » - الزبدية - اربعة ايام عطية ثم
 العنق - الحرف على النهر - الجهرة - ربيع الشمال ومحبوب الجنة - العاصفة -
 الصلاة والمساء في الخبيثة - الادلاية في ضوء القمر - الزبد يلبسون ثيابهم
 الجديدة - شي من شعر حذلول - الموقد .

بعد ان خرجنا من الدهناء دخلنا في الباطن ، وهو القسم الشرقي الشمالي
 من وادي الرمث ، وفيه كما يقول اهل نجد ديرة بني هلال . ما هنا كانت
 قديماً منازلهم ، وما هنا اماكن حروبهم . ولكنه لم يبق من المنازل حتى ما
 شبهه الشاعر بباقي الوشم في ظاهر اليد . لم يبق ظل من الديرة فوق الارض .
 اما تحتها فالأبار العميقة ، المطوية بالحجارة ، والمحفورة في الصخر ، تدل على
 حمة في اولئك الاقوام عابية . ولا يزال في هذه القلبان ما لم يقر عليه من
 الاقدار غير غضب الامطار . فقد تمحوات من الوادي المياه ، وجفت منذ
 قرون قلبان بني هلال ، فكانت الطبيعة عوناً لهم اذا اجبرت على من تبقي
 منهم وهم يتقاتلون في الحروب . حتى الذباب هجر المسكان فقلنا نجد في الارض
 التي رويت بدمائهم غير تلك الدالية التي تدب وتساب كاحلية وتشر قرأ
 شيئاً باليسون . هو الحنظل يمثل مر القضا في « ديرة » القنا .

في الباطن بعض الرمث ايضاً وهو - في القاموس - مرعى للابل من
 الحنض . غير ان الابل لا تدنو منه الا اذا كانت في ارض فيها ماء . لانه يولد

الظلمة ، وهي لا تراءى الا قليلاً . قال بداح : الرمث للبل مثل السكر للانسان
- يطلب الماء ، ولكنه لئلا زين . ومع ذلك فان ناقة المتنبئ فضلت دخان
العنبر على دخانه .

تركت دخان الرمث في اوطانها طلباً لقوم يوقدون العنبرا

ترى الباطن يضيق في اماكن فلا يتجاوز حصة مشر فراعاً ، وإلى جانبه
جدار عال من الطين الرملية والكلسية . هوذا حقيق للعنبر الذي كان
يجري في وادي الرمث . وقيل انه لا يزال يجري ويفيض مرة واحدة كل
اربعين او خمسين سنة .

عندما نصل الى مكان يدهى ام الهشيم يأخذ الوادي بالاتساع فتقول
تدريجاً جوانبه ، فلا يبقى حوانا وامامنا غير رحب القفر وما في فراغه
وامتداده من دواعي النعم ، بل من الهول . ان النفس لتتقبض من عقبه
المعجم ، فتقلب العين عنه خاسئة . هو القفر السبب بالذات ، لا حله ولا
ظل فيه . وليس في هذه الكلمات ظل من المبالغة .

ان فيه مع ذلك النعم المنتظر . هو القفر المحتنى . في تضاعيفه ، وراء
افاقه ، الحفر - الحفر ، الماء ، النعم ، وكنا نعد انفسنا براحة مع الماء
ورياحين ، بنضيل وظلال طيبة . فوا اسفاه ان الحفر عمقرة دفنت فيها كل
النا والاعلامنا . هو القفر السبب يقيناً ، تربة رملية ولكنها سوداء ، لا
ظل فيها ولا ورقة عشب خضراء او يابسة . وانه ليحزن الفلاح خصوصاً اذا
علم بان هذه الارض حول الابار على مسير ساعة في الجهات الاربع هي سوداء .
من الجاد فيها لكثرة ورود المواشي على ما فيها .

الماء والجاد والتربة الطيبة ، ولا ورقة خضراء فيها . لم ذلك ؟ ان
الحفر ايها القاري العزيز ميداناً اقتتلقت وتقاتلت فيه القبائل . فكان يوماً
في يد الضفير ، ويوماً في يد شمر ، وثارة في حوزة ابن الصباح ، وطوراً نجت

مرة ابن الرشيد . كم وقعة ها هنا ، حول هذا الماء ، روت التربة الطيبة بدم
ربيعه ومضر ، وروثها بدم ابنائك يا عدنان ، فلا تنبت اليوم حتى الحنظل ،
ولا تظلل حتى الجنادب .

في الحفر ثمانية ابار كلها متهمة الجوانب ، ولا عدة لرفع الماء الا فوق
اتنين منها . فمن يرد الماء ، ليس معه جبل ولا انا . يعود منه ظمان ، الا اذا
وجد هناك من يبعه جبلاً وقربة . قد تكون الحروب في الماضي اوجبت
هذا الاهمال بل هذا الظلم . الماء لي اليوم وقد يصكون غداً لعدوي ، فلا
اصاحه واجهزه با قد يكون فيه هلاككي وهلاك عشيرتي . انما هي عاطفة
البدو وقاعدتهم في الحياة . وهم لا يدركون من سر التعاون والتضامن غير
الغزو ثم القتل .

اما اليوم وسيادة سلطان نجد تمتد الى الحفر وما دونه شرقاً وشمالاً ،
والامن والسلام سائدان في بلاده كلهما ، والبدو بعنايته الايوية آخذون
بالتحضير ، والارطارية اكبر الخبز^(١) واهمها هي على يمين جنوباً من هذا
المكان ، ومطبخ فيها تستطيع حماية الماء والحفاظة عليه ، فمن العار اذن ان
يبقى الحفر كما كان في ايام الضغير وشتر ، في حروب القبائل والامراء .

قال بداح : المستر فاني^(٢) عندما وصلنا الى الحفر راح يرقص من شدة
الفرح .

ولا عجب اذا كان كل من سافر في هذه الطريق من القصيم الى الكويت ،
فقطع النفود والدهناء ، يبتهج ويرقص عندما يصل الى هذا الماء . لا عجب
اذا كان الرحالة على الخصوص اجنبياً لا ناقة له في البلاد ولا جمل . ومع اني

(١) راجع الترح في صفحة ٩٩ من هذا الجزء .

(٢) مرسان جان فلي مؤلف كتاب « قلب البلاد العربية » ومستشار حكومة
شرفي الاردن سابقاً .

أحق من المستر قلبي بالرقص ، إذ قد نجوت من خطرين ، خطر الطريق وخطر
الحلى في الطريق ، فقد كاد قلبي يتفطر من شدة الحزن عندما انخنا في الحفر .
احتلتناه يوماً واحداً فشاركنا في الاحتلال الرياح الأربع ، وقد قيل لي
أن اثنين منها في الأقل وكمائها غالباً تحتل هذا المكان على الدوام . ذلك
لأن آفاقه مكشوفة مبسوطة كأفان البحر . فتجيشه الشال مدرجة ، والجنوب
غائرة ، والشرقية صافرة ، والغربية مصفقة مولولة ، فتلتقي كلها وتخرّب في
هذا المكان . دخلت خيستي واقفلت الباب وجلست استمع دوي المعركة ،
واحسبت غير مرة أن بيت يومي واقع لا محالة على رأسي .

جاءني مسفر بعد الظهر يسألني إذا كنت أبقي أن اسبح . فظننته يفرج
وقلت ضاحكاً : نعم . ثم انتبهت إلى الجلد في امره لأنهم في شجدة يمهرون
عن الحمام بالسباحة . وجاء بعد ساعة بالرجل الذي يطبخ فيه وقد ملأه ماء
حاراً . فقلت : بارك الله فيك يا مسفر . فسبح في القدر . فقال مستدرساً
وهو جاد في كل امره : قد غسلته بالزمل ثم بالماء الحار .

ثم بعد نصف ساعة عاد يحمل في صحن من النحاس الجمر وعود التند وهو
يقول : تطيب . ثم مد يده إلى عبه وأخرج كتفه الأكبر المرأة . وساعدني
في لبس الخزمة ، وأحكام العقال ، وأخرج من الحبة يقول للربع : باركوا
للاستاذ بالسباحة . فقال هذلول فرّدت كلماته : نعم دائماً إن شاء الله .
وقالت الرياح : سأكل عشاك مطبوخاً بالتراب .

صدقت الرياح . فكيف يستطيع مسفر أو غيره من الطهاة العظام أن
يؤد من القدر التراب ما دامت الأربعة الأهوية تشيده وتقربه على الدوام ؟
وكيف يستطيع بداح ومبارك وجعيت أو غيره من العريان الأقوياء الاخفاء .
أن يوفوا الماء ليلأوا القرب والاروية دون أن تعترضهم الرياح فتباعدنهم مراراً
عن القليب وتخلط حتى يائسا التراب ؟ ولكن ماء الحفر ، وإن كان ذا لون ،

فلا رائحة ولا طعم له . حمدنا الله على ذلك . وسرحنا باكراً كما مرحنا تحت
قسطن من العجاج وبين امواج من دوي الالهوية تصم . اني اذكر الان اننا
كنا وقشذ في اخر شهر شباط ، في ما يسمى بلبنان المستقرضات .

قلت سرحنا ولو كان في الامكان لرحنا غارة من ذلك المكان نبعي
السكينة والاطمئنان في الشمان . ولكن الركائب نفها صغانت قنني
كأنها مصعدة في النفود ، فتلوي الرقاب وتضك الركاب ، من شدة صدمات
المدور المحيق بنا . وعندما انحنا المضغى صكانت لا تزال سرياته تميع حولنا
وتشيع ، فاخذ كل منا شيئاً من الخبز والطعام بيده ، وجلس على الرمل فرقع
العبادة على رأسه كالخيسة وشد اطرافها تحت رجليه .

كذلك جاست . وكان الرمل مع ذلك يسبق اللقمة الى في . وجاءت
الحى في ذاك اليوم العصيب تجهز على لولا رحمة الله . على ان الرياح هدأت في
اليوم التالي وصكنا قد بعدنا عن الحفر ، عن القفر الياباب والموت ، فلاح في
الارض حولنا شيء من الحياة . هي ذي الروثة ، روثه العام الماضي وهي
شبيهة بالموت الا ان المحوطة قليلة فيها فتقبل عليها الابل . وهوذا نبت
اخضر ، من طلائع الحيا في هذا العام ، ولكنه ليس من الحيا بشيء ، لان
الانعام لا تدنو منه . اما مرآة فقرت به العين وانتش من الفؤاد . قيل لي
انه يدعى بُعَيُون وهو شبيه بالشر ، زهره اصفر ، ورائحته قارصة .

وهاك في الجو جناحاً صغيراً يسف فيؤنس ، ويزلج امام الهواء صكانه
ورقة خضراء سوداء ، جناحاً اسود فيه اخضرار يرفرف حولنا فيبشرنا
بالحياة ، ثم ينسل في وهج من خيوط الشمس . هو الخطاف الذي يسميه اهل
نجد الرقيصي . وجاءت معه الورقاء - أم سالم - تتنيم زهر البعيثوان ونجر
تبها ذباها ، ذنبها الطويل ، على الرمل . قال الاعرابي وقد عرفه رفيقه الى
أم سالم : اي بالله وابن هو ابو سالم ؟ فاشار الرقيصي الى الخطاف فقال :

واييك حتى في الطيور تهوى البيض العبيد . وايش قولك يسالم ؟ اولاد
العبيد منا كيد .

وكان أحد ، كما يقال في نجد ، اي وجه الارض ، يتعمد كلها بعدنا عن
الحفر ، فتكثر المغالي^(١) ويكثر البدو ، وقد خرجوا بمواسمهم ينتجعون .
فيلاقوننا يستطلعوا اخبارنا ويسألوا عن المرعى في الارض التي مورنا بها . كان
الاعرابي يرانا ، وهو على مسير نصف ساعة منا ، فيركض حتى يلحق بنا ،
واذا نصب يومي . يودنه او بطرف قيصره ان قفوا ، فتقف امثالنا لا لامر هزلول .

— السلام عليكم يا اخوان . حي الله المسلمين . . . وتسايف انت ؟
وتسايف حالك ؟ الله يزىن حالك . . . واو تركي^(٢) تسايف حاله ؟ . .
وايش علومكم ؟ (اخباركم) وايش لون خد الشيب ؟ (اي ما هو لون
الارض ، المرعى ، في الشعب الذي مورتم به) .

في اليوم الثاني بعد سفرنا من الحفر خرجنا من الباطن اي وادي الرمة
عند مكان يدعى الرقي ، وسرنا جنوباً بشرق نازلين الى الدبدبة ، فوصلنا
اليها بعد ان اجتزنا بضعة قلال او شعبان ضل فيها الدليل المطيري . وقد كان
في ضلاله مشكوراً لانه اقصر بدل ان يطيل الطريق .

الدبدبة سهل فسيح كبير لا يقل عن العشرين الف مبل مربع ، يمتد
شرقاً بجنوب وشمالي من وادي الرمة ، فيحده غرباً الحفر وشرقاً الشق
وتشطره شطرين الدرجة الثانية والعشرون من العرض الشمالي . قد كانت

(١) المغالي الارض التي فيها مرعى . ومن كثات البدو اذا نزل المطر : اليوم اجعلها
في مغالي ارتسبنا ولا تبيل ثيابنا . اي اجعل الشتاء في الاماكن التي هي مرعى لركابتنا
ولا نجعلها علينا فتبل ثيابنا . البدو مثل السياسيين ينفون النعمة دائماً صافية ومفيدة
شروط .

(٢) تركي ابن السلطان عبدالعزيز البكر وقد توفي في الوفاة الاسبوعية بعد الحرب

الدبدبة ولا تزال تابعة لمن يملك الحفر ، الا ان قصراً صغيراً منها دخل اليوم في حدود العراق .

والدبدبة كثيرة المغالي ، مخضرة الجوانب ، رقيقة الاديم ، منبسطة الارعاء . تسمى غالباً اثر الطريق فيها فيسمى من كان ناهراً الكويت وظله امامه او وراه ، واذا اسرى فخرج الجدي الدليل الذي لا يضل . وفي الدبدبة من القصب الجباري والقطا والارانب والقرلان . على ان الماء قليل ، وهو غير موجود في الطريقين من الحفر الى الكويت . اي الطريق الشرقية في خط مستقيم الى نخلة الدويش وطولها مئة ميل والطريق التي اتخذناها الى الجهرة شمالاً وهي مئة واربعون ميلاً . فلا ماء بين الحفر والجرة ولا ماء بين الجهرة والحفر .

ومع ذلك فقد ظفرتنا في الدبدبة باربعة ايام طيبة سرنا فيها سحر الهون اكراماً للركائب ولانفسنا . وقد كان اذا ما كان لها من الحفر والذرة في تغير الهواء والمناظر والمرعى افاً لا بل تستلذ العرفج والارطى الخضراء وكانت في الدبدبة وافرة من نعمة الله . ونحن نستلذ الجباري والكماء ، وكان مبارك وجيش يقنصان بينا ابراهيم ومسفر وسعود يبحثون في الارض فيجشوننا كلهم في المساء بما يندر في باريس ولندن من نعمة الله ، الا اذا بُذل في سبيلها كثير من المال . لا اظن ان في الشمال كفاة تفوق خصياً ولذة كفاة الدبدبة ، اربعة ايام طيبة ، ثم الحمى !

الله ما ابلذك وما اشد الحق فيك ، ايها العجوز البصرية ، اذا سكنت تظنين انك نجيتين في اليوم الخامس لتفسيدي علينا هذه الاربعة المباركة فتنسينا حسنات الدبدبة كلها . جنت ، لا اكرم الله موالك ، وتزلت ضيفاً علينا ، فأكلت ما تبقى عندي من الكينا وملح الاثارة ، وعدت بنجتي حنين . الفرو ، يا حنين . هي اول مرة في حياتي الجأ الى خفيك لاطرد بها عجوزاً

شهداء . ولو لم تكن عربية الاصل ومن البصرة ، هذه الحمى ، ولو لم اكن الان في البلاد العربية لما ازعجتك يا حنين ، ولما اتخذت ارضي نعلك القديم الجليل .

راحت المسكينة تخرج ، ونهضنا في اليوم السادس بعد نصف الليل منشطين ، فاسرينا في ضوء القمر لنصل الى الجهرة صباحاً . وما اجهجها ساعة اطلنا فيها على البحر ! البحر بعد اربعة اشهر في قلب البلاد العربية ، ما اجد وجهاً وما اكرمه بدءاً ، وما ابلغه رمزاً . الفجار ابعدتني عن العالم والبحر بعيدني اليه . الفجار قربتني من الله ، والبحر يقربني من الاهل والحلان . والله ليولد لي ، وانا من الناس ، ما يلد لعامة الناس . فلا اكتم القاري . ان الشجرة الالهية الدائمة تضائق من لم يتنصر ولا حاول مرة ان يتنصر على الجسد . انني اعجب بالقدس انطونيوس وبسبعان العودي . ولكني بعد اشهر افتتها في ظله تعالى ، واحسست مرة ان الظل نجسم قدامي على ظهر الذلول لئلا عدني على الحمى ، بعد هذه الاشهر المباركة ابقي الرجوع الى ما فيه شي . من الحب البسيط الفاني ، ابقي الرجوع الى توافه المدنية ومبتذلات الحياة البشرية .

الجهرة بلدة عند جبل الزود على ساعد من الخليج عند غرباً من الجولان وراء مدينة الكويت ، والمسافة بينها وبين الفاحمة لا تتجاوز خمسة عشر ميلاً . وهي مشهورة بكثرة ابارها ، ويقصر فيها الشيخ الكويت ، وبذلك الوقعة بين اهله والاخوان التي سيجي ذكرها .

اخذنا خارج السور على كتيب من الرمل وارسلنا بداحاً بكتاب الى هو الشيخ احمد الجابر آل صباح نعلمه بوصولنا ونستأذنه بالدخول الى المدينة . كنت قد كتبت اليه من الرياض وجاءني منه الجواب مرحباً بي . ولكن هذا ولأولاً ، وهو ولي الامر ، حريص على الرعيات فلا يدخل مدينة قبل ان يسبق منه علم بذلك الى اميرها .

ما كدنا نغيب الحيام حتى جاء بعض افاضل الجهرة وفي مقدمتهم امير

تغصن يزوروننا ويدعوننا للقهوة في بيوتهم . فذكرونا بأهل القصص في
ترحيبهم بالغريب . قضينا بضع ساعات من يوم رحلتنا الاخير لشرب القهوة
والشاي ونسمع ما يتمسب من العاصفة الى هذه القرية من اخبار العالم . على
ان اهلاها يتسبون لما في البادية ، على ما ظهر لي ، ولأخبار نجد والاخوان اكثرا
من سواها . اخبروني بان الجهرة محلبة للرياح مثل الحفر ، وان الهبوب التي
سببها الشمال مسلطة عليها . على انهم لا يخافونها بقدر ما يخافون « هبوب
الجنة » التي مهبها الجنوب .

وانا اكراه الهبوب سواء اكانت جنوبية ام شمالية ، فشكوت الله ان
مسرحتها في الجهرة يوم تولنا فيها كان خاليا هادئا . شكرت الله . وانا
كنت عائداً من البلدة ردت آية الحمد فسمعي هذلول فقال : والحمد لله في كل
حال ولكن هذا المهب ^(١) .

لم ار له اثر احيث كنا ، غير انه كان يجمع جيوشه فوق جبل الزور
ودونه في الافق الغربي . وكانت طلائفه كالغيوم السوداء الماطرة وحركتها
ظاهراً بطينة .

اسرعنا الى المناخ فالقينا الربع حول نار سالم يشربون القهوة ويتجادلون
وهم لاهون عما هو حادث هناك . فصاح بهم هذلول وامرهم بان يرفعوا الشراع
ويطووه ، ويوطدوا ارتاد الحيسة تحسبي . فما كادوا يتسبون المعدل حتى وصلت
اليها سريرات هبوب الشمال .

امر الامير الحدم بان يرزموا العفش ويتأهبوا للرحيل . ولكن سريرات
من الغرب والجنوب احاطت بهم فارقفتهم ، وشتمتهم ، وكادت تذهب
بقصائهم . لجأوا الى الجهة الشرقية من الحيسة فهوت وكادت تقع عليهم .

(١) هم يهربون عن الهبوب او الريح المظيرة للبار بالهيب .

- اقضوا^(١) الحبال . حمود وحمد وجميعهم اقضوا الحبال ولا تهجروا الحية . مكانكم .

فنسك الثلاثة بجبالها والرياح من النواحي الثلاث تزدري الرمال عليها وعليهم .

وكانت ساعة المغرب والعشاء . الصلاة . الصلاة أولاً . وكيف يصلون ، وهم اذا استقبلوا القبلة التي هي غرب ذلك المكان يستقبلون المهبوب - هبوباً ولا « هبوب الجنة » .

دعوتهم الى الحية فدخلوا كاهم الا الثلاثة القابضين على الاطناب فاذن مسر ثم صلوا ، وصليت معهم وانا جالس على السرير ، أو لا يتخلق بي ، وهي آخر ليلة مع « خرياتي » ، ان اشار كههم في الصلاة وفي العشاء .

جا . مسر وابراهيم يحملان الرجل الكبير الى الحية فرقا النقطا ، فاذا على وجه قطيفة من الرمل ، فكشطاها مسر بالمفرقة وصب ما فيه من الارز والاعم . نحرنه الزاد ونحن جالسون القرفصاء . ولكن الرياح وهي تصفر وتنفخ من خلال فرج الحية ومن تحتها كانت تسابقنا اليه ، فيجبي الرمل ، في كل سنة من الارز ، كالبذر في الصبي . وما كنت تسمع مقطعا او حرفاً واحداً من الشكوى الا اذا كانت باثناً مني . بيد اني كظمت ونجملت خجلاً من ابطال نجد ، وشكرت الله معهم على عشاء من الارز والرمل .

بتنا كائنا في الحية نقص القصص ، والرجال يتناوون حراستها ، والرياح تولول حورها وتحاول عشا اقتلاعها . كنت قد سألت هذلولاً غير مرة ان يني علي شيئاً من شعره فأني اتضاعاً ، فالحجت عليه - هي آخر ايلينا يا هذلول - فاصكرني .

(١) قضب لغة اهل نجد في قبض .

وكان قد انتصف الليل فطلع القمر وسكنت الرياح . فقمنا نتأهب للرحيل ، أسرينا من الجهرة مكروحين ، وبعد ساعتين انحنأ ليم الربع عملاً لا بد منه . يجب ان يغفروا ثياب السفر قبل ان يدخلوا الكويت .

شبعنا النار وفرشنا بعض القروش فحاولت ان انام ساعة بينا « خوياني » يلبسون الثيابهم الرسمية ويزينون انفسهم . واكني وجدت شرب القهوة ورعي النجوم اسهل من النوم .

لبس كل من الربع المكسوة الجديدة التي انعم بها السلطان عبدالعزيز قبل السفر من الرياض . ولبس هذلول ورجاله النجاد الجلدة فوقها ، ونظفوا بناتني الفشق ، واخرجوا البنادق من بيوتها ، والطعرات الجديدة من الاخراج . وكانت مودة مسفر الضيفة تقوم بفضل القمر بواجبها ، فتداولتها الايدي وبست لها الوجوه .

وسكنت انا ، ويا للعجب من امرى ، اسيراً اكتبها حاولت ان اظهر عليه او اخفيه . هي اول مرة ادركت وتيقنت اننا في المرحلة الاخيرة بل في الساعة الاخيرة من رحلتنا . وكلم مرة وددت النهاية وتقت وحادث اليها . على انه في تلك الساعة ، وانا مدرك ان القمر لا يطلع مرة اخرى علينا ، علي وعلى هؤلاء الاخوان الحقيقيين ، المحبين المخلصين ، في تلك الساعة ، ساعة الفراق ، اعتزاني الغم ووددت من الزمان يوماً اخر نسير فيه الى واحة من الواحات ، وليلة اخرى نسير فيها حول نار سالم ، فيقص مسفر رقصة الاخوان ، ويطعم ابراهيم النار الى ان يشغل دغائها خيوط الشمس الذهبية .

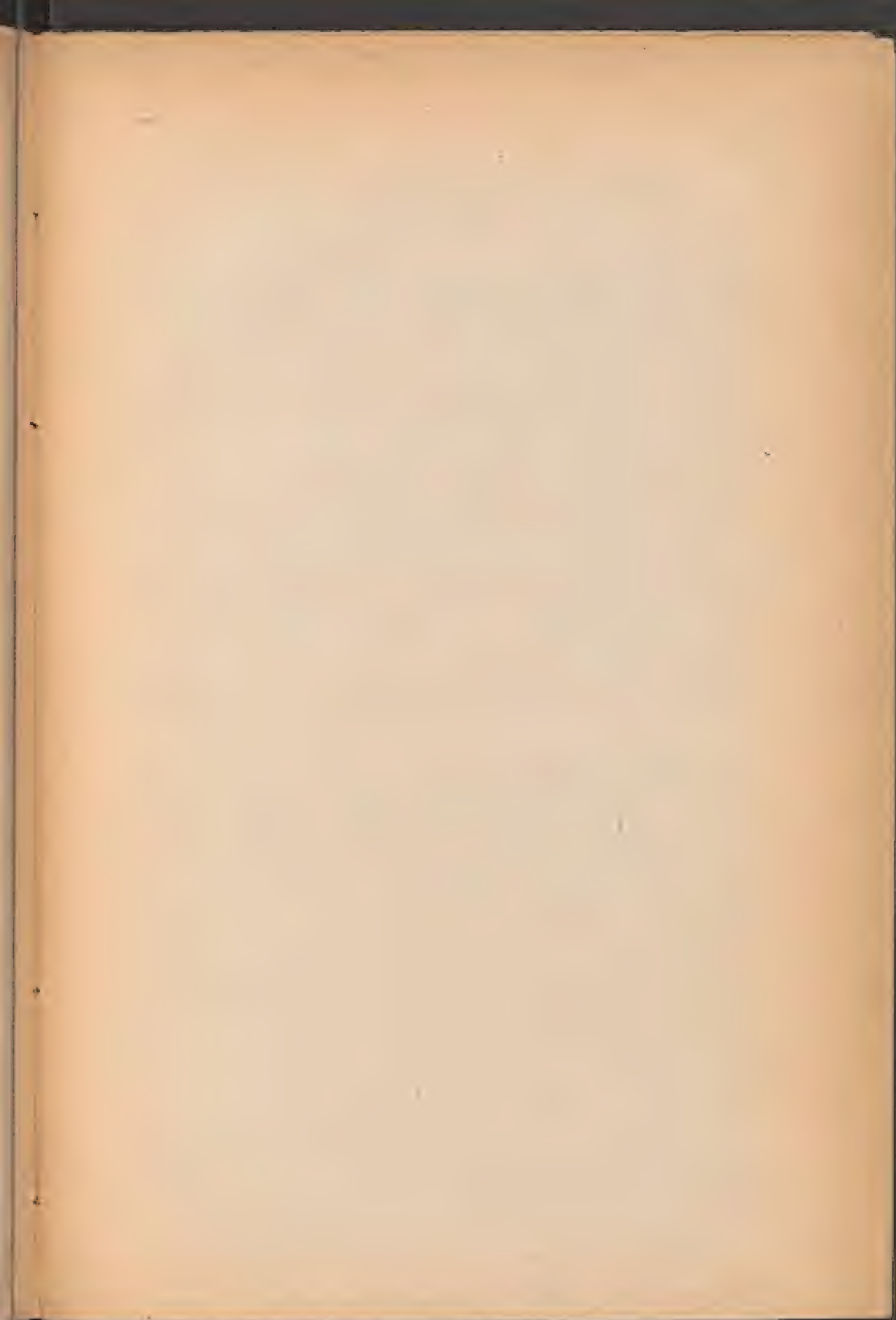
« حثاً اهل المرجا - مروة السنين »

ولكن شعر هذلول البطلاني الذي املاه علي منذ ساعة - وستظل بالزعم من الايام والليالي منذ ساعة - لا يزال يرن في الاذن والفؤاد . وما احسن

اختيارك ايها الدوسري الكريم ، وما اجل العاطفة في تلك الابيات التي بعثت
بها الى احد خلائك . فهي تنطق بلسان حالي اذا ما ذكرتك وذكركت
« خويانا » كلهم اجمعين .

يا علي يوم السبت ونبت وذه (أن ومن)
يوم ارتحلوا فوق عرش النجايب (المجن الحرة)
يا ليتني معكم على كوارهن (اكوارهن)
مع زبعي التي هرجهم لي عجائب (حديهم)
يا الله يا خلاق ناز وجنه
لسالك يا منشي صفوف السحاب (الفيوم التي تجود بالامطار)
تسير يام الدين لدياوهن
حتى تشوف صويجي والحبايب
صويجي التي مني وانا كنت منه
منساه (لا انساه) لورزت علي النصايب (حجارة الفجر)

ادخلنا من ذاك المكان . وما هي الا ساعة حتى انبلج الفجر وبانت من
وراء حجابيه القضي الشفاف مدينة الكويت .





مير الشیخ احمد الجابر آل صباح

الفصل السادس

آل صباح
شيخ الكويت

الكويت

سنة ١٩٢٤ م ١٣٤٠ هـ

•

حدودها : شرقاً خليج العجم . شمالاً وغرباً وجنوباً خط يمتد . عند ملتقى الخطين الثلاثين من العرض الشمالي والثامن والاربعين من الطول الشرقي فيستد في شكل نصف دائرة وير بالشق غرباً والشق جنوباً وبين جبلي بُرقان والقوين الى رأس التلّة على الخليج . اما منطقة الجياد بين الكويت ونجد فهي من رأس القلية الى خربة الدويش ومنها في خط يمتد جنوباً بشرق الى قرب الخط الثامن والاربعين من الطول الشرقي ومن هذه النقطة الى عين العبد فوأس المشاب على الخليج .

مساحتها : اربعة الاف ميل مربع .

عدد سكانها : نحو مئة وعشرين الف نفس منهم ثمانون الف في مدينة الكويت . والباقي من العشائر خارجها .

اهم بلادها : الجزيرة وجزيرة فيلكة والدمنة والنفطاس وابو حليفة والشعيبة . وفي برها اماكن ^{الاسماك} معروفة كالخيرة عند الحدود الشمالية والصيحية في الجنوب وخيرة وام الرؤوس وغيرها . وهذه كلها اماكن مياه يرتادها عرب العشائر .

مذاهيرها : اهمها السنة ثم الشيعة ، وقليل من الفرس والمسيحيين واليهود .

الفصل الاول

في الكويت

القافلة في البادية - اهمية الانسان في القفار - عمر لزيد - دجلة الله - العود
الى البصرة - الصالحية جنة - الساط والمف - الكمال غاية الحياة القصوى -
تقلت في النقص - عنت من نجد استاذنا - سور الكويت - القافلة الملكية في
الغلاة - سمو الشيخة احمد الصباح - القصر والاشعة فيه - مناقشات الترف -
القبولات - بندورة الكويت - الاجادة لدى الساط والشهادة - حرمي في
الكفر بالله - ججير ياتيم النعيم - الهوا الاضر - عليب من يبروت - جبر
الشيخ خزعل والعافية .

كنت قد عاهدت «خوياري» ان ادخل واياهم الى الكويت راسياً
الذلول ، ولكننا قبل ان نصل الى المدينة رأينا سيارة قادمة منها فوقفنا اذ
دنت منا ، فقال قذلول بخاطبي : من الشيخ احمد . نوح ، نوح .
أنخت أسفا لاني ادرى في الحال ان لا مد من الركوب في السيارة
فأخلف بوعدني ، وأحرم لذة كنت أعجل النفس بها . ليست القافلة في البادية
غير قافلة معها كان عددها ، وليس الراكب فيها ايا ^{كائن} فجو واحد من
المسافرين . لا اهمية للانسان والحيوان في القفار . او ان الاثنين واحد في
فسيح ما لكها .

ولكن القافلة ساعة تدنو من العمران ، من الحضارة ، تنير في نفسيهما
فيعظم شأنها ، فتدخل بوابة السور وقد اختلط في قلبها السكر والسرور ،
وتسير في اسواق المدينة كأنها مركب من مواكب النصر والفتار ، وكأن
كل واحد من الركاب امير على عرشه العالي او قائد عائد من ساحة الوهم .
هو وهم في عجب ولا مراء . ولكنه وهم جميل كان يستوقف العقل من كل
مرة نصل الى مدينة كما تستوقف العين صورة جميلة . بل كان يذل لي ولا عرو
اكثر من سراي لاني حديث العهد به .

غيري

لذلك اسغت عندما تحت ذلولي خارج الكويت . ولكنني ذهبت
وسررت ، فنبئت ما كنت اعلل به النفس ، اذ رأيت صديقي القديم يوسف
السالم جلبي آل بدر ومعه الشيخ عبدالله خليفه آل صباح ، وقد جاءا من قبر
سبحو الشيخ احمد بحدلان الي كتاب السلام والرحيب .

كان آخر عهدي بيوسف جلبي في البصرة عند صديقنا الاديب الفاضل
الشيخ محمد امين عالي باش اعان العباسي يوم اذنب لنا مأدبة فاخرة في بيته
« الصالحية » على نهر الصالحية هناك . فقلت مقصراً بالبيت المأثور :

والصالحية جنة والصالحون اليها أمرا^١

كنا يومئذ عشرين ونيفاً من الصالحين - الصالحين للآزال والطمان .
وكان يوسف قد شجذ سلاحه جالساً الى جني يصف الارض سفاً عجيباً . واذا
الطالب في هذه الطريقة اعجب به واتى ان يكون لي جزء مما له من المهارة
والاقتدار . سألته عما اذا كنت استعن الشهادة في السف البسيط وهو ان
تأخذ شيئاً من الارض فتضعه بين اصابعك وتدفعه بالابهام الى فمك
فاستعرض سفي ثم قال : لا يزال ينقصك شيء من العلم والاتقان . عليك
قال هذا ومد يده الى الارض فادارها فيه . كأنه يحدد دائرة هي ملكه
وقيض على صكالة منه كبرة قد ملكها ، ثم رفعها وجعلها ، وهو يعصر
منها السن ، انكرة مناسكة شديدة فقف بها اذ ذاك الى فيه دون ان
يسقط منها او يتبقي بين أصابعه بذرة واحدة . فقلت : سبحان الله الذي
جعل الكمال غاية الحياة القصوى . فلا شيء اجمل في الحياة من اتقان في
صناعة او كمال في فن .

قلت ليوسف جلبي : بعد ان شاهدت منه هذه البراعة ، اني مسافر الى

(١) استفرغك يا سيدي الاستاذ اني اعلم ان أم تعدى بذاتها ولكن الذكوة الزميرية
تنتذر « اليها » .

نجد فاقرون هناك ، وسأعود ان شاء الله اليه ليعطيني الشهادة . وما كان في
الاسبان ان نستجيبنا التقادير نانية ، فتصير النكبة بعد اربعة اشهر حقيقة
مضحكة . قال يوسف ونحن سائرون في السيارة نعيد تلك الذكرى :
سنفعلك اليوم في القصر ونعطيك الشهادة باذن الله .

اول ما استرعى النظر في الكويت اذ يصل المسافر من البر اليها ذلك
السور الكبير الذي بناه اهلها بعد وقعة الشهرة ليصدوا هجمات الاخوان . وهو
سور يحيط بالمدينة من جهات البر كلها ، طوله خمسة اميال وعرضه نحو اربعة
امتار ومحصنه في بعض الاماكن متر ويزيد ، فيه المقاتل والكويتي للرمي
والدفاع ، وله بوابات ثلاث يقف الحرس عندها ، وتنفذ في الليل لم تنفتح
الحكومة روية واحدة على بناء هذا السور ، فقد تفرج اهل الكويت كل
با يستطيع من عمل او مال واقفوا البناء في مدة شهرين . إنه لمن الاعمال
المدينة العامة المدهشة خصوصاً في البلاد العربية .

دخلنا المدينة في الساعة الاولى من ذلك النهار ، فوقفت السيارة في الساحة
الكبرى ، فترجلنا ومشينا تجاه حنف من الناس جالسين في الغلاة على مجالس
من الطيارة والطين الى حائط بيت صغير . فوقف اذ وصلنا من كان جالسا
في الوسط ووقف على اثره الجميع . هو هو الشيخ احمد الجابر آل صباح حاكم
الكويت . خرج من قصره بجاشيته وبعض أسرته يستقبلنا في المكان الذي
يجلس فيه للناس . ليس احب الى السائق وليس اقرب الى الديقراطية الحلقة
والمساواة من هذه المقابلات الملكية في الغلاة .

الشيخ احمد في العقد الرابع من العمر ، ربيع القامة ، دقيق الملامح ، حسن
الخلق والهمة ، لطيف الاشارة والحديث . وهو اقرب في حياته الى الشكل
الآري منه الى السامي . فلو كان في غير النعل والثياب العربية لظننته هدياً
من البنجاب او اوروبياً من بلاد الاسبان .

هنا في بوسلي وأغرب عن دهنته لسفري في البلاد العربية هذه الفترة الطويلة . ثم قال : العرب انفسهم يكبرون هذه الطريق ويخافونها . ومنهم من لا يقوى على تحمل مشقاتها . وكيف تحملتم ركوب الدلول بكل هذه الايام ؟ نهشكم يا استاذ وزحبت بكم . ولم يشأ ان يطيل الجلسة الاولى رغبة في راحتي . فبعد ان تناولنا القهوة أمر من لاقاني ان يرافقني الى القصر . وكانت هناك الفتنة الكبرى . لا أريد بالفتنة ما فيه نبرة او دين او سياسة ، وقد كنت بعيداً عنها كلها . ولكنني فنتت . اجل ، فنتت بمحاجات الترف والرفاه ، انا الذي اقت عشرين سنة في مدينة تزدحم وتبذل في تولها فوافل العيش ونفائس الصناعة والفنون ، تلك التي كانت تنحصر في الماضي خصوصاً بأوروبا في قصور الاشراف والاميان ، وهي اليوم هناك لكل من يستطيع من الناس بذل بعض المال .

تألف ما تفضل البيداء وخشونة العيش . دخلت القصر في الكويت كأي بدوي لم ير في حياته قصراً جميلاً ، ترينه الاعمدة والقناطر ، ولم يجلس مرة في صاعة مفروشة بالفاخر من الرياش . وعندما جاء الحظم الواحد بعد الآخر يحملون الاطباق ، فوضعوها على السجادة ، وجلست انا ورفيقي اليها فنتت يا احاط صحفة الارز من الالوان المطبوخة بالقولات .

القولات ! بعد الارز والرمل واللحم والتراب التي كان يطبخها لنا مسفر ومعاوناته الرياح ، انها من النعم التي يقتفر فيها الابتهاج والاسراف . نخرت الالوان نخر العاشي المشتاق ، واخصصت بالاسراف بتدورة الصكوكيت التي يشحنون منها الى البصرة ، وهي صغيرة مدهمكة ، يطبخونها بتشرها دون ان تمسها السكين . ثم سمك الصكوكيت المشهور الذي يشبه سمك المشط في طهيرة ، ولكنه ارق واذهب . ثم اصناف الحاروي وما اشد حاروها واكثر عمنها واسرارها . وعندما نهضنا تفضل ايدينا وقف امامي يوسف السالم آل بدر ،

وهو كما اشرت من رجال الباط المشهورين في البصرة والكويت ، فصاحني
وقول : أهنيك يا أمريت . فقد صرت منا ليس في سفن الارز فقط بل في
سفن الساط .

وبعد ان ودعني في تلك الليلة خرجت الى الايوان ذي العدد ، المشرف
على الخليج ، ففتنت بشهد البحر والسفن المسربة بضوء القمر ، وظلمت حتى
نصف الليل جالسا في كرسي هندي ^(١) ، وانا في ثوب النوم ، جلسة ايركية
- وما اخلق ذلك الكرسي بها - رافعا للقمر رجلي ، مطلعا البنان للذيد
الاحلام . فاحسست بهواء البحر البارد الرطب الا بعد ساعة ، فدخلت وانا
ارتعش الى غرفة النوم .

فبت قليلا واستفقت ان من شدة الالم . عاد الساط في بطني ثارا ،
واستحال النعم جميعا . فبكت منذ تلك الساعة حتى الفجر احسن بشي .
يتعقد في ثم ينحل ، ثم يتقطع ، ثم يذوب ، فأذوب معه واحكاد من شدة
الوجع الموت . فل عاينت الموت في تلك الهضة التي تنذر في غير الوفاء . افها
يا رب المسرفين والمقتربين ، يا ارحم الراحمين ، في الهراء الأصفر نهاية هذه
الرحلة وشبابي . ارايها بندورة الكويت تفعل ما لا تفعله الادوية والاملاح .

جاءني في الصباح يوسف جاني فحزن لحالي وبادر الى الطبيب . وجاء
بعد ساعة الطبيب فأنبت الجرم على البندورة وقال : ان لها شربة هي
الحل . - وللاتنين مذوة هاكها ، غير ان الطبيب نفسه نفني احكم من
عقاقيره . فقد استأنست به أيا استأنس لانه من سوريا واسمه شيبه بامي .
هو الدكتور ربحان من بيروت . وما الذي قذف به الى الكويت ؟ اخبرني

(١) اذا كنت نهي كرسيا متفرج فيه ، ونام فيه ، ونسي الادب فيه ، فليس
اصح من ذلك الكرسي الهندي وقد جعل لظهوره درجات فتبسطه قدر ما تشاء .
ولجانيه عضادان ترفع عليها ساقيك ، فنسى انك انسانا ونكفر بالله .

انه في معية السردار اقدس الشيخ خزعل خان الذي جاء يقضي بعض الشتاء في قصره خارج المدينة . فكان الحظ هذا كالوردة الحراء في ضمة من الزمجان . لاني كنت عازماً على زيارة الشيخ خزعل في المحصرة فسررت جداً بقربه مني ، وعادت في ذاك النهار المافية مثلاً وأتت ، وهي تحمل باحدى يديها ادوات العمل وبالأخرى مصباح الامال .

الفصل الثاني

آل صباح^(١)

اقسام العرب - ربيعة وعشيرة آل صباح - توريثة الكويت - اول من حكمها من آل صباح سنة ١١٩٠ هـ - اولاد صباح - جكر عبدالله - جكر محمد - شقاق في بيت آل سعود - تدخل الدولة - فتح العيا - مساعدة آل صباح للدولة - الشيخ مبارك - الفرق بينه وبين اخويه - الخلافة - النجاعة - ذبحة محمد وجرام - النجاء - اولاد القترين الى راي البصرة - النجاء - مبارك الى والي بغداد - تدخل الحكومة البريطانية - قيام يوسف آل ابراهيم على مبارك - هجومه على الكويت - سفره الى الحجاز - ما عرضته الدولة على مبارك - وفشة والتجارة الى الانكاز - مدبرة من الى شهر - انتصار مبارك - يوسف آل ابراهيم في جبل شهر - الحرب بين مبارك وبين ابن الرشيد - وقعة الطرقية - ظهور ابن سعود - وفاة ابن الرشيد وابن آل ابراهيم - الجزية على مبارك - الحاكم بامر - اتفاق مع الانكاز - حكم الشيخ جابر - حكم الشيخ سالم - اخلاقه - سوء سياسته - وقعة الجفرة - طريقة انتخاب الحاكم .

ليس من يجهل ان العرب كلها تقسم الى قسمين ، قحطان اي العرب العرباء وقحطان اي العرب المتعربة ، وان عدنان تقسم الى فرعين مضر وربيعة . اما مضر فسكنت الحجاز وكانت لها الرئاسة في مكة ، واما ربيعة فسكانت منازلها في نجد اي بين اليمامة والبحرين والعراق .

وهي اي ربيعة تقسم الى عمارتين ، بني كلب وبني اسد ، ويتفرع بنو اسد الى فرعين او بطنين هما جديلة وعترى . ومن عترى يتحدث بكري بن وائل الذي تنسب اليه البيوت الثلاثة اخا كفة اليوم في نجد والبحرين والكويت ، اي آل سعود وآل خليفه وآل صباح .

كانت عترى قحطان اولاً عين التمر في بر العراق على مسيرة ثلاثة ايام

(١) الشيخ يوسف آل عيسى والسيد عبد الرحمن النقيب من الكويت الفضل علي بعض المعلومات في هذا الفصل والفصل الذي يليه .

من الأتيار . ثم انتقلت منها الى نواحي خيبر فقامت هناك ومعها احياء من طي . فصارت تستجمع وقشتي معهم في نجد . انها من اكبر قبائل العرب وهي تقسم الى الفخذ كثيرة منها جميلة ، وتقسم جميلة الى فروع كثيرة منها الشعلان ، وتقسم الشعلان الى عشائر اكبرها واشهرها آل صباح .

اما الكوريت فتاريخها القديم غامض مجهول . وقد لا يكون لها ما يهم منه قبل ان هجر اليها آل صباح قادمين من خيبر منذ نحو مئتين واربعين سنة . والكوريت تصغر كور والكوت في اصطلاح اهل تلك النواحي هو بيت محاط ببساتين صغيرة . كانت هذه الناحية يومئذ لابي خالد يجمعون فيها زادهم اذا رجعوا الي الحجرة ، فجاء آل صباح ، كما هو منقول ، وسكنوها باذن منهم .

ثم انتخب صباح حاكماً على العشائر فيها وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة ، لان المرجح هو انه توفي سنة ١١٩٠ فضافه ابنه عبدالله الذي توفي سنة ١٢٢٩ هـ .

كان الشيخ عبدالله الصباح اول من حكموا الكوريت من هذا البيت . حكمها نحو اربعين سنة ، فاست في عهده وشاع ذكرها في الخليج . ثم خلفه ابنه جابر عام ١٢٢٩ هـ وخلف جابراً ابنه صباح عام ١٢٧٦ هـ .

اما نوع الحكم فقد كان قبل صباح شورياً يشترك فيه رؤساء العشائر ، فلا يقدم الحاكم على امرهم قبل ان يصفى بهم وهم يستشيرون الجماعات . ويمكن هذه الشورى بدأت تضعف في عهد صباح الثاني اي ابن جابر حتى تقاص ظاهراً تماماً في ايام ابنه مبارك الذي حكم بامره ، وخصوصاً في العقد الثاني من حكمه .

من اولاد صباح الثاني ثلاثة تولوا الحكم بعده . الاول عبدالله الثاني الذي حكم ستاً وعشرين سنة ، ثم محمّد الذي حكم اربع سنوات ، ثم مبارك

الذي استمر حكمه احدى وعشرين سنة . ولكن مباركاً ، وهو على عتفه
وشذوذه حاكم الكويت الاكبر ، حاز قبل ان تولى الحكم شهرة في القيادة
تقدمت شهرته السياسية .

ففي سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م حدث شقاق بين ابني فيصل آل سعود
عني السلطان عبدالعزيز فقارض أحدهما الدولة العثمانية بواسطة والدها في بغداد
يومئذ مدحت باشا ، فانتقم مدحت الفرصة وارسل جيشاً الى القطيف ففتحها ،
ثم الى الاحساء فحاصرها واستولى بمدنئذ عليها .

وقد كان لمشايخ الكويت الفضل الاكبر في فتح الاحساء . فقاد الشيخ
مبارك الذي كان يومئذ في ريعان الشباب جيشاً كبيراً من العشائر في طريق
الهد ، ورافق الشيخ عبدالله القائد العثماني بجراً . ومنذ ذاك الحين وقبله الى
حين الناجمة التي اولت مباركاً الحكم كانت العلاقات بين حكومات الكويت
والدولة العثمانية شبيهة بغيرها مع العشائر الموالية لها . فقبلت بان يكون لها
سيادة اسمية في الكويت وان يعترف آل صباح بهذه السيادة .

بعد وفاة الشيخ عبدالله تولى الحكم اخوه محمد وكان مبارك واخوه
جراح طامعين به . على ان جراحاً والي محمداً وكان فعلاً لا رجعاً شريكه في
الحكم . فاشتدت المنافسة بين مبارك واخويه وكان لها من غير السياسة
اسباب اخرى . اما مبارك فقد كان ولا شك ابعد الاخرين طموحاً ، واشدهما
بأساً ، واحدهما ملعباً ، وامضاهما عزماً . بيد انه كان متهوراً متسرعاً في
اعماله . وكان جراح صاحب النفوذ الاكبر في الحكم يجب المال بقدر ما
يجب مبارك الجهد والشهرة . بل كان الاول بخيلاً والثاني مُبذراً . الا ان
النفوذ الاكبر في العشائر كان لمبارك ، فترع الى الفروقات ، ففدا في حاجة الى
المال دائمة . وكان الأخوان محمد وجراح يتعيان عليه دائماً آراءه واعماله ،
ويستبان معاملته ، ويمسكان منه احياناً ما تقتضيه الظروف الحصرية . فظهر

مبارك بضع سنين على هذه العاملة والي ان يصبر على الدوام . وكان يرى
عوق ذلك ان اخويه هما عثرة في سبيل المجد الذي يبتغيه للكويت وآل صباح .
فعندما فرغت كأس الصبر ، وامتلأت كأس التعيط والنقمة ، غزم على ان
يرجع نفسه وآل صباح والكويت من ذنوب الاخوين ، فنهض ذات ليلة
للامر ونهض معه ابنه ، وكل منهما يحمل بندقية ، فقتل مبارك اخاه محمداً وقتل
ابن مبارك همه جراحاً . وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣ للهجرة

ضجت الكويت لهذه الفاجعة ثم اذعنت للشيخ مبارك صاحب الحكم
فيها . اذعنت الكويت الابناء القتيلىن واشياهم ورجلاً اخر سيجي
ذكره . فرأى ابنا جراح ومحمد هارين الى البصرة فشكوا امرهم الى واليها
الفريق حمدي باشا . وكان يومئذ رجب باشا والي بغداد فسبق مبارك ابنا
اخويه الى ذلك المقام الاعلى ، فتسكن بواسطة بعض رجاله من استأثنت اليه ،
فكتب رجب الى الاستانة يقول ان احداث هو من الحوادث العادية المألوفة
بين البدو ، وخير للدولة ان لا تتدخل في الامر لان ذلك يؤدي الى تدخل
الانكليز .

ولكن الانكليز لم ينتظروا احداً ليتقدمهم في عمل هم دائماً متأهبون له .
فكان ان ابنا جراح ومحمد قد لجأوا ايضاً الى قنصل انكلترا في البصرة
فصرهم على مبارك ، وسمى في سيالهم وسبيل السياسة الانكليزية في
الخليج سفيراً عجيباً اثر ذلك الامر النهائي الذي اصدرته الدولة العلية . فخرج
ابن صباح الكبير بواحد من ثلاثة امور : إما ان يحضر الى الاستانة فيعينه
المابين عضواً في مجلس شورى الدولة ، واما ان يسافر الى البلد الذي يريد
فتخصه الحكومة بمشاش دائم ، واما القرة تستخدمها عليه اذا رفض ان
يعمل باحد الامرين . بما لا ريب فيه ان الدولة العلية اصدت هذا الحكم
ارضاء لدولة بريطانيا العظمى . وتما هو في دائرة اليقين ايضاً ان الشيخ

مبارك كان قد بدأ يفاوض رئيس الخليج اوكيل السياسي لبريطانيا
العظمى في ابي شهر ، فسمع هذا قصته وشكواه متجاهلاً ما كان من زميله
في البصرة .

انها لرواية مخزنة مضحكة معاً . لجأ اولاد القتيين أولاً الى حمدي
باشا والى البصرة ، فلجأ القاتل الى رجب باشا والى بغداد . ثم لجأ مالهو الناصر
الى قنصل انكلترا في البصرة ، فلجأ مبارك الى وكيلها السياسي علي شاطي .
العجم . وكانت دولة بريطانيا العظمى تمثل واسطة تمثيلها دورين معاً ، دور
المدني المرمي ودور الخاطي عن المذنب عليه .

ضغطت الدولة العثمانية على مبارك فطلب الحماية الانكليزية دفاعاً عن
نفسه ، فلبت بريطانيا العظمى طلبه حباً وكرامة . لا تدعُ زمراك تعلم بما
تفعله هناك . مندهما وصل المركب الحربي العثماني الى الكويت بقى بقيب
البصرة وبعض موظفي الدولة ومحرم يحملون الى الشيخ مبارك امرها العالي
ويقيمون تنفيذها ، جاء مركب حربي آخر يقبض الشيخ مبارك ويطارد المركب
العثماني من مياه الكويت .

اقف عند هذا الحد في المسألة لاعود الى اولها . قلت ان رجلاً اخر غير
ابناء القتيين خرج على الشيخ مبارك وقام ينصر اولادهما . هذا الرجل هو
الشيخ يوسف آل ابراهيم من كبار تجار الكويت واغنام . قد كان يوسف
بنفسه ثورة ، ودولة ، وحرباً على مبارك ، استمرت عشر سنين . فوقف
ثروته ، ووقته ، وحياته للاخذ بالثأر . اجل ، قد كان هو بالباذل القابل ، وهو
القائد للرجال ، وهو رسول قضيته الى الدولة العلية والى امراء العرب

اول ما باشره حرباً هو انه جهز اسطولاً من السفن المشحونة بالرجال
المسلحين وتولى قيادته في الهجوم بغتة على الكويت . ولكن ليلة دعا من
الأسكدة رآه احد الثوريين ، فوصل الخبر الى الشيخ مبارك ، فاستعد لملاقاته

وكانت المدينة معه . فلما علم يوسف بان المدينة مستعدة كذلك لمحاربته فقل
راجعاً ، ولجأ بعد ذلك الى الجذعة .

جاء بعض قاطبي الطرق واوعز اليهم ان يأخذوا سفينة من اسطوله
 ويدخلوا بها الكويت ، فيظنهم الشيخ مبارك من اعداء يوسف آل ابراهيم ،
 فيقربهم منه فيقتلوه . تمت المؤامرة على هذا الوجه ودخل المناوون الكويت
 بسفينة من سفن يوسف آل ابراهيم يدعون انهم غشوها بالحجارة ، فانطلقت
الحيلة على الشيخ مبارك ، فقرب الرجال منه وجعلهم من حرسه الخاص
 ولكن واحد منهم قلب الى ربه قبل الاعتقال وراح يطلع الشيخ مبارك على
 الدسيسة . فامر الشيخ بالقبض على الرجال هؤلاء . وبنفهم من البلاد .

لجأ بعد ذلك يوسف آل ابراهيم الى الدولة العلية فسافر الى الحجاز
 يستعين بشريف مكة ، وكان في مساعيه السياسية يوماً لسياسة انكلترا في
 المسألة ، او بالأحرى كانت سياسة انكلترا عوناً له . فصدر ذلك الامر
 الذي حمل للشيخ مبارك على ان يطلب الحماية الانكليزية ، فأسقط ابن آل
 ابراهيم في يده المرة الثالثة .

ولكن الفشل وان تعدد لم يكن ليشيئ عن قصده ومرامه . فقد سعى
 لدى امير اخيل الامير عبدالعزيز بن الرشيد فاغراه بعدوه في الكويت ، فشن
 ابن الرشيد الغارة على مشارعها ، فبادر الشيخ مبارك الى الدفاع ، فاعند من
 الحوش . وكانت هذه فاتحة الحيرة لآل سعود الذين كانوا مقيمين يومئذ في
 الكويت ، فتنظروا في حرب اعدائهم بيت الرشيد . جهز الشيخ مبارك
 جيشاً اولاً ليد العزيز سلطان نجد الحلي ، ثم جيشاً اخر برئاسة اخيه حمود
 بن صباح ، ثم خرج مبارك بنفسه يقود الجيش الثالث ومنه الامام عبدالرحمن
 آل فهد والذ السلطان عبدالعزيز . فالتقى الفريقان واحترقوا احتراباً شديداً
 في اخر ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) في مكان يسمى الصريف .

فقتل خلق كثير من الفريقين وكان النصر لابن الرشيد^(١).

بعد وقعة الصريف خرج ابن سعود عبد العزيز في نفر قليل من الرجال
يمني استرجاع الرياض عاصمة اجداده التي كانت يومئذ في حوزة ابن الرشيد
فدبح حامله فيها واستولى عليها^(٢). وكانت هذه النفورة فاتحة غزوات
وحروب ادهشت العرب في شبه الجزيرة وخارجها، فاعجب العدو والصديق
بنبرخ ابن سعود، بشجاعته واقدامه، وبحكمته وحلمه.

وعندما بشر مبارك بفتح الرياض خاف ان يبعد ابن الرشيد الكرة
عليه فبعث بتجدة الى عبد العزيز الذي كان قد فاز ايضاً بنصرة اهل الرياض،
فخرج منها بجيش كبير، وشرع يحارب ليسترجع ملك اجداده. فقتل
الامير عبد العزيز الرشيد في وقعة «روضة المهنا» في سنة ١٣٢٤ هـ^(٣).
وكان قد توفي في السنة السابقة اي سنة ١٣٢٣ هـ الشيخ يوسف آل ابراهيم
فاستراح مبارك من عدويه، واخذ نفوذه يتدبّع ذلك الى البداية ونجد.

كان الشيخ مبارك في سياسته مثله في حروبه مرفقاً منتصباً. فامتد
نفوذه الى البصرة والحيرة وكانت كلته مسوعة في ابي شهر. على انه مع
تلك السياسة وذلك النفوذ لم يكن في اعماله شي. يذكر من النفع العام.
فقد بنى مسجداً واحداً وقصوراً عديدة، ولكنه لم يهتم بالتعليم ولا ساعد في
بناء مدرسة واحدة. اخف الى ذلك انه كان يوهن بالخرائب الرعية والتجارة.

اما اتفاقه مع دولة بريطانيا المظنى فخلاصته ان الشيخ مبارك تعهد
بان لا يكون للكويت علائق مع حكومة اجنبية غيرها اية كانت، وهي
تعهدت ان تحمي الكويت من كل اعتداء خارجي من البحر وليس من اله
فلا تتدخل في شؤون العشائر ورؤسائها.

(١) راجع تاريخ نجد الحديث، الفصل الاول : وقعة الصريف.

(٢) » » » » الفصل الثاني : الاستيلاء على الرياض.

(٣) » » » » الفصل الثامن : ذبابة ابن الرشيد.

وقد تبع هذا الاتفاق في اب ١٩١٣ م . اتفاق بين الدولتين البريطانية والعثمانية بخصوص الكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان . فتنازلات الدولة العثمانية عن حقوقها في هذه الاسياكل كلها ، واخذت الدولة البريطانية على عاتقها ائارة الخليج وخفارتة . اما الكويت فظلت علائقها مع انكليترا على حالها السابق حتى سنة ١٩٢٥ عندما تقرر ان يحاكم الاجانب فيها في دار الوكالة البريطانية .

توفي الشيخ مبارك في محرم سنة ١٣٣٤ هـ . توفي سنة ١٩١٥ م . فخلفه ابنه جابر الذي لم يحكم غير سنة وشهرين . وكان جابر كريم السجايا يحبه الناس . فقد ألغى من ضرائب ابيه المتعددة ، التي يستعرب مثلها حتى في ايام الحرب في تركيا ، ما يتعلق منها بالاملاك . اذ ان مباركاً كان قد فرض ضريبتين باهظتين الواحدة على كل عقار يباع وهي ثلث الثمن ، والثانية على كل عقار يوزر وهي ثلث الاجرة . وكانت تكرز الضريبتان كل مرة يكور الاجار او البيع .

اما اعادة سالم الذي تولى الحكم بعد وفاة اخيه سنة ١٣٣٥ هـ وحكم مدة الحرب العظمى كلها فقد اشتهرت بأمرين هما اتساع تجارة الكويت وثلبة السلوة . فجا . في الاول البرهان على مقدرته التجارية ، وجا . في الثاني الدليل على ضعفه في سياسة البلاد .

اما التجارة فقد كان الشيخ سالم رغم الاتفاق بين انكليترا والكويت ، يسمح بدخول البضائع التي كانت تصدر من بلاده الى الاتراك في العراق وفي سوريا . فانسجت لذلك التجارة برغم ارادة مأمور الحصار الذي عينته الحكومة البريطانية للمراقبة في الكويت ، وبرغم المال الذي صكانت تدفعه لرؤساء المشائز مثل ضاري بن طوالة وغيره ليصادروا القوافل في بادية العراق والشام كان الشيخ سالم خشن البادرة ، صعب المراس ، متصلب الرأي ، فلا

يقتصر ولا يتعدل . وكان فوق ذلك شديد التزم في الدين أي انه كان
يكره الوهابيين والاعوان ولا يتقي . فأدت هذه الخصال فيه الى خلاف بينه
وبين سلطان نجد . وكان الخلاف سبب التنكبة التي اشترت اليها . ذلك ان
بضعة الاف من الاعوان هجروا على الجهرة ، فذبحوا مئات من اهلها وقتل
منهم مئات ، وحاصروا الشيخ سالماً في قصره هناك فلم ينج الا بحيلة احتال
عليهم بها^(١) .

تدخل الانكليز فردوا الاعوان عن الكويت . ثم تدخل الشيخ فزعل
فلوسل احد انجاله مع الشيخ احمد الجابر الذي انتدب ليعاوض السلطان
عبد العزيز بالصالح فساعدتهم بالمفاوضات الاقدار ، اذ بينما كانوا في الرياض في
شباط ١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م توفي الشيخ سالم وانتخب الشيخ احمد الجابر خلفاً له .

ان الوراثية او الانتخاب في آل صباح يكون غالباً باتفاق بين الاسرة
والحكومة البريطانية . على ان مباركاً رشح ابنه جابراً لولاية العهد دون ان
يسنشه الانكليز . ثم توفي سالم الحكم لانه يلى جابراً في السن ، ولم يخل
انتخابه من تدخل الوكيل السياسي ولو في سبيل التحقيق . فقد سأل اعضاء
الاسرة والمتوجهين من الاهالي اذا كانوا راضين بالشيخ سالم فاجابوا بالاجاب .

اما اذا كان تدخل الوكيل السياسي في الكويت لا يتجاوز المراقبة
والاستشارة فهو في غير من الاقطار العربية ، كما سئى ايها القاري . في
البحرين ، يتجاوزها ، اذا اقتضت السياسة والمصلحة ، الى ما فيه الامر
والارهاب .

(١) راجع تاريخ نجد الحديث ، الفصل الثلاثين : الاعوان في الكويت .

أفراء الكوييت من آل صباح

- ١- صباح الاول، حكم في القرن الثاني عشر للهجرة والمرجع انه توفي سنة ١١٩٠
- ٢- عبدالله الاول خلف صباحاً - توفي سنة ١٢٢٩ هـ .
- ٣- جابر بن عبدالله (جابر الاول) تولى الحكم سنة ١٢٢٩ هـ .
- ٤- صباح بن جابر (صباح الثاني) سنة ١٢٧٦ هـ .
- ٥- عبدالله بن صباح (عبدالله الثاني) سنة ١٢٨٣ هـ .
- ٦- محمد بن صباح سنة ١٣٠٩ هـ .
- ٧- مبارك بن صباح سنة ١٣١٣ هـ .
- ٨- جابر بن مبارك (جابر الثاني) سنة ١٣٣٤ هـ .
- ٩- سالم بن مبارك سنة ١٣٣٥ هـ .
- ١٠- احمد بن جابر الحاكم الحالي سنة ١٣٣٩ هـ .

الفصل الثالث

مشكل الكويت

معمل الشعراء - مصمم السفن - المعامل والنوطينيون يشتغلون - سفن التجارة والقوس - الماولو - مدونة تجارية - المسألة - أهل لجد - التجار والبدو - امالة الاحراني - المسألة في نظر السلطان عبدالعزيز - جبارك لجد - أهل لجد يستعملون عن المسألة - المسألة في نظر السلاطين - طلب سلطان لجد يرفض حاكم الكويت - العلق مع الكويت - كتاب الى السلطان عبدالعزيز اقتصر فيه طريقة للتسوية - وقد انكسرت في الرياض - كتاب من السلطان : « مسألة الكويت تعمل قريباً حسب وظائف الجمعية » .

من رواق القصر نشرف على مشهد من مشاهد العمال في الكويت . فان في ساحته الفسيحة المرتكز بها العلم الاحمر وقد كتب عليه « الكويت » نجد دائماً عدداً من الناس جالسين على الارض حول شراع مبسوط . وغالباً نجد ثلاثة او اربعة اشعة كبيرة والى كل منها عشرة ونيف من النوطين يشتغلون فيها ، يخططون جديداً او يصلحون قديماً منها . هوذا معمل الشراع الذي يعيش في ظله اكثر ابناء الكويت .

ودرن الساحة اذا ما سرحنا النظر في السيف امامنا رى السفن والادقال وقد اكتظت واشتكت بعضها ببعض ، وفيها العمال يصلحون قديماً او يدقون^(١) سفينة جديدة . هناك مصنع السفن التي تبحر في الخليج وتوصل جبل التجارة بين الهند والعراق ، وبين الاسا كل العربية والفارسية ، قدس حيث لا تستطيع المراكب التجارية ، وتحمل الصادرات والواردات من شاطئ الى آخر فاجور لا يستطيع البطار ان يجاري الشراع بها .

ان سفن الكويت ومراكبها مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعا
صنعها
(١) دق السنته بناها في اصطلاحهم او اشاجر من بينها .

وهي على انواع ، منها للمعبر والثقة ، ومنها للجمولة ، ومنها للغوص ، الكبيرة مثل البوم والجلبوت تصنع بالخشب المقاطع^(١) المطلي بالقار ، ثم تمشى بالواح من الساج ، وتنفش عرشها من الخارج نقشاً دقيقاً لطيفاً . اما البوم التي تدعى ابضاً البغلة فهي اكبر السفن واجملها وابعدا البحاراً ، فلا يقل طولها عن الثلاثين ذراعاً وعرضها الاعلى يتراوح بين الثمانية والعشرة الاذرع ، وتحملها متناطون ، وهي تصل في اسفارها حتى الى جزائر مدغشكر وزنجبار .

بيد ان اكثر السفن والمراكب التي زارها في الكويت تستخدم لاستخراج اللؤلؤ في موسم الغوص ، وللتجارة بين الهند والعراق . فتخرج من الكويت غالباً فارغة وتعود مملوءة اليها . ذلك لان الكويت مدينة من مدن اللؤلؤ على الخليج ، وقلياً يقرن اللؤلؤ بمصدر آخر من مصادر الثروة . هذا ما لها تشتهر به ما يلزمها من ضرورات المعيشة ونوافلها . ليس في بر الكويت غير المغالي ، وليس فيها او في جوارها شيء يذكر من التجميل ، فهي تضطر ان تجلب حتى الثمر من البصرة او من القطيف .

ولكن عندها كما قلت اللؤلؤ الذي تريد قيمته على قيمة ما تحتاج اليه من مأكل وملبس ، فتشتري بالزيادة الاتجار . وعندها السفن تحمل الى تجارها ما يشاؤون من البنادق الفضية ، فضلاً عن البواخر التي يجلبونها بالاحمال الكبيرة من الهند .

الكويت اذن مدينة تجارية . بل هي مثل جيزان او ميدي على البحر الاحمر ، وان كانت تريد عليها في عدد السكان عشرة اضعاف ، اذ لا تقوم تجارتها وتنمو بين فيها فقط . فلو امتلك الكويت على سكانها وعلى العشائر في باديتها لما كانت تجارتها ربع ما هي او بالحوي ربع ما كانت منذ

(١) قلقت السفينة او جلفظها هو ان يدخل بين صامير الانواح وغرونها . فالمدة الكتان وقد عُسِمَت بالزيت والدار .

مشكل الكويت

سنتين . اما السبب في سوء حالها في السنتين الاخيرتين^(١) فاذا سألت عنه التجار هناك يجيبونك بكلمة واحدة : المسابلة .

وما هي المسابلة ؟ سأكفيك مؤونة النفثيش في القاموس فقد لا تجدها فيه . المسابلة هي أن يجي العرب الى المدينة فيسابلون تجارها اي يشترقون منهم شيئا ما يحتاجون اليه من ملبوس وماكول . وغالبا يجيئون في الصيف فيشترون ما يلزمهم في فصل الشتاء . كلده ، ويدفعون ثمنه بعد ان « يصلحوا » حواشيهم اي يرتدوها ويستشروها في اوائل الربيع .

اما اكثر من يجيئون الى الكويت للمسابلة فهم من نجد من رعايا ابن سعود . يجيئونها ويقضونها على الضرعة والريو لاسباب ثلاثة . اولاً لانها اقرب . ثانياً لانهم يجدون في اسواقها دائماً ما يحتاجون اليه . ثالثاً لان تجارها ينسأهلون معهم فلا يتقاضونهم دفع ما عليهم ولو مر على الدين سنتان وثلاث . وهم مع ذلك قلما يخسرون .

واية ضمانة يعطيها البدوي للتاجر ؟ قسمه بالله . فهو اذا عاب عشر سنين وعاد الى الكويت ، وايس معه حجر حملة ، يجي به الى التاجر قائلاً : هذا خلالك . واذا مات الاعراي قبل ان يعفي ما عليه ، وكان قد غاماله اي حواشيه ، يجي احد ابناءه او المسألة بما يكفي ، انها لتسديد الدين او بعضه ، فيقدمه للتاجر قائلاً : هذا خلالك من فلان . ترشح عليه . هي ذمة الاعراي ا ان رغبة تجار الكويت في المسابلة اذن لمثل رغبة اهل نجد بل هي اشد لان عرب نجد كما اشرت هم مصدر تجارتهم الأهم . وهم يستطيعون ان ينسأهلوا بدفع المال اكثر من سواهم لان راحلتهم اكبر ، بسبب مدخول الكويت الآخر من تجارة الازلؤ .

(١) كانت الازدادات والصادرات في السنين الماضية تراوح بين الخمسة والستة الف روية كل سنة . اما في السنتين الاخيرتين فهي تقدر بثلاثئة الف روية سنوياً .

هذه هي إحدى وجهات المسألة . وهناك وجهة أخرى هي وجهة
السلطان عبدالعزيز . ان سلطنة نجد جارك ثلاثة في العقير والقطيف وجبيل ،
وهو لذلك يفضل ان يحل اهل نجد بضائعهم من إحدى هذه الاساكن
النجدية في الاحساء او ان يسالوا فيها خصوصاً في القطيف . على انه ليس في
القطيف تجار ذرو يسار فيستطيعون ان يعاملوا النجدي كما يعامله تاجر
الكويت . والسلطان عبدالعزيز يدرك ذلك .

ومع ذلك فقد تم رعاياه منذ سنتين عن المسألة في الكويت فالتهموا ،
فتأثر التجار من ذلك وشرع الشيخ احمد بفاروض في القضية الرياض . اما
موقف مظلة السلطان فهو ان رعاياه يشقون من الكويت ويعودون ما يشقون
الى نجد دون ان يدفعوا عليه رسماً ما . فكأنهم في هذه الطريقة يهربون
الابضعة ليتخلصوا من دفع الرسوم الحركية . وما انه لا يستطيع ان يؤسس
الجارك في البادية على حدود نجد والكويت المقامية الاطراف ، وما ان
سلطنة نجد مينا فيها جارك فقد اصدر امره ان تكون المسألة في احدها
وحق في ذلك بين لا مقاطعة فيه . لان المقاطعة تكون بين شعبين متعاضدين
ولا مداء اليوم بين الكويت ونجد .

ولكن هناك وجهة أخرى لهذه القضية وهي وجهة اهل نجد وخصوصاً
البدو الذي لا يستطيعون ان يدفعوا نقداً من ما يشقون كما هي الحال غالباً
اذا جازوا القطيف المسألة . فهم مثل التجار متأثرون ، وما ان السلطان
عبدالعزيز يتم بشؤون البدو اهتماماً خاصاً ويكره الجور والارهاق فقد اقترح
اكراماً للفريقين المسالين ، النجديين والتجار الكويتيين ، ان يعين في
الكويت وكلاً له يجمعون رسماً على كل ما يشتره اهل نجد فيدفعوه قبل ان
يخرجوا بابضائعهم من المدينة . وطلب ان يكون هذا الرسم سبعة بالمئة .
فرفض سمو الشيخ احمد الطلب محتجاً بحق السيادة التي إقطر الكويت المستقل ،

اذ ان مثل هذا العمل مجحف بها ، ولا يكون الا اذا اُكْرِهت الكويت عليه فيعد اذ ذاك ضرباً من الاحتلال . هو مصيب في احتجاجه بحق برفضه . ولحسن الحظ ان السلطان عبدالعزيز والشيخ احمد متحايان متواليان فلا يتخذ الواحد منها خطه تؤدي الى تراخي العلاقات الولاية وانقطاعها .

لذلك بعث السلطان الى الشيخ يقول : نحن لا نقيم احداً من قبيلة منكم ولكننا نوكلكم في الامر ، فتعيّنون من قبلكم من يجمع الرسم المطلوب من اهل نجد المسابيلين ، فتساووننا اليها كل ثلاثة اشهر او كل ستة اشهر او كل سنة مرة كما تشاؤون . ولكن الاكثية في آل صباح لا يقبلون حتى مثل هذه التسوية لانهم كما قال احدهم ليسوا حياة خراج لسلطان نجد .

كانت المفاوضات قد وصلت الى هذا الحد عندما وصلت الى الكويت ، وكان سمو الشيخ احمد على شيء من القلق لتعقد القضية ثانية بيننا هو يعالجها بالتؤدة والحكمة . فخطر لي بعد ان مررت بقسم من الارض في تلك النواحي وعرفت الحقيقة الاولى التي تتعلق بالاسفار هناك ، وبعد ان درست المسئلة ورأيت ان ما يطلبه عظمة السلطان عبدالعزيز من حكومة الكويت هو في الحقيقة مجحف باستقلالها ، ان اكتب اليه كتاباً اقترح فيه حلاً للمشكل قد يرضي الطرفين .

اما الحقيقة التي تتعلق بالاسفار والتي لا ينكرها العارفون بتلك البلاد فهي ان القوافل الخارجة من الكويت لا تسير الا في طرق معلومة ، غرباً كانت أم جنوباً ، فتسري بمعلوم تستقي قبل ان تدخل المفازل . فاما ان تسير عن طريق الجبهة مثلاً اذا كانت مسافرة الى القصيم ، واما عن طريق الصبيحية اذا كانت وجهتها الحسا . وهناك طريق اخرى تمر بجبهة الدويرش . ان حدود الكويت ونجد تنتهي الى هذه الاماكن الثلاثة او في جوارها .

فكتبت الى عظمة السلطان افصح من رأيي في المسئلة واطلب منه ان

يتنازل لا من الطلب بالرسوم بل بجمع الرسوم في نفس مدينة الكويت
واقترحت عليه ، حباً بحفظ الصداقة بينه وبين آل صباح ، ان يقيم ثلاث
نقط جمركية في الاماكن المذكورة اعلاه او قريبها فيسكن ولا شك من
تحصيل الرسوم على البضاعة التي تدخل من الكويت الى سلطنة نجد . ان
هذا العمل لا يكلف غير الحيام ورواتب ستة موظفين وبعض النجابة .

ويظهر ان المسألة دخلت بعدئذ في طور جديد لان سمو الشيخ احمد باتفاق
مع الاهالي بعث ابن عمه حضرة الشيخ عبدالله السالم الى السلطان عبدالعزیز
يحمل منه كتاباً يفصح عن خالص الولاء والاکرام ومعه هدايا كبيرة من
الارز والسكر والبن . فخرج السلطان بجاشيته لاستقبال الشيخ عبدالله خارج
الرياض واركبه معه في السيارة وانزله في القصر ضيفاً كريماً مبهجلاً . فاقام
هناك بضعة ايام وعاد الى الكويت مسروراً جداً ، يحمل الهدايا الثينة وشيئاً
ما اشتهر به عظمة السلطان من تلك الصراحة المقرونة باللفظ والاکرام .

وقد جامني من عظمتهم كتاب يقول فيه جواباً على اقتراحي : اما
سئلتنا مع الكويت فهذه تحمل قريباً حسب رغائب الجسيم وعلى احسن ما
يكون ان شاء الله .

الفصل الرابع

الشيخ احمد الجابر آل صباح

الرجل المسار - القوة المدخرة في الدين - الشيخ احمد في الكفارة - اعجابه
بالملاية العربية - اما رجال حكومتها - مداراته للالكيل - استشارة لا امتثال
- امتياز البترول - الشركة التي يضلها - يحترم رأي الغير - حكمة كل يوم
- الكويت بين شاقوتين - اصاب الدسائس - المعاصر الحكيم - خطة الدين
والسالة - نزوة الكويت الخفية - المدارس - النهضة الادبية - ادواء الكويت
وسننها - رسل العلم والتهذيب .

لو كان غير الشيخ احمد حاكماً في الازمة الاقتصادية التي سبق الكلام
عليها لما سلم الامر من حادث مداني بين البلدين نجد والكويت . ولو حدث
هذا الحادث لما اختلف اثنان في نتيجه . فالغرض اذا في سلامة الكويت
وان كان على ضيبي وشدة هو للشيخ احمد ، ذاك الرجل المسلم ، الذين الجابر ،
الديمث الاخلاق . ولكنه في لينه بل في المعروف والحسن يصل الى حد يساء
في الحاكم فحمة . فهو اذا مال الى السلم والولا ، او الى المهادنة والوفاق ،
لا يشفع به بتلك الكلمة التي فيها العزم الرابض او القوة المدخرة . وقد
يألف العزم الرابض فيتعسر انماضه ، وقد تنهت القوة من الادخار الدائم .
الحكيم اذاً من من قواه كلها حتى الحيوانية المحضة واستخدمها من حين الى
حين . وما يصح في الرجل الحكيم يصح في الحكومات .

الشيخ احمد مثل الشيخ خرمعل ومثل الملك فيصل ومجيب بالمدنية العربية
وبرجالها . وهو من امراء العرب الذين لبوا دعوة جلالة الملك جورج الخامس
بعد الحرب العظمى ليؤدوا انكساراً ، قتل هناك طيفاً على الحكومة ، وساح
في تلك البلاد ، وشاهد من مظاهر الرقي والعمران المادية والادبية ، من
مناجم الفحم الى المتحف البريطاني ، ما لا يزال يلهج بذكره ويود لو كان

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

للأرب جزء يسير منه . ولو لم يكن حاكم الكويت وكانت تلك الرحلة دليله
الوحيد الى المدينة القريبة لأخذ منه الإعجاب كل مأخذ فتغيب عنه الحقيقة
كلها او القمم الاهم فيها .

ولكنه ، وهو حاكم عربي ، يشاهد أحياناً في رجال تلك المدينة ،
خصوصاً رجال الحكومة منهم ، ما لا تحجزه أحكامها ولا تبرزه دافعا ماديا ،
فالوكيل السياسي الانكليزي مثلاً صاحب مصلحة مثل غيره من الناس شرقيين
كانوا او غربيين . هو لا يختلف عنهم بغير الواسطة ، والاسباب ، والعقد
العقلية او المادية . وحتى كان قريباً من امير عربي لاوله بالدولة ومن شؤونه
بعض الحق ، يؤذ الامير أحياناً لو لم يكن الرجل متشدداً او من امة متشددة
فيعامله اذ ذاك كما يعامل البدو ، بالحنى اولا والا فبالصهيل .

الشيخ احمد اجابر آل صباح يداري الانكليز ولا يملكهم منه . بل
لو قيل بريطانيا العظمى في الكويت ولا ينكر . قد يستشبهه ويقبل رأيه
في ما يراه نافعا لبلاده او معززا لسياسته ، ولكنه لا يلتزم بامره . مثال ذلك
ان حكومة بريطانيا العظمى رقت الى الشيخ احمد ان «مع شركة الزيت
في عبادان امتيازاً في الكويت فاني ذلك لانه يفضل ان يبيع الامتياز شركة
اخرى انكليزية مستقلة عن الحكومة ولا دخل لها بالسياسة ، وشروطها
احسن جداً من شروط شركة عبادان .

وهو في سلوكه مع رعاياه وامرته مثله في سلوكه مع الانكليز
يستشبههم ويتفاوض معهم ، لا يبيع دائماً الرأي العام . ولكنه لا يؤيد ما
لا يؤيد ولا ينفي على الناس اراءهم . لكل كلام مقام ، اي ان حكمة كل
يوم هي حكمة . وكثيراً ما يكون الرجل العادي في كرسي الحكم اعمى
لامية وبلاده من الرجل الشاذ الشديد المراسم .

لا ينتظر من الشيخ احمد وعصره في هذه الايام ان يخرج بمشاوره

غيجارب مثل جده مبارك امرأه العرب ويدخل البلدان فالحماً منصوراً . واليك
الاسباب . اولاً لان الشيخ احمد وإن كان يحمل السيف هو اميل الى اليراع
واحب شيء اليه السلم والاداب . ثانياً لان عشائره وهي قليلة لا تملكه او
قال : السيف من ان يقول كذلك : النصر قد تلبسه فتقلب فتقلب عليه .
ثالثاً لان الاحوال اليوم هي غيرها منذ خمس عشرة سنة ، فالكويت التي لعبت
بولاية الدولة في الشمال ، وحاربت امرأه العرب ومشايخ القبائل في القصيم
والاحساء ، اصبحت اليوم بين امتين متحدثين ، وقوتين قاهرتين ، وحكومتين
طامعتين بالاستيلاء . ان الكويت بين نجد والعراق لمثل فتاة بين عاشقين ،
وكلاهما يبغيها .

حدثني احد رجال الحكومة في بغداد قال : الكويت جزء من العراق
واهلها يفضلون الانضمام اليها . اراد بذلك ان الكويت تفضل العراق على
نجد اذا كان من ضم وانضمام . وان لم يكن الشيخ احمد كما وصفت ، لكان
ظفر اصحاب الدسائس بما يبغيون ، لان الذين يعرفون العشائر خارج هذا القطر
يهجمون عليه او على عشائره ، لا يرومون من ذلك غير احداث ذاك الحادث
الذي قد يكون فيه خاتمة استقلال الكويت الاداري .

والشيخ احمد مدرك ذلك ، فلا يذهب مع التيار ولا يستسلم الى الهياج
العام . فهو اذا هجمت عربان نجد او العراق على عشيرة من عشائر الكويت
او على المدينة ، وقام الاهالي يستغفرون بعضهم بعضاً ، وقد تسلم بالحكمة
والعزم في وجههم فيصدحهم ويسكن روعهم . مثال ذلك هجوم ابن حنبلين
شيخ مشايخ العجمان في هذه السنة فبادر اهل الكويت الى السلاح قصدتهم
الشيخ احمد ورددهم قاتلاً : لتفاوض اولاً ابن سعود هو صديقنا . والذي
اظنه انه غير راض عن هذا الاعتداء . فاذعن الناس له وفافوض السلطان
عبد العزيز فيها ، منه الحراب يقول انه متأسف جداً لما حدث وانه مستعد ان
يعوض على الكويت كل ضرر .

قد يختلف الناس في هذه الحطة السياسية ، خطة الدين والمسألة . وفي الكويت من لا يستحسنها ، بيد أنهم يثقون ^{بمن} إذا ما ذكروا سياسة سلف الشيخ احمد ونكية الجهرة ، ان في دار الحكم اليوم رجلاً اقل ما يقال فيه انه محافظ على سلامة الكويت واستقلالها .

ومهما كان من امر الكويت ومشاكلها التجارية والسياسية فان فيها غير التجارة ثروة وغير اللؤلؤ كثرة . فيها ذكاء وجراحة وادب شاهدت منه فاذج جملة في الحفلات التي اقيمت هناك وفي المجالس .

ومهما كان من مقولة الشيخ احمد في السياسة فانه في المساعي الادبية مذكور وان لم يكن من الجميع مشكوراً . وسيعرف عهده بعهد النهضة الادبية التي تكبرف العاملين في سبيلها . اجل ان في الكويت نهضة ادبية لها مكان ، المكتبة الاهلية هناك والمدارس اليومية والليلية ، وهي تنفذ قوت ذلك بما تشبه الاداب المصرية والعلوم الكويتية في سوريا ومصر . ثم تبت روحها في الربوع التي لا تصل اليها الجريدة والمجلة ، ولا ينفع فيها الكتاب لان ليس فيها اليوم مدارس .

اجل ، كما ان سفن الكويت التجارية تصل الى الاسا كل التي لا تدنو منها البواخر الكبيرة ، فكذلك ادباء الكويت في اختلاطهم مع البدو واسفارهم في داخل البلاد العربية يستطيعون ان ينشروا روح العلم والتهديب ، وروح القومية السليسة العامة ، في العشائر والوادي وفي المدن الكبيرة دون الدهناء والنفود .

الفصل الخامس

الشيخ خزعل

قل من لا يعرفه - قل من يعرفه - ثروت وكرامه وادبه - ذوقه الشامل - اللغوي - الشعراء - الاخيار - اجمل الزاهر الكرم فيه - الكثيرة ومفضل الماسوت والرافضة - الاساطير في عهد القبيصة الدمير - ولا يأنف من اللبس - ولا يروء تعدد النساء في الحرير - لا من هي امك يا وليدة - الزواجر السياسي - جاء في الكامل للمبرد - نيامين من الملوك - ومن بابا روم - ومن الفيلسوفات فيكروس والصوفي ابن العربي - لما ترددت في زيارته - كتابي اليه - جوابه - اجتماعنا - حديث عن اطباء الاسنان - وعن الاخوات - القهوة في مجالس آل صباح - بنية العالم - الرجوع الى الارض بعد الموت - متى يجب ان يرحل الشيخ خزعل .

هو سمو السردار اقدس ، معز السلطنة ، الشيخ خزعل خان بن نصرت الملك الحاج جابر خان الجاسبي المخيني الكعبي العامري ، امير نوبان وسردار عربستان ، ومؤلف كتاب الرياض الخرجية في السياسة الانسانية . قل من لا يعرفه من قراء الصحف العربية باسمه ولقبه الاولين في الاقل . قل من يعرفه معرفة حقيقية . فهو من امراء العرب وان كان يحكم ولاية من ولايات الدولة الايرانية . بل هو اكبرهم بعد الملك حسين سناً ، واسبقهم الى الشهرة ، وقرين اعظمهم في الكرم . هذا ما يعرفه اكثر العارفين ببعض البلاد العربية وامراتها .

اما ما يجمله اكثر الناس خارج الكويت والبصرة فهو ان هذا الامير العربي من طراز الامراء في عهد العباسيين . اعني بذلك انه غني حكيم كريم معاً . فهو برمكي في كرمه ، وفي ذوقه ، وفي ادبه . يحب اللهو والفناء بحبه الادب والشراء . بل يهل الى كل ما فيه شيء من اسباب السرور كلها ، العقلية والاجتماعية والجسدية . وان كلمة قالها معاوية : الدنيا بخلافها ، الخفض والدعة . لتصح ان تكون من كلماته .

اجل ، ان للشيخ خزعل ذوقاً انسانياً شاملاً فلا ينفرد من غير القبيح والذميمة في الحياة ، ولا يعرف في مكارمه التفضيل والتمييز . يحب المغنية من حلب او من الشام الى المحمرة وهي لا تقلك غير خلخالها فتقيم عدة اشهر في القصر وتعود غنية مثقلة بالخلي . ويحب الادباء الشعراء وفي جيوبهم قصائد المديح فيعودون من المحمرة وفي جيوبهم اكياس من المال . ويحب جده من اعيان المسيحيين فينزل على سمو السردار ضيفاً صكراً محترماً ويعود مصحوباً بالهدايا الثمينة . ثم يحب المبشر بالمارونية فيعمل محل الاسقف في القصر الحزلي ويعود بعد اقامة سعيدة كما عاد المحترم قبله .

ان من اجل ازاهر الكرم في هذا العربي تساهله وهو شيعي المذهب . فهو يساعد في بناء كنيسة في بلاده لئلا يكون الكلدان ، ويساعد في تأسيس محفل للماسون ويفتح خزانته لراقصة او مغنية كما يفتحها لاولي اليد والاحسان من الطوائف كلها جماعاً . وهو على مقامه بل بالرغم من مقامه يميل دائماً الى ما فيه لهو او تسلية او فكاهة . فاذا ما انتابه الضجر في القصر ، وكان قصر الضيافة فارغاً ، ولم يكن ليرغب في زيارة البصرة ليشرف طاولة « البوكر » فيها ، ينادي اولاده قائلاً : يا ولدي الخبير تعالوا . الا تلعبون ، فيجيئ السردار ارفع او السردار اجل او السردار جامم او نصرة الملك او كلهم اجمعون ، فيجلسون مع عذبة الوالد الى تلك الطاولة اخضراء العزيزة الشأن حتى في المحمرة والبصرة .

والشيخ خزعل من امراء العرب المحافظين على تقاليد الاجداد في التعريس ، ولاسيا شريعة المتعة عند الشيعة تساعده في ذلك . فقد قيل لي ان له اكثر من ستين امرأة وانه قلما يعرف اولادهن . كثيراً ما يجيئه احد اولئك الصغار فيسأله قائلاً : ومن هي امك يا وليد ؟ ثم اذا ناوله احد مشايخ القبائل وهم بالخروج عليه ، وكانت له بنت صالحة للزواج ، يزوره السردار اقدس وبشره بالمصاهرة ، فتخمد فيه في الحال جذوة التمرد والعصيان . سألت عن سمو

الشيخ وأنا في البصرة فقبل لي هو متغيب اليوم . فقلت : وابن هو ٩ فقال
محدثي : راح يتزوج . وهو لا يزال على سنه الذي يتجاوز الستين اهلاً لمثل
هذه المهات .

جاء في الكامل للمهرج ان انعم الناس عيشاً من عاش غيره في عيشه .
ولا اظن الشيخ خزعل يحتاج الى شهادة المهرج وشهادتي في انه يعتقد بهذه
الحكمة ويعمل بها . فهو اذا لبس ثوبه الرسمي في صفته السياسية يحمل على
صدره شهادات من مارك الارض وفيها وسام القديس غريغوريوس من البابا
بناديكترس الخامس عشر بابا رومه . وبين تلك الاوسمة والنياشين كلها
ارى وسامين لا يراهما كل الناس بل لا يراهما غير من نظر الى هذا الرجل
بعين الشر والفلسفة . فهو في صفته الانسانية يحمل وساماً من الفيلسوف
اليوناني ابيكوريوس واخر من الحكيم الالهى الصوفى محيى الدين ابن العربي .
ادين بدى الحب كيف توجهت . ركايبه قالحب ديني واياني^(١)

هوذا الامير العربي الذي كنت متردداً في زيارته بالحصرة . وقد ترددت
لسببين ، اولها لان المتأدبين يؤمنون تلك الحدة الشريفة وفي جيوبهم قصائد

(١) جاء خطأ في الطبعة الاولى ان هذا البيت للشريف الرضي ، وكنت قد نقلت
في الجزء الاول رداً له مغلوفاً . فصحيح العالم النجفي الربيعي بالوجهة التي صحح بها ما
كتبته عن صاحب الزمان . (راجع الجزء الاول صفحة ١٤٦) قال تفننا بمسحه ونسخته
« لعل السامع العربي لما أحس بمناجاة على الشريف الرضي ما رضى الا ان يتداركها
فنسب اليه في مقام آخر شعراً ليس هو من شعره » فصارت الجناية بالثنين والسببة
بستينين .

فهل تظن ان الشريف الرضي يرضى « من الوجهة البيانية » بان تجيء السببة بعد
الجناية . وهلا نظمه يعفر « من الوجهة الاخلاقية » عن الجاني عليه اذا كان ذلك في
سبيل الحب . واني في هذا السبيل كذلك اشكر امام النجفي اهله بكتاب
« الملوك » وصاحبه .

المديح الطنانة ، ولست اسره الحظ عن يحسنون النظم ولا المديح الرحي .
وثانيها انه حاكم بلاد اطلق عليها العرب في الماضي اسم الاهواز وهي اليوم
عربستان من اعمال فارس . على ان رغبت في الاجتماع بامير عرفته من اخباره
انه فيلسوف الامراء ، بل فيلسوف الحياة العملية ، كادت تتقلب على اسباب
التردد كلها ، فوطئت النفس على ان اعرج على المحمرة في عودتي الى البصرة .
ولكن تقادير الخير امرضتني فبصفتي بالدكتور ريجان الذي بشرني بوجود
صمو الشيخ في الكويت^(١) .

فبادرت الى القلم والورق اكتب اليه كلمة استأذنه بالزيارة ، فوقف القلم
في رأس الصفحة البيضاء جامعاً . كيف احبي هذا الامير وهو كثير الالقاب
والرؤب والاورمة ؟ بل كيف احبي من يتحدث الناس من عرب وعجم وافرنج
عن مكارم اخلاقه وغرر اياميه ؟ هل اخذوا حذو الادباء فانظمو الاستماع ،
في من كرمه كالسك ضراع ، ومتفق عليه بالاجماع ؟ قد يظنها قصيدة مدح
مني فيعلمني بما يوجبه شرع المحمرة . لذلك طرحت الرسميات جانباً وكتبت
الى مولاي الشيخ خزعل كلمة سلام مقرون بالاجلال والاكرام ، فجاءني منه
الجواب الاتي :

اسعد الله اوقاتك

ايها الفيلسوف المكرم ، حيالك الله وابقاك ، وحفظك ونجارك ، واني
مشتاق الى لقاءك . فيجب ان ازورك قبل ان تذورني لان لكل قادم

(١) كان الشيخ مبارك آل صباح والشيخ خزعل صديقين حميمين يتراووران دائماً
فتوافيا الى فكرة جملة يبلدان بها تلك الصداقة الحسنة . وكان في وسعها تحقيقها
فصنعاها ، فبنى الشيخ خزعل للشيخ مبارك قصراً في المحصرة وفي الشيخ مبارك للشيخ
خزعل قصراً في الكويت . ولكنه كان الى جانب قصره في المدينة فبنى بعدئذ الشيخ
خزعل قصراً خارج السور يقع فيه بعض اشهر الشتاء . وهذالك اليوم قصراً للشيخ
احمد آل صباح مجهز بالكهرباء والتلفون ومفروش بالفاخر من الرياش .

حق الزيارة وقد سبقتني بالجميل في كتابك الكريم ، فاشكر ذاك الذوق
السليم ، والى صباحاً ان شاء الله ازورك في محل الجميع واحظى بنور تلك
الطلعة واختم كتابي بالدعاء لكم بالتوفيق والسلام عليكم .

المحب لكم

خزعل

وكان اجتماعنا الاول في « محل الجمع » اي عند سمو شيخ احمد في الجناح
الجنوبي من القصر في الصاعة المفروشة بالفرش الاوردي .

الشيخ خزعل في المقعد السادس من العر وهو ، بالرغم عن الطبيب في
معيته ، على جانب متين من الصحة والعافية . الا انه كان يشكو يومئذ من
اسنانه ومن الطبيب معاً .

— سمعت الناس يشكرون اطباء الاسنان في اميركا . وقد قال لنا احد
افاضل الاميركيين ان اطباء الاسنان هناك وباعة الحيل ومحاسرة البورص
من طبقة واحدة . فلم نفهم كلامه فهل لك ان تشرحه لنا .

فقلت : اما باعة الحيل فالمشهور من امرهم يا مولاي هو انهم مثل ما
يبيعون المعاليق في حماة فينفضونها قبل ان يزنوها . اما محاسرة البورص فلهم
اسم آخر في اميركا فيه اظن الترح الذي تبغيه . فهم كما يدعونهم هناك
اصحاب الدلو الفارغ . اي انهم يتاجرون بلا شيء ، بالهواء . فيبيعون زبائنهم
ما لا يملكون من الاسهم . وكذلك الربان يبيعون ويشتررون . هو ضرب
من لعب القمار ، يكثر فيه ما هو محض شر من الاسرار .

— وامن وجه الشبه بينهم وبين طبيب الاسنان .

— وجه الشبه في المبدأ يا مولاي — المبدأ واحد هو الوهم والاحتراف به
هو الهواء في المعاليق ، وهو الدلو الفارغ او الهواء في الدلو . فاذا رحت الى

طبيب اسنان تشكو من وجع في ضرس واحد يقول لك بعد الفحص انك
جبار لانك لا تشكو الا من ضرس واحد ، وان بقية اضراسك في حالة
مضجعة ، فيقنعك بما أوتي من علم ان معالجتها صكلها لازمة ولو اقتضى ذلك
شهرأ من العمل . والا فتسبي بعد اشهر وليس في فمك سن واحدة .

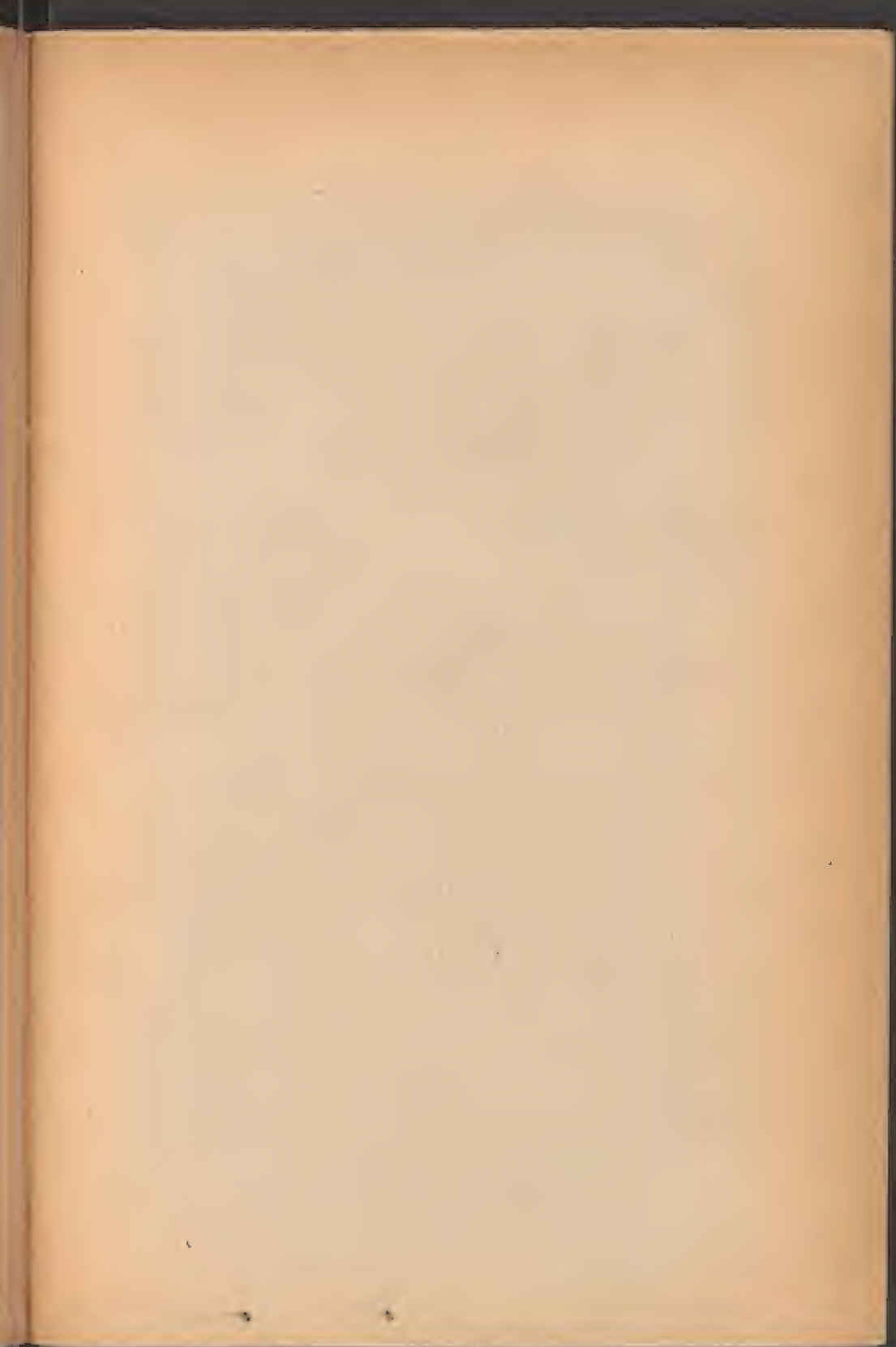
فقال الشيخ خزعل : قد اخطأ الامير كبيرن اذن . فلو كان هذا الرجل
عندنا لعدده من النشالين ؟ فضحك الشيخ احمد وقال : ينشل ما في الفم
وما في الكيس . فقال الشيخ خزعل : والحمد لله ان اطباءنا سوريون .

قد كان في معية سمو الشيخ طبيب آخر سوري هو الدكتور رامي .
ولكن الطيبين على ما علمت قلما يصفان من العقاقير غير المتأددة . وهما
الصيادلة ان كذلك ، فيسزجونها لسيدهم في السائر وحول الفطاء الاخضر المشهور
جاء الخادم بالقهوة . فعلمت ان مجلس حاكم الكويت الرسمي يختلف عن
مجلسه العام بامرئ . الاول ان المجلس الرسمي المفروش بالرياش الفاخر لا
يحضره غير افراد من حاشيته واسرته . والمجلس العام المفروش بالوسائد
والمساند يحضره من يشاء من الناس ، فيجلس في المكان الذي يليق به ولا
يتمده . اما الفرق الآخر فهو في تقديم القهوة . في المجلس الرسمي لا يصيح
الخادم ويردد بعضهم صدى بعض . وفي المجلس العام بل في مجالس آل صباح
اجمالاً اذا ما امر الشيخ بالقهوة يصيح الخادم في الباب : آهوه . فيهتف
الخادم الواقف في الدنا : اي والله آهوه . فيسعه الخادم الجالس عند باب
المطبخ فيصيح كذلك : آهوه . فيزمن راعي الماعيل على الصياحين اجمين
مردداً كلمة السر : اي والله آهوه . فتجني القهوة في الحال ، وان كان
المطبخ على نصف ساعة من المجلس .

انتقلنا في الحديث من الاسنان الى الاخوان فقال الشيخ احمد : التعصب
ببلية العرب .

وقال الشيخ خزعل : بل بلية العالم . ولو كان لي ان اوجع بعد الموت
الى هذه الارض لما احببت ان يكون ذلك الا عندما تصبح ولا اثر فيها
للعصب الديني . الانسان اخو الانسان احب ام كره .^(١)

(١) اسلفت القول ان المحمرة وما يليها اي عربستان هي من احوال فارس ، كان
الشيخ خزعل يحكمها حكماً مطلقاً وقلاً كان يؤدي الى الحكومة الايرانية السابقة
حساباً . اما بعد الانقلاب ، او بالحري عندما كان رضا خان مبعطراً على الجيش
والامنة وقبل ان 'توَّج' شاهاً ، قامت الحكومة الجديدة فحاسب الشيخ خزعل فكانت
نتيجة الحساب انه اعتقل وأُخذ اسيراً الى طهران حيث هو الان .





الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين وابنه

الضم السابع

آل خليفة
شيوخ البحرين

البحرين

سنة ١٩٢٢ م ١٣٤٠ هـ

•

حدودها : هي جزيرة مستطيلة في خليج فارس وبضع جزر صغيرة أهمها
اثنان الواحدة شرقاً من المنامة وهي المحرق والثانية غرباً
منها وهي البديع وهذه الجزر قريبة من الخط الواحد
والخمين من العرض الشرقي ويشطرها الخط السادس
والعشرين من الطول الشمالي .

ساحتها : اربعة وخمسون ميلاً مربعاً .

عدد سكانها : مئتا ألف نفس .

أهم بلدانها : المنامة والمحرق والرفاع والحد والبديع .

مذاهبها : السنة من المذاهب الاربعة ، والشيعة من الجعفرين
والامماعيليين ، ثم الوهابية . وفيها عدد كبير من الهندوس
والفرس وبعض اليهود والنصارى .

الفصل الاول

سلسلة من المدهشات

جهلي البحرين - قصور النامة - الاشرعة والالوان - اسواق النامة - تجارها
وتجارها - النهضة الادبية - الرسالة الاميركية - المستشفى الاميركي - التبشير
الانجيلي - جمود الحسا والبحرين - الاما السبب في جمالها - قطعها السمك
والتمر - ديانة المستوردة - رد لا تسليم ان تجاري الحسير - ساعة الزجر هي
ساعة التدمير - في مجلس الشيخ عيسى في المحرق - ذني في تناول القهوة -
ذني في الحديث - في بيت الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة شيخ الادباء
والفجرا في البحرين - حديث الشيخ ابراهيم عن جمال الدين الافغاني - ومجلة
سرميس والمقتطف - اداب السلوك عند العرب - المذبة والخلة - خطاب من
الشيخ ابراهيم - بعض اقوال الادباء - نهضة البحرين السياسية .

ما اخطأت الظن مرة ببلاد عربية مثل خطأي بالبحرين . وما دهشت
في قطر من الاقطار التي زرتها دهشتي اول يوم في هذه الجزيرة في خارج
فارس . ولا غرو فالجهل يحسم الدهشات . قال احد الاصدقاء في الحجاز ،
وهو يصف لي الطريق الى نجد : ستسافر من بباي الى البحرين ومنها في
مركب شراعي الى العقير . فظننت البحرين جزيرة صغيرة حقيرة يأوي اليها
الصيدون ، وطلانت شيوخها من العرب الذين يسكنون الحيام . بل كنت
حتى عند وصولي اظنها معجاً الى الاحساء . وماذا ينفع التظاهر بالعلم اذا
فضحت اول كلمة منك بعد السلام ؟ اما واني اعقت الادعاء فلا احاول
اغفاء جهلي وهو جهل عام يكاد يشمل كل ادباء العرب خارج شبه الجزيرة .
اني اعترف غي وعنهم اذن ، وما لي بعد ان تعلمت وكنت في ما تعلمت
سعيداً اشاركهم في النعمتين .

اول ما يدهش الغريب عند وصوله الى البحرين ، خصوصاً اذا كان
قادماً من البحر الاحمر ، عمران مدينة النامة وقصورها المشرفة على البحر .

ثم المراكب الشراعية « الجلاييت »^(١) التي تشق من مياه الخليج ازرقاقاً لا صفاء بعد صفائه . ولا حفيف الطيف من حفيف هواء الخليج وهو يداعب الشراع ويهس في اذن الصباح كلمات الامان والترحيب . انه لينطبع في تلك الاونة من اللونين ، لون الشراع ولون الماء ، صورة في الدهن هي ككلاوحة السبنا في تغيرها المستمر وحركتها الدافئة . ذلك لان مياه البحرين قلما تخلو من « الجلاييت » السارحة المارحة فيها على الدوام . اما البواخر فهي ترو على اربعة او خمسة اميال من البر .

واذا ما السائح وطى ارض الجزيرة وجال في اسواقها تأخذه دهشة اخرى اذ يرى فيها للتجارة حركة لا ينبي حتى ظاهرها بأكمل ما هناك . فهو يشاهد في المخازن من الملبوس والمأكول والمشروب ومن اسباب الزينة والثرف ما يندر الا في المدن الكبيرة مثل عياني والقاهرة . اما اذا دخل احد بيوتات التجارة فيستوقف نظره لاول وهلة الدفاتر الضخمة والكتاب . ها هنا وربك ادارة ونظام ، ودواوين يجلس عليها الزائرون لا الزبائن ، فيشربون القهوة ويدخنون . هو الشرق في مظهره القديم والحديث . وفي هذه البيوتات التجارية صناديق من حديد ، واكياس من النقر ، ذهباً وفضة ، ويريد تراعى اوقات سفره وقدمه ، وحسابات ومراسلات ، وليس فيها شيء من البضاعة ، قلنا يشاهد فيها غير حركة الكتاب وحركة الزائرين . اما السبب في ذلك فهو بعد ان تعلمه بسيط .

ان البحرين مثل الكويت محطة للتجارة بين الشرق وبين الشطر الشرقي من شبه الجزيرة . ويصعب ان يقال فيها من هذا القبيل انها سوق من اسواق نجد ، لان قسماً كبيراً مما يدخل اليها من الهند وايران والعراق ومن اوروبا واميركا عن طريق الهند يباع في الاحساء وفي نجد . وانك ترى منه ايضاً

(١) جمع جليوت راجع الترح في صفحة ٣٣٣ من هذا الجزء .

في اسواق بريدة وعنيزة وحائل . بل يصل منه حتى الى اليمن وسير والحجاز
لان القوافل من تلك الاقطار العربية تنجي . عن طروق نجران وقلمة بيشة
والحرمة الى الرياض والاحساء . تنجي . بيد اليمن وجربه وتعود حاملة من
البضائع ما يدخل الى نجد عن طريق البحرين والكويت .

ولا تزال في سلسلة المدهشات . فان رابع ما يدعشك ، اذا كنت ممن
يهتم الادب والشعر ، نهضة في البحرين ادبية اجتماعية مباركة . اجل ، ان
في هذه الجزيرة من الادباء والشعراء عدداً ليس بقليل ، وذلك ، ليس بضئيل .
ان فيها نهضة تقارن اخواتها في الكويت وفي العراق ، وتقارنها روحاً وطرحاً
على الاقل في سوريا ومصر . وكيف لا وهذا قاديا الادبي وفيه من انجالات
العربية اكثرها واحسنها ، وهذه غرف القراءة وفيها من الكتب الحديثة
والقديمة انفسها ، وهذه المدرسة الابتدائية وفيها يعلم بعض العلوم التي لا
زال تعد في اليمن مثلاً من بواعث الكفر والضلال . وفيها من المعلمين المصري
والعراقي والنجدي . ان البحرين ألا معبراً الى نجد اجذا المعبر وما فيه من
مدهشات التهذيب والعمران .

واياك بخامسة منها . لست كما قد يعلم القاري . ممن يعجبون بالمسلمين
ويستحسنون التبشير بالاديان . ولكن في البحرين معهداً اميركياً ديني الاصل
طبي وتهذيبي العمل^(١) وهو مؤلف من كنيسة يجدها قسيس ، ومدرسة كانت
يوم زرت الجزيرة مغلقة ، ومستشفى وحيدلية يديرها طبيب فاضل وبعض
السيدات اللواتي يساعدن ويثخن عملاً لا قولاً روح التهذيب والارتقاء . في
زياراتهن اسيرات الحجاب والحريم .

ولكن هذه الرسالة الاميركية المؤسسة في البحرين والكويت والبصرة

(١) اي الرسالة العربية The Arabian Mission وهي تحت ادارة الرسالة الاجنبية
of Foreign Mission of the Dutch في اميركا Reformed Church of America .

تستطيع ان تضاعف خيرها وتمسكه لو اقلعت عن التبشير بالدين المسيحي وحضرت ما لديها من اسباب البر والحب في الطبابة وفي التعليم المجرد من حب الهداية الروحية . ذلك لان المسلمين وخصوصاً العرب منهم راضون رضى عجباً بدينهم ولا يرضون في سواء بديلاً . واكثرهم لذلك يستعدون عن المدرس التي يديرها المرسلون . فلو فرضنا ان في مدرسة الكويت او البحرين ، وهي تعمل من دروسها التوراة ، عشرين تلميذاً فان هذا العدد يزداد اضافاً اذا القى التعليم الديني او قرئت التوراة في المدرسة . كما يقرأ التاريخ . ان المرسلين انفسهم ليعطون ذلك ، وهم في مدة خمسين سنة لم يتمكنوا من هداية خمسة من المسلمين^(١) . فما الفائدة من التبشير اذن ؟ حينذا مدارس اميركية لا مغزيات دينية فيها تهرب المسلمين منها .

هغوا ايها القارىء . ليس ما يدعشني في الانتقاد ، ولكن المرسلين في ثباتهم المقيم مدعشون . فلا تزال اذا في الموضوع . وما ادعشني في اليوم الاول من اقامتي في البحرين . وليس فيما اقول غير الجدل والاعجاب . تلك الاثن البيضاء التي تعرق حساً وفشاً على جميع الحساء . ومعلوم . عند العرب . ان حير الحسا الحسن ما في العالم على الاطلاق . حير الحسا ملوك الخير . واثن البحرين اميرات الاثن . اما السبب في حسنها ومنعها وتدملك ريلاتها ، وفي نشاطها المقررون بالحكمة ، فهو ان اهل البحرين يطعمونها السمك ثم يفتكونها بالبحر . وهوذا مخزن السمك . لا تبادل الى التصليح ، ايها الاستاذ ، فالساحة لا تفيد المعنى . اما المخزن بعينه اريد . وكأنه مخزن قبح او شعير ، ترى فيه السمك

(١) « وكان الشيخ بنص وخرج من المجلس عندما اذبح موضوع الدين . فسألت السبب في ذلك فاجب لي انه خرج ليدخن . . . اما شيخ صور (صور بلدة على شاطئ عمان) فام يكن ليسج بالمباحث الدينية ولا الحديث عن الدين . وقد قال لي : هذه المباحث لا تفيد ، فلا العرب يهتدون دينهم ولا اثم تغيرون دينكم » .

الدكتور فان بورسم في مجلة « البلاد العربية المنسية » عدد ١٢٢ سنة ١٩٢٢

الصغير الذي يصنعون منه السرددين في اوروبا مكروما كركام الرمال . فهم
يخففونه ويبيعونه مثل القمح او الشعير بالاكياس .

اما « دبابه » المسمر فورد الامير كالي التي ترعج الرياح حتى في البادية
وفي اقصى زوايا الارض الموحشة ، فهي اليوم من الكمالات في البحرين .
ولكنها غداً تصبح من المستذلات الحجاجلات شأنها في كل مكان . فيلحق
شرها بذلك الآن الطاعرة العجيبة . ألا ان في البحرين صعوبات في السفر لا
يصالح لها آله او انسان . جاني ذات يوم بعض الادباء يدعونني لزيارة الشيوخ
في المحرق^(١) وكانت ساعة الحر فلم نستطيع الوصول الى الجلبوت الذي كان
في البحر الا اذا اخترقنا السبخة حفاة ونحضا المياه حتى الركاب . فرصنا
الآن الى الجلبوت وشكرنا الله ان في هذا المضمار لا تباري « الدبابه » الحمار .

ليس كل من يبحرون من المنامة والمحرق او اليها يركبون الآن ساعة
الزجر ، بل ان اكثرهم رجالاً ونساء ، وقد شغروا عن السيقان وعما فوقها في
بعض الاحيان ، يخوضون المياه بين الشاطئ . والجلاليت وهم يزجون ويضحكون
كأنهم يسبحون ويلعبون . لا اظن ان مشهداً من مشاهد الزقاص في باريس
او من مشاهد السباحة في مياه بيارتر في الصيف يضاهي في العمى والبهاه هذا
المشهد البحري وقد رفع ستاره للشمس والسماء . بيد ان مسرحه مسرح
القطرة والسذاجة ، فلا سبيل للهمس ، ولا باب لما ساء من الفكر والادباء .
واغرب ما فيه ان النساء المحجيات يشمن كالرجال . لم اناك مرة ان اظهرت
دهشتي ، وبيدي آله التصوير ، اذ رأيت احدى النسوة تقبل من الجلبوت الى
المياه وقد شمرت بكمم فضاح ، فقال رفيقي : شيء مأوف . خذ صورتها
ولا بأس ، فصورته آية النشور ، اما الوجه فمضور .

نزلنا في المحرق وسمرنا الى قصر الحاكم صاحب السرد الشيخ عيسى بن علي

(١) اي شيوخ آل حليفة وفي البحرين والكويت كما في نجد يطلقون الجمع على الحاكم .

آل خليفة ، فاذا في الزقاق الى اصل الحائط عدد من الاعراب عاقدون الجبوة ،
واذا في الفناء الكبير جمهور آخر لا يقل عن المئة جالسون في مجالس من اللجن
والجبر كل يحمل سيفه او عصاه ، وقد خيم عليهم السكوت كأنهم الاصنام .
مشيت في الفناء . لا ادري أي مجلس الحاكم انا ام في ممر آخر اليه . ولما وصلت
الى وسط تلك الساحة الرهيبة وقف احد الجالسين في الصدر ، وهو شيخ
صغير القامة ، قصير اللحية ، طاعن في السن ، فتقدمت اليه وسلمت عليه ،
فاجلسني في مجلس من الجبر الى يمينه . هو الشيخ عيسى بعينه . رحب بي
ولامني لاني ترلت في المناماة ولم انزل في المحرق ضيقاً عليه .

ثم امر بالقهوة فجاءت في ابريق من النحاس كبير جميل ، يحمل رجل
اسود عليل ، لابس معطفاً احمر مزركشاً بالقصب ، يتبعه ولد في ثوب رسمي
كذلك يحمل الفنجانيين . وقف الاثنان امام سمو الشيخ وقوف الجندي امام
القائد العام فسلما واليد على الرأس ، ثم اخذ صاحب الابريق فنجاناً من الولد
فصب فيه وقدمه لمولاه ، ثم صب ثانية وقدم الفنجان للضيف فتناواته باليد
اليسرى دون ان ادرك وقتئذ خطأي . لست ادري ما حل بي تلك الساعة
فكنت في حديثي كما كنت في عملي متعزراً قل هي سلسلة من المدهشات .
وقد كنت هذه المرة مصدرها لا موضوع تأنيها .

دُفِعَ الشيخ عيسى ولا ريب من فعلتي الاولى . وعندما شرعت احدته
امام ذلك الجمع الصامت الساكن في موضوع رحلتي نظر الي وفيه شيء . اشد
من الدهش . وما كنت اذكر امراء العرب وحاجتهم الى التعارف والتفاهم
حتى وثب من المجلس ، فوقف الحضور كلهم مثله بفتة ، وتقدم مني يشيرون
اتبعه . مشيت وراءه بصحبنا بعض حاشيته وانا بينهم مثل مذنب يساق الى
السجن . صلى ان سمو الشيخ ، عندما ضرنا في الشارع ، التفت الي وقال :
« هؤلاء العربان لا يفهمون ، ونحن لا نتكلم في السياسة امامهم . فنتي الى
البيت فنتحدث هناك » .

مشينا الى بيته الخاص فصعدنا الى غرفة فيه على السطح لا يدنو منها
« العربان » ولا يصل اليها من الرقباء اذن او عين . وكان معنا حفيده الشيخ
محمد بن عبدالله واثنا ان اخوان من الاسرة الشريفة . جلسنا واقفا لا ازال الوم
تفسي على ما بدا مني فقال حمود دون ان يقصر اللطف في لهجته : تكلم الان .
فجئمت كلمات الذكرو وافضت في الموضوع وهو منعت يهر برأسه . ثم
قال : العرب لا يتحدثون فقلت : وهل تلبون دعوة الملك حسين الى اجتماع
يعقد في مكة من اجل البحث في شؤون العرب والاسلام ؟ فاجاب قائلاً :
اذا لبي سلطان نجد الدعوة فنحن نلبوها .

وقفنا عند هذا الحد في السياسة وزحنا بعد ان ودعنا حمود تزور ابن عمه
الشيخ ابراهيم بن محمد المشهور الذي حكم الجزيرة عدة سنين وكان له
والانكلاف مواقع سياسية انتهت بنفيه ووفاته في المنفى كما ساذكر فيما
بعد . اما ابنه الشيخ ابراهيم فهو اشد ميلاً الى الادب والشعر منه الى
السياسة . بل هو شيخ الادباء والشعراء في البحرين ، ومن خيرة رجالها .
تلقى العلم في الحجاز من كبار العلماء وله المام بجل الفنون . هو رجل عصري
في ارائه واحكامه ، يطالع المجالات العربية ، ويتبع الحركة الفكرية
والادبية في العالم ، ويسمى ، وهو الرئيس الثاني لمجلس المدارس ، في تمهيد
السبيل في البحرين الى بعض خيرة .

حدثنا الشيخ ابراهيم في مجلسه من جمال الدين الافغاني الذي عرج مرة
على البحرين قال : لم يكن في تلك الايام من يعرف لجمال الدين مقاماً ولا
من يكثر به . حتى انه لم يجد في هذا البلد من يضيفه . هذا منذ ثلاثين
سنة . اما اليوم فالفرق كبير بيننا وبينهم في ذلك الزمان . ترانا اليوم نرحب
بالعلم ورجاله . وان ادباء البحرين يقتضون زيارة الاديب اللبناني الذي
قال فيه سر كيس . . .

ثم انتقل محمدي من مجلة سر كيس الى مجلة المقتطف والهلل ، فسرني تناؤه على اصدقاى البسدين ككها سرني ما خصني به لانه خلو من المبالغة والمجاملة . وما كدت اقول لنضي ما احلاه حتى جاءت القهوة وجاءت معها كلمة استقهام طيها النازب . قال الشيخ ابراهيم وانا امم يدي الى الساقى : وما السبب في تناورك فنعان القهوة في مجلس الشيوخ باليد اليسرى ؟ قد انتقدوا عليك ذلك . فقلت وانا صادق في عذري : ان في يدي اليسرى وجعاً مصبياً يضطرنى في بعض الاحيان الى استعمال اليد اليسرى . فقال فضيلة الشيخ : عذر مقبول وسنشره في البلد دفاعاً عنك ودفعاً في ما بعد للانتقاد . فقلت وعسى ان يُعلن العذر بسرعة اعلان الذنب . فضحك فضيلته ومن في المجلس .

قد يدهش القارىء اهتمام عالم لمثل هذه الامور التافهة . ولكنها ليست بتافهة عند العرب ، وهم اشد شعوب الارض شغفاً بالرحبات . فانهم على اختلاف طبقاتهم يواظبون على اداب الجلوس في المجالس ، وعلى المائدة او الى الساط ، مواظبة الطبقة العالية من الاوروبيين . فترى البدوي في مضربه مثل الامير في قصره يحافظ على المقامات ويرعى حقوقها ، كما انه يحافظ على المادات والتقاليد ويحسن التمييز في ادق خصائصها .

لما امتناع الشيخ ابراهيم عن مشاركة اديبا البحرين في الحفلة التي اقاموها الاديوب اللبناني فلا اخلته من هذا الباب . فلو كان المقام السبب في الاحجام لما تراس الحفلة الشيخ محمد حفيد الشيخ عيسى ولما حضرها غيره من الاسرة الشريفة . افا الحقيقة هي ان الشبان الذين اقاموا الحفلة ارادوا ان تنحصر بهم فلم يدعوا لها الشيوخ . وكنا قد اجتمعنا حلقة حول الساط في دار الشيخ ابراهيم العامرة كان هو فكرها الاعم ، فحدثنا في احوال البحرين وتاريخها حديثاً فيه لذة وفائدة . ثم شرفني بكلمة تفصح عن وطنية جليباها الحسنة واتجها العلم نقلها الى القارىء مثلاً من نثره وفضله :

حضرة الأستاذ الكريم .

دعاني لكتابة هذه السطور ، والدواعي حجة ، ما يدعو المشتاق لبث
اشواق ، والرفيق للتحدث مع رفاق . ومجال القول في الشؤون الانسانية
واسع كل يأخذ فيه بحسب امياله ، ومقتضى حاله . واهم ما يتحدث به
الاخوان وان تنامت بينهم الاوطان ، هو ما يتواصرون به من رفع شأن
امتهم بين الامم وتنبية اذهان خاصتهم الى مطالب عصرهم . واذا
نظرنا الى ذلك بعين الاستحسان من وجه عام فلا شك اننا نغفل الى
بعين الوجوب من وجه خاص على من رزق من الاقتدار على الكتابة
حنناً وافرأ ، وتفرغ لها بعد ان خاض البحار والقفار ، وفاز بصحة
الكبار والصغار ، وحاز مؤنة الاختيار . وقددر له قبل ذلك ان يعيش
في العالمين القديم والحديث ، ويرى مظاهر الحياة من الفريقين . فلا ريب
ان يكون لكلامه التأثير التام في بني امته . ففى ان لا يحرم أبناء
الامة العربية من اخيهم الامين ما يقوي نهضتهم من اخباراته السنية
ونصائحه المفيدة . فالرائد لا يكذب اهل ، والفاضل لا يمنع فضله .

من المخلص

ابراهيم بن محمد آل خليفة

الرائد لا يكذب اهل . ما اجمها كلمة من شيخ ادباء البحرين . وقد
ردد صداها الشبان نثراً ونظماً و اضافوا اليها كلمات فيها من الحماسة والصراحة
ما يجدر بالشباب . اني لا ازال اذكر من كلام الشيخ محمد رئيس النادي
الادبي قوله : اجل سلامنا الى جميع اخواننا الناطقين بالاضاد وبافهم اننا قد
اخذنا على عاتقنا السعي في تحقيق امنيتنا وهو رفع شأن امتنا عن طريق العلم
. . . واننا مستعدون لمصافحة كل من يمد يده الينا للتعاون والتعااض
والتعارف والتواد .

والشيخ محمد هو ابن الشيخ عبدالله كبير النحال امير البحرين ، كبيرهم عقلاً ووطنية وعزماً ، فلا يخفى كلامه من اشارة سياسية .

اما الصراحة كل الصراحة فلها كلها . ان بين ادباء تلك الجزيرة العربية الجميلة شأباً ورد ادبه بواسطة النجالات العربية القرب والشرق فاستقى من الموردين ، فصفت روحه واشتدت لهجته ، وما كان في الاثنين غير صراحة رائدها الصدق ودليها الحصافة . هو عبدالله بن علي آل زايد ، سلك الكهولاء بين الادباء . وكانى به يكمل كلام الرئيس في خطبته تلك اليلة اذ قال :

— قل لافريين اني زرت مصر والحجاز واليمن والعراق ونجد والبحرين
فرايت في هاته الامصار شعوباً نقضت عنها غبار الكسل واستعدت للعمل ،
شعوباً تتوق الى مصافحتكم وانتم الاصدقاء والى مصادقتكم وانتم الزملاء .
ولكنها لا ترضى بحال من الاحوال ان تكونوا لها بمثابة السادة . . . قل لهم
ان الشعب العربي هو استاذكم الاول ، ومعلمكم القديم ، فلا تقابلوا الاحسان
بالاساءة ونجملوا ثواب ارشاده اطالة استبداده . . . قوموا لهم بقام الناصح
المحور ، لا الخيار المسيطر . دعوا الزمان الذي كيّفكم بكيّفه ، والعوامل
التي اعدتكم تعدّه . . .

هذا من عبدالله بن علي نثر فيه صراحة ، فيها حقيقة ، فيها جراءة
واخلاص . وقد عم ذلك كله بقصيدة جاء فيها وهو يصف اهل الشرق :

غنيهم بنجيل والمداوي عليل والاجانب اولياء

نعم غنيهم بنجيل في المشاريع العامة التهديبية والصحية ، والمداوي عليل
بما في خروجه من عواقب الحروب والتهاليد السقيمة . فاذا ما اصبح الغني في
ما ذكرت كروياً ، والمداوي سليماً من سؤوم الحرافات ، فتيقن يا اخي عبدالله
بن علي بان الاجانب يصبحون اصدقاء وزملاء .

في البحرين اذن نهضة سياسية هي قريبة النهضة الادبية . اجل ، ان في البحرين من يشدون الوحدة العربية ، وفي نادي البحرين من يرفعون النهضة الى مستوى الفلسفة العالي ، ومستوى الانسانية الاعلى . فقد ادهشني ايضاً تلك اللميلة اديب من ادباء الفرس ، والفرس مهد الفلسفة والحرية الروحية ، في ذكره الشاعرين الصنوين عمر الحيام واني الملا المعري . قال محمد صالح الخنيجي : اني احب المعري والحيام واني شغف بشعارهما . وقد سرني بنوع خاص ما بلفني من ميالك اليها وغرامك بافكارهما . . . ان البشر لم يزالوا كما كانوا في ما سلف من الزمان وكما وصفهم المعري والحيام . . . ان الاديان الحنيفة روحها واحد وانما تختلف الشرائع التي تتضمن احكام المرافعات وفصل الخصومات . . . فالاديان بروحها ونفزاها تدعو للاجتماع والاتحاد . . . الشريكون كلهم عائلة واحدة . . . خلاصهم وسعادتهم في ان يسود النظام بينهم والرفاق والتضامن .

مرحى ، مرحى .

وها قد اطلمت القاري . بالقرائن والامثال على بعض ما يدهش في البحرين - وهناك مدهشات تاريخية وطبيعية سيجي . ذكرها - واسمته في اصوات الادب والشعر شيئاً من الشكوى والالين . فينبغي لي ان اطلعه اذن على الاسباب . على ان البحث في احوال البحرين يجي . ناقصاً اذا لم تتقدمه نبذة في تاريخ هذه الجزيرة وفي حالتيها الطبيعية والاقتصادية .

الفصل الثاني

مهد الحضارة والشماع

أفضل الفينيقيين - شهادة التاريخ - مدافن البحريين - آثار فينيقية - قائد من قوات الاسكندر فيروز بلاد فينيقية في خليج العجم - ضرر وجويل هناك - العرب والفينيقيون من اصل واحد - لاغشاق البحر واسبياد الشراء - التجارة الجديدة - لولو البحريين - قضية ما يستخرج من الخليج - ما هي اللولو - ضيف تنغ في ناجر - رأي العلماء - رأي القزويني - القوص والقيص - اصطلاحات هذه الجزيرة - كيف يتقسم مجرى اللولو بعد القوص - تجار اللولو - اخطار القوص - الدؤل - السلب في حسن لولو البحريين - عجائب الطبيعة وعجائب القزويني - الماء العذب تحت الماء المالح - تجدد الارض من لجة الى الاخضر - اهل البحرين يفرجون من مياه العارض والبيامة .

قال بعض المؤرخين ان خليج العجم هو مهد الحضارة بل مهد الجنس البشري وان سكانه الاقدمين اي سكان الجزر فيه هم اول من رفعوا شراعاً في البحار ، واقتصدوا اخطار الاسفار ، فارسوا الملاحة واتقنوا علمها ، وسجلوا الصلة العاملة بين الشرق والغرب . وقال آخرون ان الفينيقيين هم من هذه الديار العربية . فقد جاء في بعض كتابات المصريين القديمة ذكر البُنط Point وهو اسم الفينيقيين قبل ان يحتلوا بلاد الشام . * والظاهر انهم من اصل عربي فقد نقلت التقاليد القديمة انهم ظفروا من الديار المجاورة لخليج فارس الى سواحل البحر المتوسط ^(١)

وجاء في التاريخ القديم تأليف رولنسون الانكليزي الذي يسند كلامه الى اصبح الثقات مثل هيودوط واسترابون : ان اقدم الدول الاسيوية تأسست عند فم الخليج العجمي ^(٢) ناهيك بالاثريين الذين يقولون ان القرنة اي البلدة

(١) لغة العرب الجزء الثاني صفحة ٢٧٠

(٢) موجز التاريخ العجمي تأليف جورج رولنسون صفحة ٢٨ و ٢٩ Ancient History by George Rawlinson

الكائنة على ملتقى دجلة والفرات اليوم هي المكان السعيد العالي الذي سقط منه الايوان الكوربان - هي جنة عدن ، او كانت . ولا تزال شجرة الخبز والشر قائمة فيها - ومثمرة - حتى اليوم .

ان علماء التاريخ وعلماء الآثار اذن متفقون مع الانبياء . على انه مهما كان امر الاساطير وبعدها عن الحقائق الطبيعية والتاريخية ، او قربها من تلك الحقائق ، فمن المعقول ان الفينيقيين ، وهم من الشعوب الشرقية السامية ومن رجال البحار الاولين ، نشأوا في جوار الخليج او فيه ، وكانت اسفارهم في البداية بين الهند والشام ومصر ، ثم ظفروا الى سواحل سوريا وخطوا البحر الابيض ، فوصلوا الى قاذش وبلاد الفال ، واصبحوا في تلك الايام الصلة التجارية الوحيدة بين الشرق والغرب الاقصى .

ومما قاله رولانسون انهم كانوا يسافرون من ارواد بباوس براً الى الخليج العجمي فيبحرون منه الى الهند وسيلان ، ثم يمددون وهم يحملون الذهب من اوفير^(١) كائنها بعد طعنهم قوياً الى سوريا كانوا يعودون الى بلاد هي بلادهم وقد توارثوا علومها مع علم الملاحة بمصنوعهم عن بعض . ولا عجب اذا كان الخليج وجواره منشأ الفينيقيين ومطلع انوار المدنية الاولى ، فان ابناء هذه الروع هم الذين مصرروا ارض السكندانيين وشيدوا قصور بابل وآشور .

من المؤرخين من يقول ان الصينيين كذلك نشأوا في جوار الخليج وخطفوا شرقاً الى البلاد التي هي اليوم بلادهم . وايكنا وان عدنا مع علماء التاريخ خمسة آلاف سنة فلا يازم ، وموضوعنا البحرين ، ان نعود الى الاساطير قبل ذلك العهد او بعده . ان في جزيرة البحرين نفسها ما يشهد رأي رولانسون ،

(١) اوفير هي البلاد الشرقية التي اشتهرت قديماً بكثرة نضارها . وقد اختلف المؤرخون في موقعها فمنهم من قال انها كانت على الشاطئ الهندي قبالة عمان ومنهم من قال انها في افريقية الشرقية .

بل رأي هرودوت واسترابون ، في اهل الفينيقيين . ان في الجزيرة اثرًا تاريخيًا قديماً لم يُكشف بعد كل سره .

ركبنا ذات يوم السيارة وسرنا من المئامة جنوباً فررنا بارض خلل فقليلها قليل ومياهاها الجارية في القنى غزيرة ، ثم بجزائيب قديمة عربية ، ثم بغابات وآكام انضمت بنا الى ارض تنفر ثرة وطوراً تردهي اخضراراً ، حتى اذا اجتازنا مضمة اسيال وصلنا الى قرية علي ، فانكشف امامنا مشهد غريب عجيب خصوصاً وهو في جزيرة صغيرة مجهولة كالبخرف . تلال او اطلال نظائرها لاول وهلة اثار مدينة قديمة . ولكنها آكام هرمية اصطناعية قائمة في سهل فيصح بل في قفر سقيبت بين المئامة والرفاع يدعى المواقيب .

هي مدافن البحريين وقد نبت فيها العوسج والقيصوم . هي مدينة الاموات في كنف الزمان ، وفيها احياء . كالمدينة متفرقة متعددة . وفي كل حي فئات من القبور . مدينة دارسة لا يعرف لها تاريخ . كأن سككائها خلقوا وماتوا قبل ان يستكشف الانسان للقراءة شيئاً وللكتابه مسجراً .

صعدنا الى رأس اكمة علوها زهاء خمسين قدماً ثم نزلنا الى جهة منها فيها اثر البناء . - باب كبير وعضادة ونصف عضادة وعتبة امتت السكفة تحت الاقدام . دخلنا فاذا نحن في بيت فيه غرفتان بنيتا بالحجارة الضخمة الواحدة فوق الاخرى . ويظهر ان الاموات كانوا يدفنون في هذه الغرف واقفين او جالسين . او ان هذه القبور العالبة كانت لامراء الجزيرة واعيانها . هي تختلف علواً ولكنها لا تنقص عن الثلاثين ولا تزيد على الخمسين قدماً . ولكن شكل الغرف والمابر فيها واحد لا يتغير وكلها في جوار قرية علي . اما المقبرة الفسيحة الارعاء ، المقبرة العامة على ما اظن ، فهي تمتد بعيداً في جهتي الشرق والجنوب ، وفيها من القبور ما يزيد على الستة الاف قبر يراوح علوها بين الخسة والعشرة الاقدام . هي من اكبر مدافن الشرق ولا يبعد ان تكون أقدمها عهداً .

ومع ذلك لم يتم لها علماء الآثار والتاريخ اهتمامهم لغيرها . وقد يكون السبب في ذلك تحول ذكر الجزيرة عند عامة الناس وبعدها عن جادات السياح المألوفة . بيد ان رجلاً إنكليزياً اسمه دوران^(١) جاء الى البحرين سنة ١٨٢٩م وكان اول من فتح مدفناً من تلك المدافن على ما اعلم وبأشر الحفر والتنقيب ، فوجد هناك مع عظام الانسان قطعاً من عظام الخيل ، وشقفاً من الفخار ، وآنية من العاج ، وسجفاً وستائر بالية ، واخشاباً ناخرة من السوس والديدان . الا انه لم يذكر انه عثر على كتابة او صورة محفورة في تلك القبور .

ثم جاء في سنة ١٨٨٩ سائح إنكليزي اخر هو تيودور بنت^(٢) وامعن في التحري والتنقيب ، فعثر على آثار صناعية بعث بشي . منها الى المتحف البريطاني ، فدرستها لجنة المتحف وقالت انها فينيقية الاصل . فاثبتت في ذلك رأي المؤرخ رولنسون الذي مر ذكره ، واثبتت ضمناً ان هذه القبور قديمة جداً لان هجرة الفينيقيين من هذه الجزيرة الى البحر المتوسط هو منذ خمسة الاف سنة كما يرقني المؤرخ رولنسون . ان هناك دليلاً آخر على قدم عهد هذه المدافن وهو ان لا اثر فيها على اهميتها للكتابة او للتصوير الرنزي

ان في التاريخ القديم برهاناً آخر على فينيقية البحرين . فقد كتب احد القواد المقدونيين عندما جاء الى خليج العجم من قبل الاسكندر مستقيماً طريق الهند انه زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج ، ثم جزيرة تدعى نيرين ، وهي على ما يظهر دارين العرب ، ولا تزال قريباً اليوم اسكلة بحرية تدعى جبيل . وادعش من ذلك ان على شاطئ عمان الشرقي بلدة كبيرة اسمها صور ، سكانها عشرة الاف واكثرهم نوتيون ، عندهم مئة سفينة كبيرة والقان من السفن الصغيرة تسافر الى الهند والبحرة ويورت سيمد . وصور هذه من المدن القديمة ، وقد كانت في الماضي ، مثل صور الشهيرة على

البحر المتوسط ، محطة تجارية بين الهند وبلاد بابل .

هالك أدلة التاريخ والأثر والديار التي لا تزال عامرة على أن الفينيقيين
خلعوا من خليج العجم بل من بلاد العرب الشرقية إلى البحر المتوسط . وإذا
كان يرب القاري شي . من ذلك فلا مجال على ما اظن للرب في احد امرين :
أما أن الفينيقيين من اصل عوبي ، وهم مثل العرب ساميون ، وأما أن العرب
من اصل فينيقي . فإذا صحت رواية رولنسون ثبتت القضية الأولى وإذا
صحت رواية قائد الاسكندر ثبتت القضية الثانية . أما إذا كان لا ريب
في الروابيتين فنشأ الفينيقيين ومعاهدهم ككلاهما في هذه الجزر . وهذا الساحل
العربي من الخليج .

ولا فرق عندي في كل حال إذا كان العرب الاصل أو الفرع . فإذا كانوا
الاصل فرجأ بالفيقيين ابنائهم ، وإذا كانوا الفرع فرجأ بالتجدرين من
الفيقيين . لست من الذين يثفزون بتعليل النور ، وتحليل روائح البخور
وأن ما اتفقته هو أن بين الشعبين العربي والفيقي صلة جهورية قد لا ترى
ولكنها لا تنكر . بل هي ترى في سنة الرواة وأدلة الحياة في الحال . البها
اذن اعون بالقاري .

أن أهل البحرين مثل أهل الكويت بل مثل كل العرب الساكنين على
سواحل الخليج لا يزالون من عشاق اليم وسادة الشراع . بل هم اليوم الملاحون
السائدون في الخليج وفي البحر الأحمر ، هذا إذا استثنينا السفن البخارية .
أجل ، أن العرب اليوم مثل الفينيقيين قديماً قابضون على زمام الملاحة ، رافقون
فوق ساري الجدل علم الشجاعة والاقدام . الا انهم اكتشفوا من مصادر الرزق
والثروة غير نقل الابضعة والمتاجرة في الامصار البعيدة . فقد اعتاضوا عن
التنك والزجاج بالخفيف النفيس ، باثمن ما يستخرج من اعماق البحار .

لا اعرف من تاريخ الماز غير شي . من حياته الطبيعية . اما اكتشافه

واول من تاجر به من الرجال ، واول من خدع به امرأة ، واول من تحلى به من النساء . فذلك امور اجهلها . وقد يصح ما قاله المؤرخون في اول من فتح صدفة واستخرج الدرّة منها ، وما قاله الاثريون والروائيون في اول من صاغها واستغوى العواني بها . قد جاء في التاريخ القديم ذكر ذهب اوفير ولم يذكر على حد علمي اولو خليج العجم الذي هو مهد الحضارة والتسراع ومهد تلك الصدفة التي يسكن فيها المال والجمال .

ان المأثور مصدر الثروة الاكبر في البحرين واشهر ما اشتهرت به الجزيرة فقد قدر ما يخرج منها سنوياً بثلاثين مليون روية اي مليونين ايرة انكليزية^(١) وقد اجمع الاخصائيون ان مفاص البحرين هو اكبر مفاص في العالم مثلاً اجمع الصاغة ان اولو البحرين يفوق صفاً وحسناً سائر اللآلي . لا بأس اذن ونحن في الموضوع من الامام بسيرة هذه المخارقة العزيرة الغالية . وان ما اورده الان هو من كتب العلم والحجاء لا من دواوين الشر والشعراء .

المأثور بنت المحار ، بيتها الصدفة ، وبيت الصدفة البحر على الدوام لولا يد الانسان . اما المحار فعرب البحر الاحمر يقسمونه الى قسمين ، الصدف وهو الكبير الذي ينذر المأثور فيه والبابليل اي صغير الصدف مثبت اللآلي . فاذا ما استخرجوا الدرّة من البابليل يرمون بصدفتها وابكتهم يحفظون بالصدف الكبير فيتجرون به . وقد قيل لي ان قيسة ما يصدر من الصدف

(١) وقدّر ما يخرج من الكويز بقيسة غالية ملايين روية ، ومن اللطيف بازمنة ملايين ، ومن جيبيل بثمانية الف روية ، ومن عمان بقيسة عشر ملايين ، ومن لنجه وقيس بليون ونصف فيكون المجموع من الخليج سبعين مليون روية منها مليون ونصف من جزيرتي لنجه وقيس وما قرب الساحل المنجمي الجنوبي . قد يكون في هذه الارقام بعض المبالغة ولكنها لا تقل عن ثلاثة ارباع القيسة المذكورة . وقد اخبرني العارفون بان مفاص اللؤلؤ يتد من دبي في عمان الى راس المشاعب جنوبي الكويت وكه في الجانب الغربي اي الغربي من الخليج .

واللؤلؤ من البحر الاحمر لا تتجاوز المليون روبية لان مفاص اللؤلؤ فيه قليلة صغيرة .

اما قصة الصدفة فهي اكها بالايجاز . هي في يوم الولادة تلقي بيضها الاصفر على وجه الارض في قعر البحر ، وهو مثل حب الحشيش يتجمع حفا فيتلون منه القعر . ثم تنشأ البيضة فتندو كحبة العنبر ، فينبث لها عروق خضراء براقه مائلة الى الازرقاق ، فتندو العروق حتى تصبح كالكاتامل طولا وهي دقيقة كالشعر ، شديدة كجبل من مسد . وعندما تنمو عروق الصدفة ترسب فتثبت في مكان صلب من القعر . ومنها ما تطفو فتتحرك بحركة البحر وتغرق بعضها عن بعض ، بل تظل تندرج حتى تلقي صخرأ او شجرة او مكانا صلبا من القعر تدق او تدها فيه ، فتسكن عروقها منه . وهي لا تأخذ بالنمو الا بعد ان تنتهي من الدوران ، وتثبت في مكان . فتفتح اذ ذاك فهي اى صدفها للغذاء وجه من الطين . اما ما قبل بان المحار يصعد الى سطح البحر وقت الشتاء . يشرب الماء القراح فالحطأ فيه لا يحتاج الى برهان ، وقد اتضح مما تقدم انه يعيش ملتصقا بالصخور او بالارض الصلبة .

كانني بالقارى . يقول : وعدتنا بترجمة اللؤلؤة فنجئنا بقصة المحار . على اني قلت ان اللؤلؤة بنت المحار ، وفي القول من الشعر اكثر مما فيه من العلم . اما الحفظة العربية الباردة المؤلمة فهي ان اللؤلؤة بنت مرض يصيب المحار ، او بالحري نتيجة خلل يعترض نظام الافراز فيه والذي يظنه علماء الحيوان هو ان حبة رمل او بيضة او حشرة تدخل مع الغذاء فتستجيب منها اغشية المحار ، فينتج عن ذلك افراز غير طبيعي يتكون منه كتلة كاسية لامعة هي اللؤلؤة^(١) .

(١) اما رأي علماء العرب فصاحب كتاب عجائب المخلوقات اجدرهم بالذكور . قال الفزوي في الجزء الاول من كتابه صفحتي ١٩٩ و ٢٠٠ على هامش كتاب حياة الحيوان للدميري : ان الرياح وقت الربيع تحمل الى بحر فارس رشاشات من بحر افقاس وفيه ماء شبه بالزئبق لرج مثل الغراء . فيولد منه الدر بأن تقع تلك الرشاشات

فإذا جاءت الكتلة هذه متوسطة في اللحم كانت نفيسة ، وإذا لامست أو قاربت الصدف كانت رديئة .

وفي سبيل هذه الكتلة الكلسية يقادي الكثيرون من رجال الغوص بصحتهم وبارواحهم . فالكثيرون يرفعون حيناً يرفعون إلى وجه البحر ، ومنهم من يصابون بداء الرئة . ذلك لأن الغوص يلزمه مع الجراحة والحفنة نفس طويل . والنفس إذا طال تصب به الرئتان ، وإذا طال تحت الماء جاء فوق الأمساك ضغط تتفجر منه في بعض الناس الشرابين .

أما موسم الغوص فهو « من أول برج الثور إلى أوائل برج میزان »^(١) كما يقول الشيخ النباهي^(٢) الذي يعود إلى الأفلاك مثل حنبل أعرابي ليحدد الأمانة . وقد أوردنا في كتابه أنه « أورد صفة الغوص » وأن كانت معلومة لأنه اطالع على رحلة ابن بطوطة قرأه يصف مناص الجواهر بخلاف ما يشاهد في هذا الزمان .

السفن التي تستخدم اليوم للغوص هي على نوعين السنبوك والجليوت^(٣) أما في الماضي فقد كانت على أنواع شتى منها البقلة والبشارة وكلها شرابية . وأهل الغوص يعبرون عن بخرج السفن بالخشب ويسمون ابتداء الموسم الركبة وانتهاءه القنال وهم يدعون اللؤلؤ قاشاً والجواهر دانت .

في محل الصدف قبالة الصدف كما يلحم الرحم المر . فربما وقعت فيه فطرة كبيرة فتتقد دراً كبيراً ، وربما تقع رشاشات تنمقد منها أجزاء صفار كما ترى في أكثر الاصداغ . هذا رأي القزويني وليس فيه شيء من العلم .

(١) برج الثور ورج میزان يشتملان في دورتيهما على الأشهر التي تعرف عندنا بأشهر الربيع والصيف ، أي من أيار إلى أيلول .

(٢) قد قرأت في وصف الغوص ما كتبه الشيخ خليفة بن محمد الأيوان وهو ينطبق على ما سمعته من الثقات فلتخص بعضه لأنني الموضح حقه .

(٣) راجع الشرح في صفحة ٢٣ من هذا الجزء .

في البحرين يياشر صغار الفاصة العمل قبل ابتداء الموسم فيجيثون في فصل الشتاء الى ساحل البحر ويغوصون في عمق ذراع او يزيد يلتقطون ما يجدونه من الصدف . وهؤلاء يُسمون « المخنثي » . فاذا ابحروا وغابوا يومين او ثلاثة يسمون « الغراب » لغروبهم اي بعدهم عن المدينة . وهناك صنف اخر هم « الحنجة » اي الذين يتجهزون لفية اسبوعين في القوص او ثلاثة اسابيع . ثم يتأهب اهل البحرين للقوص العام اذا مضى النصف الاول من برج الثور ، ويقفلون راجعين اذا دخل برج الميزان ، فيبيعون ما يغمون من البحر ويتقاسمون .

شكل من يستغل في القوص اسم يعرف به . فيدعى صكيد السفينة « فاختواه » والذي يغوص « الغيص » والذي يجر حبال الغيص « الحبيب » والمساعد لهم « الرظيف » ثم الخادم التلميذ هو « التياب » . هؤلاء والبحرية يخرجون في جليوت مزود بالزاد والماء الى مكان من امكنة القوص المعروفة التي يبعد ابعدها ثلاثين ميلاً عن البر ، ويتراوح العمق الذي يغوصون فيه بين ثلاثة ابراع واربعة عشر باعاً . يسيرون الى موارد الخطر والثروة وهم يغنون او يرددون بعض الايات انعاماً ساحرة . يسيرون في ظل الشرع مطمئنين ، واذا اشتدت الريح فيجاهدونها في سبيل الدر والحياة . — توكلنا على الله . . . صل على النبي . . .

ها هم في مكان القوص ، وقد طوي الشرع ورسا الجليوت . هات الحبال ياسيب . هات الحديد^(١) يارظيف . هات الدنين^(٢) يا تياب . وهوذا الغيص وقد وضع القطام^(٣) في انفه ، والحديد في رجله ، والدنين في عنقه ، ثم يسك^(١) وقد يكون حجراً او رصاصاً يتراوح وزنه بين الاثني عشر والخمسة عشر رطلاً يجمله الغيص في احدى رجله ليسرع به الى قعر البحر .
 (٢) الدنين زنبيل من حبال الليف مشبكاً مثل الغربال الا انه واسع الخروق .
 (٣) القطام مثل المفراض مصنوع من قرن الوعل او من عظم الساحفة يجمله الغيص في انفه ليسرع بنفسه .

نفسه وقد حجب وجهه بكفيه ويطيح . توكلنا على الله ! صرت موجة
تنتقل فتكون حلقات ، فتكبر ، فتتكك ، فتلاشي . راح تحتها النيص
يبقي الجواهر في الحار .

وهو حالما يصل الى القعر يفتح عينيه ويتزع من رجليه الحديد او الحجر
فيوقعه السنب بالزئيل^(١) الى السفينة . ومنهم من يلبس قفازاً من جلد تم
يشعر يشي على يديه ، ورجلاه مرفوعتان والجد^(٢) بين ابهامها ، وهو يلتقط
الصدف ويضعها في الزئيل . فاذا ضاق ذرعه او امتلأ زئيله جذب الجدا اي
جبل الزئيل فيصبح السنب : نَبْر^(٣) بين هو يسحب الجبل والنيص متمسك
به . فاذا صار على وجه الماء تزع القطام من انفه ونفث ، يأخذ السنب
الزئيل فيفرغه في وسط السفينة ويدفعه اليه فيعود الى الغوص . وهكذا الى
ان ينتهي النهار . وهم يسبون المرة الواحدة من النزول والعود « تَبْه »
وهي لا تقل عن الدقيقة ولا تزيد على الثلاث دقائق اي مقدار ما يستطيع
ان يستمر النيص تحت المياه . بعد انتهاء الغوص كل يوم عند الغروب او قبله
يقلعون الصدف ويخرجون ما يجدونه من اللؤلؤ فيها . اما اذا فرغ زادهم او
ماؤهم فيأتون الى اله ليترودوا ويعودون الى العمل حتى انتهاء فصل الصيف .

الناخذه هو مدير العمل فيجمع اللؤلؤ كله ويتولى بيعه ، فيأخذ من
مجموع قيمته الخمس ويقسم الاربعة اخماس بين رجاله بعد ان يحسم من قيمة
كل واحد قيمة زاده ، فيعطي النيص نصف قيمة الاربعة اخماس ، والريطف
ثلث الباقي ، والسنب الثلث الاخر . اما التياب فليس له غير اكله وفائدة
التحريم على الغوص . هؤلاء هم الخاصة اي الذين يستخرجون اللؤلؤ بأنفسهم

(١) الزئيل جبل مربوط به الحجر ومتمل بالسفينة .

(٢) الجدا جبل آخر مربوط به الزئيل . والاثنان يتولاهما السنب .

(٣) « نَبْر » كلمة بردهوتها تعذب النيص لجبل يرجله اي يطلب من رفاذه
هذه الاشارة ان يرجعوه الى وجه الماء .

وعلى حسابهم .

اما الذين يفتحصون لحساب غيرهم فهم يستأجرون السفن ومنهم من يستدين المال . والذي يسكرى السفن ويقرض المال يأخذ خمس قيمة اللؤلؤ الذي يجمعونه ، ثم نصف الخمس اجرة السفينة ، ثم نصف خمس اخر فائدة المال . وهم اي الفاضه يتقاسمون الثلاثة اخماس الباقية بحسب القاعدة التي مر ذكرها . اما اولئك الذين يكترون السفن فقط فلا يدفعون غير نصف خمس اللؤلؤ اجرة السفينة . الا ان الغالب في الطريقتين الطريقة الاولى اي التي ينال بها صاحب السفن والمال خمسي قيمة اللؤلؤ المجموع .

وهناك تجار اللؤلؤ واكبرهم في البحرين . فهم يبيعون ما لديهم منه في الجزيرة الى تجار اوروبيين والى البنين الذين يجيئونها في الموسم لهذه الغاية . او انهم يسافرون به الى عباي فيبيعونه هناك . ومن هؤلاء التجار من يسبون « بالطواویش » وهم الذين يخرجون الى محل القوص ويشتررون من التواخذة بعض الجواهر ، فيدفعون ثمنها اما نقداً واما قراً وزاداً . والتواخذة يفتضاون الزاد في بعض الاعايين لانه يسكنهم مؤونة الرجوع الى البر للتسوين .

اشرت في ما اسلفت الى اخطار القوص والى صفاء لؤلؤ البحرين وحسنه . فعلي اذن ، قبل ان انتقل من الموضوع ، ان اطلق الاشارة بكلمة ايضاح وجيزة . قلت ان من القواصين من يصايون بداء الرنتين واكثرهم حينما يخرجون من القوص يرغفون . وقلما يجمعهم ذلك . فهم لا يخافون الا من الدول عدوهم الاكبر . وما هو الدول ؟ عدت الى الديموى والقزويني فلم اعثر في بحر علومهما على الدول . ولا جاء ذكره عرضاً حتى في الكلام على اعجب المخلوقات . في كل حال اني ، وان ذكرت ما قاله القزويني في الصدف وتكوين الدر ، اميل الى سواه من الثقات وخصوصاً اذا كانوا من هذا الزمان . لذلك افسح للشيع خديفة بن محمد النباهي الذي خبر القوص بنفسه ورأى بام عينه الدول . قال وقام الله شره :

الدول حيوان هلامي لا يهتدي في سيرة طهية ، وإنما تقذفه الامواج على وجه البحر . وهو بقدر الكف فاصغر ، مدور له خيوط طوال نحو ذراع فاطول ، كانه حرير مشبك . فاذا لامس هذا الحيوان جسم ابن آدم احرقه حرقاً مدهحاً . وربما اعاب الموضع الذي لامسه . ولو رفع هذا الحيوان من الماء واصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماء ، ولم يبق له اثر . . .

اهل القوس يلبسون ثياباً ضيقة ملازمة للجسم اتقاء شربه . ويوجد كذلك نوع اخر يسمى اللوتيقي ، وهو مثل الدول هلامي ، ولكنه احمر اللون وضرره اخف من ذلك فاذا لامس الجسم احرقه بدون تهريج فيرم اللحم فيبقى اثره والله نحو ساعتين . اما اذا سخن الجسم المذروح على النار فالالام يزول منه .^(١)

بقي ان اذكر السبب في تفوق اؤلؤ البحرين وهو من عجائب الطبيعة في هذه الجزيرة . قد اجمع العارفون بان الماء الطلو يحسن الاؤلؤ ، فاستنتج من ذلك ان المطر هو سبب ذاك الحسن ، وان الصدف يصعد الى وجه البحر ليشرب من ماء السماء . غير ان الحقيقة العلمية في التصاق المحار بالصخور قبل غوه تفسد هذا القول . ولو صح ان المطر هو سبب الحسن لكان اؤلؤ جزيرة سيلان ، لكثرة الامطار فيها ، احسن ما في العالم . وقد فانت هذه الحقيقة القرويني الذي نقل من البحرانيين كلمة نصفها صحيح ونصفها خطأ^(٢) . قال :

(١) تاريخ البحرين صفحة ٢٦

(٢) لصاحب كتاب عجائب المخلوقات اراء اخرى مضحكة في الموضوع منها : « ان الصدف اذا ابتغت المطر خرجت من قعر الماء الى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها . ولا تخرج في وسط النهار لان شدة حرارة الشمس ووعجها يقصد الدار (كان الصدف مدركة عملها وطالبة الكمال فيه) فاذا خرجت فتحت فاهها ليقع الشمال على الدار فينمقد من اثر الشمال وحرارة الشمس ويتكون في الصدف

ان صدف الدر لا يوجد الا في بحر تصب فيه الانهار العذبة . والحقيقة هي خلاف ذلك . فلو قال ان احسن صدف الدر الخ جنا ، بالصواب .

الماء الحلو اذن يحسن الدر ولكنه اذا صب في البحر فقد صفاته . اما الانهار فليس منها في البحرين ، وانما هناك يتكاثر من المياه العذبة هي من عجائب الطبيعة . يتكاثر في وسط البحر تحت المياه المالحة . ومنها ما هي قريبة من السواحل .

في البحرين نحو خمسة وعشرين نبعا مشهورا يبعد بعضها عشرين ميلا عن الدر ويعملوها البحر من الثلاثة الى السبعة انواع . مياه عذبة تحت المياه المالحة تفور من الارض على الدوام . وتلك التي تقرب من الساحل تظهر ساعة الجز للعيان فيستقي اهل المحلة منها . على ان البحارة يفوضون للبعدة الصيقة كانوا اللؤلؤ فيسألون منها القرب بان يحملوا القربة او الاناء فوق القوادة الى ان يتلي . ومن هذه الينابيع التي يشرب منها اكثر اهل البحرين القريبين من السواحل تشرب كذلك الحمار ، فتتحسن فيه تلك الكتلة الكلسية الهادقة . هي السيب ولا مرأ في جمال لؤلؤ الجزيرة ذاك الجمال المستاز .

واغرب من كل ذلك ان تلك المياه العذبة تصل الى سواحل القطيف والاحساء ونجى البحرين من مرتفعات نجد ، من وراء الدهناء . فقد تنبع كما يتكون الجنين في الرحم . واذا تم الدر في الصدف ينقل الصدف الى موضع صلب ويثبت عروقه فيه . انتهى كلام الفزويني .

اما الحقيقة فكمس ذلك كما تقدم . ولا يستغرب هذا الخطأ في كتاب جله عجائب اوامام . هك اغوذجا آخر منه . قال الفزويني : بارض اليمن نخر عند طلوع الشمس يجري من الشرق الى المغرب وعند غروبها يجري من المغرب الى الشرق وليس هذا باعجب من جبل هرمز بطبرستان (الجزء الاول : صفحة ٢٧٩) الذي يتزل منه الماء وينصب الى وحدة فاذا صاح الانسان صيحة ينفذ ! واذا صاح اخرى يسيل !

علماء الجغرافية الذين سافروا في البلاد مجاري مياهها ومصب أنهرها العائرة .
من المعلوم مثلاً أن الرياض تعلو عن البحر ألف وعائنة قدم وأن جبال العارض
هي فوق الرياض وهي ككسبية تقتص جل ما يتدفق من المياه فتجري تحت
الأرض وتصب في وادي حنيقة . بل أن مياه العارض وروادي حنيقة تجتاز
الدهناء والتفرد فتصل إلى الخليج .

قال المسند مرعاش^(١) : لا شك أن قديماً من هذه المياه (أي مياه العارض
واليامة) عملاً يتحدّر الأرض ترشح تحت ما يعترضها من ظهور الجبال فتجري
خلال الطبقات الحصوية وتظهر على الساحل فتسقي واحات الأحساء
والقطيف ، وتتسكّن منها الناييم الطيبة في مياه البحرين .

(١) D. G. Hogarth, Penetration of Arabia . P. 342

في كتابه « التوغل في البلاد العربية » صفحة ٣٤٢

الفصل الثالث

البحرين

البحرين في قديم الزمان - بلاد عربية لم يبق منها طوب الاسم - جزيرة صغيرة
كبيرة - جوهرة في جيب الخليج - مركز للتجارة والحرب - سكان البحرين
وسكان نجد - اربع مئة وخمسون نفس في كل ميل مربع - مدن البحرين - النامة
مبناه الجزيرة - الرقاع مدينة الامراء - الصفيير حصن الفصحة والسكينة - جبل
الدخان ولا دخان فيه - البديع عشر الدواوير - جو وكان فيها قصور شامخة الى
الجو - المعرق عاصمة البحرين - البعد وفيها السادة العلويون - فزاراة المياه
والاهار - طريلة عبد الملك بن مروان في الاستيلاء والاستعمار - علي وعليهم را
وب - دواليب الهواء - اليابان تجذب جذو الحمار .

ان البلاد الواقعة على الساحل العربي الشرقي كله ، من البصرة الى عمان ،
كانت تدعى في قديم الزمان البحرين ، وقد اطلق العرب الاسم عليها لانها
على ما اظن على شاطئ البحرين ، بحر عمان وبحر فارس ، وجعلوا عاصمتها
عجبر . ثم خص هذا الاسم بنقسم منها بين الفسلر والقطيف وهو الاحساء لان
الطامعين بالسيادة من امراء العرب تنازعوها فتقاتلوا بها ، فاستمرت تنجزاً
وتصغر حتى صكاد الاسم بمسي بلا معنى . ولكن الذين ترحوا الى اقرب
اخضر الصغيرة من الساحل الشرقي ، او بالحري هربوا من الجور طالين
الاستقلال والاطمئنان ، احتفظوا بالاسم فاطلقوه عليها .

كانت قبلئذ تدعى أوام ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان قال : انها
جزيرة يحيط بها البحر في ناحية البحرين . وأوال ضم لسكر بن وائل واخيه
قنبل ، فسيت الجزيرة باسمه لان بني وائل مع عبد قيس كانوا يسكنونها
في ذلك الزمان . ساجيء في ملخص تاريخها في الفصل التالي على ذكر من
استولى عليها بعدهم من الامم والشعوب .

اما الان فوضعي الجزيرة نفسها الحاملة اسم تلك المقاطعة التي تسكنها

مئة ضعف . هي جزيرة صغيرة ومع ذلك كبيرة . صغيرة في مساحتها التي لا تتجاوز الاربعمئة وخمسين ميلاً مربعاً ، كبيرة في غرائب تاريخها الطبيعي والسياسي . وهي على صغرها عامرة بـثقي الف من العرب والاعاجم من الشرق والغرب . بيد انما لا تزال عربية الاصل والحكم ، وعربية اللغة والروح ، لان اكثر سكانها من العرب الاصليين ، عرب نجد ، وفيهم من المذاهب الاسلامية المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي والجعفري . اما الجعفريون فهم مثل الهنود يمدون من الاجانب لانهم ايرانيون او ايرانيو التبعة .

ليس بين مسقط والبصرة اجمل من موكز هذه الجزيرة . وليس اصليح منه للتجارة او للحرب . فهي تتوسط الخليج في زاوية حصينة منه ، كأنها بارجة راسية في جون تسم بين قطر والقطيف . او كأنها باخرة دنت من الساحل الذهبي المحيط بها ترفع علم السلم والتجارة . بل كأنها ، وهي عند مهد المازل ، جوهرة كبيرة في جيب الخليج . فلا عجب اذا تسابق اليها الفانجون في قديم الزمان ، وتنازعها من الامم ذوات الصولة والعرفان . وهي لا تزال محط رحال التجار يقيمونها من الهند وفارس ، ومحط رحال الطامعين بالسيادة المطلقة على خليج العجم .

ان البحرين لمثل مدينة كبيرة في ازدهار سكانها . ولولا موارد الثروة من اللؤلؤ فيها ، ولو لم يكن مجال التجارة فيها متسعاً ، لانتزع عنها نصف سكانها . اذ قلما تجد في العالم خارج المدن بقعة من الارض معدل سكانها في كل ميل مربع اربعمئة وخمسون نفساً . قابل بين البحرين ونجد مثلاً فتدهشك المقابلة . في مملكة ابن سعود اليوم مليونان ونصف مليون من العرب على الاكثر يعيشون في ارض مساحتها اربعمئة الف ميل مربع في الاقل . فيكون معدل سكان الميل الواحد المربع ستة انفس لا غير . ولكن نصف هؤلاء من البدو ، اي الرعاة واصحاب المواشي ، ونصف ارضهم من

الرمال والمفاوز التي لا ماء فيها ولا كلاً . فالميل المربع قليل اذن على اعرابي واحد مع عياله وازمائه ، كما ان الميل المربع في البحرين ، على كثرة مياهها وخصب تربتها ، قليل جداً على اربعة وخمسين من عباد الله - لولا اللؤلؤ كما قلت ولولا اسواق نجد والحسا .

جاء في التاريخ ان هذه الجزيرة كانت عامرة بالسكان في قديم الزمان . فقد كان فيها من المدن ثلاثون مدينة ومعها ثلاثة من القرى . ولصكنها ، وهي دائماً مطمح الفاتحين والمستعمرين ، ابتليت بما يتقدمهم ووافقهم ويتبعهم من الفتن والحروب ، فتداعى قسم من عوامها وانحصر ، ولم يبق فيها اليوم سوى ثلثي مدن وبعض القرى التابعة لها . اما سكانها الذين لا يفوضون ولا يركبون لوزقهم البحار ، فهم يزرعون الارض ، والذين لا يزرعون يتاجرون . اكبر مدن البحرين المنامة^(١) وهي على الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة . عدد سكانها اربعون الفا من العرب والايوانيين والهنود والاوروبيين ، وفيهم المسلم والمسيحي واليهودي والفارسي^(٢) والهندوس . هي الميناء العام للبحرين ومرکز احد فروع حكومة الهند ، الفرع الانكليزي ، ومحور التجارة ، فيها بيت الهريد والبرق ، والحجر الصحي ، ومرفاً ومخازن كبيرة للجمرك امر ببنائها الشيخ عيسى آل خليفة . وفيها ايضاً « قلعة الديوان » التي بناها احد ملوك العجم ، وكثير من البيوت الفخمة الهندسة والبناء . الا ان ارضها سيخة يفسد منها الهواء فتكثر فيها الحيات . وعلى مسافة نصف ساعة من المنامة غرباً يجنوب اثر تاريخي قائم في ساحة تدعى سوق الخليس لان هناك تقام كل اسبوع سوق للبيع والشراء . ذلك الاثر التاريخي هو من عهد عمر بن عبدالعزيز الاموي ، وهو بقية مسجد قديم ومنازلتين متقابلتين طول الواحدة

(١) كانت تسمى المنصة فعرفها الاعاجم الذين استولوا عليها . ومن قائل انه كان فيها قصر لنام احد ملوكها السابقين فسميت به .

(٢) أي المجوسي من اتباع الزردشت . وهو يعرف اليوم بالفارسي . Parsi

نحو خمسين ذراعاً . وهناك بالقرب منه عين تسمى ابا زيدان وفي جوارها ما هو اعم من الآثار القديمة اي اثر يثابيع من زيت البترول .

اذا سرفنا شرقاً بجنوب من هذا المكان واجتازنا المراقب ، حيث مدافن البصريين القديمة التي مر ذكرها ، فصل بعد ساعة الى الرفاع ، مدينة الامراء السابقين من آل خليفة ، وفيها بقية قلعة قديمة تبدو في اساس القلعة الجديدة التي شيدها الشيخ سليمان بن احمد . وحول الرفاع رياض مشهورة اهمها الصخير تكثر فيها الصيون والآبار والفضيل . اما الصخير فهي على ريدة الى جانب الرفاع الغربي اسمها الشيخ حمد الحاكم الحالي ، وهي غليظة الهواء ، عذبة الماء ، طيبة الفناء . الصخير هي حبي الشيخ حمد ، وحبي الصحة والسكينة .

من الصخير تشرف على جبل الدخان ، ولا دخان فيه اليوم لا لبركان ولا لالسان . هو جبل مستطيل ، فيه غار كبير ، داخله بيت بقباب منحوتة سكانه من بناء الالسان ، وفي رأس الجبل برج قديم متهدم . واذا استمر السائح شرقاً من الرفاع يصل الى سُترة او كما يقول البطارنة « حالة سُترة » هم يسون « حالة » كل قرية تحيط بها الماء فتجعلها شبه جزيرة . وهي مقبض الشيخ خالد اخي الشيخ عيسى ، وفيها وفي القرى التابعة لها عيون كثيرة ونخيل وبساتين .

هذه من المدن والقرى في الجهة الشرقية . اما في الغربية فالبديع قبالة الرفاع وعلى ساعتين من النامة هي مسكن الدواسر وغيرهم من العرب الاشارس . ومن قراها قرية جُو نزلها في قديم الزمان احد مشايخ العرب المشهورين بالهبة والاقدام يدعى الشيخ احمد رزق فصرها وبني فيها المساجد والاهرك الكبيرة لحفظ المياه ، فقال احد المؤرخين فيه : سكن الشيخ رزق بلدة الجُو ، وبني قصوراً شائعة الى الجُو . ثم ظن ونزل الزُبارة في رأس برقطر . وكان في نيته ان يفصل هذه البلدة عن قطر بخليج يحفره بينها وبين

المر طوله ثلاثون ميلاً . ولكن قومه ، وهم من اهل البادية ، لم يرضوا بذلك لاحتياجهم الى المظالي في بر قطر يجعلونها مرغى لانعامهم .

اما عاصمة البحرين الوعية العربية اي المدينة التي يسكنها الشيوخ فهي المحرق الكائنة في جزيرة صغيرة شرقي المنامة على مسافة نصف ساعة منها في الجبلوت . وهي تفضل المنامة بطيب هوائها لبعدها كما يزعم العرب هناك عن النخيل . فهم يظنون ان الاديثة تكمن في خلاله . والاصح انها تكمن في المستنقعات التي يسببها نقص او اهمال في ري النخيل . المحرق مركز النهضة الادبية اليوم وفيها المدارس والادبي والشبان القواف بلاذب والطلم . وفي جزيرة المحرق مدينة اخرى اسمها الحذ يسكنها السادة العاويون وبعض آل ابن علي المشهورين في تاريخ البحرين . وينبع كل من هاتين المدينتين خمس قرى يشرب اهلها من يتابع البحر العذبة .

ان الماء القراح غزير في البحرين لو انهم يحفرون له الابار والقنى فيجميعونه في عيون يستقي منها اهل المدن والذين يسكنون داخل الجزيرة . اما اليوم فاليتابع كلها هي قرب البحر لذلك يقصدها سكان المدن في الصيف فيقيسون حولها بيوتاً من جريد النخل موقفة يتفنون في بنائها لتقيهم حر الشمس ولا تنفع عنهم الهواء . وقد قيل ان مياه هذه الجزيرة معاً ردم من ابارها تريد على ما يلزم ارضها وتحتاج اليه سكانها .

نعم ، قد ردم في الماضي كثير من ابارها . والقصة كما يرويها العارفون من اهل البحرين وبعض المؤرخين هي ان عبد الملك بن مروان الاموي لما رأى من اهل الجزيرة بطوراً في غنمهم وقرداً على خلفاء بني امية ، امر بردم العيون ليقل زرعهم واموالهم فيفتقروا ويخضعوا للامراء . هو من اغرب ما دونه التاريخ من اساليب الحماقة في الاستيلاء — والاستعمار . وان من يقارن بينه وبين سياسة الامويين في الاندلس ، وما اوجدوه واقتنوه من اسباب

الزراعة هناك ، يستغرب جداً هذا الامر ويكاد ينكره . على اني شاهدت في رحلتي ما يثبت ان العرب في احقادهم وثاراتهم وحروبهم يشككون مثل هذا التشكيك باعدائهم وبأنفسهم . قد رأيت عيوناً في نجد كانت سبب الشقاق بين القبائل ، فلما استوائت عليها القبيلة القاهرة دمرتها وردمتها لكي لا يشرب منها العدو اذا خرجت بعدئذ من حوزتها . علي وعليهم يارب . فلما كنتغرب اذن فعلة الاموي عبد الملك مروان الذي امر بدم عيون البحرين ليقتر اهلها فيطيعوا امراءهم .

ومع ذلك فالجزيرة لا تزال غزيرة المياه كثيرة النخيل والبساتين . فيها من انواع التمر مئة نوع ويزيد حتى انه كان يضرب بها المثل فيقولون : كناقل التمر الى اوال . وقد شاهدت في الجزيرة عدداً من دواليب الهواء . مجلوبة من الولايات المتحدة ، فتضاعفت مياه البساتين التي يكثر فيها انواع الثمار كالليمون والموز والخوخ والكمثرى والعنب والمان .

كلني باهل البحرين ، وقد ادرکوا الضرر الذي سيلحق بتجارة المزاو من الاختراع الياباني اي توليد المزاو بالطريقة الصناعية ، يادروا الى اميركا يستجدونها با عندها من اسباب الزراعة والري الحديثة . فاذا كانت اليابان تحذو حذو المحار وتبايها فتحت من قدرها ، فاجارئة يشمرون عن ساعد الجلد ليضاعفوا في الجزيرة مرادها الزراعية .

الفصل الرابع

البحرين في التاريخ الاسلامي^(١)

مستعمرة فارسية حاضمتها وسكانها من العرب - الذي يبعث الغلاء الحضرمي ليدعوهم للإسلام - عبد قيس ووائل وتجهيز يسمون - الردة - رجوء الغلاء - خالد بن الوليد - تأديب اهل البحرين - فتحهم قطر وبلاد فارس - البحرين في حكم الامويين - في حكم العباسيين - صاحب الزنج - القرامطة - ابر طاهر في الكعبة - الامارة العبيدية في البحرين - جشكرف خان وتيمورلنك - فكيو دي ظاما والفونسو البوكركه - البرتغاليون في البحرين - الاتراك يخرجون البرتغاليين من البلاد العربية - الاتراك يساعدون الاتراك - الفرس في البحرين - مستعمرة فارسية - فساد الحكم الفارسي وتلاشي - آخر عامل من عمال الشاه .

سكانت البحرين ، اي البلاد التي على الساحل من البصرة الى عمان ، مستعمرة فارسية قبل الاسلام وفي السنين الاولى من البعثة النبوية . ولكن مماها كانوا غالباً من امراء العرب ، وكان سكانها من المجوس واليهود والنصارى ومن عرب نجد واكثر هؤلاء من عبد قيس ووائل وتيم . وفي السنة الثامنة للهجرة ارسل النبي محمد احد الصحابة الغلاء الحضرمي^(٢) ليدعوا اهل هذه البلاد للإسلام او للنجزية . كان المنذر بن ساوي التميمي يحكمها يومئذ من قبل ملك الفرس ، فلم يتردد في التفضيل بين الوثنية وبين التوحيد بل بين حكم قوريش وحكم الاعاجم .

جاء الغلاء الحضرمي ، وقد كان من رجال الصحابة وصاحب كرامات ، يدعو المنذر واهل البحرين للإسلام ، ولكنه لم يتمكن من هدايتهم كلهم .

(١) قد اعتمدت في كتابة هذا الفصل والفصل الذي يليه على تاريخ البحرين تأليف الشيخ خليفة بن محمد النبهان المطبوع في مطبعة الاداب بغداد سنة ١٣٣٢ هـ .

(٢) هو عبدالله بن عماد بن بكر بن ربيعة بن مالك بن اكبر بن عوف بن الخزرج بن اباد الحضرمي .

قبل الدعوة المنذر وعربانه حباً بالجنة ورجاء التخلص من ملوك الفرس ، ورفضها الآخرون . فتركهم العلاء في ضلالهم يعمهون بشرط ان يقاسموه غلاتهم من الحب والتمر ، فقبولوا بذلك . وعاد الصحابي الحضرمي الى مكة يحمل الى النبي بشري النصر المبين وكثيراً من الغنائم والاموال .

بيد ان اهل البحرين بعد موت النبي ارتدوا قائلين : لو كان نبياً لما مات . فجاءهم العلاء ثانية ومعه جيش من المسلمين ، فادب اهل الردة وقتل كثيرين منهم ، ولكنه لم ينتصر كل النصر . فكتب الى ابي بكر يستسده ، فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ، وهو يومئذ في اليمامة ، ليتوجه الى البحرين وينجد فيها العلاء . جاء خالد فرعاً ، كما يقول العرب حتى اليوم ، وكان قد فر كثير من اهل الردة الى الجزيرة وتحصنوا فيها فامر العلاء رجاله بالزحف عليها .

كان هذا الصحابي كما قلت صاحب كرامات 'حجاب الدعوة' وهالك منها اثنين . بينما كان رجاله يجتازون معاقرة لاما ، فيها خلصهم من الموت عطشاً بان صلى ركعتين ثم قال : يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا . فجاءت سحابة كانتها جناح طائر فقمعت عليهم وامطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركائب . ثم جازوا الساحل فرصوا الى الخليج فلم يجدوا سفناً فيه ، وكان المرتدون قد احرقوها ، فصلى العلاء ركعتين ثم قال : يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اجزنا . واخذ بعنان فرسه وهو يقول : جوزوا باسم الله فشي ومشي وراه جيش عدده اربعة الاف ، فلم يبتل لهم قدم ولا خف ولا حافر^(١) .

(١) في رواية اخرى انضم اجتازوا الى دارين لا الى اوال . وكانت يومئذ دارين جزيرة غامرة يومها عرب نجد للمسابقة . قال الشاعر :

يمرون بالدهنا خفافاً عباجم ويرجعن من دارين كبحر الخفاف

ودارين لا تبعد كثيراً عن بر القطيف حتى انه يستطع للناس ساعة الجزر ان ينزوا من البر اليها ، فالرواية الصحيحة اذن وان كانت تدعي كرامة العلاء الحضرمي ، من انضم اجتازوا الى دارين لا الى اوال .

بعد ان اذبح العلاء اهل البحرين وردهم الى الصراط المستقيم حمل على الزبارة في قطر وقتل فيها المستنير عامل كسرى ، ثم عاد الى البحرين فأمر عليها ، اجابة لطلب اهلها . ثم خاض عباب الخليج فوصل الى الشاطئ العجمي ودخل بلاد فارس فاتحاً . وبعد ذلك دعاه الخليفة عمر الى المدينة وولاه على البصرة بدلاً من عتبة بن غزوان ، وولى على البحرين عثمان بن ابي العاص ثم الربيع بن زياد الحارثي . سافر العلاء صاحب الكرامات والفتوحات الى البصرة ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يصل اليها ، فاستدعاه اليه في الطريق وهو قريب منها . فلبى العلاء الدعوة ولا يزال قهقهه معروفاً هناك .

دالت البحرين للخلفاء الراشدين ثم لبني امية الى زمان عبد الملك بن مروان ، ذاك الذي امر بدم عيون الجزيرة ليفقر اهلها فيلبينوا للامراء . ولكن عبد الملك لم يسكن من المفلحين . فقد سبقه الى استثمار الفقر رجل يدعى ابا فديك الحارثي ، فاستولى على الجزيرة سنة ٦٦٠ م ، وكانت جنود ابن مروان قادمة اليها فدخلتها متصرة وقتلت ابا فديك وستة الاف من رجاله الحوارج ، فعادت اذ ذاك الميادة الى بني امية في الشاطئين العربي والعجمي من الخليج .

ولكنها لم تخلص من الاعتصابات . ففي سنة ١٠٥ هـ خرج على العامل الاموي في البحرين معمر بن ابي زينة العبدي فتغلب عليه ونصب الاشعث بن عبد الله الجارودي مكانه ، فحكم الجارودي الجزيرة تسع عشرة سنة . ثم عاد الامويون الكوة عليها ، فم لهم الاستيلاء الذي لم يدم بعد ذلك طويلاً ، لان دولتهم كانت قد بدأت تنفصل وتضعف ، فصار العباسيون يحملون محاربتهم في البلدان والامصار ، فاحتل عقبة بن سليم البحرين من قبل ابي جعفر المنصور ، وظل عمال الخلفاء يبقون يحكمون في الجزيرة والاحساء حتى سنة ٢٤٩ هـ عندما استولى عليها رجل يدعى صاحب الزنج^(١) احد الانبياء الكاذبين .

(١) هو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد قيس .

كان صاحب الزنج شاعراً بل شوبيراً في بغداد يحجوم مستجدياً على مجلس المنتصر بن المتوكل وحول حاشيته . ثم جاء البحرين وهو يدعي انه من السادة العلويين فدعا القوم لطاعته فقبه ائام وخالفه آخرون ، فادى الخلاف الى التجزؤ فالنصب فالقتال . وكان اصحاب البحرين اول من آمنوا به ، فرفعوه الى مقام النبوة ، وجعروا له الحجاج ، وقاتلوا من اجله الاعداء . وقد قضى صاحب الزنج فترة في البادية اقتداء بالانبياء يستقل على نفسه الوحي ، فأوتي في تلك الايام - وهو الشاهد على ذلك - آيات من آيات النبوة ظاهرة ، فطفت بسب الخلفاء الراشدين ومعهم عائشة والزبير . سكان النبوة تبدأ بالمسبات !

قال ابن الاثير وابن خلدون ان صاحب الزنج كان يرى رأي الخوارج . وقد دعي بهذا الاسم لانه في بادى امره كان يدعو العلما من ائمة الذين يسكنون في نواحي البصرة فيعدهم بالعتق في الدنيا والجنة في الآخرة . بل كان يستفهمهم بشي من الجنة سلفاً . قيل انه كان يأمر بالقبض على النساء من ولد الحسن والحسين والعباس ويبيعهن في عسكره ببيع الاماء والامتعة بدرهمين وثلاثة ، فيشتري الزنجي عدداً من الشريقات بيضة دراهم .

لا عجب اذن في تليتهم دعوته للجهاد ، فطفت يشن الغارات الواحدة تلو الاخرى وله في اكثرها القلبة والغنائم . وفي سنة ٢٥٥ هـ ادعى صاحب الزنج النبوة وكتب على رايته الآية : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، وراح وزوجه يسلبون وينهبون باسم الله . ان القريب في حكم اولئك العباسيين ان مثل هذا الطاغية يثبت اربع عشرة سنة في طيانه ، فيحكم في هجر اليوم وفي البصرة غداً وتارة في الاحساء . وطوراً في البحرين ، فأراً كراً ، صائلاً طائلاً ، قبل ان يستكنوا منه فيقتلوه .

قال احد المؤرخين ، وهم يبالغون في الكلام على حروب صاحب الزنج ،

انه قتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف شخص . ولم يقتل في اكبر مواقع الحرب العظمى هذا العدد او نصفه من الناس . فتأمل .

كانه كتب لاهل البحرين مثلاً كتب للعباسيين ان لا يدوم السلم والامن طويلاً في ملكهم السعيد . قتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ فتنفست بغداد الصعداء . ثم ظهر في سنة ٢٧٨ هـ ابو سعيد الارمطي . وياهل القرامطة .

جاء ابو سعيد حمدان من خورستان الى العراق فزل في السكوفة فرض ذات يوم فساعدته رجل يدعى كرمية لحرة في عينه (اللفظة نبطية ومعناها حرة العين) فلما شفي من موضعه سمي باسم ذلك الرجل ، فحذف الاسم بعدئذ فقبيل قرامطة . وكان ابو سعيد قرامطة من الزاهدين المتشققين ومن تلامذة عبدالله القداح الاهوازي الاماعي الذي اسس في يومه جمعية سرية باطنية من مقاصدها الظاهرة التوفيق بين العرب والعجم والتأليف بين الاديان كلها . اما مقاصدها السرية ، السياسية والدينية ، فقد ظهرت بواسطة القرامطة بافطح مظاهرها .

دعا ابو سعيد وهو في العراق الى امام من اهل البيت قيل انه محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ، وقيل انه محمد بن الحنفية . كان القرامطة بعدئذ يدعون ترة لهذا وطوراً لذلك ، وفي كلتا الدعوتين فتنة على العباسيين . بل ان نهضة القرامطة ، اصلاً وفعلًا ، هي نهضة ايرانية دينية سياسية ضد الخلافة والعرب . وان ما ارتكبه الخلفاء العباسيون من المظالم وما اعتدى ملكهم من الظلم والضعف والفساد ، خصوصاً في عهد المعتضد والمعتز والمعتصم والمقتدر - القاب مملكة ! - كان يثير منهم الناس ويساعد كل من قام عليهم من الاعداء .

لذلك اجتمع على ابي سعيد خاق كثير وجلهم من البادية لانه خفف عنهم اثقال العبادات ، فاختر الصلوة وجعلها فرضين صباحاً ومساءً ، وانقاعهم

من صوم رمضان . فأحب البدو الاسعيد واصكبروه وعظموه ، وقالوا انه الامام المنتظر بعينه . فنشأ مذهبه ينتشر انتشاراً عجيباً ، فاشتمت دار السلام على اربابها منه ، فجندت عليه الجنود ، فصدوا بعربانه وحاربوا في اماكن عديدة وهزموا . ثم راح السيف ينتشر في البلدان الدنية والقضية ما تأصل في قلوب القرامطة من عقيدة فيها نفى العقائد كلها . فاشتدت حروبهم على الخلفاء . وانتزع زعمائهم الملك من عمال العباسيين في عمان والحسا والقطيف والبحرين . اما شمالاً فان جيوشهم اجتازت البادية والحجاز فوصلت الى بعلبك ، ومنهم من غزى الحجاز واليمن .

وقد نظم الشاعر ابن مقرب العبوني تاريخهم فأشار في قصيدته الى ما كان من امرهم اولاً ودمارهم آخراً بواسطة جندوده . قال :

سل القرامط من شطى جاجهم	فلقاً وغادرهم بعد التلى خدماً
من بعد ان جل بالبحرين شأنهم	وأرجفوا الشام بالغازات والحرم
ولم تزل خيلهم تقشي سناجكها	ارض العراق وتغشي تارة أوما ^(١)
وحرقوا عبد قيس في منازلهم	وصيروا القر من ساداتها خماً
وابطالوا الصلوات الخمس وانتهكوا	شهر الصيام ونصوا ^(٢) منهم صنفاً
وما بنوا مسجدأ لله نعرفه	بل كلما ادركوه قافلاً هدموا

وقال المؤرخ الانكليزي غين : ان القرامطة هم احد الاسباب الاولى في سقوط الدولة العباسية . قد استمرت فتنتهم ستين سنة وتريد وبلغ القتال بينهم وبين جيوش الخلفاء اشده في السنوات الوسطى منها اي منذ سنة ٢٨٩ ٩٠٢ م الى ان دخلوا مكة بقيادة زعيمهم الي طاهر سنة ٣١٧ ٩٣٠ م فكان في ذلك الفتح حكمة المحمد وختمه الفطائع والمهول .

(١) اسم بلدة من بلدان عمان .

(٢) اي نصبوا صنفاً .

دخل ابو طاهر سليمان بن حسن القرمطي بجيشه راكبين خيلهم وأعمالوا
السيف بالحجاج ، فقتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف
رجل والوف من النساء . ووقف ابو طاهر عند الكعبة وسيفه بيده وصفر
لفرسه فبالت هناك ، ثم صعد على باب الكعبة وشرع يقول ، بينما كان رجاله
يرمون رؤوس الشهداء في بئر زمزم :

أنا لله والله أنا يخلق الخلق وانقيهم أنا

بعد ذلك امر بقلع الحجر الأسود من محله فحمله القرامطة الى الحساء ،
ولكنهم بعد اثنتين وعشرين سنة اعادوه كما قيل الى مكة . اما ان الحجر
الذي اعادوه هو ذاك الحجر بعينه فانه اعلم .

دخلت البحرين في حوزة القرامطة في عهد المكتفي بن المتضد وظلت
في حوزتهم الى ان ضعف امرهم وبدأت سياحتهم تتلاشى . فقام لقتالهم عندئذ
ثلاثة من العرب هم الامير عبدالله بن علي العيوني في الاحساء ، ومجدي بن
العياش في القطيف ، وابو البهلول محمد بن يوسف الزجاج في البحرين . ثم اقتتل
هؤلاء على ما غنموا . وقد كان ابو البهلول ضامناً لخراج الجزيرة فعصى فيها
فجهز عليه القرامطة جيشاً من عرب عبد قيس ، فبرز لهم بجيش من البحارنة
فكسروهم في اول وقعة وطردوا منهم من الجزيرة . ثم خطب له فيها بالامارة
فاستقام امره بضع سنين فظهر عليه اذ ذاك زكريا بن العياش الذي استولى
ابوه مجدي على القطيف وكان يطمع بالاستيلاء ايضاً على البحرين .

وما عم ان استولى ابنه زكريا عليها بعد ان كسر البهلول في وقعت
شديدة ، فطمع بضم الاحساء ايضاً الى ملكه ، فقاد جيوشه من القطيف
على الرجل الذي حارب القرامطة سبع سنوات وما انفك يحاربهم حتى انتزع
الملك والسيادة منهم . هذا الرجل هو الامير عبدالله بن علي آل ابراهيم
العيوني . جاءه العياش يبغي ما بيده في الاحساء ، فلاقاه بجيش جرار في

الطويق فكسره في الوقعة الاولى وقتله في الثانية ، ثم استولى على القطيف والبحرين . وفي ذلك قال شاعرهم ابن مقرب :

وصار ملك ابن عياش وملك ابني الـ بهلول مع ملكنا عقداً لنا نظماً

ثم انصر الامير عبدالله فأسس الامارة العيونية التي استمر حكمها في البحرين نحو مئتين وخمسين سنة . ثم انتزع المعجم الحكم ثانية من العرب . وذلك ان احد ملوك فارس الرضويين^(١) الذين استولوا على المملكة بعد انقراض الدولة السلاجوقية ، وهو ابو بكر بن سعد الرضوي ، حمل على العرب في جزيرة قيس فهزمهم واحتلها ، ثم اجتاز بحنوده البحر الى جزيرة البحرين ، فاخذها ، واستولى بعدها على الاحساء والقطيف وغيرها من بلدان الخليج . واستمر حكم الرضويين حتى بعد ان ظهر جنكيز خان^(٢) فشابه القرامطة بمدة دولته - ستين سنة - وباهوالها .

وبعد مئة سنة من عهد المغول الاول جادت اليبالي ، ليالي الدمار والبلاء ، بابنها الثاني ترسورانك^(٣) فصك عمل اعمال جده جنكيز خان الفضية واستولى على البحرين في ما استولى عليه من البلدان قبل دخوله بغداد . ثم خرجت الجزيرة بعد موته من حكم المغول ودخلت في حوزة شعب جاء من الغرب هذه المرة لا من الشرق ، شعب ينشد ولا شك التجارة ولكنه يسعى في طلبها يسعى المعتبر لا المذمور .

فبينما كان المغول في الشرق حاملين على كل مظهر من مظاهر الحضارة والعمران ، يفتحون البلدان ويدمرونها ، ويدبحون العباد ، ويذرعون التويل والاحزان في كل مكان ، بينا كانت هذه الغيمة السوداء الكثيفة محيية

(١) لا علاقة لهؤلاء بصاحب الزنج .

(٢) ولد جنكيز خان سنة ١١٦٢ وتوفي سنة ١٢٢٧ م .

(٣) ولد ترسورانك سنة ١٣٣٦ وتوفي سنة ١٤٠٥ م .

على الشرق الأدنى ، فنجب عنه النور ، وتفسد كل ما في الحياة من عوامل
النشوء والهدم ، كان قد راس الفكر البشري في أوروبا فتسرع يحول في مجاه
العلم والبحث والاكتشاف . وكانت الملاحة التي هي يد التجارة اليه أول
من انتفع بفكر الفكر والعلم ، فراح ترفع علم الجند والإقدام وراء
الأوقيانوس في البلدان الغربية القصية .

جاء زمن أبطال البحار . ومن أولئك الكشافين الربان البرتغالي فسكو
دي غاما^(١) المذي البحر حول « رأس الرجاء الصالح » ومخر عياب الأوقيانوس
الهندي فوصل إلى سواحل تلك البلاد العجيبة ، ضالة الأمم الغربية ، وكان
أول من أسس لدولته ملكاً في الشرق . وجاء بعده زميله الفونسو البوكركه^(٢)
فرفع علم دولته في مسقط ودخل المضيق ، مضيق هرمز ، فاستولى عليه
وحصنه تحصيناً ، وتقدم في الخليج متفقداً الجزر والأساكن فيه وهو ينبغي
الوصول إلى البصرة ، ليفتح طريقاً لمستعمرة بلاده في الهند . ثم استولى
البرتغاليون على جزيرة البحرين وعلى القطيف فحصنوها كما حصنوا هرمز
ومسقط . إلا أنهم لم يستولوا على الأحساء لأن العثمانيين كانوا قد سبقوهم
إليها ، وبسطوا سياطهم عليها ، فهدوها يومئذ جزءاً من اليمن الذي كانوا قد
احتلوا بعض نواحيه .

كان خليج المعجم في قديم الزمان كما هو اليوم مفتاح الطريق للتجارة بين
الشرق والغرب . ولا تظن دولة غربية في الهند ولا يستقر أمرها إذا لم
تكن هي القابضة بيدها على هذا المفتاح . أما أن الخليج أسهل وأصلح

(١) فسكو دي غاما Vasco de Gama ولد سنة ١٤٦٠ وتوفي سنة ١٥٢٤ م

(٢) الفونسو البوكركه Alfonso d'Albuquerque ولد سنة ١٤٩٣ وتوفي سنة
١٥١٥ أول سفراته إلى الهند كانت في سنة ١٥١٣ وهو الذي حاول أن يأخذ عدن
سنة ١٥١٣ فلم ينجح ، فتقدم بأسطوله إلى البحر الأحمر . واحتل فيه جزيرة قمران
الغربية من المديدة .

الطرق لتجارة الهند ففني عن البيان . هو اقل اخطاراً من البحر الهندي ، واقرب خطأ واسهل ، لانه في مأمن من العواصف والرياح . هو حصن اذا شئت وبابه مضيق هرمز حيث تسكاد بلاد ايران تتصل ببلاد العرب . فضلاً عما في هذه الطريق من البلدان العامرة ، فن سواحل الهند الى جزائر الخليج الى البصرة فبغداد فصوريا فصر فاوروبا - هي طريق الكنوز .

ادرك ذلك اهل البرتغال قبل ان يدركه الانكليز ، ولكن ابنا . الجزر وان كانوا قد جاءوا الى الهند بعد مئة سنة من محي . فسكودي غاما ، فقد تغلبوا على البرتغاليين بعد جهاد طويل مستمر ، تحاله الجهم من الحيف والتعسف ، فخرجوهم كما اخرجوا الفرنسيين بعدهم من تلك البلاد .

اما حكم البرتغاليين في البحرين فلم يدم اكثر من اربعين سنة . يستدل على ذلك من كتابة على صخر في جزيرة صغيرة غربي المنامة تدعى ^(١)جدا ، اخذ للبحارنة حجارة منها لتجديد القلعة التي كان قد شيدها اهل البرتغال . وهذه القلعة التي تدعى قلعة عجاج جددت بعد ان جلا البرتغاليون عن البحرين .

قال المؤرخ : شكاه حاكم دلهي وهي عاصمة الهند الى العثمانيين ظلم البرتغال للمسلمين وطلب منهم المساعدة فجهز لهم الساطران سليمان القانوني اسطولاً وجاء به الى الهند فتحاربوا مع البرتغال حتى اخرجوهم منها . . . ثم جاء الاسطول العثماني الى مسقط والبحرين واخرج من كان فيهما من البرتغال كذلك ^(٢)

(١) هذه صورة الكتابة التي على حجارة جبل جدا : نقل من هذه الجزيرة مئة الف حجر لتجديد قلعة البحرين على يد السيد فيروز في زمن وزارة جلال الدين شاه في شعبان سنة ٩٦٩ هـ و ١٥٦٨ م تاريخ البحرين لاشيخ خليفة بن النبهان

(٢) بعد ان تناب السلطان سليم على المالك سنة ١٥١٧ م فكر في احتلال عدن ليجعلها مركزاً لحشة على البرتغاليين في الهند فجهز ابنه سليمان في سنة ١٥٣٨ باسطول كبير يفتق رغبة ابيه فاحتل عدن واقام حامية فيها . ولكن العرب قاموا بعدئذ على الترك فذبموها الحامية فيها وسلموا البلد الى البرتغاليين ، فجهز الاسطول الثاني

وقد كانت الانكليز في اخراجهم نهائياً من الهند يد قوة عاملة ، عاملة
في سبيل شركة الهند الشرقية لا في سبيل العثمانيين .

اما جلالة البرتغاليين عن البحرين فالمؤلف يزيدنا علماً بذلك . جاء في
صفحة ٦٢ ما يلي : حصل اختلاف شديد بين امراء جزيرة البحرين وكان
اكثرهم من الشيعة فرفعوا شكواهم الى الشاه عباس الاول الصفوي وطلبوا
منه الحماية لقربه منهم موضعاً^(١) ومذهباً .

فاجاب الشاه عباس طلبتهم وخلصهم من السيادة الغربية الأوروبية .
ولكنه بسط عليهم حمايته الشاهانية ، فعادت البحرين الى حوزة من حكموها
مراراً في سالف الزمان والاوان ، عادت مستعمرة فارسية كما كانت يوم
جاءها الصحابي العلاء الحضرمي يدعو اهلها النوثيين والمجوس الاسلام .

ولكن الحكم الفارسي في البحرين ، وقد تسرب اليه ما كان قد اعتدى
الملك في بلاد فارس من الخلل والفساد ، تخلله فترات من حكم العرب ، حتى
ان اخر عامل عربي من عاملهم وهو الشيخ نصر آل مذكور استنجد حكومة
ايوان في حملته على آل خليفة في الزبارة فلم تنجده . وكانت الوقمة بينه
وبينهم (سنة ١١٩٧ هـ ١٧٨٢ م) السبب في فراره الى ابي شهر وفي دخولهم
الى البحرين منتصرين .

ثانية الى عدن فأخرج البرتغاليين منها واعاد الحكم العربي فيها ، ثم استأنف السير الى
الهند ليتم حملته على اهل البرتغال هناك .

(١) كانت اصفهان في تلك الايام عاصمة ملوك فارس .

الفصل الخامس

آل خليفة

من الأفلاج إلى الكويت إلى الزبارة - تجارة الدار - آل خليفة في الزبارة - فتح البحرين - ظهور ابن سعود عبدالعزيز الأول - سلطان مسقط - البحرين بين الأيمن - سلطان مسقط يستولي على البحرين - رجوع آل خليفة إلى الزبارة ومفاوضتهم لابن سعود - النجدة من نجد - ابن عتيضان يقتصر ويؤمّر نفسه - آل خليفة عند ابن سعود - وآل خليفة عند سلطان مسقط - الرجوع إلى البحرين وإخراج ابن عتيضان منها - الحلو في قطر - ابن عتيضان وأرحمه خليفتان - الحرب بين أسطول الخليفتين وأسطول البحرين - أرحمه وابن عتيضان يشجوان على لوحة من خشب - أرحمه وسلطان مسقط خليفتان - الهجوم على البحرين - أرحمه يشكر شالية - أرحمه يعيد الكرة على البحرين - البطل الضري - لا يبدى لا يبدى عمرو - الثلاثة في بيت آل خليفة - حزب آل عبدالله وحزب آل سليمان - الشيخ محمد آل سليمان - آل عبدالله يستأجرون ابن سعود - الشيخ محمد يقتصر على أهله - أسطول البحرين وتدخل الإنكاز - أحرقوا أسطولكم ولجن تعصمكم - التراء بين الشيخ محمد وأخيه علي - النجدة - المدرعات الإنكازية في البحرين - نفي الأخوين - الشيخ عيسى بن علي .

كانت الزبارة^(١) في الماضي من البلدان العربية العامرة ، تجارتها الكبرى المازن ، وسكانها من آل ابن علي والجلالمة ، وهم من عرب القنوب أي بني عتبة ، وهؤلاء فصيلة من جسيمة ، وجسيمة فخذ من عقرى^(٢) . وكان آل خليفة ، وهم من اكهر عشائر بني عتبة ، يسكنون بارض الهدأر من بلدان الأفلاج بنجد . ففرح الشيخ خليفة وأهله إلى الكويت في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة وأقاموا هناك عدة سنين . وبعد وفاته هجر ابنه الشيخ محمد الكويت وجاء بأهله إلى الزبارة فقتلوا على أبناء عمهم الجلالمة وآل ابن علي .

كان الشيخ محمد بن خليفة ورعاً تقياً ، حنيفاً حكماً . جاء من الكويت

(١) بلدة في قطر على شاطئ البحر قبالة جزيرة البحرين .

(٢) راجع الفصل الثاني من القسم السادس صفحة ١٦٦ من هذا الجزء .

مفلوياً على امره وظاهر قصده شراء اللؤلؤ . جاء بيني التجارة لا السيادة
فكان حقله من الاتيين وافرأ . احبه اهل الزبارة لورعه وبره وكرمه واصالة
رأيه ، فرغبوا اليه وإلى قومه ان يقيموا بينهم ثم امره عليهم .

وعندما توفي الشيخ محمد تاجر اللؤلؤ السياسي الابن خلفه ابنه الشيخ
خليفة الذي لم يرث من ابيه غير شيء من البر والثقوى مزجها بشيء من
الشعر . وقد حج سنة ١١٩٧ هـ وتوفي في مكة ، فاب عنه ثم خلفه في الحكم
اخوه الشيخ احمد . وهو يدعى الفاتح - احمد الفاتح الذي احترق وآخر عامل
من عمال الفرس في البحرين أي الشيخ نصر آل مذكور الذي سبق ذكره ،
فقلبه واستولى على الجزيرة .

الدول اليوم تحلق الاعذار اذ شانت الاستيلاء ، والشيخ احمد لم يشأ
غير ما شاءته التعادير . فلما استقر حكم آل خليفة في الزبارة ، عاد اهلها الى
التجارة ، فكانوا يجنبون الى البحرين لشراء اللؤلؤ الذي كانوا يبيعونه في
الهند . وكان البطارنة من اهل الشيعة وهم يومئذ يكرهون اهل السنة
ويضربون لهم العدا . فحدث ذات يوم خلاف بين الفريقين انتهى الى قتال
قتل فيه احد خدم آل خليفة ، فثار له اهل الزبارة ، وحلوا على البجارنة
فاستنات هؤلاء بجانبهم الشيخ نصر ، فجهز لهم اسطولا من السفن مجهزة
بالجنود وتولى بنفسه القيادة . ولما دنوا من الزبارة خرج عليهم اهلها بالسفن
فطاربهم وكسروهم شر كسرة ، فأقلعوا عاربين الى ابي شهر . اما البحرين
فكانت قد خلت من الخامية ، فسار اليها الشيخ احمد بقومه واستولى عليها
سنة ١١٩٧ هـ ١٧٨٢ م وهي السنة التي توفي فيها اخوه الشاعر الورع في مكة .
كانت تجارة اللؤلؤ كذلك من عوامل الفتح الاحمدى كما صككت سابقاً من
دواعي الفلاح في اماره ابيه الشيخ محمد علي الزبارة .

اقام الشيخ احمد عاملاً من قبله على البحرين ، وعاد الى عاصمته في قطر .

على انه لم يستمتع وقومه بثمار النصر غير بضع سنين . لان ابنه الشيخ سلمان الذي خلفه كان خواراً ضعيف الرأي والارادة . وكان قد نبع في تلك الايام رجل في نجد فراح يكتسح البلدان والامصار ويستولي على القبائل الدانية والقاصية . هذا الرجل هو الامير عبدالعزيز آل سعود امام الوهابية الذي كان قد وصل بجيشه الى الاحساء ، فضاف عرب الزبارة ان يستولي عليهم ، فظعنوا يتقدمهم الشيخ سلمان الى البحرين .

هربوا من الوهابية القاهرة ، من خطر الهرة فوقعوا في خطر ادهى واشد جاءهم من البحر يقوده ويدفعه السيد سلطان حاكم مسقط . وكان السيد سلطان ادرك اعوجاجاً في حكم البحرين الجديد فجاء يقومه ، باسطوله وسيفه . فبادر اليه الشيخ سلمان موالياً لا معادياً ، لانه لم يرغب باكرهاء البحارنة على القتال . وكان قد اطلع ، كما يقول المؤرخ ، على بعض مكاتباتهم الى حاكم مسقط يرغبونه في الاستيلاء على بلادهم . هذا من الشيخ سلمان انصاف في الحكم وعدل في الرعية . الارادة للشعب ولكن الصلح الذي عقده والسيد سلطان والذي يوجب قدم احد اخوانه رهينة الى حاكم مسقط الظافر ، لا يُعد في عين عزيز وربيعة من شيم الرجال . ولي السيد سلطان ابنه السيد سعيداً على البحرين وعاد بالرهينة والعناثم الى مسقط .

اما المتوب فعادوا الى الزبارة بذلهم وهم لا يزالون موكلين امرهم الى الشيخ سلمان . ولصكهم ترضوا لاسترجاع البحرين ، بعد ان توفي اخوه الرهينة في مسقط ، وشرعوا يفاوضون امير نجد بذلك . طلبوا منه المساعدة فاجاب طلبهم حباً وكرامة . ولم يدر كوا ما كان قد ظهر وشاع من مقاصد الرجل القومية والدينية ، مع انه كان قد استولى يومئذ على الحرمين .

ابشروا يا عتوب هذا ابراهيم بن عفيصان احد قواد ابن سعود الابطال جاء بجيوشه يسترجع ملككم - يسترجعه يا بني عتبة ليضمه الى ملك اهل

التوحيد وابن سعود . وكذلك كان . دخل جيش الزبارة ونجدة نجد الى البحرين فضربوا السيد سعيداً فهزموه واخرجوه من الجزيرة .

وكان الكلام اذ ذاك لابن عفيصان : البعارة مشركون ولا يصلح المشركين الا اهل التوحيد . اما آل خليفة فاعفاهم القائد النجدي من الاصلاح ، فاعلاً او مفعولاً ، واذن لهم بالرجوع الى الزبارة . فعادوا ثانية مدحورين مضبورين ، وشرعوا يفكرون برفع امرهم الى حضرة الامام في الدرعية على يرسل من قبله من يؤدب ابن عفيصان ، او على في الاقل يأذن لهم بالرجوع الى البحرين . وبينما هم يفكرون والشيخ سلمان صدرهم يفكر اكثر من الجميع ، اذ اقبلت عليهم سرية من سرديات الفاتح الكبير فاستولت على الزبارة وامرت آل خليفة بالسفر الى نجد . وكان الامير سعود قد خلف وقتئذ اياه عبدالعزيز .

سافر في سنة ١٢٢٤ هـ ثلاثة من آل خليفة ليقابوا امام الوهابية في الدرعية . فلما وصلوا اليها اكرم الامير سعود وفادتهم ولم يأذن لغير اعيان الزبارة بالرجوع . اما آل خليفة فأتوهم في القصر ضيوفاً عليه ، واسرا . بين يديه . ولا اظن انه خطر في بال احد منهم قول الشاعر :

والمستقيث بعمره يوم كربته كالمستقيث من الرمضاء بالنار

لانه لو خطر ذلك في بال احد منهم لما استبشروا بقدم ابن عفيصان ولما استمروا يطالون سياسته حتى اوصلتهم الى الاسد في عرينه .

ولكن هناك غير آل خليفة من العرب يلجأون الى مثل هذه السياسة رغم يظنون ان الرجل بين عدوين يتأدع الاثنين ، فيستخدم اذا كان حكماً الواحد منها على الآخر . وقلما يسير الفكر بهم الى ما دون ذلك من نتائج المساعدة . قد كانت سياسة آل خليفة مطردة في مثل هذه الحال .

اي انهم كانوا يستعينون بـ **حاكم** نجد اذا ضايقهم حاكم مسقط ، وبـ **حاكم** مسقط اذا كانوا في خطر من حاكم نجد .

فلا يستغرب اذن رجوعهم الى السيد سعيد بن سلطان الرجل الذي اخرجوه من البحرين ، يستجدونه هذه المرة ليخرجوا ابن عفيصان منها . وكان الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فضل رسول اخواله آل خليفة الى حاكم مسقط . ولكنته ، على عزمه ودهائه ، لم يظفر من السيد سعيد بغير المال عوئاً . اخذ الشيخ عبد الرحمن المال وصافر الى بسلاذ فارس او بالخري الى قزوين المقاطعة الجنوبية وفيها مستعمرة عربية من عرب النصور فأنف منهم جيشاً - بالمال تقوم الحروب - وارسل الى اخواله يجهرهم بذلك ويطلب منهم ان يتأهبوا للهجوم . فجاء آل خليفة برجالهم من الزبارة واتحدوا مع ابن اختهم عبد الرحمن وجنوده ، فتواقفوا مع جيش ابن عفيصان وكسروهم واخرجوه من الجزيرة . اقلع التجدي هارباً الى قطر وتزل هناك على رجل يدعى ارنحسة ابن جابر الجلاهمة . ولأروحة هذا دور كبير مهم في تاريخ البحرين سأروي شيئاً منه .

بعد ان استولى عبد الرحمن آل فضل على البحرين ونقل آل خليفة اليها تبعهم قوم من العرب كثيرون . ولما علم الامام سعود بجروج ابن عفيصان مهزوماً حاول استرجاع الجزيرة من الشيخ عبد الرحمن بواسطة احد اخواله الاسراء في الدرعية . فأرسل الشيخ عبدالله بن احمد معهم يصحبه بعض رجاله ليستألفوا خيم عبد الرحمن ويروا ما اذا كان استولى على البحرين لنفسه او ليعيد اليها سيادة آل خليفة . هي السذاجة في النوايا وفي من لا يزالون على الفطرة الاولى

لا نعلم ما اوصى به الامام سعود رجاله ، ولكن المؤرخ يقول انهم جاءوا الى الشيخ عبد الرحمن بالخش من الكلام . - كيف يجزأ العميال ان

يستولوا على البحرين وآبأهم في قبضة الامام ٩ فقال الشيخ عبد الرحمن :
 دونكم العيال ، فانهم حاضرون فتقدم اذ ذاك الشيخ خليفة بن الشيخ
 سلمان وقال : نحن اخذنا البحرين لانفسنا ولا حاجة لنا بآبائنا . وقد ينسنا
 منهم وسيننا باصحاتهم ^(١) .

كفر اولد الشجاع من ضعف ابيه فاغضب رجال نجد ، فقالوا يهددون
 الشيخ عبد الرحمن : لو كان يمكن للخف والحافر ان يطأ البحرين لثقلها
 حصاة حصاة . فاجابهم قائلاً : لو كان يمكن لقيت الجابري ^(٢) ان يطأ على
 الدرعية لجعلنا عليها اسفلها .

ولكن الاقدار بعثت على الدرعية بغيرة قبيث الجابري ليهدمها . ففي
 تلك السنة او بعدها بقليل جاء ابراهيم باشا المصري يحارب اهل نجد فدخل
 الامام ابن سعود عن الاجزاء الصغيرة مثل قطر والبحرين في ملكه المذامي
 الاطراف ، فاطلق سراح بني خليفة وتركهم وشأنهم ، فعادوا الى الجزيرة
 يتولون فيها زمام الاحكام .

لم يصف لهم الجومع ذلك ، لان قطر قريبة من البحرين ، وفي قطر
 ارحمة ، وعند ارحمة ابن عقيصان ابراهيم . وكان ارحمة بن جابر الجلاهمة
 عزيزاً في قومه جباراً عنيداً . فلم يدن آل خليفة ، بل كان يباريهم في
 السيادة ويسمى في النزاع الامارة من ايديهم . ثم جاء ابن عقيصان يزبده غلاً
 ونفوراً فوجدت التزعان والثاران ، وكان ينتظر من رجلي قطر مباشرة
 القتال . ولكن آل خليفة ، عندما استقر امرهم في البحرين ، جهزوا اسطولا
 من السفن الشراعية وانجروا الى قطر . توكلنا على الله انحرقها ان شاء الله !
 وكان ارحمة وابن عقيصان قد علما بذلك فتأهبوا للحرب . توكلنا على الله !

(١) يقول العرب عندما يفتقدون احداً من اهلهم : سينا باسمه .

(٢) القبيث انتف السفينة والجابري اسم سفينة المشكلم .

هي لنا ان شاء الله .

خيم الليل فاقف الخليفون سفنهم امام المكان المقيم فيه ارحمة وابن عفيصان وهو يدعى الخوي . وكان ارحمة ملاحاً ماهراً وقائداً خبيراً . فلم تسره مناورة اسطول العدو اذ رأى انواره . - تعبئة هذه السفن يا ابراهيم تنبي . بوجود الشيخ عبدالله بن احمد فيها . فقال ابراهيم متهمكياً : والشيخ عبدالله من المحبوسين في الدرعية . هات الدليل على نبوءتك يا ارحمة .

- تعبئتها تعبئة قائد خبير ، ولا يمكن ان يكون غير الشيخ عبدالله . ثم استدعى زورقاً واشعل فيه سراجاً وامر احد رجاله ان يقف به وراء السفن ، فلما رأى قائد الاسطول ذلك خشي ان يكون النور نور سفن ارحمة ، فامر سفنه ان تقف وراءه دفعا لهجوم يجعله محصوراً بين العدو والبلد . فلما رأى ارحمة ذلك تيقن ان الشيخ عبدالله قائد الاسطول واعجب بدهائه وبقدرة الحربية .

لا تسرني هذه الحركة يا ابراهيم . هيا بنا الى البحر .

خرجوا بالسفن الى البحر ، وعند انبلاج الفجر تقابل الفريقان فادرك ارحمة ان من الحزم الا يقاتل القوم لان قوته لم تكن كافية . فاعتاض ابن عفيصان عندما قال له ذلك وظنها جبانة منه ، فاعز الى احد رجاله ان « يجوب »^(١) .

لا خير في رجل يجوب جريزته واذا تضايق دبره خلاها^(٢)

فغضب ارحمة واعتزى قائلاً : لا بالله ما تخليها . ثم امر بنشر الشراع وبرز للقتال .

(١) حورب اي هزج وهي من اصطلاح اللبنانيين وعرب نجد .

(٢) هذا من الشعر الذي يدعى في نجد بالنطبي اي العامي .

اشتبكت السفن بعضها ببعض ، فطلأطمت الأشعة ، وأذت الأخشاب من الصدمات ، واصطقت سفينة أرحة بسفينة راشد بن عبدالله ، فجاء إليه يدعمه بسفينة من الجانب الآخر كما ينعمه ساعة الخطر الأشد من الفرار . وكانني بأرحة وقد عاين الشيخ عبدالله يقول لابن عفيصان : اتبعني الدليل على نبؤتي ؟ خذه يا ابراهيم .

حمي الوطيس بين الجمعين ، فدوت البنادق بالرصاص ، وابتقت خلال الدخان السيوف ، وسالت الدماء من المراكب فخطبت الأمواج ، واشتعلت النيران في الحطب والأشعة ، فتطايرت منها الشهب وتساقطت الشظايا الملتهبة . - تبغي الدليل على نبؤتي ؟ خذه يا ابن عفيصان . راحت القتلى تسابق الرصاص إلى قعر البحر ، وفيهم راشد بن الشيخ عبدالله . ثم حجبت النيران والدخان سفينة أرحة ، وقهقهت فوق عرشها زبد الموج المخضب بدم الأبطال ، فنجى سيد الجلالة وحليفه ابن عفيصان على لوحة من خشب . - هل رأيت حرب العتوب يا ابراهيم ؟ ولكن الهول أهم ابراهيم وعقل منه اللسان . اما أرحة فلم يكن بمن تسكتهم الهزيمة وتصهم الأهوال . لم يوفق في شركته وابن عفيصان إلى مراده ، فسافر بعد تلك الرقعة إلى مسقط يخطب ود حاكمها سعيد بن سلطان .

- آل خليفة أعدائك يا سعيد وأعدائي . كسروك مرة وكسروني . ولست يا سعيد بمن ينامون على الضم . لا بالله .

وحلف أرحة بغير العتوب ، وحلف سعيد برأس أبيه .

ثم ناصب صاحب مسقط الحليفين الدماء وذلك أنه قبض ذات يوم على تجار من البعارة كانوا يقصدون الهند ، وفيهم الشيخ عبدالرحمن آل فضل عدوه الأكبر ، فخرجوا على مسقط فاعتقلهم في برج القلعة هناك . وكتب

الى اهل البحرين يطلب منهم الطاعة والخروج . فأجابته الحاكم الشيخ سلمان ، وكانت منه حيلة من حيل السياسة والحرب : اننا بقني عن هؤلاء . وقد نسيناهم وصمينا ابناؤنا باعمالهم .

اما السيد سعيد فكان قد تأهب للحرب فجاء باسطوله الى البحرين بمصعبه أرمحة الجلاممة ، فتركوا في سيرة^(١) على شاطئ الجزيرة ، وراقموا هناك ثلاثة ايام فلم تظهر طلائع البحارنة . فتهاكم سعيد قائلاً : عتوبك غايراً - اي ماتوا - فغضب أرمحة لأنه عتوي ، وعندما ظهرت اعلامهم خلال النخيل في صباح اليوم التالي صاح قائلاً : هم عتوي ظهروا يا سعيد . توكل على الله .

ولم تكن ساعة بعد التهام الجيشين حتى اسفرت الرقعة عن هزيمة اهل مسقط وفرارهم الى البحر . فلما رجع السيد سعيد الى بلاده عمّ بقتل قبحار البحرين المعتقلين عنده . ولكن اخته موزة نهته عن ذلك وابته قائلة : هم في جوارنا واسرى بيدك فأبي فخر في قتالهم . دول على البحرين وخذ بشأرك . اي جهز عليها مرة ثانية . واخوه كان قد قتل في رقعة سيرة .

اثر في سعيد شيامة اخته موزة تأثيراً حسناً فعاد الى البحرين . ولكنه سالم اهلها هذه المرة فعمد معاهدة مع اميرهم الشيخ سلمان الذي سلم الجزيرة سابقاً الى ابي سعيد دون قتال ، ومن شروطها ان يدفع اهل البحرين قمماً من الخراج الى حاكم مسقط فينطلق سراح المعتقلين عنده .

وبعد وفاة الشيخ سلمان الرجل المسلم تولى الحكم اخوه الشيخ عبدالله ، وهو الحاكم الثالث من آل خليفة في البحرين . وكان أرمحة لا يزال حياً يرزق وخصماً لا يموت الا قتالاً . لكن الزمان والكروب أوهت منه العظم وذهبت بالبصر . اما القاب الذي تمسك بالاحطار في سبيل المجد فلم يعثره وهي او

نصب ، ولم يخدم فيه ذاك النور الذي لا يرى شرفاً في غير الشجاعة والنبات .
قام أرملة ومعه بعض قومه يعيد الكرة على البحرين ، أرملة وحده هذه المرة
لا حليف ولا شريك له . فدخل القطيف واكباً سفينة المشهورة « غطروشة »
فجرت عليه الشيخ عبدالله السفن وقد شحنها بالرجال وخرج يقردها بنفسه .

احاطوا بأرملة البطل الضريح في ميناء القطيف ، فأمر ينشر الشراع
وطلب ميداناً متحماً للقتال . فاجيب الى طلبه . أفسحوا لغطروشة فخرجت
الى عرض البحر ، ثم انقضوا عليها من كل جانب . وكان أرملة وهو جالس
عند خزانة السفينة ومعه ابن له صغير الى جنبه وجده طرار واقف فوق رأسه
يسأل عن السفن الهاربة عليه وعن قوادها فيجبرونه فيقول : هذا لا يجرا على
مقابلتنا - هذه لا تلتحقنا . ثم يصدر الاوامر للدوتية بينما رجاله يبادلون
العدو إطلاق الرصاص . وعندما دنت سفينة الشيخ احمد بن سلمان من
« غطروشة » اخبروه بها فقال : هذا يطابقنا لا نحاذر ، لان جنبه لا يلامس
ناعات الايدان . اي انه لم يتزوج .

بعد قتال بالرصاصة شديدة تلاصقت السفينتان ، فتجالد الفريقان ، واشتد
الضرب بينهما والطمان ، بينما أرملة الضريح يحارب بلسانه وجنانه ، فيحرض
رجالاه ، ويصدر اوامره ، ويسأل قلة ابنه ، وطوراً يستنجر عبده طراراً .

- ابن صاروا يا وليد .

- عند الدقل ^(١)

- جنبوا . جنبوا . . . والآن ابن صاروا ؟

- صدوا النيم ^(٢)

سكت أرملة سكوتة الابدی ، اذ قرن كلمته الاخيرة بالفعل ، فاخذ

(١) الدقل الصاري .

(٢) النيم سطح مؤخر السفينة .

ابنه ووضعه في حجرة ، وعهد الى نازق لقاها في ذخيرة البارود التي كانت تحته .
 « بيدي لا بيد عمرو » . فدوى دوى غرقت فيه اصوات البنادق صكها
 وضحك الزبد الخضب بالدماء فوق عرشه العطر وشة .

تسمى هذه الواقعة في تاريخ البحرين « ذبحة أرمة الجلاهمة » . قل هي
 مجده وتخليده . رحم الله كل من مات بطلاً في ساحة الوغى .

كان لأرمة ابن آخر اسمه بشر حاول الاخذ بثأر ابيه فراح الى صاحب
 مسقط السيد سعيد يستنجده على آل خليفة . وبنا انهم كانوا قد امتنعوا عن دفع
 الخراج جا . سعيد ، اكراماً لبشر ابن أرمة ، يعلمهم حفظ اليهود . فخرج
 له الشيخ عبدالله بجيشه وكسره في اول وقعة وقتل من رجاله ثلاثة الاف .

عجائب يا بني تشبه عجائب ثلاثة الاف ما فيهم شايب

وقد حارب في هذه الواقعة مع آل خليفة عزيد بن هذال وبعض قومه
 الممارات ^(١) .

اخذت نشوة النصر مأخذاً من الشيخ عبدالله فحببت اليه الفتى والاستمرار .
 وحكان قد تجدد بينه وبين امير نجد الخلاف فجهز جيشاً بحرياً وسار به الى
 دارين ففتحها ، ثم الى تاروت فاستولى عليها ، ثم الى سيهات في القطيف
 فطاصرها . فجاءت جيوش نجد توقفه في فتوحاته ، وقامت تساعدهم الفتنة في
 بيته . بل افقدته تلك الفتنة ما كان قد استولى عليه في التطيف .

ان السبب في مثل هذه الفتن المألوفة في بيوت امراء العرب الحاكمين هو
 غالباً تعدد الزوجات التي ينشأ عنه ضغائن بين الاشقاء ، ومنافسات بين

(١) لا يزال بنو هذال وشيوخهم اليوم يهدون بك مؤشرين على هذا الفخذ من عتري
 الذي يسمى الممارات . وهم من عشائر النبال يقطنون في ارض عند وادي حوران
 بين سوريا والعراق .

الامهات خصوصاً اذا كن من قبائل مختلفة^(١).

سكان للشيخ عبدالله عشرة اولاد منهم ثلاثة امهم من آل بني علي ،
 المشيرة التي مر ذكرها في الكلام على اهل الزبارة . فخرجوا على ابيهم
 بطالبون بالامارة وقصدوا الى الخويلة^(٢) يستجدون اخوالهم فيها . فارسل
 الاب عليهم جيشاً بقيادة حفيد اخيه الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان فهاجمهم
 في الخويلة وهزمهم في الوقعة الاولى ، فتباؤا وقاؤا لابيهم : اننا من الطائعين ،
 فعفا عنهم واذن لهم بالرجوع الى البحرين .

هذي هي البداية والنهاية في معثة ابنائه . ولكن روح الفتنة التي خرجت
 منهم حلت بالرجل الذي حمل عليهم باسم ابيهم وظهرت قرونها بعد ثاني
 سنوات من وقعة الخويلة . ذلك ان الشيخ محمد ، حفيد الرجل المسالم الشيخ
 سلمان ، قام على الشيخ عبدالله كأن يتقاضاه اجرة تأديب اولاده ، فحاصره
 في المحرق . وكان ابنا اخيه سلمان الساكنان يومئذ في الرفاع^(٣) يملآن الى
 حمها وهو يشتى بها . فاستصرهما على ابن اخيهما التأثير عليه ، وجهاز لسكر
 منها جيشاً كبيراً . فاحتدوا في وقتين فاندحر في الثانية الشيخ محمد بن
 خليفة . وبعد ان ركل اخاه الشيخ علي بان يرمى الفتنة سراً راح يستجد
 الاعزاء على الاقرباء .

سافر اولاً الى نجد فصدّه اميرها ، فعاد الى قطر وارسل الى آل ابراهيم

(١) ان تعدد زوجات الملك يزيد بعدد السيادة في البلاط ويوجب بناء القصور
 العديدة التي يقضي لها نفقات طائلة ، ويقتل الشعور في الامرة ، الشعور الابوي والبنوي
 والاخوي ، ويفسد الاخلاق ، ويضعف القوى الجسدية ، ويهت على النخس والترف ،
 ويمكن من النفوذ والسيادة في الاحكام طبقة منحطة من الناس .

جورج رولنسون في كتابه « موجز التاريخ القديم » صفحة ٢٧

Ancient History by George Rawlinson P. 27

(٢) الخويلة قرية في الطرف الشمالي من قطر .

(٣) راجع الفصل الثالث من هذا القسم صفحة ٢٢٣

الذين كانوا يومئذ في جزيرة قيس من اعمال فارس يدعوهم لقتال اعدائهم السابقين حكام البحرين . فلبوا الدعوة مسرعين ومعهم الجلاهمة برأسهم بشر بن أرحة . وكان الشيخ محمد في قطر والشيخ علي في البحرين يتعاونان في اضرار فار القننة وتجهيز الجيوش لها .

أزف يوم القتال ، فخرج الشيخ علي بجيش على الشيخ عبدالله فكسره وتقدم الى الرفاع فاستولى عليها . ثم جاء الشيخ محمد بجيشه فزحف على المنامة ودخلها متحصراً . وكان الشيخ عبدالله في المحرق فعبر إليها ووقع بينه وبين عم ابيه قتال كان عليه وبالاً . فلجأ وبعض رجاله الى القلعة فتحصنوا فيها ، وما كان الحصن حصيناً . فر الشيخ عبدالله من القلعة هارباً الى بلاد فارس ، ومنها جاء الى الكويت يستنجد حاكمها فلم يستجده ، فسار منها الى محمد وكان نصيبه هناك الفشل ايضاً ، فسافر بعدئذ الى مسقط فرض فيها ، ومات بعد بضعة ايام حزيناً طريداً .

حكم الشيخ عبدالله بن احمد بن محمد بن خليفة في البحرين اثنتين وعشرين سنة ، قضى جلها في قمع الفتن ، وفي ما عفت من الحروب . وخلفه محمد الثالث ، الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان ، الذي كان السبب في انقسام آل خليفة الى حزبين حزب آل عبدالله وحزب آل سلمان . وهذا الشقاق با نشأ عنه من الفتن والحروب ادى الى تدخل الانكليز ، ففتح الثلة التي يتعشقاها « سفين » السياسة . ساقص قصة الانكليز في حينها ومكانها .

اما الآن فالحلقة التي نحن فيها من هذا التاريخ تتعاقب بالشيخ محمد بن خليفة آل سلمان . وقد علم القارىء مما تقدم من سيرته انه كان شجاعاً عزوماً مقداماً ، ولكنه لم يعلم بانه كان ذا بدهاء عجيبة تدنو من الرضا فتسكنه من تفسير الاحلام ، والتنبيؤ با تحيته الايام . اما في السياسة فقد كانت الحرياء مثاله الاعلى ، ولا غرو ، فالدولة العثمانية كانت قد بدأت ترمق

الكويت والاحساء والبحرين بنظر الام الرؤوم ، وكانت الدولة الايرانية لا تزال تحمل برجوع ابتها الضالة وترأم حبل سيادتها في الخليج ، وكان الانكليز ، بعد ان ثبتت قدمهم في ابي شهر ، يسافرون في المضييق بين الدولتين الى مقاصدهم الكريمة . فهل يلام الشيخ محمد اذا قام بينهم كالبهاول يدعشهم ثارة ، وطوراً بضحكهم ، ولا يرضي باطناً احداً منهم قيل انه كان ينتشر في القلعة عدين ، علماً عثانياً فوق البرج الغربي منها وعلماً ايرانياً فوق البرج الشرقي ، حتى اذا حاوت احدى الدولتين التحكم بامرره ادعى النسبة الى الثانية . ولكن الانكليز ادركوا سر هذه السياسة وعلخوا ان في العرب انفسهم من لا يسره نجاحها .

تولى الشيخ محمد الحكم سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م فحكم مطبقاً اليال ست سنوات لم يخرج عليه اثناءها احد من اعدائه . وبظهر ان ابناء سلفه الشيخ عبدالله الذين هربوا بعد سقوط ايهم الى الدمام في القطيف كانوا يتأهبون لذلك . فقد كان في القطيف يومئذ آل ابن علي وزعيمهم عيسى بن طريف الطامع بملك البحرين . فالتحق آل عبدالله وجاءوا الى قطر بشهرون الحرب على الشيخ محمد . فبعث اخاه علياً على رأس جيش كبير فازلهم في أم سوة فقتل في الوقعة عيسى بن طريف وقفل الشيخ مبارك بن عبدالله واخوانه هاربين الى الدمام . . . - يازمنا يا اولاد بويني حليف آخر . . . - دونك يا مبارك وابن سعود .

وكان امير نجد يومئذ فيصل بن تركي الذي نهض للحرب يستجمع ملك اجداده . فاجاب طلبتهم بأن بعث يدهم بجيش في البحر وسار يقود بنفسه جيشاً برياً . وعندما اجر آل عبدالله وانصارهم الى البحرين كان الشيخ محمد قد حشد الحشوش برأ وبجراً لمقاومتهم . فعلبهم نائية في وقعة بحرية قتل فيها الشيخ مبارك وابن عدو آل خليفة الالد بشر بن ارحمة . ثم حاول آل عبدالله

ثالثة ان يأخذوا بثأر ابيهم فلم يفعلوا . فبعد ان حاصرهم الشيخ علي اخو الشيخ محمد في الدمام احد عشر شهراً واضعف شوكتهم جأؤا الى ابن سعود ليكون هذه المرة واسطة الصلح بينهم وبين ابن عمهم ، فقام الامر فحصل بهذه المهمة المجورة وكان من المفلحين . فعاد آل عبدالله الى البحرين فغفا الشيخ محمد عنهم واکرمهم غاية الاكرام .

ومع ذلك لم يصف الجور للشيخ محمد . فلم يكذب محمد ناز الفتنه في القطيف حتى اشتملت في قطر التي كانت يومئذ تابعة للبحرين ، فقام اهلهما وعلي رأسهم الشيخ قاسم بن ثاني يخلعون زي الطاعة ويهدون آل خليفة وابن سعود .

فارسل الشيخ محمد اخاه عليا ليؤدب الفصاة . فوصل الشيخ علي بجيشه الى الدوحة عاصمة قطر ، ودخلها بقتة ، فاعمل في اهلهما السيف ثم دمرها تدميراً . جاء بعد ذلك الشيخ قاسم الى البحرين يلتبس العفر والقاه الشيخ محمد في السجن ، فهاجت لذلك قبائل قطر بأسرها وفي مقدمتهم عرب النعم وجأؤا بأسطول من السفن بهاجمون البحرين فلما وصلوا اليها وجدوا جيشاً في البحر مستعداً للقتال ، فحدث في مكان اسمه دامية معركة شديدة ، تلاصقت فيها السفن فشبت بكلايب الحديد ، وتجالد الفريقان فاحمر وجه الماء من دم القتلى وكان الفوز للبحارنة .

وكانت وقعة دامية هذه - ١٢٨١ هـ ١٨٦٧ م - السبب في التدخل الانكليزي بشؤون البحرين .

است من يشككون في ان الانكليز يبنون السلم ويسعون في توطيد الامن في الخليج العجمي . بل هم يبنون السلم ويسعون في توطيده في كل مكان يتخذونه طريقاً لتجاريتهم وسبيلاً لتأييد سياستهم في الهند . وقد بان للقارى . في ما سردته من تاريخ البحرين ان الخليج ، وهو اهم هذه الطرق ، كان دائماً مسرحاً للفتن والحروب التي يسببها حب السيادة والاستعمار . جاء

الانكليز بعد اهل البرتغال وقصدهم الاسنيلاء عليه ، والحفاظة فيه على الامن والسلامة . فبسطوا شيئاً من سيادتهم ونفوذهم على بعض الجزر والاساكن على الساحل المعجمي ، منها ابو شهر التي هي اليوم مركز الحاكم العام .

وراحوا يبتدون الامن والسلام - والسيادة طبعاً - في الجهة العربية منه . تزيد الخليج طريقاً آمنة للتجارة في ايام السلم ، وزيده في ايام الحرب وهو مفتاح الهند بيدنا وحدنا افا هذه هي غاية الانكليز الاولى والاخيرة . ولا ريب بذلك . اما الوسائل التي اتخذوها لتحقيق هذه الغاية والسيادة التي انتهجوها لتعزيز سيادتهم في الخليج ، فذلك قصة اخرى لا احرم القارىء طرفاً منها .

قلت ان الشيخ محمد بن خليفة كان شاذاً في بدايته الى درجة تصبح البداية فيها ضرباً من الرؤيا . ولكنه لم يوشىئاً والسفاهة كانته الاقدار في تقرب الانكليز منه . جاءه الرصكيل السياسي من ابي شهر يخطب وده ويدعوه ليقدر مباحدة تضمن له سلامة بلاده ومساعدة بريطانيا العظمى^(١) فمن يرفض هاتين التعمتين ؟ كان الشيخ محمد كما اوضحت محاطاً دائماً بالاعداء من القبائل ومن آل بيته ، ترزعع حكمه الفتن والحروب . فرأى الحكمة والمصلحة

(١) حدثني احد افاضل البحرين قال : كان للبحرين اسطول شراعي كبير مسلح بالدافع والذخيرة استفحل امره . فاستولى حكام الجزيرة على قطر والتطيف فغشي الانكليز عاقبة ذلك لان مصالحهم تضي بان تبقي بلدان الخليج متنافرة متشاقة لكل منها امير مستقل فاخطروا امراء البحرين بان التنازل في البحر تنوع وان لبريطانيا العظمى حقاً بتتبع تعترف لها به الدول الكبرى . فلا يجوز اذن ان يخرج اسطولكم الى عرض البحر واذا خرج فالاسطول الانكليزي يقوم بواجبه . فاحتج الشيوخ الامراء ان بلادهم جزر مفتوحة ثورها لا حصن لها الا الاسطول . فان لم تدفع به الاعداء ملكوا بلادنا ورقابتنا . واذا لم نحتاجهم هوجنا . فاجاب الانكليز : اذا كان الامر كذلك فان حكومة بريطانيا العظمى ، اذا امتنعت عن الهجوم للبحري ، تتعهد ببرد الاعداء عن بلادكم .

في عقد المعاهدة ، وإن كان من شروطها أن يتنازل حاكم البحرين عن حقوقه في تجهيز الجنود البحرية والسفن الحربية . فقد تعهدت بريطانيا العظمى في مقابلة ذلك أن ترد عن البحرين كل غارة بحرية . هذه خلاصة المعاهدة أو الاتفاق .

فلما نار اهل قطر على حكومة البحرين وجاؤا يهجمون على الجزيرة خشي الشيخ محمد من استيلائهم عليها بينا هو يفاوض الوكيل السياسي في أبي شهر^(١) ويتنظر النجدة منه . فكانت رقعة دامية وكانت فاتحة المحنة الكبرى .

ركب الوكيل السياسي مركباً حروبياً وجاء يمتح على الشيخ محمد بأنه خرق المعاهدة بينه وبين بريطانيا العظمى . ولكن الشيخ محمد وكل اخاه علياً بالامر وسافر الى قطر قبل ان يصل الوكيل الى البحرين . فقد الوكيل ذلك اعترافاً منه بنكث العهد وفراراً من التبعة والخزاء . فاسر باطلاق مدافع البارجة على القلعة التي كانت تردهي بعلي تركية وايران فهدمتها . ثم طلب من الشيخ علي ان يتولى الحكم بدل اخيه الذي سقطت ادارته بخرقه المعاهدة . قبل الشيخ علي وكان في قبوله الشقاق بينه وبين اخيه . فقد اشار الى ذلك ابن اخيه شاعر البحرين اليوم الشيخ ابراهيم في القصيدة التي يرثي بها والده حيث قال :

فنازعك الشقيق وكان قدماً حسامك والامور لها انزعاع
واغرى الدهر بينكما وهاجت على الافساد بينكما الرعاع

كان الشقيقان متحابين يخلص احدهما للآخر ، ولم يبد في خلال ثلاثين سنة التي فيها حاربا وادارا الشؤون معاً اقل ميل في علي الى منازعة محمد الحكم والسيادة . كما والحق يقال مثال الوداد والوفاء . حتى مجيء الوكيل السياسي (١) ابر شهر هي على الشاطئ الفارسي وبعد نحو مئة وخمسين ميلاً عن البحرين شرقاً بشمال .

من ابي شهر . فكان الاخلت به ان يكتفي بما فرضه على البحرين من المال ،
اي مئة الف روبية ، تمويضاً وتأديماً ، ولا يزرع في سياسة البلاد الداخلية
تلك البذرة التي تاصلت في البيت المالك ولا تزال تشج الفتنة والشقاق .

بعد ان تولى الشيخ علي الحكم سافر اخوه الشيخ محمد الى الكويت
فتدخل آل صباح يصلحون بين الشقيقتين . فكتب الحاكم يومئذ الشيخ
عبدالله الى الشيخ علي يسأله ان يرجع الامر الى ما كان عليه ، فقبل الشيخ
علي بذلك . فجاء اخوه الشيخ محمد يصحبه حاكم الكويت واخوه الى البحرين
ولكنهم علموا قبل ان يقرؤا الى الطويلة بان الشيخ علي عدل عن رأيه واصر
على امره . ولا شك ان اليد التي كانت تزبد هي اليد التي اقامته حاكماً .

لا يحكم الصياد اشياكمه الا اذا عكر بطن الغدير

عاد الشيخ محمد ، الذي لم يفكر مرة في حياته ، الى ما فيه من قوة ودهم .
فقرل في دارين وشرع يتأهب هناك للقتال . فحدث جيشاً من بني هاجر
واعان اطرب على اخيه . فخرج له الشيخ علي بجيشه فاقتتلا قتالاً شديداً
ذبح فيه الشيخ علي وتفرق جيشه . فعاد الشيخ محمد الى الحكم الذي ما
دامت الفتنة تشتد فيه والحن ترداد يوماً فيوماً .

كان ابناء الشيخ عبدالله من الذين نصرروا الشيخ محمد على اخيه ، وهم
مسرورون بما حدث بين الاخوين المتصيين الحكم من ايهم . ثم بادروا الى
الانتفاع بما اسلفوه من مساعدة فادعوا انهم كانوا السبب في انصار الشيخ
محمد وقاموا بناهضونه . ثم قبضوا عليه فسجنوه في القلعة التي كان يرفع فوقها
العلمين التركي والارمني . وقد قال لهم الشيخ محمد ، عندما اعتقالوه وكان في
نبرته صادقا : ان تظل مدة حكمكم اكثر من ثلاثة اشهر .

وحار الامر بعد كما^(١) لقوم^(٢) له جباوا ولكن لم يطاعوا

(١) اي بعد ابيه وعنه .

(٢) اي ابناء الشيخ عبدالله .

وكان الامر كذلك، اذ قبل ان يتم الشهر الثالث جاء الوكيل السياسي
من ابي شهر في مركبه الحربي وتولى امور البحرين المضطربة . « فاستشار »
الاهالي ، بعد ان اطلق بضمة مدافع على سراي المنامة ، في من يختارون
حاكماً عليهم فأجمع رأيهم على الشيخ عيسى بن الشيخ علي الذي قتل في الحرب
الاخيرة . ثم طرد من البحرين بني هاجر وهم اتباع آل عبدالله ، وأخرج
الشيخ محمد بن خليفة من القامة فاصطاحبه ومحمد بن عبدالله في البارجة ، فاترلا
في جزيرة كانت منفى احد المحمدين وعائلة لمنفى الثاني ابي محمد بن خليفة بن
سلطان بن احمد الفاتح . فقد نُقل من تلك الجزيرة الى عباي ، ثم الى عدن ،
فأقام فيها عدة سنين اسيراً . بعد ذلك شفع فيه السلطان عبدالحميد الى
الحكومة البريطانية فأذنت له بالسفر الى مكة ولكنه لم ينعم فيها ، فقد
مات هناك سنة ١٣٠٢ هـ حكاه مات الشيخ عبدالله في مسقط حزناً طريداً ،
فرثاه ابنه الشيخ ابراهيم بتلك القصيدة التي نقلت بعض آياتها وفيها يقول :

واسلك الزمان الى خطوب - تذلل بعض اصغرها السباع

الى ان قال :

فان مكارم الاخلاق عاق	نفيس لا يمار ولا يباع
الا يا نفس جدي واستعدي	فان الامر جدد واضطلاع
ويا قطب المعالي انت قصدي	وهل يحشى مع القطب الضياع

الشيخ عيسى والانكليز

الفصل السادس

الطريقة المثلى في التاریخ - الشيخ عيسى في نظر السجام - في نظر المؤرخين -
سجاءة - كرم - وفاء - اخلاصه للانكليز - معاقبته على التدمير - تقاضد
الانكليز الكفيلة - ثبات الغيث عيسى على العهد - دخلت باشا والي بغداد عيسى
عليه مساعدة الدولة - اعتراف الانكليز باستقلال البحرين - معاني الانكليز في
تقويض الاستقلال - الحوادث عدة العهود - ثلاث حوادث خطيرة - وصلة
سياسية بريطانية في البحرين - حرق الاسطول - عزل الشيخ عيسى .

عندما قتل الشيخ علي آل سلمان آل خليفة، كما ذكر في الفصل السابق،
سافر ابنه الشاب الشيخ عيسى مع اخوته وبني عمه الى قطر فزلوا على قبيلة
النعيم فيها . وعندما استلقى الوكيل السياسي الانكليزي اهل البحرين بعد ذلك
في حاكمها اجمع رأيهم على الشيخ عيسى ^(١) فكتب اليه الوكيل يخبره بذلك
ويسأله ان يعود . فعاد بن كان معه من عشيرته وقبيلة النعيم واولوا في المحرق .
ثم نصب حاكماً على البحرين في آخر شعبان سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م وهو في
الواحد والعشرين من سنه ^(٢) فعاد الحكم الى آل سلمان وكانت فيه خاتمة
الفن والحروب الاهلية .

قد انتهجت في كتابة هذه النبذة ما اظنها الطريقة المثلى في التاريخ .
فقربت الحوادث ، واختارت منها الاعم والاهم ، وعلقت عليها في بعض
المواضع بالايجاز الذي يوجب المقام ، وافضت ببعض المواقع تسمية للصورة

(١) هو عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن احمد الفاتح بن محمد ، تاجر اللؤلؤ ،
ابن خليفة الذي ترح من الافلاج بنجد وتزل في الكويت . وآل خليفة من بني عتبة
وهي فصيحة من جميلة وحيلة فخذ من عتري ذات الى بني اسد لريمية قعدنان .

(٢) ولد للشيخ عيسى في محرم سنة ١٢٦٥ هـ وانه ابنه عيسى بن طريف آل ابن
علي الذي خرج على الشيخ محمد هم الشيخ عيسى الا كان حاكماً .

الذهنية ، صورة الزمان والمكان والاحوال ، واجتبت اولاً واخراً الاطراء
والاطناب ، فوصفت الرجال بما قلبي اعلمهم على المؤرخ .

ولو اني تشيت على اسلوب التاريخ الذي بين يدي لكان ينبغي لي في
الكلام على الشيخ عيسى بن علي ان اقول انه « استلم زمام الملك بيد الحزم
والتدبير ، فدانت له القبائل والعربان ، ونشر رايات العدل والامان ، ووقع
بسيفه البغاة والعدوان ، وشاد بملحه وحلمه وتقواه ركن الدين ، واظل بانصان
فضله الارامل والمساكين » فالقى السعد عصا تسياره بقصره ، وخصه بين
الانام بنصره . » الخ .

ولكن التاريخ هو غير السجع . يجب ان يكون للتاريخ عينان ، وعقل
ووجدان . ولا بأس اذا كان له شيء من البدهة والتصور . اما القلب فلا
حاجة له فيه ، ولا يجوز . ان التاريخ الصادق هو شاهد لا قلب له . وهو
الان يشهد ويقول ان للبارجة الانكليزية التي كانت في ثغر البحرين يوم
استفقتي البحارنة ، بدأ قوية في ذلك السعد الذي « القى عصا تسياره » في قصر
الشيخ عيسى . ويقول ايضاً ان ملكه الذي استمر خمساً وخمسين سنة كان
اكثراً عدلاً وعلماً واصلاحاً من ملك من تقدمه من اجداده . ولذلك اسباب
منها ما يتعلق بشخصه الكريم ، ومنها ما يتعلق بالانكليز ، ومنها ما هو ناشئ
عن روح الزمان في المدنية والعمران .

كان الشيخ عيسى كريماً جواداً ، فقد انعم على القبائل التي كانت معه
في قطر بمبالغ جسيمة من الاموال يوم تقلد الامارة . واعطى في جلسة واحدة
اربعين رأساً من الخيل الاصائل ، ووصل بني عمه بالطرف النفيسة والجواهر
واللباسات . هي السجبة الاولى التي كان يستقرس اليها ويعتمد على ما فيها
من قوة البرهان والافتناع . حتى انه لم يكن يهوى نزع الكرم في بعض
الاحايين سبيلاً الى توطيد الحكم وتعزيزه . وقلما استبقى من واردات البلاد

شيتاً لنفسه . بل كان ينفقها كلها ، منذ كانت تعد بالآلوف الى ان صارت تعد بالملايين ، على وفود العرب ، وافراد عشيرته ، ثم في الاصلاحات العامة .

اعتمد الشيخ عيسى على الكرم وقلة اعتمده على غيره من مزايا النفس . اريد بذلك انه لم يكن ليشق كثيراً بنفسه او يعقد عليها . بل كان في جل ادوره وكلا . فاذا جرب انساناً ولو تجربة طفيفة اعتمد عليه ووثق به على الدوام ، فيحم اذنه عن كل ما فيه ذكر مساوئه او الإشارة اليها . وقد نشأ من هذا الضعف خلل في الاحكام وفي جباية الخراج .

اما العدل فقد كان غالباً معزراً في عهده . والحق يقال ان الشيخ عيسى نفسه لم يظلم انساناً ، عرضاً او عمداً ، في مدة حكم استمر خمساً وخمسين سنة . فقد كان دائماً يتجرى العدل والانصاف . ولكن ذلك لا ينفي ما كان يحدث من المظالم في دوائر احكام البحرين ، وان سدل عليها استاذ من التشويه ، لان الرجل صكما قلت كان وكلا فلا ينتبه الا بعد حين الى اعمال معتمديه .

ولم يكن الشيخ عيسى عييل الى الجديد والتجدد ، بل كان منذحدثه محافظاً كل المحافظة على القديم ، فلا يغير شيئاً مما درج عليه ، ولا يرغب بشي . فيه بعض الخروج عن المألوف في التقاليد والعادات . وظل كذلك حتى اصحابه في آخر ايامه سهرم من روح الزفة وحاتت به سنن الرقي والعمران ، فقام يساعد في انشاء المدارس ويأمر ببناء المحاجر والمرافق العامة في بلاده . وقد وضع اول حجر في اول مدرسة بيده ، وخصصها براتب شهري بمعد ان افتتح جريدة الاكتاب تبلغ وافر من المال .

ومن سجاياه المستاة وفضلاً عن الكرم وحب العدل انه كان صادقاً في ولائه وفيما . فقد احسن الظن بالسياسة الانكليزية لاعتقاده ان انكليزاً لا تريد الا نشر تجارتها وتعزيزها . ولكنه جهل كما يجهل الكثيرون حتى

من الإنكليز انفسهم ما كان منطوياً من مقاصد تلك السياسة ^(١) ، فأمن مناوأتها . أجل ان اخلاص الشيخ عيسى للإنكليز خمساً وخمسين سنة - للإنكليز الذين ساعدوا في اقامته حاكماً ، ثم اذله وامتنوا حرمة ملكه مراراً ، ثم اسقطوه عن العرش الذي رفعوه اليه - ان اخلاصه لهم ، وحن ظنه بهم ، لمن الفضائل التي قلما نجدتها في غير العرب من الشعوب الشرقية . وما كان ذلك الا لانهم ساعدوه في بداءة امره ، ولانه عاهدتم على اشياء منها الاعتراف بالاتفاق السابق بينهم وبين عمه الشيخ محمد ، ذلك الاتفاق الذي قضى على اسطول البحرين وجعل البلاد مشكلة على بريطانيا العظمى في الدفاع عن نفسها .

مع ذلك لم يحث الشيخ عيسى بعهد ، ولا عقد اتفاقاً سرى مع دولة اخرى من الدول . كتب اليه مدحت باشا عندما كان والي بغداد يعرض عليه مساعدة الدولة بعد اتفاق ودي بينه وبينها ، قدفع الكتاب الى اصدقائه الإنكليز وكتب الى مدحت يقول : حسبي بريطانيا العظمى صديقة وحليفة . وقد فاضته كذلك الحكومة الالمانية بواسطة مستمدها التجاري في البحرين فكان جوابه : لا اقدم على بريطانيا العظمى احداً ، ولا اعاون عليها عدواً . كثيراً ما اعترض بعض رجاله على هذه الثقة المطلقة ، وفيها النخاسي عن المساوي ، فكان الشيخ يقول : ان بريطانيا العظمى اثبتت الامم الاوروبية في الماهدات ، فقد اعترفت باستقلال بلادتي وحويية حكومتي ولا اريد اكثر من ذلك .

فهل قام الإنكليز بما توجب عليه الصداقة بل اليهود بينهم وبين شيخ

(١) حدثني احد الذين كانوا موظفين في الوكالة السياسية الإنكليزية بالبحرين قال : كان يمشي ويخرج من عندنا كثير من الرسائل والبلاغات السرية . ان في دار الوكالة منها ما يلا بضمه صناديق ويدش فجواها كثيرين حتى من رجال الحكومة بلندن .

البحرين ؟ قد اعترفت انكليزاً باستقلالهم فهل اعترفت هذا الاستقلال ؟
 سألتهم من تاريخ البحرين في عهد الشيخ عيسى بن علي ثلاث حوادث فيها
 الجواب على هذا السؤال ، وسأرويها بما يحيزه التحقيق من الايجاز .

اما اول هذه الحوادث فهو ضرب الزبارة سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م التي
 كانت اول ما حكم آل خليفة في قطر عندما جازوها من الكويت . وبعد
 ان نقلوا منها الى البحرين عدت عشراً لفتح والثروات . ذلك لان فيها الجلالة
 وآل ابن علي ومني هاجر^(١) النازعين دائماً الى الفتح طامعاً بالسيادة والحكم .
 فقاموا سنة ١٣١١ هـ ينقضون في نار الفتنة فاضربت في الزبارة ونزاجها ،
 فكثرت جوع الثائرين وقد تأهبوا للهجوم على الحليفيين في البحرين . فرأت
 الحكومة وجوب اخضاع الفتنة ولم تر الى ذلك سبيلاً واسطة غير الاسطول
 الذي كان لا يزال عندها قسم منه . فتشاور الشيوخ واقرروا ذلك ، ثم بعثوا
 يرضون الامر على الوكيل السياسي لبريطانيا العظمى في ابي شهر ويستأذنه .
 فمذروهم الوكيل من نقض الاتفاق . فطلبوا منه الدفاع عن البلاد ، ذلك
 الدفاع الذي يوجب الاتفاق . فتعلل الوكيل اولاً ، ثم اشترط في مقابلة الدفاع
 شروطاً جديدة منها ان يكون لبريطانيا العظمى وكالة في البحرين ، ويكون
 للوكالة الحق بالمشاركة على قضايا الرعايا البريطانيين . فاذا يفعل شيوخ آل
 خليفة في مثل هذا الموقف الحرج ؟ ويلهم من الثائرين الزاحقين على بلادهم ،
 ويلهم من البوارج الانكليزية الراسية في الخليج اذا هم دافعوا عن البلاد .
 قبلوا بالشروط الجديدة ، فاجبرت اذ ذاك البوارج الى الزبارة وفوقت بقنابها
 الاقوام الثائرين .

والحادثة الثانية حدثت بعد عشر سنين سنة ١٩٠٣ وهي بنفسها طفيقة ،

(١) هم الذين كانوا في البحرين عندما تولى الشيخ عيسى الامارة فطردهم الوكيل
 الانكليزي منها لانهم كانوا مواليين لآل عبد الله اعداء آل سلمان .

واسكنها خطيرة في نتائجها . خادم المالني اهان ابن اخ الشيخ عيسى فضربه ، فشكاه الخادم الى رئيسه ، فرفع الرئيس الدعوى الى الوكيل السياسي الانكليزي^(١) والى حكومة المانيا . وبعد بضعة ايام اتفقت الحكومة المحلية والرئيس المالني فاعتذرت عما قرط من ابن اخ الحاكم ، ودفعت الى الخادم ثلاثة الاف روبية . على ان هذه التسوية لم ترضه ، على ما يظهر ، الوكيل السياسي في ابي شهر وكان يومئذ السربرسي كوكس ، فجاء بمراكبه الحربية فرست في مياه البحرين واتزلت بعض جنودها الى البر . ثم عرض الوكيل لائحة بما تطلبه الحكومة البريطانية جزاء ضرب المالني ، فنفذت مادة مادة . حرق ما تبقى من سفن البحرين الحربية ، وحكم على ابن اخ الشيخ عيسى بالنفي خمس سنين قضاها في الهند ، وأحيل الى الوكالة البريطانية بالبحرين النظر والفصل في دعاوي الاجانب كلها .

اما الحوادث الثالث في سياسة الاسنيلاء التدريجي فقد حدث في شهر ايار من سنة ١٩٢٣ . ولا بد قبل ان اورد من تهديد . قد علم القاري . ما تقدم في هذا الجز . شيئاً عن اهل نجد وشيئاً في ما تقدمه عن اهل الشيعة وخصوصاً الايرانيين منهم . فها كان من اسباب الوثام تجارة واجتماعاً بين الشعبين اذا جمعتها مدينة واحدة ، فالخلاف الديني ، وقيل القلوي في الدين ، فضلاً عن الخلاف الجنسي والسياسي ، كلها متأصلة في القلوب ، متأهبة في ساعة الشر للوثوب . وفي البحرين من التجار والعمال النجدي والايرواني ، وقد علم

(١) ليس لانكلترا قنصل في الخليج المعجمي لان وظيفة القنصل تجارية . ومصلحها في الخليج تقتضي ان يكون لها هناك ممثلون سياسيون . ومؤلاء في المنصب اثنان الموظف السياسي Political Officer والوكيل السياسي Political Agent وفي الخليج وكيل سياسي اول مركزه في ابي شهر يرجع اليه الوكلاء والموظفون السياسيون في الكويت والبحرين ولنجة وغيرها من الاساكل والجزر . اما مرجع الوكيل السياسي في ابي شهر فهو حكومة الهند . وبما ان في البحرين كثيرين من الهند فقد اطلقوا على الوكيل السياسي فيها لقباً ضدباً فهو يدعى هناك بليوس .

القادي. ان الاثنين بموجب الاتفاق الاخير بين حكومة البحرين وحكومة بريطانيا العظمى به يمدآن من الاجانب ، فيجب ان تسمع دعاويهما في دار البليوس اي الوكيل السياسي الانكليزي بالمنامة .

وهذا البليوس ، ابتغاء حزب له من الايرانيين ، سمى في عزل رئيس بلدية المنامة ونصب مكانه احد قجازه محمد شريف خان بهدور الذي اشتهر بكرهه للعرب . وقد كان لهذا الرئيس ضئمة البليوس نفوذ في الاحكام يدنو من نفوذ الحكومة الوطنية ويتجاوزها في بعض الاحايين . هذا هو التهيد .

اما الحادث فهو انه في اوائل ايار من تلك السنة سُرقت ساعة من بيت تاجر نجدي ، فأتهم بالسرقة رجل فارسي فقام بعض اهل بلاده يدافعون عنه ، فأدى ذلك الى خلاف بينهم وبين اهل نجد ، فتحزب الفريقان واشتعلت في القلوب الاحقاد الكفائمة ، فافضى النزاع الى القتال ثم الى السلاح . وكان خان بهدور محمد شريف رئيس البلدية يغري المعجم في هذه الفتنة بقتل العرب^(١)

اما الحكومة فبا ان المتقاتلين كلهم من الاجانب اكتفت بحفظ الامن ما استطاعت . ولا اظن بما شاهدته في البحرين يوم كنت هناك انها كانت تستطيع كثيراً .

أبرق البليوس خبر الفتنة الى الوكيل السياسي في ابي شهر فجاء مسرعاً تصحبه بارجتان . وكان اول ما طلبه من الحكومة ان يقتول الشيخ عيسى الحكيم . فأبى الشيخ ، فأصر الوكيل ، وجمع فريقاً من الناس فأعلن فيهم

(١) « فلما كان رمضان حدث خصام بين فارسي ونجدي فكانت النتيجة ان رئيس البلدية والبوليس ، قصياً لنجديتهم ، حضوا المعجم على اطلاق الرصاص . . . فتحول الخصام البسيط الى فتنة دموية « من عريضة قدمها وكلاء الامة البحرانية لرئيس الخليج في ابي شهر في ١٧ ربيع اول سنة ١٣٤٢ .

عزل الشيخ عيسى وتولية ابنه الشيخ حمد مكانه . وهذه البوارج في القصر
تلفت إليها نظر الوطنيين المشاعين .

ثم تبع العزل والنصب سلسلة من الاجراءات خطأ فيها التطور السياسي
والاكتمال الوطني خطوات كبيرة . فقد نصت المحاكم الوطنية ، وعينت من
واردادات الجمر وكغيرها ، التي تحولت الى بنك انكليزي في المذامة ، وواتب
شهيرة للشيخ حمد ومن دونه من افراد الاسرة الحاكمة . وقد تأسس ديوان
يدهي مركز الحكومة ليقوم مقام المحاكم الوطنية يحضره الشيخ حمد واليايوس
فينظران معاً في شؤون البلاد الداخلية .

هذه هي قصة البحرين والانكليزي في عهد الشيخ عيسى بن علي . من
حكومة مستقلة ذات اسطول حربي ، الى حكومة ولا اسطول ، الى حكومة
براغها وكبل سياسي انكليزي ، الى حكومة تشارك في ادارة شؤونها
الداخلية والاجنبية حكومة بريطانيا العظمى بواسطة بليوسها ووكراها في
الخليج ، الى - واليايالي بالحدوث جبالى .

الفصل السابع

النهضة الوطنية

شكل الحكومة للضحية - انقلاب ايار - احتجاجاً سلطان نجد - عزل رئيس البلدية - حكومة مزدوجة - تكتية النهضة الوطنية - من المرمول - حبيبستان جوهريتان في تاريخ البحرين - عودة الامراء العرب - عودة للانكلافة والاوروبيين - حكومة انكليزية لا تعلم بكل ما يجري على يد وكلائها - الوكيل المضر بالموكل والموكل من اجله - اولئك الذين لا يفهمون العرب ولا يحبونهم - حكومة الغليظ وسلسلة الاغالات فيها - اوامر الحكومة في لندن وتشييدها - مطالب اهل البحرين الوطنية - القوة لا تعترف غير القوة - الوكيل ينشر البعازاة - ما جرى على العرب غير المسهر .

لم يكن للوكيل السياسي في البحرين قبل انقلاب ايار سنة ١٩٢٣ غير حق النظر في قضايا الاجانب . ولكنه كان يتدخل بشؤون البلاد على قدر ما تسمح به الاحوال ومكنه منه السياسة التي تستمد قوتها من مصالح التبعات الاجنبية ومشاكلها ، ومن البوارج الراسية في الخليج . وكان هذا التدخل ينعم ويحشن ماساً بالنسبة الى البلبوس ، اي الوكيل ، وصفاته الشخصية . اذ ليس بين بريطانيا العظمى وحكومة البحرين معاهدة مسجلة ، بل هناك اتفاقات كما اتضح مما اضافت تضمن للانكلافة ما حازوه تدريجياً من نفوذ في البلاد ، وتضمن للبلاد حريتها واستقلالها .

سألت عن شكل الحكومة عندما كنت هناك فعلمت انها ثلاثة اشكال ، وطنية واجنبية ومختلطة . وكان سمو الشيخ عيسى يومئذ يدير الاولى ، واللببوس يدير الثانية ، ورئيس البلدية العجبي صاحب الكلمة النافذة في الثالثة . وقد انشأت هذه الحكومة المثلثة الزوايا اربعة انواع من المحاكم الاعلية ، اي اشرعية وهي التي تنظر وحدها في دعاوي الوطنيين ، والاجنبية اي دار او كالة الانكليزية ، وهي تنظر وحدها في دعاوي الاجانب

كلهم . والمختلطة اي التي كان رئيس البلدية يومئذ عضواً من اعضاءها للنظر في الدعاوي بين الوطنيين والاجانب . ثم محكمة القرض ولها قانون خاص يتساوى به الاجانب والوطنيون .

ولكن انقلاب ايار ذهب بالشكل والشعار . فعزل الشيخ عيسى كما قلت ، والقيت المحاكم الوطنية ، ثم عزل خان بيدور شريف رئيس البلدية اجابة لطلب ابن سعود . اذ عندما وصلت اخبار الفتنة الى القصر بالرياض ، وعلم السلطان عبد العزيز بان كان لهذا الرجل في اثارها واغراء قومه بعرب نجد ، طلب من الانكليز عزله فعزلوه حالاً . ثم ادعت المحاكم على انواعها بالمجلس الذي يشترك في رئاسته الشيخ محمد بن الشيخ عيسى والبيوس ، فأست الحكومة الثلاثة حكومة مزدوجة ، وامسى الحاكم الوطني شريكاً للحاكم الانكليزي .

ها قد وصلت الى بعض السبب او كله في ما سمعته من الشكوى والانيه هناك واشرت اليه في الفصل الاول من هذا القسم من الكتاب . قلت ان في البحرين نهضة وطنية ، ولكنها سياسياً مقيدة . كانت قبل ايار قانطة فأست بعده منكوبة . وكان السبب في القنوط نفس السبب في النصبة ، لا يختلف الا في درجتي الشدة والاستمرار . ومن المسؤول ؟ اذا سألت البجارنة يجيبون : الانكليز واذا سألت الانكليز يجيبون : العرب البجارنة .

هناك حقيقتان في تاريخ البحرين وسياستها الخارجية لا اظن احداً من الفريقين ينكرهما . الحقيقة الاولى التي الفت اليها نظر البجارنة هي ان البحرين ، عندما كان لها اسطول بحري قبل عهد الشيخ عيسى بن علي ، كانت وجهانها في احتراب دائم . وقد علمت ما شاهدته وتحققته في البلاد العربية كلها ان بلية العرب الاولى - كانت ولا تزال - هي النزوع في كل

قبيلة . بل في كل عشيرة ، الى الاعتزال والاستقلال . لا يعرف العرب من مبدأ التضامن غير ما توجه القبيلة ، او يدعو اليه في بعض الاقطار المذهب الديني . لا يخضع العرب بعضهم لبعض الا كرهأ ، ثم يتزعون الى السيادة المستقلة اذا وجدوا الى ذلك سبيلاً . الجبل ايها الادباء هو عدو التضامن ، والجبل المسلح ايها الامراء هو عدو الرقي وال عمران . فالسلاح بيد العرب اليوم ، اللهم اذا كانوا لا يخرجون على روح البداوة فيهم اولاً فيجمعون شملهم تحت علم واحد ، هو مضر بهم ، مضر جداً . لا يزال اكثر الامراء جاهليين ، او انهم من المحافظين على القديم البالي ، المقاومين لمبدأ النشوء والتجديد . فما الفائدة من القوة بايديهم ؟ اوجه هذا السؤال الى الشبيبة الراقية . ما الفائدة من اسطول يمكننا من الاستيلاء على قطر والقطيف والاحساء اذا كنا لا نوسع في الملك غير القوة الناشئة ، الجاهلة ما في روح الزمان من اسباب الرقي وال عمران ؟ يازم البلاد العربية في هذا الزمان عشرون سنة في الاقل من السلم الدائم المستمر ، فتؤسس المدارس اثناءها - تفتح على الدوام - وتفتح لابنائها الاذكياء ابواب العمل في الصناعة والزراعة وفي علوم الادارة والاقتصاد . هذي هي الحقيقة الاولى التي لا يجملها احد من ادباء وعقلاء البحرين .

اما الحقيقة الثانية التي الفت اليها نظر الانكليز فهي ان السياسة العربية التي غشوا عليها في الماضي لا تصلح اليوم لاهم ولا للعرب . هي تضر بمصالح بريطانيا العظمى ليس في البلاد العربية فقط بل في الشرق اجمع ، وتضر بالاسم الانكليزي وكل ما يرمز اليه من ادب وعلم وكرم اخلاق وثقافة . السياسة الانكليزية في البلاد العربية تحبط في مضيق جانب منه مظالم ، وجانب براق فيه وشل من الماء خدع الحبيبين ، يخفيه سراب خدع الاعداء . مثل ذلك في البحرين وعدوها الشيوخ بالدفاع عن البلاد اذا هم دمروا اسطوطهم الحربي . على ان كل دفعة من ذاك الدفاع افقد البحرين كما بينت شيئاً من

حريتها واستقلالها . أجل ، قد كان الدفاع درجات الى الاستيلاء . فمن يشئ بعد ذلك يورد الانكليز وجمودهم ؟ اما اذا كانوا يبتغون رفع العلم البريطاني فوق دار الحكم في الجزيرة فليس اسهل من ذلك . ان دولة من الدول الصغيرة التي لا تريد قوة اسطولها على ريع قوة الاسطول البريطاني تستطيع ذلك في يوم واحد . ولعمري ان مثل هذا الاحتلال غير من تلك السياسة التي هي كالجركان او الزلزال ، لا يظفر شيء من قصدها الحقيقية الا مرة كل خمس او عشر سنوات .

حدثني احد ابناء البحرين قال : اذا كان هناك فرق بين الاستعمار الانكليزي واستعمار الدول الاخرى فهو ان هذا كالجزار الذي يقتل شاته دفعة واحدة وذلك كمن يعذب الشاة وخزاً بالار حتى الموت . فاية الميتين اولي ؟ ولو لم تكن شاهدت ما شاهدت ، وسمعت ثم تحققت ما سمعت ، لكنت اقول ان محدثي اذا هو شرقي يتكلم . ولكنها وباللأسف الحقيقة بعينها لا مبالغة فيها .

اما ان سياسة انكلترا في البحرين هي غير سياستها في الاقطار العربية الاخرى فما لا شك فيه . قد اوضحت مبدأها المرن في معالجة شؤونها الخارجية بحسب اختلاف المكان والزمان ، وشرحت ذلك المبدأ في سياستها العربية في كلامي على طبع والنواحي التسع المحمية . وبما ان وزارة المستعمرات تدير هذه السياسة بواسطة وزارة الهند بلندن ، ثم بواسطة حكومة الهند ببمباي او بدمشق ، فلا اظن انما عالمة كل العلم بما يحدثه من المشاكل وكلاؤها السياسيون في البلاد العربية واسبابها في خليج فارس . فضلاً عن ان اوكيل يوه في بعض الاحايين دفاعاً عن عمله وحفظاً لمركزه . قد توخيت الصراحة الشامة في ما اكتبه بهذا الشأن غير اني على الاسم الانكليزي وجباً بتحصين وتفريز العلاقات الودية بين انكلترا والبلاد العربية . وما ينبغي لي ان اذكره

أن كثيراً ما يسود صديقتها احد ابنائها المقربين الذين لا يكونون في الشرق مؤمنين لولا نفوذ بعض اصدقائهم واقاربهم في الحكومة بلندن .

حدثني احد الموظفين في حكومة العراق عن ثورة ١٩٢٠ ، وعندما علم اني مسافر الى البحرين قال : ستجتمع هناك بواحد من وصفت . وكان قد افاض بالحديث في طبقة من الموظفين الذين يتخذون السر آرند ولبنون مثالا في الحكم ، فيحذون حذوه في سياسته ، وايس لهم شيء من حسناته ، هم من الضباط الذين لا يصلحون لغير الخدمة العسكرية ، فلا يقهسون العرب ، ولا يجبونهم ، ولا يعطفون اقل العطف على قضيتهم .

جئت البحرين وما تكنت من الاجتماع بالوكيل الانكليزي^(١) فيها . والكني تاصوته - وقد حدثني به الكبير والصغير والوطني والاجنبي - تحققت ما قاله زميله في حكومة العراق . فقد كان يقاوم كل فكرة اصلاح في الجزيرة غير التي يكون له فيها الكلمة الاولى والاخيرة ، ولا يرى حقاً في غير القوة ، ولا عدلاً في غير سياسة العنف والاستبداد . فهل هي يا ترى سياسة دوين ستريت بلندن او سياسة ابي شهر ؟ وما هي اذا كانت من الاثنين سينات الوكيل وسينات الاصيل ؟

ان البليوس موظف له رئيس في ابي شهر ، والوكيل في ابي شهر رئيس في سماء^(٢) وكولي الامر في محله رئيس في دائرة حكومة الهند بلندن ، ورئيس تلك الدائرة مستشاران او وزيران في الوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات ، وهاتين الوزارتين سياسة ثابتة قديمة التقليد غامضة المقاصد في الشرق وفي البلاد العربية تتشبه دائماً عليها . اصف الى ذلك ان كثيراً ما تصدر الاوامر

(١) بما ان الحكومة البريطانية عينت وكيلاً في البحرين بدله ، بعد الحوادث التي من ذكرها ، فالغرض من تعريفه باسمه في الطبعة الاولى قد انقضى ولا لزوم للشكرار .

(٢) المركز الرئيسي للحكومة الانكليزية في الهند .

من احداها مبنية على هذه الحطة لا على الجديد المهم من الاحوال في البلاد التي تختص بها ، فتجني الاوامر وما فيها غير النزر من العدل والحكمة ، بل ما فيها شي ، احياناً من الحكمة والعدل . فتصل الى رجل متصرف متعسف ، قصير النظر والافاة ، فينفذها بالحرف ويشير على امته غضب الاهالي وكوامن بعضهم .

فلو كان الوكيل حصيفاً حكيماً ، مدركاً عوامل النشوء في البلاد التي هو فيها ، عطوفاً ولو بعض العطف على مساعي الوطنيين في سبيلها ، لكان يطلع حكومته على حقيقة الحال ويسألها التبصر بها والاسترشاد بشي . من حقانيتها في تكييف الحطة السياسية وتطبيقها . ولو كان الوكيل رجلاً كبيراً ، مثله الاعلى العدل في كل الاحوال ، او لو كان في الاقل دمث الاخلاق ، لين الجانب ، محباً للعرب ، لكان يتسكن من خدمة بلاده بما فيه كذاك مصالح البلاد التي وكل بها . ليس هذا بالامر المستحيل ، وليس مثله بالرجل النادر في الحكومة او في الامة الانكليزية .

اعود الى الحادث الذي اوجب هذا البيان . طلب اهالي البحرين في الثلاث السنين الاخيرة ثلاثة مطالب من الحكومة كلها ولا شك عادلة . فوقفت السياسة الانكليزية تصدعهم وتقاوم مساعيهم . طلبوا تشكيل جمعية تشريعية فاجاب الشيخ عيسى بالايجاب واني البليوس . طلبوا تنظيم پوليس وطني فرضي الشيخ عيسى ورفض البليوس وأصر على الرفض . قدموا لائحة اصلاح استحسنها الشيخ عيسى وعزم على تنفيذها فقامت عليه وعلى الوطنيين قيامة الوكيل وبذل ما لديه من قوة ونفوذ في احباطها .

صمت شكاوي الوطنيين في البحرين ، وصمتها في ما اتصل بي من اخبارها بعدئذ في القريكة ، فافضت لها مجالاً في هذا الكتاب تستحقه ،^(١)

(١) جاء في الطبعة الاولى بعض التفاصيل التي اصيحت ولا قيمة لها سياسية او تاريخية بعد تبير « البليوس » وتقرير المصير الذي رضي به الاهالي مكرمين .

و كتبت الى احد الافاضل هناك كتابا اقتطف منه ما يلي :

« ان في الامر ما يضعف الامل بالانكليز ، ولكن التاريخ لا يبتذل
بمحدث من الحوادث كانت فيه احدى الامم القوية الاستعمارية متغلبة وحدها
على امة اخرى ضعيفة . بل نرى غالباً ان المغلوب يساعد على نفسه الغالب
المتنصر . ماذا يجمله على ذلك ؟ الجهل يا سيدي والضعف والجبن والخنوع
والمصلحة الخاصة والطاعة العمياء . — اما الطاعة العمياء فقد تفيد في سبيل
وطنية عامة . كبيرة كما لو كان العرب كلهم اليوم يطيعون ابن سعود مثلاً
او الملك حسيناً او الامام يحيى بن حميد الدين ويمثلون لاداسره . وعندئذ
يعز العرب وعندئذ يصلح الاوروبيون سياستهم في الشرق ، وعندئذ ، اذا
طلعني في البحرين او في قطر آخر طائر اجني او وطني تذكرونه بكلمة ذاك
العربي الى الخليفة الثاني وتقومون امره بحمد السيف .

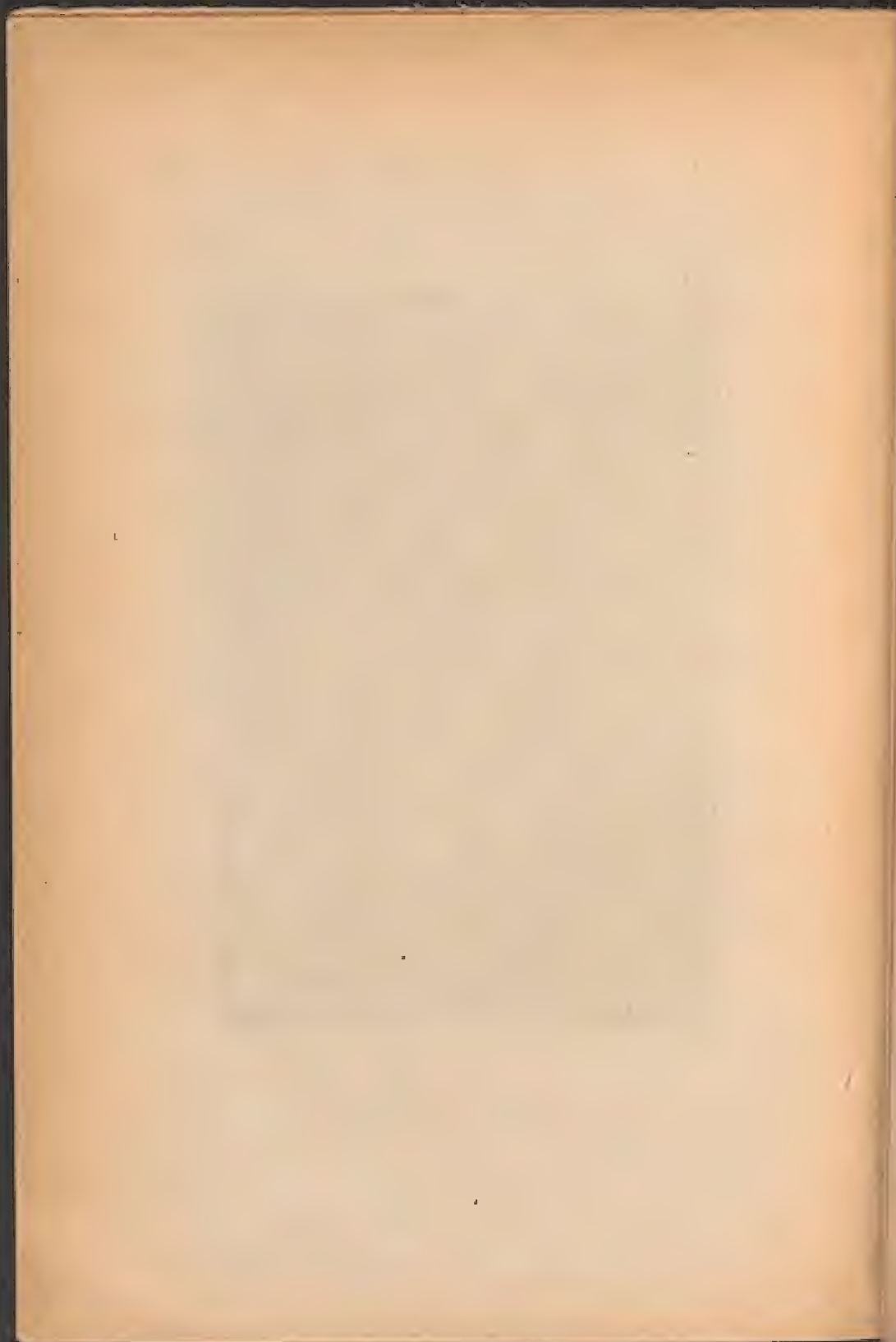
« اما الآن فعليكم ان تقبسوا العلوم وتصوروا . واني اعتقد ان العلم
بالاقتداء هو امرع فعلاً واثبت . لذلك استحسن وجود الشركات الاجنبية
المجردة من كل صبغة سياسية في البلاد . فانها تعلمنا الاقتصاد والنظام
والادارة من حيث لا ندري او نشاء . والعرب في حاجة شديدة اليها
كأها . . .

« ما جنى على العرب يا صديقي العزيز غير انفسهم . كنا وكنا وكنا —
حديث مبتذل . يوم اقفلت المدارس في البلاد فعم الجهل ونوارثه الابناء . كنا
الجائنين على انفسنا ، المقيدن بالجهل ارواحنا ، وبالخرافات عقولنا . واليوم
نرى العلم والمال بيد الاوروبيين . ويوم كان الاثنان بيد العرب اخذهما
الاوروبيون عنهم . فها اقتدينا بهم في الماضي فذاخذ عنهم اليوم ثم نأخذ
عنهم ؟ وزني في الوقت نفسه روح القومية الشاملة فينا . لو كنت في سوريا
وعرفت سبب بليتها اقلت : اما نحن فعرب من صميم العرب وديننا الاسلام .

فلا سبيل إذن الى التفرقة جنساً ومذهباً . ولو كان لكم عشر سنوات من التعليم المدني العام لقمتم غيركم في الربوع الساحلية . وهذا ما ابغيه لكم . التعليم في المدارس . التعليم بالافتاء . الا ان العربي الكسلان اذا رأى ما هو مدفون في ارضه من الخيرات تتغير نفسيته وعقليته وكذلك اعصابه فلا تباؤس يا صديقي ، ولا تظن ان الله يخص جيلاً واحداً من خلقه بالكمالات كلها .

« واذا بثت ان احديثك . كطبيعي لا كألهي اقول : ان الناموس الطبيعي الذي يعمل في عالمي الحيوان والنبات يعمل كذلك في الانسان وفي الاجتماع البشري . ومن النادر ان يرى الانسان نشوءاً تاماً . بداءة ونهاية في نوع واحد من النبات او جيل واحد من الناس . اما نحن الذين نقاسي ما نقاسيه في هذا الزمان فقسمتنا قسمة من يجيء في آخر دور النشوء او في اعم اطواره . فنرى بين البصيرة لنتيجة ما مضى وما هو سائر فتتألم لانها دنية منا وقصية ، دنية لاننا نراها ، وقصية لان اليد لا تصل اليها . لنحمد الله اننا نراها في الاقل فنقبل قسمتنا قانعين وعاملين في نفس الوقت في السبيل الذي هو روح الناموس والتطور .

« تلذ لي محادثتك وانت من المفكرين . فكل مفكر يتألم ، ولكن ليس كل من يتألم واحداً . منهم من يقتلهم الألم ، ومنهم من يزيدهم قوة على العمل . الامة المتأللة اليائسة تموت - تساعد المتغلب عليها . والامة المتأللة الطويلة الامل الناهضة الثابتة في نهوضها ، انها تتجيا ، وانها تساعد ابناؤها على المتغلبين . »





جلالة الملك فيصل بن الحسين بن علي

الضم الثامن

المملك فيصل والعراق

العراق

سنة ١٩٢٢ م - ١٣٤٠ هـ

حدوده : شمالاً ، جبال ارمينية والاناضول . شرقاً ، بلاد ايران . جنوباً ،
خليج فارس . جنوباً يغرب ، البادية وحدود نجد . غرباً ،
البادية وحدود الشام .

الرياسة : ١ الموصل ، ٢ السليمانية ، ٣ كركوك ، ٤ شبه لواء اربل ،
٥ ديالى ، ٦ بغداد ، ٧ الكوت ، ٨ الدليم ، ٩ الحلة ، ١٠
كربلا ، ١١ العمارة ، ١٢ المنتفق ، ١٣ البصرة .

عدد سكانه : نحو مليونين وتسعة الف نفس ، منهم مليون ونصف مليون
من الشيعة ، ومليون ومئة وخمسون الفاً من السنة . وثمانية
وثلاثون الفاً من اليهود ، وثلاثون الفاً من النصارى ، واثنان
واربعون الفاً من الاديان الاخرى .

مساحته : نحو مئتي الف ميل مربع

سكانه : العرب والفرس والاكرد والترك والارمن والاشوريون .

اهم قبائله : المنتفق وبنو لام والبو محمد وريمة وقيم والدليم وعزى وشمر
والاقرع وعفك وما يتفرع عنها كلها من الافخاذ والبطون
العديدة .

مذاهبه : الشيعة : جعفريون وبعض الزيديين والاسماعيليين .

السنة : حنفيون وشوافع وخنابلة .

المسيحية : يعاقبة ونساطرة وسكندان وسريان وكاثوليك وروم

ارثوذكس وبروتستانتيون . ثم اليهود والصابئة واليزيدية

والفرس والهندوس والبهاثيون .

الفصل الاول

من العروبة الى الغرب

الاسباب الغريبة في المراسلة - الارقام والاسماء - اقتصاد قبيل - شرقي متبرذاق - لهجة من البصرة وختام من لندن - مسيحي يتشوق ويتسكك - شهر الكافري - القرى بين العرب واليهود - غرب الرسكي - رحلات البصرة - محطة سكة الحديد - قطار مستشرق - عربية اورشليم خذشورية - الاطعمة تكسر وجلاها - النجدة من اور الكلدانيين - الاعرابي وعياله المسافرون الى بغداد - الاطوار ينتظرهم خمس ساعات - ضابط انكليزي يحصل على الفريش ولسون - في محطة بغداد - واين التراب بغداد ؟ - رجل ينادي : ياو ! ياو ! - الرطانات الاردنية - عربة الوتي - ركبت في جنائلي - سيارات النقل - جسر ٣ حود ٥ - من نزل الى آخر - ابن امين الكسبياني ؟ - الامينان يفتتبان - كاتب يمر جلالة الملك المظفر بزين زوجه في كوخه منجم - الحرية والادخا والتنازل عن المساواة عند كاتب السر الاول - في القصر - الملك فيصل .

اجبرت من عدن اقصد الى العراق . فلما وصلت الى بباي التي لا بد من التعرّيج عليها اذا كان السافر في احدى بواخر الهند ، اقيمت في قنصلية اميركا كتاباً من الديوان الملكي في بغداد كتب على الآلة الكتابية العربية هذا نصه :

بغداد - ١٠ / ٦ / ١٩٢٢

حضرة الفاضل امين اندي ومجاني المحترم

اما بعد التحيّة والاكرام . فقد تناول صاحب جلالة الملك فيصل كتابكم الصادر من طبع في ٧ شعبان وامرني بالكتابة اليكم معرباً عن سروره بقدمكم العراق وتمنيائاً لكم سلامة الحل والترحال في طريقكم اليه وتوفيقكم في ما تزعم بهذه الرحلة لاجله .

وقد ارسلت الكلمة الى بباي لاجل تصديق جواز سفركم الى العراق .

واما توجهكم الى الرياض فقد أرسل السؤال به الى عظمة السلطان
عبدالعزيز ومضى جاء جوابه بعثنا اليكم به والسلام . رستم حيدر

هوذا غير ما الفتى في اليمن والحجاز . كتاب غربي الاسلوب حتى في
تاريخه ، يخلو من الدباجة والتنسيق وفيه الدليل على الفرة من تلك الطويقة
القديمة التي تبدأ غالباً باليسلة وتنتهي به أن شاء الله ، ويُجِبُّ الغرض من
الكتابة فيها بين مدحجات التبجيل والتعجيد او يضن قصاصة عنوانها
« حاوي خير » . فنكون هي الكتاب يقينا ، ويكون الكتاب الرسمي
ترعة من الترهات .

قد احسن الديوان الملكي لدولة العراق المتعربة . ولكن الاحسان في
الاعتباس درجات تتجاوز الخروج من المأرأ العربي الى المؤلف الغربي علي
اني وان كنت افضل الخط على هذه الاحرف العربية السميكة ، وأرى في
الكلمة المخطوطة حماً لا تظهره بسبل تقتله احرف الآلة الكتابية ، فقد
استبشرت بهذا الكتاب لما يرمز اليه ، وان كان في اول سطر منه ما هو في
نظري من قببح المقتبسات الاوروبية . فان الاستعاضة عن اسماء الاشهر
بالارقام في التاريخ لمن المبالغات الجديدة بالاقتصاد عند الغربيين . وما كل
مظاهر الاقتصاد آية في الحكمة والجمال : اما اذا قيل ان المسئلة ذوقية
فجواني هو ان ذوق الشرقيين فيها ارفع من ذوق الغربيين . وفي كل حال
ان الالتفات اجل من الارقام نظراً وممماً ومعنى . اذا كتبت زانها الخط ،
واذا لفظت زانها النطق . مثلاً : ايار وحزيران وثموز - ٦٥ و٦٠ او شبان
ورمضان وشوال - ٨ و٩ و١٠ . فآية الطريقتين اجل ، بل اي الذوقين اصح ؟
المسئلة طفيقة ولكنها حرة بالاعتبار في ما تومي اليه من عقلية مقلدة .
قد استبشرت مع ذلك بكتاب الديوان الملكي لما قرأت خلال سطوروه من
المقاصد الحميدة في دولة العراق الجديدة . ورأس هذه المقاصد انما هو فك

تعود التقاليد القديمة العقيمة وان كان في تاريخ الرسائل وانسانها . بيد انه يتبادر الى الذهن فكر في سؤال : هل يعد مجرد التقليد الخارجي من مظاهر الارتقاء ؟

سافرت من تبليي الى البصرة في باخرة انكليزية من بواخر الخليج . وكان حظي فيها اني شأهت مثالا آخر من الرقي العراقي قبل ان اصل الى العراق . اجاب احد المسافرين سؤالي دون ان يدرك ذلك ، ودون ان يحدثني . هو رجل ابيض الادي ، اشقر الشعر ، ازرق العين ، دخل ورفيق له يتقدمان زفراً من الخدم يحملون امثعتها . وكان احد اولئك الخدامين اخطأ في ما فعل فانهال عليه المسافر الاشقر بانسانته والمسات بلغة انكليزية فيها كنة قبيحة . اللهجة من البصرة والشتائم من حائل لندن .

عرفت بعدئذ ان رفيق المسافر ارمني وهو يعرف الانكليزية ايضاً ولا يحدث حتى رقيقه بسواها . وما شككت بانها عرفا اني عربي لاني كنت معطاً ذلك على رأسي بالكوفية والعقال . مر اليوم الاول والثاني والثالث فاتفق ان التقينا على ظهر الباخرة صباحاً فسلمت بالانسة العربية فرد سلامي باللغة الانكليزية . فقلت : انه ولا شك ارمني . ثم عرفت انه ورفيقه من تجار السكر في البصرة ، فلم يتنازلا لمحادثة غير بعض الانكليز في الباخرة . الا انه سألني ذات يوم عن الشهر الاسلامي الذي كنا يومئذ فيه ، فأجبت بكلمة فشكرني باخرى كانت الحقة .

بعد ثلاثة اشهر كنت وبعض الاصحاب اشاهد سباق الخيل خارج البصرة فرأيت هناك رفيق السفر الاشقر الامجد وهو يحمل ناخوره كالانكليز معلقاً في عنقه ، فبسم لي استام التزلف ثم دنا من احد رفاقي وسلم عليه باللغة العربية - التي لا اكنة فيها . فاستطلعت بعدئذ خوجه اليقين فقال صديقي : هو من البصرة ، من مسيحي البصرة ، بحسار قر . فقلت : يظن ان عندكم في

العراق طبقة من الناس شبيهة بطبقة المتفرجين في سوريا . المتجذلين المتفوقين بين قومهم ، المتسككين امام الاجانب . فقال : نعم ، وهم ينشبهون بالانكليز كما ترى بحمل الناظر ولبس القفازات في الصيف .

اعود الى سؤالي : هل يعد مجرد التقليد الخارجي مظهراً من مظاهر الارتقاء ؟ ان في رفيق السفر هذا جواباً واحداً لا اظن القاري يرتاب بصحته . ولكن هناك رفيق سفر آخر وجواباً ثانياً . هناك طبيب انكليزي كان على عادة قومه الاماجد في السفر يعتزل الناس ، فيجلس في الزاوية او في كرسيه على ظهر الباخوة يدخن الغليون ويطلع كتاباً . وهو قلما يكثر بلبه . بيد انه وان كان « بنطلونه » غير مكوي و « ساكوه » اشبه بالكيس منه بشرب مخيط ، فاذا وقف ومشى مشى المهابة في ظله وافضحت عن كرم محبته . دنا هذا الرجل يوماً مني فاعتذر وسلم وجلس الى جنبي قائلاً : انت عربي . فقلت : نعم . فقال : وعلى ما اظن من العلماء . فقلت : سائح طالب علم . فقال : هذا تواضع منك . قد سمعت من حدث عنك في تبلي . ثم قدم بطاقتة فبادلته الاكرام .

— اني مما اعرفه عن العرب وهو قليل احترم الامة العربية كل الاحترام ائت زماً في الهند ، في خدمة الهنود — وليس في الطب سياسة كما تعلم — فما اقيمت جداء مما اقيته في بضعة اشهر في بلاد العرب على هذه السواحل — ككرم الاخلاق ، الاخلاص ، الضيافة ، انك لا تجدوها في الهنود . لما الشجاعة والرجولية فهما في المسلمين منهم فقط لا اظننا نقاسي في الهند ما نقاسيه لو كان في الهنود شي . من وفاء العربي واخلاصه اذا آخاك . قد تكون طامعت تاريخ الانكليز في تلك البلاد فتعرف كم من مرة طعننا الهنود في الظهر — خانونا وغدروا بنا — بعد ان عاهدونا على الولاء .

قال هذا ودعا الخادم فطلب كأساً من الوسكي والسودا وسألني متريداً

صا اذا كنت اشاركه . فأجبت بالايحاب فقال : اعرف من المسلمين من يشرب الخمر . فقلت : اني مسيحي والي آسف ان من المسلمين العصريين من يظنون التشبه بالانكليز منعصراً بشرب الوسكي . بهذا المعلم المواظب من هذا القبيل على دينه . فقال الحكيم : صدقت . نحن الانكليز نبالغ في الشرب - نشرب كثيراً . خذني مثلاً . اني اشرب الوسكي قبل الاكل واثنا الاكل ، وبعد الاكل ، واشرب بين الوجبات كما ترى . . . نعم ، الانكليزي في الهند ، و بالبحري خارج انكلترا ، يشرب اكثر مما يشرب في بلاده . والسبب في ذلك البعد على ما اظن عن الوطن والاهل ، ثم ساعات الفراغ بين ساعات العمل وليس ما يتلأها من الاجتماعات او الملاهي . ثم - وهو الخطأ الاكبر - ما نظنه منبهاً للعواس في ما يصحب كأس الوسكي . ويؤدي لو اقتدى الانكليز بالمسلمين . فقلت بمفراً : المسلمين الذين لا يقتدون بكم في شرب الوسكي . وكانت الضحكة مسك الحتام .

عندما وصلنا الى البصرة سعد الى الباخرة موظفو الجمرک والصحة والشرطة واكثرهم من الهند . وكنت قد ارسلت لتعرفاً من بيبي الى صديق لي في الديوان الملكي ببغداد انه يأمر في البصرة من يلاقيني ليهديني في الاقل الى محطة سكة الحديد . فوجدت نفسي ، ولا احد يسأل عني ، أغرب في هذا البلد العربي القديم مني في « كلاركسي » الهندية . وانا العربي الذي قضى الايام والليالي بطالع الحريري والجاحظ ، ويطاحن كريات دماغه في طواحين السكياتي وسيديوي ، - ولا اقول الرحالة الشير القادهم من اليمن - اراني قد تزلت من الباخرة بين قوم لا افهم لغتهم . فيكلمني الخوذي بعربية يضطر ان يترجمها الى شي . من الانكليزية يفهم . هو ايضاً هندي . ساق جواده الاعرج يجر عربة مكسرة وفيها بقية آمال مبعثرة تدعى الريجاني .

رحنا في قفر سببب خارج البصرة ، فاجتأنا معسكرأ مهجوراً ، ثم آخر فيه بعض الجنود الهندية ، ووصلنا بعد ساعة الى محطة السكة بل الى بقعة

ينتهي عندها الخط. ولا محطة غير كوخ ابيع النذاكر وجدناه مقفلاً. ووجدنا خارج الكوخ ولداً عربياً، والحمد لله، تطف فراح ملبياً طلبنا يبحث عن الموظف. فعاد بعد ساعة بدينه رجل - هندي - هو مدير السكة ولكنه يحسن الانكليزية. فسألته سؤالا تمسدت فيه التعريف عنه يكرموني في الاقل بان يخصني بشقة في الديرة وحدي. وكان الرجل فريساً كريماً، فكان لي ما شئت. اعطاني تذكرة واحلني في الفطار محلاً فسيحاً فيه ماء وحمام. وكنت قد كتبت برقية الى الصديق امين الكسباني في الديوان الملكي بالعاصمة وهمت بالرجوع الى بيت الحق لارسلها فاخذها مني قائلاً: سأرسلها من هنا رأساً. ثم امر بن يعشي بامتني وودعني قائلاً: اذكركني لدى نوري باشا. الوداع صاحب.

الوداع صاحب. انت وان كنت كرتاً لمن اغلاط الانكليزي في العراق. والمسيحي المتفرنج وان كان عالمنا من اغلاط التاريخ في العراق. والمتغرب اليوم في القشور فقط، مسيحياً كان ام مسلماً ام اسرائيلياً، لمن اغلاط الاجتماع في العراق، بل في الشرق كله. جذبا مدنية جديدة تتبع الشعوب على السواء بثارها اليانعة. والحق يقال ان ما ترمي اليه المدنية الحقة، غربية كانت ام شرقية، هو تعميق وتعزيز قياس واحد في اداب المعاملة واداب السياسة بين الامم. فلا يستشرق الغربي ولا تستشرق الصناعة الغربية اذا ما انفتحها شمس الشرق، ولا يتغرب الشرقي في سطحيات الحياة اذا ما ايسم له خادم السيد الاوروبي.

صفت القاطرة وجرت، فجزت ورامها قطاراً مستشرقاً جي به وبعماله من الهند - قطاراً عسكرياً من بقايا الحرب. لا اظن امة من الامم الاوربية او الايورية تستخدمه لنقل الشحن، فتصلحه مع ذلك وتجده. والقاطرات في اشد حاجة الى التصليح من العربات. بل قد تكون اجتازت زمن الخدمة فامست لا تصلح للعمل ولا يصلح فيها للبيع غير الحديد.

خرجنا من ضواحي البصرة مساء في قطار البريد « السريع » الذي يصل الى بغداد ساعة الغرب من اليوم التالي ، اللهم اذا سلمت القاطرة من عادات الطريق . قد سلمت والحمد لله ليلاً . فنهضنا صباحاً فاذا نحن في أور الكلدانيين في الوقت المعين بلائحة السفر . وهذا خادم عربية الاحكل جاءنا بفنجان من الشاي قدمه من النافذة اذ لا نأش في هذه العربات تصل الواحدة بالآخرى .

سرنا من أور الى الدراجة فوقفنا فيها وقفة نفدت بالعظم صدمتها . وقفنا فجأة وثبتنا تجاه العاديات ثبات الابطال . نظرت الى لائحة السفر فاذا فيها : الفطور في صماوة . ولكن خادم المائدة جاء بعد ساعة يدعونا للاكل فخرجنا من منازلنا وسرنا نلبي دعوته ونستطلع خبر القاطرة . فعلنا انها حرسك الله ، كسرت رجلها ، وانهم ارسلوا الى أور يستحضرون قاطرة اخرى .

ولت ساعات الصباح واشتد الهجير ، فصعد الزئبق في الميزان الانكليزي الى درجة المئة والست درجات ، فعدنا الى المراوح في العربات فاذا هي مثل كل شي . في ذاك القفر قائمة ولا حياة فيها . ثم جاء الخادم يدعونا زنية للاكل - القاء . فوددنا لو ان ساعات الانتظار كلها ساعات اكل وشرب وحديث ، فتسببت مصيبة القاطرة ومصيبتنا في فيافي العراق وقبلة .

جاء ونحن في الدراجة اعرايي يركب حماراً يتبعه حريمه وعياله ماشين . جاءوا يبعثون السفر الى بغداد في قطار البريد السريع ، وكان وصولهم الى المحطة بعد الميعاد بنحو خمس ساعات فقط ، فقال الاعرايي يخاطب الحريم ام عياله ، ما قلت لك يا سيدي ان القطار ينتظرنا . وقد انتظر غيره من البدو هذا القطار المستشرق اللطيف . ثم جاءت القاطرة الصالحة من أور بعد الظهر فخرجت بنا من الدراجة وراحت تشميل بذنبها ، بارك الله فيها ، فارصلتنا الى السامرة ساعة الشاي . ثم الى الديوانية التي كان قد أعد لنا القاء فيها فتمت عشاء بارداً .

جلست الى المائدة واثنتان من الانكليز منها ضابط علمت من الشرائط الصفراء والحمراء والخضراء التي على صدره انه من ابطال الحرب ، وعلم ، والله اعلم بمن علم ، اني قادم من اميركا . فسد ترواً الى الرئيس ولسون اسهم غضبه .

— قد تزع من يدنا السلاح الذي لا يصلح لضبط امور العراق سواء ، سلاح القوة ، العزم ، الشدة .

فقال رفيقه : لو لا تدخل اميركا اكنتا اليوم نحكم العراق كما يجب . فكمل الضابط قائلاً : ولخير العراق . . . وما الانتداب ؟ وما تقرير مصر الشعوب ؟ الفاظ هي ليس الا . قد حكم القوي الضيف مئات من السنين قبل ان اخترع لنا رئيسكم ولسن هذه الكلمة — الانتداب . وعكسه حيناً بالعدل وحيناً بالعسف والشدة ، بما تسونه ظلاً . وكان الظلم احياناً انفع له من العدل . وهل تظن ان هذه الكلمات الجديدة — الانتداب — تقرير مصر الشعوب — تصلح الشؤون وتحرر الامم ؟ توانا مقيدتين في هذه البلاد بارادة عصبية لا سيادة لها ، نعم ، عصبية الامم ، وبارا . رجل نظري يحلم الاحلام هو رئيسكم المستر ولسون ، فلا نستطيع عملاً مفيداً لا لانفسنا ولا لاهل البلاد .

اعجبني من الرجل يقينه وصراحته ، فالجراحة الادبية مستحبة دائماً . وما هو بصكري فقط بل من غواة الادب ايضاً . رأى معي كتاباً للؤلف الشهير المستر ولس فاستأمره ولم يُعده الي . اهل التبعة في ذلك على القطار لاننا بعد ان دخلنا كل الى منزله لم يور بعضنا بعضاً . وعندما وصلنا الى بغداد الساعة الثانية بعد نصف الليل — اي بعد الميعاد بثلاثي ساعات — كان هو بمن خرجوا من القطار وانا بمن ناموا فيه . والسبب في ذلك ان ذاك الضابط ، وان كان غريباً ، كان له في البلد بيت يأوي اليه اية ساعة كانت اما انا فلم انتظر احداً

من اصدقائي ان يوافيني الى المحطة بعد نصف الليل ولم أجز لنفسي طرق ابوابهم او ابواب الفنادق في تلك الساعة . فتمت ، فلم يشأ على ما اظن ان يزججني ، فقم بلطفه الكتاب .

لغت ساعة فايقظني صوت ينادي : ياو ، ياو ! فتحت النافذة فاذا باحد الخالين يعني خدمتي ، فطرده وعدت الى النوم . ثم بعد دقائق سمعت طارقاً يطرق زجاج النافذة ، فنهضت فاذا بحمال آخر ينادي بالهندية ياو ، ياو ! فسمدت الى العصا وكلته بها . أتبعني لغات الهند الى العاصمة عاصمة الباسيين وقطب دائرة الشعراء المحدثين ؟ رح يا ملمون الوالدين ! وبعد هذا السب والضرب غث نائلاً ونهضت باكراً ، فنظرت من النافذة عيناً ، ثم من النافذة يساراً ، فلم اجد لبغداد اثرأ من الآثار ، ولا رأيت على الرصيف احداً من الناس . فساورني شيء من القم ، كثير من القم . فقلت في نفسي : الماء البارد لا فم خير دواء وعندك الماء يا رجل . فاستحسنت ولبست ثيابي هادي . البال متشبهاً بالآمال . على وجهاً من وجوه الاحباب يشرق على المحطة مع شروق الشمس .

جاءت الشمس وحدها ، ولم اجد عند المحطة حتى من ينقل امتعتي الى البلد . فبمشت الولد الذي ضربته بالعصا يستحضر عربة وبنت انتظر ، واقفاً وحدي في ذاك القفر المقعقع ، افتش في الآفاق الاربعة عن بغداد . وبعد نصف ساعة ظهر في جهة النخيل عربة لماعة ، يقودها جوادان مطهران ، يزين رأسيهما الريش الاسود الكبير . فذكرني الريش بخيل عربات الاموات في جنازات النصارى . فقلت في نفسي : وانت في جنازة يا رجل - في جنازة أمالك ، وغرورك - في جنازة ما كنت تتشبهه وتصوره ببغداد .

ركبت في جنازتي ، فساق الخوذي خيله شرقاً الى النخيل فبدا لنا عند ما دخلنا على جانبيه شيء من حركة المقاهي في ظلال تحللتها اشعة الشمس .

ثم سمعت صوتاً يذبح ، وقرقعة ترجرجت الأرض منها . هي عربات النقل - سيارات الجيش الهائلة - يسوقها جنود الانكليز . والغريب ان غبارها وروائحها نفعتني تلك الساعة فأخرجتني من الجبازة . هي طلائع الحياة في بغداد اليوم . اما بغداد الامس ففي كتاب الف ليلة وليلة تجدها .

وصلنا الى الجسر ، جسر « مود »^(١) وهو مثل الارجوحة معلق بشاطئيه دجلة ، بيد انها ارجوحة من المراكب تنعني تحت ارجل المارين ، وتثني تحت دواليب العربات ، وتصفق تحت سنايك الخيل ، وتصرخ صرخات مزعجة تحت انقال سيارات الجنود . وكان النهر في صباح يوم من ايلول صغير الموجة لطيفها ، يسير سيراً بطيئاً هادئاً ، ويجذاف البلام^(٢) يحرك اللاجئين فيه فيستحيل ذهباً في اشعة الشمس . وهناك في الجهة الشرقية تبدو بغداد بقياسها الزرقاء وماذنها البيضاء ، وقصورها على الشاطئ . تعيد الى من كان شغافاً بتجد الزمان الغابر شيئاً من البهجة والانشراح . بيد ان تلك البهجة قصيرة الاجل ، فهي لا ترافقه الا في النهر او الشط بلغة اهل العراق .

عبرت الجسر فاذا انا في شارع مهشم حزين ، كأنه بجائاته ومقاهيه قد خاض عباب الحرب العظمى ، ووصلت الى نزل « مود » فوجدت العمال يشتغلون في الترميم ، فقصدت الى نزل آخر ، فاذا الخدم يفسلون الصحن وكان صاحب النزل لا يزال قائماً . فضاظبني احد الخدم يقول : ولا غرفة واحدة فارغة ولا سرير . ثم داني على فندق في الجوار المبارك فبادرت اليه ، فاذا هو كالامل الضائع في صدر الجائع ، فانزات مع ذلك امتعتي ودفعت الى الجوزي ما تبقي من ثروتي ، ودخلت الغرف واحدة بعد الاخرى ابني

(١) Gen. C. F. Maude, K. C. B. C. M. G. D. S. O. هو قائد الجيوش

البريطانية الجنرال ث ف مود الذي فتح بغداد في ٣٠ مجادي الاولى عام ١٣٣٥ - ٩

اذار سنة ١٩١٧ فسمي الجسر باسمه .

(٢) البلم - والبلم - اللفظة هندية - زودق للعبور والتمرة .

احسها فاذا هي مثال المساواة الاعلى - ~~كلها~~ صغيرة مظلمة باردة عتمة .
فقلت لا حول ولا ، قد يكشف الفطور البلا .

فطارت ثم سألت الخادم عن المواقف فقال انه لا يزال قائماً . فقلت :
التلفون اريد . فقل : فجدته في « المندجستيك » فسددت خطوات اليأس الى
الترل ذي الاسم الجليل ، فلتقت صاحبه في الباب يستشق هوا الصباح ،
فقلت : عندهم تلفون ؟ فقال : نعم .

- وهل تظن ان احداً في قصر الملك يحاويني الآن اذا تسكلمت ؟

- ومع من تريد ان تسكلم ؟ مع امين الكسباني ؟

بهتت حقاً ثم قلت : اسأحر انت ام نبي ؟ فقال : انا من قل سيف^(١)
وامين الكسباني عندي . ثم نادى الخادم وامره ان يداني على غرقته .

كان الباب مفتوحاً اذ لا نوافذ للغرفة غير واحدة تفتح مثل الباب على
الرواق . وكان الامين في ثوب النوم واقفاً امام المرأة يزيم روحه ، وكانت
ذقنه قد ابيضت بالصايون فلما رأي ابيض منه الوجه هكذا ، ووقعت
الموسى من يده . ثم رشقني بالشتائم السوداء .

... متى وصلت ؟ وكيف تصل قبل الوقت المعين ؟ هذه قباحة منك .
تشغل اصحابك بك فيستعدون للقاءك ثم تباغتهم هذه المباغتة . وانت
الاديب المشهور بالذوق والادب .

- ألا تسمح بكلمة ؟

- سأمحك الله . ماذا اقول لمن ناموا باكراً البارح لينهضوا باكراً اليوم
لملاقاتك ؟ القطار وصل قبل الوقت المضروب ؟ يقولون لي : ولماذا لم ينتظروا

(١) قل كيف بلد في الموصل وامله موصوفون بالخلق والنشاط .

في المحطة . واذا قلت : انه رجل مثل قطار شاذ الطبع والسلوك ، فهم لا ينفهون ولا يعذرون .

— ألا تسبح بكلمة ؟

— سأمحك الله . قد خاب ظني بذوقك وادبك .

فقلت وانا لا ازال واقفاً في الباب ، صابراً على ذي السباب : وانت الذي قضيت حياتك في انكسار ، وكنت على العمل في الليل ادأب منك عليه في النهار ، ازعجك الرواح الى المحطة نصف الليل او بعده ، وهب انك علمت ان القطار لا يصل قبل الصبح انما كان يجب عليك ان تمجي الليل ، اكراماً لصاحبك على الأقل ، لا عباً بـ « الهريديج » ثم تخرج ساعة الفجر الى المحطة تستنشق الهواء ؟ الحق يقال يا امين ان سنة في بغداد اورثتك الكسل والحول .

بعد هذه المشاقة تصافحنا وسامنا سلام الاحباب . وجلست اطالع آخر اعداد جريدة « التيسر » الانكليزية التي كانت على الارض .

— نحن علمنا ان القطار تأخر ولكنه من عاداته ان يتأخر اثنتي عشرة ساعة .

— مالنا والقطار . عسى ان يكون حالك احسن من حاله . يظهر انك الفت الظلمة في انكسار فأحييت الاقامة في هذا المنزل وفي مثل هذه الغرفة .

— هذه بغداد ، فنادقها شبيهة بعضها ببعض ، ولا فرق بينها في غير الامماء والاجور .

— أحقاً ما تقول ؟ الا يوجد في هذا المنزل غرفة ترمقها الشمس ولو بلحظة ؟

اجاب الامين متبرماً : هذا احسن نزل في بغداد وقد نجد لك غرفة فيه .

فقلت مصراً على المشاكسة : مثل هذه الغرفة ؟

— افلا تنازل الى مساواتنا ؟

— اذكر ان المساواة اقنومين آخرين هما الحرية والاخاء . وبما اني قد
أخيت النجوم واقترنت ثانية بالحرية في بلاد العرب فسأتنازل عن المساواة
وانام على السطح .

فسبني بالانكليزية ثم بالعربية ثم قال : جرحت ذقتي — الا تحشى الهمد ؟

— اخشى العفونة اكثر من الهمد . اين قصر الملك ؟

— لا قصر بجلالة .

— واين هو نازل ؟

— خارج السرر — خارج المدينة .

— او لا يؤذن لي ان انصب خبتي خارج المدينة ؟ صدقتي يا اخي اني
امرض في مثل هذه الظلمات . قد صرت بدوياً فلا يطيب لي غير القلابة .
أليس عندكم بدو خارج المدينة ازل عندهم — معهم — عليهم ؟ . اذن تورهم .
فقال الامين متهمكماً : ولكنك تتنازل فتزور جلالة الملك اولاً . أليس
كذلك ؟

— طبعاً ، طبعاً . لا تؤاخذني .

فضحك وفرح بغلتي . فأخبرته اذ ذاك بما جرى لي منذ وصولي الى
البصرة حتى وصولي الى محطة بغداد ، فوقى طالي وغفر لي زقاً انساني الواجب .
وصكنت قد علمت وانا في عيالي بالعناية الجراحية التي اجريت بجلالة الملك
واخبرت في الطريق الى العاصمة انها نجحت وان جلالاته قد قاتل الى الشفاء .

— أفلا ينبغي ان اكتب الى جلالاته كتاباً اهنئه بصحته واعلمه بوصولي ؟
سنتكفيك مؤونة الكتابة .

وكان قد أتم صديقي تزيين روحه ، ولم شعث طبعه ، فبادت اليه
السكينة ، ونجلى فيه الحلم والوقار ، فصار اسلم من الماء ، كما يقال ، وألين

من اعطاف النسيم . لم الهاتف في الزل وعاد يقول : ستقابل جلالته اليوم .
فصررت جداً بذلك .

وبعد ساعة ركبنا سيارة اميركية سارت بنا هائجة تثير النقع في شارع
بغداد الجديد ، الطويل المستقيم الوحيد ، الذي يمتد من اول المدينة جنوباً
الى اخرها شمالاً ، وخرجنا من البوابة عند نظارة الدفاع ، فمررنا بشكنة الى
اليمين وواصلنا السير الى طريق الاعطسية حتى وصلنا الى بستان على احدى
حواشيه بيت صغير انبأت المواعين في فناءه يانه بيت فلاح يتنثر عنده الحليب
واللبن . بل هو بيت مدير الزراعة الحظي لجلالة الملك . ثم نزلنا عند بيت
آخر صغير داخل البستان ، شبيه بيوت الـ « اسبستوس » التي كانت تبني في
ايام الحرب بساعة وتنقل من مكان الى مكان ، فاذا هو مفروش بالفرش
الاوروبي ببساطة افصححت عن ذوق لطيف ، وفيه خزانة كتب مملو فوقها
صورة الملك فيصل مع الكاتب الافرنسي الشهير افاطول فرانس ، ومنضدتان
وراء الواحدة منها شاب عصري ، وضاح الحيا ، عالي الجبين ، حسن البزة ،
بادر الى استقبالنا ، وكان في ترجميه مثله في لبسه انيقاً دقيقاً - رسمياً . هو
رستم بك حيدر السكرتير الاول لجلالة الملك ، وصاحب الكتاب الذي
صدرت به هذا الفصل .

شربت القهوة في ديوانه ، وتلمست في محذئي بالرغم عن حجاب الرعفيات
نفساً هادئة كيسة ، وعقلية راقية ، وتمتعت بعدئذ اثناء اقامتي في بغداد بشيء
منها وراء الحجاب ، سأشاركك ايها القارى . به . اما الان فهو الذي عجل ،
شكراً له ، بتحقيق ما جئت من اجله . عمد الى الهاتف على منضدته ثم قال :
سيدنا يقابلكم الآن .

سرنا في ظلال النخيل الى بيت لا يعد في القاهرة او في بيروت فضلاً
ممتازاً . ولكنه مبني على شاطئ دجلة في بستان من النخيل . في جوار الامام

الاعظم ، وقبالة المكان الذي ازدهرت يوماً فيه المدينة المدورة ، مدينة المنصور . دع عنك ذكر المنصور والامام الاعظم . الببت قصر حتى ولو كان مجرداً عن المحاسن الطبيعية والتاريخية والدينية كلها . هو قصر لان ملك العراق الاول مقيم فيه .

حيثما جنديان في الباب ، ثم استقبلنا احد الضباط فدعانا لعرفة فيها طاولة عليها سجل الزائرین ، ثم جاء احد الامناء يدعونا الى الطابق الاعلى فدخلنا ووراءه ردهة للجلوس ، وبعد هنيئة فتح باب افضى في الى غرفة النوم . وكان الاسبوع الثالث من العمالية الجراحية وكنت الاول انذي حاز شرف الاستقبال بعدها .

الامير فيصل بن حسين بن علي بن نسي ، ابن بنت الرسول ، قائد جيش الشمال العربي في الحرب العظمى ، يمثل العرب في مؤتمر فرساي ، حامل لواء الوحدة العربية في اوربا ، حاكم الشام ، ملك سوريا ، ملك العراق ا قد تفتت وانا في نيويورك هذه المراحل الباهرة في ذلك التاريخ ، تاريخه القصير الحيد ، وانا معجب به كل الاعجاب ، مكبراً منه الاعمال والاقوال والمقاصد العالية ، متأسفاً اني لم اجتمع به في باريس او في لندن او في الشام ، محتفظاً بكل شاردة من شوارد الشوق والامل . ثم وفق الله فارتحلت شرقاً الى البلاد العربية فكانت عاصمة العباسيين ، خصوصاً لان فيها بطل احلامي ، نوراً من الانوار المقصودة ، ومحنة من المحجات المنشودة .

لم اشعر وانا داخل الى غرفة النوم ، على ما تقدمها من الرغبات الملكية العربية ، بانني داخل على ملك من ملوك العرب ، هو اكبرهم في اوربا شأنًا واصغرهم في البلاد العربية سنًا . ذلك لان الحيال مني رافق فيصلاً في الحس السنوات الاخيرة فادنا في منه فاحسست تلك الساعة ان وراء الستار صديقاً لي واثقاً في الجهاد الوطني . وما كان الحس ولا التصور خوزناً .

دخلت فإذا بجلالة الملك جالس على الديوان مكشوف الرأس ملتفتاً بعبادته . فوقف وتقدم بإلاقيني وسلم عليّ سلام الأخوان . وكان وجهه الذي شبهه أحد كتاب الافرنج بوجه المسيح أشبه به يومئذٍ على ما اظن منه في الماضي . لأن المرض اكسبه لوناً تحف فيه حدة الحياة وتكاد تضحل ، فيترج امتزاجاً لطيفاً بالنور الناعم الجالس هادئاً في عينيهِ ، ثم جوفه قليلاً تحت العظم الأعلى فصار يظهر ما فوقه اي الجبين اكثر اتساعاً ورفعة ، وما دونه مستطيلاً مسناً . اما في صوته وابتناسه واشراقه فقد كان أشبه بجلالة الملك ابيه .

شكرته على جميل تعطفه في استقبالي يوم وصولي وهو لا يزال في حال النقمة . فقل انه يشاركني في الشوق الى المشاهدة . ثم هنأته بصحته وبعيد جالوسه - السيد الاول للملك العراق الاول - فابتسم ابتسامة فيها بعض الغم وانتقل بالحديث الى رحلتي .

- انها رحلة عجيبة يا امين وسيكون فيها ولا شك فوائد كثيرة للعرب . كنا مرافقين لك معيين بكل ما وصلنا من اخبارك وبما طالعناه في الجرائد . ثم سألتني بعض سوالات عن البلدان التي زرتها وعن امراتها وحكامها . وكان لا يزال الضعف يمنعه عن الافاضة بالحديث .

- احب ان تجهني كل شيء . وسنجتمع في ما بعد اجتماعات عديدة . فاستأذنت بالانصراف فوقف وهو يقول : سنجتمع في ما بعد . ثم اعتذر ، وكان ذلك من جميل التواضع فيه ، عن تقصير في القيام بواجب الاكرام والضيافة .

ولكنه بعد ان خرجت دعا الكسباني فحدثه بكلمة ، فعاد الصديق الي يقول : امش - الى الازل بامر جلالتك . وقد امر ايضاً بسيارة اثناء اقامتك في بغداد .

الفصل الثاني

لا حكومة ولا انتداب

بركان الثورة - الملك في يد الأطباء - سقوط وزارة النقيب - عيد الجلوس غير المألوس - اتحاد الأحزاب - مطالبها - ملحق من النهضة الوطنية العراقية - استبعاد ألف سنة واستبعاد سنة واحدة - وفد الأحزاب في قصر الملك - الخيطة مهدي البشير يخطب في الجمع - رئيس الأمناء يحث على كلامه - وصول المندوب السامي مهشما بعيد الجلوس - الشعب يصيح : ليستط الانتداب ! يسقط الانتداب ! - مطالب زعماء النجف - عريضة العشائر - عزل رئيس الأمناء - الفرق بين السر أوتك ولسون والسر برسي توكس - أطفال الأحزاب الوطنية - نقي الزعماء الوطنيين - الأمة ساكنة ساكنة - وجه الإسلام لا يحشون - تأسيس حزب وطني معتدل - سياسة الملك فيصل - لا حكومة ولا انتداب .

يوم وصلت الى العراق كان بركان السياسة قد انفجر من كل جانب ، فترامت من النجف الحمم ، واستعرت في بغداد النيران ، وتصادت بين الزافدين اللهب والدخان . في ذاك الحين قام الزعماء يطلبون رفض الانتداب ، وانتخاب المجلس النيابي ، وعلان الاستقلال التام ، وتأييد العرش . وسمع بين الاصوات صوت الشاعر الحكيم يقول :

« انا شاعر يعني الوفاق موحد بين الشعوب سبيله الارشاد
ما القوس والاعراب الا كفتا عدل وما الاتواك والاكراة
لم تكفنا هذي المطامع فرقة حتى تفرق بيننا الاحقاد »

وكانت الحركة قد اشتدت قبل عيد الجلوس بأيام قلائل ، فأثرت بصحة الملك وزادت بآلامه التي كانت الزائدة المعوية سببها ، فأشار الأطباء بعملية جراحية فأجلها جلالة الى ما بعد العيد . اما الوطنيون ، المتطرفون منهم وللمعتدلون ، فلم يؤجلوا بما سعوا اليه شيئاً . ويظهر ان صوت الشاعر اثر فيهم يومئذ تأثيراً حسناً فحصلهم على توحيد المطالب والآمال .

وقد كان لحملاتهم ثلاثة اهداف ، ابي الوزارة والحكومة والملك نفسه ، فاستخدموا لها ثلاثة انواع من السلاح سلاح الكلام . صوبوا مدفعيتهم على الوزارة التي كان يرأسها السيد عبدالرحمن النقيب فاستغاثت ، وطاروا بطياراتهم الحطائية فوق دار الانتداب فأزعجت المندوب السامي فبات حائراً لا يدري ما يفعل ، ولا سيما ان الجيوش يومئذ لم تكن تكفي لاتحاد فتنة صغيرة .

اما جلالة الملك فجاءته الوفود يوم العيد ، اول عيد لتاج العراق ، عيد الجلوس - غير - المأموس - يهنئونه ويطلبونه والحكومة المشاركة بأعواد التي سر العام الاول عليها دون ان ينجز شي . منها . وكان في البلاد حزبان سياسيان ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، فاتحدا بعد ان تشافا واجتمعا اجتماعاً خصوصياً في اليوم السابق اميد الجلوس قررا فيه بالاتفاق رفع احتجاج الى « عتاب صاحب الجلالة المعظم » ونقطة الدائرة فيه ان الامة كانت تنتظر بعد التوزيع حكومة دستورية نيابية ، فورت السنة الاولى ، والحكومة لا تعرف ا دستورية هي ام نيابية ام ملكية مطلقة . - ان الامة يا صاحب الجلالة تسكابد انواع الاضرار الناتجة عن سوء الادارة « المتقلب عليها نفوذ البريطانيين المنافي لروح الاستقلال لانهم اتخذوا سياسة التفريق وغيرها من الاعمال غير المشروعة رائداً لهم » . وهذه الوزارة وزارتهم اسقطناها لانها كانت تعامل الاعظم في مناهضة آمال الامة . وبنا ان المجلس النيابي لم يتألف حتى الآن ، وبنا ان خطر الانتداب يهدد استقلال البلاد وحرية العراقيين ، فقد اجتمعت هيئتنا المركز العام للحزب الوطني العراقي والمركز العام لحزب النهضة العراقية وقررنا عرض الحالة على جلالته مسترحين صددز الارادة الملكية في ما يلي :

اولاً - السكت عن الاعمال المار ذكرها لاسيا لندخل البريطاني في الامور الادارية .

ثانياً - تأليف وزارة من ذوي الجدارة المخلصين لكي تطمئن الأمة باصلاح الحال .

ثالثاً - ان لا تعقد اية معاهدة ولا تجري اية مفاوضة بشأنها قبل تأليف المجلس النيابي .

ولم يكتف المركز العام لحزب النهضة العراقية بهذا الاحتجاج وهذه المطالب فأصدر مذكرة خصرية من قلب البرلمان ، فيها لفتات الى الماضي وأثأت ، شككا الحزب سياسة الحكومة التي لم ير الشعب في خلال سنة منها فرقا بينها وبين سياسة الحكومة الاحلالية ، ورفع احتجاجه الى العالم المتسدين ، والى كل من يؤلمه صوت الشعب مهضوم الحقوق ، المنبت من طيات افئدة مليئة بالآلام والاماني . - اننا نحتج على سياسة حكومة بريطانيا الاستعمارية ، وعلى الانتداب وانصاره المقيوتين في البلاد ، في هذه البلاد العراقية التي كانت تستعيد في مثل هذا اليوم من العام الماضي ذكرى المنصور والإشيد والمأمون ، « مؤلمة ان يكون بدءاً للجروح البليغة التي احداثها الاستبداد السنة الماضية في جسمها النحيل . »^(١)

وهذه الأمة ذات الجسم النحيل والقلب المنعم بالآلام والآمال تعيد عيدها السعيد بتتويج جلالة مليكتها وارتقائه عرش العراق الذي « شيد فوق جاجم الشهداء » وتبعث الوفود ليرفوا الى جلالته اصدق عبارات التهنيك والخطباء ليمدحوه انينها وشكواها .

جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب وقد الحزبين المذكورين ومهم جمهور من الانصار احتشدوا في فناء القصر ، فطلب الرعما من الملك

(١) والغريب العجيب ان امة استعبدت الف سنة طالت حية سايمة الخواص المنكرو استبداد سنة واحدة في هذا الزمان ، ولم يسمع لها في الالف سنة مضت لا صوت ولا مدى .

ان يأمر بمن يمثل جلالة لجام الخطيب هناك . فأمر جلالته رئيس الامناء لينوب عنه . فخطب في الجمع خطيب الحزب الوطني العراقي ، الشاعر الضمير الشيخ مهدي البصير ، فبيج في رئيس الامناء الشجون فتصب خطيباً . وحق له الكلام اذ كان الملك انا به عنه وحق له ايضاً ان يهرن على حماسة -- وقيل حاقة -- فيه أنسته انه موظف في البلاط ، وان المندوب السامي لبريطانيا العظمى قادم في تلك الساعة ليهي . جلالة الملك بعيد الجلوس ، وان عليه هو واجب الاستقبال والترحيب . وقد اتفق انه بينما كان حضرة الأستاذ رئيس الامناء يخطب ضد الانتداب اقبل المندوب السامي البحر برسي كوكس ورجال الوكالة البريطانية لاداء التهريك فاستقبلهم الجمع صارخاً : ليستقط الانتداب ! استقط الانكليز !

وكان قد وصل لسعادة المندوب في اليوم السابق برقية من زعماء النجف يؤكدون له فيها انهم لا ينكرون « صداقة حكومة بريطانيا العظمى ، صداقة خالية من المحاباة » ويعلمونه برغائب الامة العراقية « التي لا يمكنها التنازل عنها مهما كلفها الامر » وهي المواد الآتية : أولاً - رفض الانتداب بتماماً وعلان حكومة بريطانيا العظمى بانعائه رسمياً . ثانياً - مراجعة حكومة جلالة ملك العراق لوزارة الخارجية لا لوزير المستعمرات . ثالثاً - رفع تدخل بمثلي اية سلطة اجنبية لان في الامة نفسها الجدارة لادارة شؤونها .

هذا من علماء الشيعة وجلالة الملك يومئذ مهم . الا ان بعض العشائر لبوا الدعوة التي قيل ان دار الانتداب مصدرها ، فاجتمعوا يجتمعون على العلماء ويعطون ولا هم للانكليز . ثم قدموا عريضة بذلك الى المندوب السامي ، فكانت بيده حجة على جلالة الملك . وقد اشار فخامته بان سيعلم العريضة اذا كان الملك يرفض المعاهدة . فلم يكن ينتظر والحال هذه مثل تلك المفاجأة القبيحة في القصر . اما اذا قيل ان من حقوق الشعب - واليوم يومه - ان يفاجي السبايين في اي وقت واي مكان كان فيجب ان يكونوا

متأهين له دائماً ، فمن النادر ان يحدث في البلاط الملكي - في غير وقت الحرب او الثورة - مثل هذا الظاهر الرسمي - رسمي هو بوجود مندوب الملك واشتراكه به - ضد دولة من الدول العظمى . بل هي اهانة اقربها الى بري كركس هادي . البادرة ساكتاً . واظنه سر بها . فقد كان متردداً كما قلت في اتخاذ خطة الشدة لتسبح ما كان ينذر بشوة اخرى في العراق مثل ثورة سنة ١٩٢٠ ، فازالت حادثة البلاط التردد ، وشعلت فيه عزماً كان موضوع ريب الناس .

ولكنه انكليزي واكثر الانكليز في مثل هذا الموقف واحد . فلم يدع السر بري الحادث المؤلم يحول دون واجبه تلك الساعة ، بل دخل على الملك وهناك بعده الاول . ثم اجتمع بعدئذ به فدار بينهما حديث كانت له نتيجتان ، الاولى في البلاط الملكي وهي عزل رئيس الامناء ، والثانية في دار الاعتماد وهي الخطة التي اخذت النيران التي كانت تتصاعد من بركان السياسة المتفجر .

لا ريب ان الاقدار ساعدت السر بري كركس في عمل لم يكن من طبعه ومبادئه . لانه رأياً وخلقاً وسياسة نقيض لسلفه السير آرند ولسون الذي سبب او عجل ثورة ١٩٢٠ فالسر آرند حاد المزاج ، سريع الغضب ، شديد الرأس ، عالي الهمة ، قصير النظر ، يضرب ولا يحسب للمواقف حساباً . والسر بري لين العريكة ، هادي . البادرة ، طويل الالة ، يعالج الامور بالحسنة التي قلما تلجأ الى القوة . على انه ادرك ما في الحادث من الخطر على منصبه اذا كان لا يقف موقف كل انكليزي بل كل انسان اهن رعباً واهينت حكومته وامته . قد يقال ان الملك في عزله رئيس الامناء اعتذر خفياً وصراحة عما بدا . ولكن ذلك لا يكفي . بل قد يزيد الوطنيين شغباً وهياجاً . فاقدم على العمل الذي اقتبله العراق ساكتاً ساكتاً .

قلت ان الاقدار ساعدته في سياسة الشدة ، لان جلالة الملك بعد عيد

الجلوس سلم نفسه الى الاطباء ، وكانت الوزارة قد استقالت فاصبحت الحكومة كلها بيده - خلاله الجو - فاصدر امره باقفال الحزبين ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، وبترقيف جرائدهما ، ثم نفى الى هنجام^(١) الزعماء وفيهم الحاج جعفر ابو الشن وحدي افندي الباججي والشيخ مهدي البصير ، واطار مجتهد السكاظين السيد حسن الصدر والشيخ مهدي الخالصي بتسفير تجليهما ، وهما ، من زعماء النهضة ، الى ايران فعلا دون تردد او احتجاج .

وكان جلالة الملك رهين الاطباء وموضوع الاشاعات المتعددة ، منها اشاعة موته التي ضجت لها العاصمة واتخذها انصار المنفيين ومن تبقى من الاحزاب الوطنية حجة على سكوتهم واخلاقهم الى السكينة . غير انه يستغرب سكوت ثلاث من « حجج الاسلام » المجتهدين وهم : السيد ابو الحسن الاصفهاني والسيد حسن الصدر^(٢) والشيخ مهدي الخالصي ، وقد كانوا

(١) جزيرة في الخليج الفارسي تجاه بندر عباس .

(٢) قد زرت السيد حسن صدر الدين في بيته بالكاظمية فالتقيته رجلاً عظيم الخلق والخلق ، ذا جبين رفيع واضح ، ولحية كثرة بيضاء ، وكلمة نبوية . له عينان عارجرتان فوق خدين عارجرتان . عريض الكتف ، طويل القامة ، مقبول الساعد . وهو يعم بعمامة سوداء كبيرة ويلبس قميصاً مكشوق الصدر رطب الاردان فيظهر ساعده عند الاشارة في الحديث . ما رأيت في رجائي العربية كلها من اعاد الى ذكر الانبياء كما بصورهم التاريخ وبنظم الشعراء والفنانون مثل هذا الرجل السبعي العمالي الكبير . وما اجمل ما يعيش فيه من البساطة والتشف . ظننتني ، وانا داخل الى بيته ، اعبر بيت احد خدامه اليه . وعندما رأيت جالساً على حصير في غرفة ليس فيها غير الخضير وبضعة مساند ، وقد كنت علمت ان لفتواه اكثر من مليوني سبع مئط ، وان ملايين من الرويات تعيشه من المؤمنين في الهند وايران ليسرنا في سبيل البر والاحسان ، وانه مع ذلك يعيش زاغداً متقشفاً ولا يبذل مما يعيشه روية واحدة في غير سبيلها ، اكهرت الرجل ايما اكيار وودت لو ان في رؤسائنا الدينيين الذين يرفلون بالازجوان ، ولا يندرو في اعمالهم غير الاحسان ، بضعة رجال مثله .

حاشية اخرى : قد اعترض العالم النجفي ابو المارس المعتمد على ما جاء في هذه

كلهم من زعماء النهضة واعلامها . على ان بعض العشائر الموالين للعلماء ، ممن لم يعطوا بسكوتهم ، ظنوا يطالبون بسقوط الانتداب ، فسودت الحكومة الانكليزية صقيقتها في ارسالها الطيارات ترمي اكواخهم بالقذائف النارية . وقد كانت في غنى عن ذلك لان من ينادون مع المجتهدين يسكنون اذا هم سكنوا اما اذا نظرنا في الامر نظرة اجمالية فقد اطلع المندوب السامي وان كان قد اخذ في عمله ولو الى حين نار الوطنية التي رأى نفسه بعدئذ في حاجة اليها ليقاوم بها الاتراك ودسائسهم في الموصل وفي بلاد الاكراد . ولكنه في ذاك الحين لم يكن ليفي غير امرين ، عقد المعاهدة الانكليزية العراقية وتأسيس مجلس نيابي يحيزها . وكان متيقناً ان الامر الاول لا يتم الا في ثبات الولاة والموازنة بين دار الانتداب وبيت النقيب . فسمى أولاً في تأسيس حزب سياسي مقتدل دعي بالحزب العراقي الحر يرأسه السيد محمود بن السيد عبدالرحمن النقيب ليكون عوناً للحكومة في انتخاب المجلس . ثم سعى في اعادة الوزارة المستقبة لانجاز المعاهدة . وكان جلالة الملك يؤثر غير النقيب رئيساً ، والمندوب السامي للاسباب التي بسطتها لا ينبغي سواه . وسعى بعدئذ كيف ان تحذل صديق الانكليز الاكبر في العراق بعد توقيع المعاهدة المشهورة . على ان هناك فترة مشرومة مظلمة ، قبل التوقيع وبعد رجوعه الى الرئاسة ، كانت السيادة الانكليزية فيها مشاولة حقيقة ومعنى . فلم يكن في البلاد لا حكومة وطنية تذكر ولا انتداب . ذلك لان الملك فيصلاً عهد بد شفاؤه الى سياسة ازعجت دار الانتداب ، فقبل محولاً برئاسة النقيب ، وظل متمسكاً باهداب احزاب ثلاث ، ووطنية لجأت الى التقية واستشمرت السكون .

الخاتمة من « الملايين » فقال ان مفليدي الصدر « في كفاية مواطن الشبهة لا يفلتون الالوف فضلاً عن الملايين . وان جميع ما ورد من الرويات من اول مره الى يومه هذا لا يبلغ الملايين فضلاً عن الملايين . »
اني من المعجبين بالسيد الصدر وان قلت « ملايينه » .

الفصل الثالث

مآدب القم

حديث الملك - وعبد المستر كفرنجل - المعاهدة - الانتداب - قتل الحكومة
الانكليزية في تنويره فيضل - الشيخ خورن - السيد طالب النقيب - الملك
بن جصاين - الملك محاط بالاعداء - القرليس والترك والعجير وابن سعود -
« ليدافع عن البلاد من يبغي احتلالها » - الكتابة والقر - مآدب ملكية -
حديث العراقيين الانكليزيات - سكوت الملك - احد الاربعة الذين يعطرونهم
في العراق - مآدب في الهويدر - الخاتون - الطيور والازهار وانوار الشمار والملك
الكثير - مآدب الملك المعاصرة - مآدب في التطور والانتداب - رأي السخريز
البلشفي - الشقة والعبادة والطربوش - مصادر القم ومآدبه .

سمعت الانكليز في العراق يقولون : هذا فيضل الذي اقناه ملكاً ينقلب
علينا في السنة الاولى . ولكن للمسئلة وجبة اخرى ، ولجلالته قصة غير قصة
الانكليز قصها علي في المقابلة الثانية .

كان لابساً صباح ذاك اليوم ثوباً مدنياً وسدارة^(١) من لونه . وكان لا
يزال في وجهه اثر من العراء والضعف . بيد انه في حديثه كان شديد الماهجة
صريحها . صوت ناعم فيه قوة اليقين ، وعين شهلاء يضطرم احباً نورها
المهادي . ولا يروع .

- يطلبون مني عقد المعاهدة وفيها نص صريح على الانتداب . وفي بعض
مرادعها غرض ، فتجمل التفاسير العديدة ، فيفسرها القوي في المستقبل لتوافق
مصلحته وسياسته . وهذا لا يجوز . هذا غير ما عاهدوني عليه في لندن . قد
صارحتهم هناك كما اصارحك الآن . قلت للمستر تشرشل اني لا اقبل ان
اصكون ملكاً على العراق الا بشرطين اوليين ، وهما استقلال البلاد والعلم

(١) السدارة قبعة ينسجها بجلالته ومتوظفو البلاط وهي شبيهة بالسبعة وقد اجردت
من حرقتها ، تختلف لوناً لتلائم الثوب تحتها ولا تختلف شكلاً .

الانتداب . فقبل المستر تشرشل بذلك ، ووعدني وعداً أيده بكلمة الشرف . وهو ان الحكومة الانكليزية تعترف باستقلال العراق وتساعد العراقيين بتأسيس حكومة وطنية ذات سيادة تامة وتلقي الانتداب . كل ذلك في مقابلة معاهدة نمقدها والحكومة البريطانية تضمن لها الحق ان يكون المستشارون والاختصاصيون في حكومة العراق من الانكليزية فقط وتضمن لها ايضاً بعض الحقوق في اقتصاديات البلاد وعلم اليوم يقولون اني انقلبت عليهم . وليس في ما اقول والفعل غير الثبات على العهد والولاء . هذا وعد المستر تشرشل . كلمة شرف بالغاء الانتداب . والآن يا اخي امين نجبيني حكومته بماهدة قبتدي . بذكر الانتداب وعصبة الامم ثم تكرار هذه الاقاظ في اكثر مرادها . لا والله . لا ارفعها ولا آذن بتوقيعها . ولا تتألف وزارة جديدة^(١) قبل ان يجيوني بنحلة صريحة وكلمة صريحة بانهم سيهون بالوعد .

هب ان هناك سوء تفاهم او ان المستر تشرشل وعد وعداً حالت بعد ذلك السياسة الانكليزية دون تنفيذه ، فوقف الملك فيصل مع ذلك لا يقدر به واكثر العراقيين يرفضون الانتداب ويمقتونه . فهل يلام يا ترى اذا فضل ان يكون ملك العراق على ان يكون فلاحاً مأور الانتداب وفوق يده يد المندوب السامي ؟ ولكن هناك امراً آخر لا يتناحى عنه من أحب العدل والانصاف . ان فضل الحكومة الانكليزية في تنويع الملك فيصل يوازي في الاقل فضل العراقيين الذين بايعوه . فقد كان في البلاد يوم وصوله الى العراق وقبله عدد من طلاب الملك منهم الشيخ خزعل خان حاكم عربستان فانسحب بايعاز من الانكليزية . ومنهم ذاك الداهية العراقي بلهوان الامة السيد طالب النقيب الذي كان يطوف البلاد يومئذ بصفته وزير الداخلية ساعياً في سبيل المجيد الواهاج ، طالباً العرش والتاج ، فتمتعبه الانكليزية والقوا القبض عليه بجيلة لا تليق بهم واجلوه عن البلاد . وكان نقيب بغداد السيد

(١) كانت حكومة الانتداب تحاول يومئذ اعادة تأليف وزارة للنقيب .

عبدالرحمن عنهم الاكبر على ابن نقيب الموصل السيد طالب . لذلك قيل ان النقيب كان النصير الاعظم فيحصل . وهناك الامير عبدالله الذي كان يؤثره العراقيون على اخيه . اما طريقة الانتخاب فيسكنني ان اقول ان الموظفين السياسيين في الالوية كانوا يديرونها .

ليس الملك فيصل من ينكرون الجميل . ولكنه بين جميلين ، هما أحرق من فارين ، جميل من سعى في سبيله وجميل من بايعه . وفي الاثنين مبدآن لا يخطأ من يروم الحقيقة الوطنية في تفضيل مبدأ من بايع منها على مبدأ من سعى . على انه من الخطأ ان يعادي الملك الانكليزي او ان تعادي الامة العراقية الحكومة البريطانية . قال جلالتة بصراحة لا صراحة بعدها : - تراني اليوم محاطاً بالاعداء ولا صديق لي غير الانكليزي . فمن اين لي بحليف لو شئت المحافاة . في الغرب في سوريا الافرنسيون وهم اعدائي . وفي الشمال الازراك وهم يسكروهم نني . وفي الشرق الاكراد وقد تفلتوا من يدي . والعجم وهم يدسون الدسائس بواسطة الشيعة على حكومتي . وفي الجنوب ابن سعود وهو دائماً يهددنا بالاحزان . من لي اذاً غير الانكليزي ؟ وهل يعقل اني انقلب عليهم ؟ بل هم المنقلبون يا اخي امين ، هم يعدون الوعود ولا يهرون بها .

عاد جلالتة الى وعد المستر كشرشل فذكرني بحاللة ابيه يوم كان يضرب لي الامثال ويرمز بالرموز ليهذهن على انه من النادر ان يجد المرء من يفوق الانكليزي في المروعة والتلون ونقض العهود . - يطلبون مني التصديق على معاهدة لا تمكنتني من تأسيس حكومة ثابتة قوية . - والحقيقة انه لو عقدنا هذه المعاهدة يستحيل علينا القيام بها ترانا الان نعجز عن تأسيس جيش وطني لان العراقيين لا يلبون النداء ، لا لان الوطنية فيهم ضعيفة . لا . لا . ولكنهم يقولون : اذا كان الانكليزي ينوون احتلال البلاد تحت طهي الانتداب فليدافعوا هم عنها ، أو لا ترى الحق يا اخي في هذا القول ؟

كان يتكلم جلالاته بصوت هادي . وكان النور في عينيه ساكناً . مع ذلك كنت ارى في انامه دليل الاضطراب اذ كان يخرج الحاتم من بصره فيأعب به كأنه سبعة ثم يعيده اليه . وعندما كان يتكلم عن محيطه من الاعداء رفع السدادة عن رأسه ووضعها على الديوان . فانار جبينه العالي وجهه فة ادى فيه شيء من الحسن جليل ، ولا سيما ان لونه الحنطي كان لا يزال مائلاً الى الاصفرار . ان في الملك فيصل حسناً جذاباً ، وان في حديثه لجة بليغة مقنعة . ولكن الغم الذي يكمن في قلبه يظهر مراراً في طرفي فمه وفي ابتسامه .

اني اعتقد ان في الملك فيصل مزية روحية تجذب اليه المثل الاعلى في الحياة . على انه وان كان ملكاً يرى نفسه في هذا المضمار مثل كل من تعيش الكلالات ، وسمى اليها جاداً ، فراها كقوس قزح بعيدة دائماً عنه . وهذا في نظري احد اسباب الغم ، وفي جلالته الدائم ، وان توارى احياناً عن الابصار . هو الغم الروحي الذي يتضاعف في عاو المناصب وخطورتها فيكون في الملوك ، وان تدر ، اشد منه في غير الناس .

قد كثرت بمقابلة الملك فيحل ومجاملته ومحادثته في احوال شتى ، رسمياً وغير رسمي ، في البلاط وخارج البلاط ، على المائدة الملكية والى العياط البيتي ، فلم اراه مرة وحده ناعم البال مطمئناً . بل كان الغم مثل الظل في اذار يظهر في مجلسه ويختفي اذا تكلم واذا سكوت .

دُعيت الى مأدبة اعدّها في القصر وكان جالساً اليها في صفين متقابلين عشرون من كبار موظفي الحكومة العراقية والوجها . وعشرون من رجال حكومة الانتداب وبعض حريمهم . وكان جلالاته جالساً في الوسط والى يمينه قربنة المندوب السامي اللادي كوكس والى شماله القائد العام للجيش الانكليزي في العراق . وكان قبالة الملك اخوه الامير زيد والى يمين الامير

المنذوب السامي والى شماله آية النساء في العراق وشعبة سياسته الخاطون جرتود بل . وكان بيني وبين المنذوب السامي سيدة انكليزية ، وقبلاتي سيدة اخرى ، فعلت من الواحدة انها حزينة جداً لانها تحب الموسيقى ولا تستطيع ان تقتني « بيانو » في بغداد ، واخبرتني الاخرى بان زوجها ، وهو احد المستشارين ، لانه لا يهبه الازياء ولا قراءة الروايات . وكان القائد العام يحدث جارتها بما صدر حديثاً من الروايات في لندن . ثم سمعت السر برسي كوكس ، وهو من غزاة الصيد وله المام بعلم الحيوان ، يسأل ما اسم ال Badger في اللغة العربية . فساح السؤال حول المائدة شرقاً وغرباً ، جنوباً وشمالاً ، وعاد الى فضامة المنذوب خائب الامل .

اما جلالة الملك فكان اثناء المأدبة ، منذ قدم الحساء الى ان جاء الحُدم بالقهوة ، صورة من صور اليأس الحزينة ، وقد احاط نفسه بسيدة لا تحسن العربية وبقائد قائم الحيين لا يحسن لا العربية ولا الافرنسية .

قد رأيت غير مرة يتشاب وما سمعته والمنذوب السامي يتحدثان ولو عن الطقس . ولقد اشم ذلك الانكليزي . فلا اظنهم ما عدا المس بل احسوا بواجب في مثل هذا المقام تفرضه عليهم في الاقل اداب المائدة فلا يتحدثون بامور خصوصية لا تبهم جلالة الملك . ولا تهتم المدعوين من الوطنيين . فقد رأيت حتى جعفر باشا ، وهو يحسن الانكليزية ، يجتهد في محادثة جارته التي ائت ان تخرج من موضوع الرواية الانكليزية الاخيرة ، وماذا يهم العراقيين بل الشرقيين ياترى من رواية انكليزية تبحث في احوال اجتماعية محلية وقتية في قرية من قرى انكلترا ؟

اما جاري الآخر مجيد بك الشاوي ، وهو احد الاربعة الذين يكفرونهم في العراق^(١) والرجل الوحيد الذي تجاسر ان يلبي الدعوة الملكية في ثوب

(١) الثلاثة الآخرون هم : جليل صدقي الزهاوي ومعرف الرصافي وكاظم الدجيلي . وسنجي . الكلام عليهم ولهم .

عادي ، فلم يكن لهم بحديث الخواتين والمستشارين . بل كان يحسو
الشبانيا الكأس تلو الكأس ، ويضحك انكسارات جاره سكرته مجلس
النظار السيد حسين افنان . وقد كان لجيد بك فضل على جلالة الملك تلك
الليلة لانه في سواكه فتح باباً للمجور . كان واقفاً عند الداع الى جنبي فقال
له الملك وهو يشير الى شربه الخمر . شفتك والله شفتك . فجاب الشاوي
وهو يشير الي . لم ادرك وجه الشبه في ذاك الحين - هذا صديقي لانه صديق
المعري . ونحن يا مولانا لا نعرف غير المعري والحلبي . فضحك الملك فيصل
وكانت ضحكته الاولى في تلك الليلة الحافلة بسكبار العراقيين والانكليز
المشعشة بنياشين الوزراء وحلي الخواتين .

اني اذكر مأدبة اخرى خارج القصر وخارج المدينة ، مأدبة ويوماً في
البساتين وفي منزل عن الرصميات الغربية . هناك في شرقي بغداد على نهر دياالى
فاحية بعقوبة وهي جنة العراق الشمالي ، وبالتقرب من بعقوبة نالدة على شاطئ
النهر تدعى الهويدر ، فيها ملاك كريم هو فقري بك آل حميل دعا جلالة
الملك وحاشيته لقضاء يوم في ضيافته . ودعا ايضاً بعض الانكليز ، منهم المس
بل والمستر كورنواليس مستشار الداخلية ، وصديقهم السيد محمود ابن النقيب .

نُصب المرادق بين اشجار اللبسون والرمال ، وفُرش الطريق اليه
بالسجاد ، ومدت المساندة تحمى التخليل المزين بالذهب والياقوت من الشمس ،
وكان الهواء منعماً بطيب الرياحين والازهار ، والطيور تغرد على الافنان وفي
مخبات الادغال ، والسكرور مثقلة بافخر العنب المتعدد الانواع والالوان ،
والمس بل تروح وتجيء حاملة غصناً من الرمان او عنقوداً كبيراً من العنب
فتقدمه جاثية لجلالة الملك .

وجلالة الملك - لله من غم يأبى الحصر في القصور ، فوافق صاحبه الى
البساتين في اجمل بقعة من ارض الله . لله من غم يحلوس فوق العرش ويلصق

بصاحب العرش حيثما حل وجال . لله من غم لا يحترم حتى الانكليز ، وقد يكون له في الانكليز ما يرويه ويفذيه . اظن ان المس بل كانت تدرك ذلك فتحاول بالها من فصاحة ولطافة ان تحفف وطأته ، وتبدد في الاقل ظلاله من بساتين آل جميل في ذلك اليوم الجميل . ولكنها وأسفاه لم تغلج . وقد تكون في ما اسرفت زادت الظلال قتاماً .

جلس الملك في الحيمة بعد ان جال في البستان يلعب بسبخته ويدخن السيكارة تلو السيكارة . وكان التعب بادياً في وجهه والحديث لا يجي . الا تكلفاً واجتهاداً . هي السياسة وهموم العرش . اضف اليها همأ جديداً جاء من الشمال . فقد كان لانتصار مصطفى كمال وقع في العراق لم يسر الملك ولا الحكومة . وكان بعض الموظفين في الموصل يفاوضون بطل الترك في الاناضول . وهؤلاء الانكليز لا يدعون جلالاته ساعة وحده ، يلزمونه كالظل في كل مكان . هذا الحكمة في ساو كههم وفي سلوك الوطنيين الذين يظنون ان المآدب لا تم دون ان يدعى اليها احد من دار الانتداب . ان الملك فضلاً لا قرب ملوك العالم اليوم الى الديمقراطية ، الامر الذي لا يروق على ما اظن الانكليز الشغفين بابهة الملك . وقد يضر بجلالاته سلوك لم يتعوده الموظف الانكليزي فيلسي . فهمه او يعتمد الاساءة . لا احد ينكر ان يوماً في البساتين جدير بان يكون عدو الرميات . فلا بأس اذا جلس الملك على الديوان ، وهو في ثوب قائد الجيش العراقي ، ورفع خوذته . ولكن الموظف في الحكومة الذي يجلس قبائته على كرسي ويدرجليه ، كما لو كان في بيته ، ولا يفرغ قبعته عن رأسه ، يسيء الادب ويتهن حرمة التاج . لا اظن ان موظفاً انكليزياً مهماً لا منصبه يجلس كذلك في حضرة جلالة ملك بريطانيا العظمى . والملك فيصل دقيق الشعور شديد الحس ، لا يستطيع ان يقول الكلمة التي تؤلم او تسيء . ولا يتبسط في الحديث ويحيد اذا كان في حضرته من لا يرتاح اليه . خصوصاً اذا كانت

بجاسده كلها مثل التي حضرت خالية من الذكاء الحر او من الحرية
المتشردة - البدوية .

اجل ان الملك فيصلاً في حاجة في بلاطه وفي مجالسه غير الرسمية الى
من يحسن النكتة ، الى ظريف خفيف الروح ، الى نديم رمحي . قد عرفت
اكثر من في القصر وما عرفت فيهم من يستطيع ان يقوم بهذه الوظيفة المهمة .

كنا ذات ايلة جالسين الى مائدة الخوصية ولم يكن غجري وفاجي
بك السويدي وحسين افغان من خارج البلاط فسألني جلالتهم سؤالا ادهشي
لاول وهلة ، والسكتي علمت انه كثيراً ما يباحث وكتاباً سره الفيلسوفان
بمثل هذه المواضيع . قال جلالتهم : ما رأيك يا امين في التطور وفي الثورة ؟
اتعتقد ان عوامل العمران والتبدل الحقيقية هي اصح في التطور او
في الانقلاب ؟ فقلت : اني ممن يمتقدون بالنشؤ والارتقاء في الطبيعة وفي
الاجتماع ، وان التطور معراج الانقلاب الحقيقي المفيد الثابت ، وان الطفرة
محال ، وان الثورات دائماً رد فعل يعود بالناس الى ما كانوا فيه ، وغيرها في
هذا الباب .

فما رضني كاتب سر جلالتهم رستم خيدر ، وهو شيعي سوري ممن
بعلبك ، فشرع يتكلم بالثورات والانقلابات في السياسة وفي الدين كأنه
دنشون او كأنه لوتيجوس . النشؤ بطي . التطور ضرب من الباردة .
والامة التي تنتظر وتشوكل عليه تفقد مثل الامة الانكليزية كثيراً من مزايا
النفس الجميلة التي تظهر في الفنون والاجتماعات .

حانت مني اذ ذاك التفاتة الى الفيلسوف الاخر في الديوان الملكي ،
الى ذاك الانكليزي في خلقه وعقله ، العربي في قلبه وشعره ، الى امين
الكسباني فرأيت به رفيع مجابيه وبهر برأسه ، ثم سمعته يقول مخاطباً الملك :
رستم ياسيدنا بلشيفي في آرائه .

فقال حسين افنان : والحمد لله انه كذلك في ارائه فقط . فضحك جلالاته ضحكة كانت الاولى والاخيرة تلك الليلة . ثم سألتني سؤالا آخر ظننته مضحكاً ولكنه لم يضحك احداً .

— ما رأيك يا امين في العمامة والهرنيطة . واي شكل تظنه يصلح لنا في العراق ؟

فقلت : ان العرب في تهامة وفي اليمن يلبسون الشبقة اي الهرنيطة وهي صنع ايديهم ليقوا رؤوسهم حر الشمس . وهم عرب منسلون . فما ضر العرب في الاقطار العربية الاخرى وخصوصاً في التي يشتد فيها الحر مثل العراق لو اقتدوا بهم ؟

وكان ما قلت بخصوص الشبقة في اليمن جديداً عند كل الحضور ما عدا جلالاته لانه قاد مرة حملة على الادريسي في تهامة . ولو علم بتلك الشبقات الكبيرة المصنوعة من القش . فدار الحديث على الخوذة وقبعة البلاط ، السدارة ، والطربوش ، ولم يحى احد بكلمة تضحك اثناء البعث على اننا عندما صعدنا من غرفة المائدة الى ردهة الاستقبال وجلس الملك ورستم والسويدي والكسباني الى طاولة صغيرة يلعبون الهريديج وتخرجت والباقون الى الرواق فاصبنا هناك افنان نكات وددت من اجل جلالاته لو انه احبنا بعضها على المائدة .

لا اظن ان ما يسود الملك فيصلاً من النعم ناتج عن همومه الحاضرة فقط . لا اظن ان تاج العراق وحده مصدر تلك الابتسامة الناعمة المحزنة وذاك السكوت الذي يسبق الكلام الى القلوب . ان فيصلاً ، في ما لمع من نجم سعده وهوى في السبع السنوات الاخيرة ، ابن الاحراء القليل عددهم في العالم اليوم . فقد دانت له ساعة قصيرة من الزمان ، فظلمته الحوادث في تسابقها حوله وعليه ، فلم يتمكن اسرعها وتمدها من الانتفاع بها .

هوذا امير عربي كرم في داقرة خضراء من الشهرة، حولها دائرة حمراء من السياسة الوطنية، يارحها اصفرار من دسائس السياسة الدواية. وهذه لعربي حقيقة آدب النعم - مادية الشهرة التي يتلوها وجع الرأس، ومأدبة النصر في الحرب يتلوها فشل السياسة، ومأدبة الكرم العربي الممدودة فوق ضريح المطامع العربية.

اما وقد اشترت الى اسباب النعم في جلالة الملك، فينبغي لي، وانا من المعجبين بالبيت الهاشمي الذي نصر الاحلاف وجند الوقا من العرب على الاتراك والالمان في الحرب العظمى، ومن المحزونين لانه لم يقز بكل مسا كان يفيه ويحارب من اجله، ومن الطالبين للحقيقة قبل كل شيء، فينبغي لي ان اعيد النظر في تلك الحوادث التي كان الامير فيصل قطب دائرتها. هي جزء من سيرة حياته التي اصبحت جزءاً من التاريخ العام.

الفصل الرابع

الامير فيصل في الحرب

مختصر ترجمته حتى سنة ١٩١٦ - مع انور وجمال في المدينة - رجوعه الى الشام -
- العنبر والحياة والشجاعة - قائده جيش الشمال - مصادر التاريخية - تعامله كاتيب
افريسي على العربان - شهادة التاريخية - اعتراف العرب لغيرهم بالفضل - الكونسل
لورانس والعرب - الجيش النظامي - الزحف شمالاً - سقوط العقبة - شهادة
الجنرال آتشي بنجل العرب - جيش فيصل يتصل بجيش الجنرال آتشي - حرس
الأتراك في اللؤلؤ وفي البحر الميت - الزحف على الكرك - اعانة متكوني الارمن هناك .

عندما زار انور باشا المدينة المنورة في طلائع سنة ١٩١٦ سافر في معيته
من سوريا وفد من علماء وفيهم شاب عربي يناهز الثالثة والثلاثين من العمر
خصه رئيس الوفد الشيخ اسعد الشقيري بالذكر لدى الوزير قائلاً : بما
يثبت لكم تفاني الموحدين ومكانتكم في قلوبهم انه بمناسبة هذه الزيارة
وجد في معيتكم من آل الرسول صلى الله عليه وسلم الامير فيصل نجل امير
مكة المكرمة^(١) .

(١) هو فيصل ثالث اجداد الملك حسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون بن
عمر بن عبد الله بن حسن بن محمد المعروف بابي نجي المنصل نسبة بالحسن ابن الامام
علي بن ابي طالب . ولد في الطائف سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م فارسله والده محملاً بتقليد
عائلي قديم للرضاع في احدى العائلات المجاورة فشا في الفلاة بينهم وعلى طريقهم .
ثم اخذه والده مع اخوته الى الاسنانة فقرأ هناك على اساتذة خصوصيين العربية
والتركية وبعض العلوم . ولما عاد والده الى الحجاز سنة ١٩٠٩ عاد معه ونقلب في
مناصب الحكومة ، وتطوع مرات بصفة جندي بسيط لقتال العصابات المنسردة ، ورافق
اخاه الامير عبد الله في الحملة الاولى سنة ١٩١١ على الثائرين في عسير . ثم انتدبه
والده ١٩١٣ لقيادة الحملة الثانية على الادريسي حليف ايطاليا على الترك لظفر بالفتنة
التي دخلت يدان في ملك الحجاز . وبعد عقود الصلح مع ايطاليا انتخب مبعوثاً عن
مدينة جدة فذهب الى الاسنانة وظل فيها الى ابتداء الحرب العظمى ، فعاد الى مكة .
ولم يزل عليه الوقت حتى كثر راجعاً الى الاسنانة للاطلاع على نيات الاتراك نحو

وكان الانكليز قد باشروا باسم الاحلاف مفاوضة امير مكة يومئذ ، الملك حسين اليوم ، لينهض بالرب على الاتراك^(١) فيمث جلالة يعتذر لانور على عدم تمكنه من زيارته في المدينة المنورة ، وارسل سيفين مرصعين بالحجارة الكريمة هدية منه اليه والى رفيقه جمال باشا .

وبينا كانت تقام الحفلات في المدينة لدولتي « الانور والجمال » وكان الوزراء الوردان ، وقد ظهر في مظهر الدين وترديا بردها اليقين ، يقرمان بالمراسم الدينية ويرددان الصلوات ، ويجلسان كالتلاميذ في حضرة العلماء ومشايخ الطرق وهم يتكلمون في علم الجهاد ويقرون الآيات التي لها تعاقب بالعلوم الطوبى^(٢) كان الامير فيصل بك ملازماً لها مشاركاً في كل مظهر من مظاهر الحفاوة والاكرام . ولكنه لم يكن يستوقف الانظار اذ كان ظله الصغير يومئذ يضيع بين ظلي بطلين من أبطال المائتين - وهادمي ملكهم .

بعد ثلاثة اشهر من هذه الزيارة المباركة كان فيصل ايضاً من المشتغلين في التهديم . ولم يكن ليخطر في بال الوزيرين او احد من حاشيتهما انه سيكون كذلك ، وانه سيبدأ في البلد الطيب الذي هم فيه فيهدم الركن العربي من ملك بني عثمان . اما ان الامر كان يحول في صدر الامير نفسه فما يحتمل الرب . لانه لو ادرك ان اباه سينفر قريباً في النفير لما كان رافق الوزيرين في

العرب ولما بهم . ثم استفدعه والده الى مكة للمفاوضة بشؤون البلاد العربية ، وافقوه بعدئذ الى دمشق ليسأل جمال باشا الرافق بالعرب ، فاقام هناك بقية سنة ١٩١٥ وكان الصلة بين جلالة ابيه وجمال فيما يخص بتجهيد جيش عربي يزحف مع الجيش التركي على ثمة السويس . وقدم يومئذ انور باشا من الاسنانة فرافقه - ها قد وصلنا الى بداية هذا الفصل - الى المدينة .

(١) راجع الفصل السابع من القسم الاول صفحة ٦٧ : الجزء الاول .

(٢) كقولهم تعالى : ولعدوا لهم ما استطعتم من قوة . وقوله : ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . وقوله : لا يقاتلونكم جميعاً الا في قري محصنة او من وراء جدر .

عودتها الى الشام ، وكاد يقع هناك في قبضة جمال اولا حيلة دبرها ابوه^(١).

عاد الامير فيصل من الشام في صيف تلك السنة باربعة الاف هندقية وعشرة الاف ليرة ليجهز حملة من العرب تشترك في الزحف مع الترك والامان على ترعة السويس . فلما وصل الى المدينة سمع النفيذ يستنفر من ظلال الكعبة القبائل لمحاربة الاتراك اعداء العرب والاسلام ، فاطاع طبعاً اباه الذي كان قد بدأ بتأليف جيش من القبائل تحت قيادة نجله الامير عبدالله فانظم الامير فيصل في هذا الجيش . ثم أسندت اليه قيادة جيش الشمال المشهور . فباشـر عمله في حصار المدينة ونخرب قسم من سكة الحديد قرب الملا ليؤخر في الاقل وصول التعينات من الشام الى العدو .

وصلت اخبار النهضة الى سوريا فرددت صداها الاستانة . ولكن اولياء الامر هناك لم يهتموا في البدء لها^(٢) فادركوا خطأهم عندما صدرت الاوامر بالزحف ثانية على ترعة السويس ، اذ وجدوا العرب الذين كانوا قد انكسروا عليهم يحاربون مع الاحلاف . بيد انهم لم يأتوا في بداية الامر بعمل في الشمال يذكر . اي انهم لم يؤثروا سلباً ولا ايجاباً في حملة السويس الثانية .

الي في كتابة هذه النبعة ارجع الى اربعة مصادر طالباً الحقيقة المحردة من الاهواء والتعصب . ومع ذلك اراني في بعض الاحايين حائراً بين الشهود الاربعة . هذا بينا لمع ، وذلك يحامل ، وواحد يزيّف الاعمال ، وآخر يزخر فيها .

(١) راجع الجزء الاول صفحة ٦٨

(٢) دليل ذلك ما جاء في تقرير اركان الحرب السابعة في الاستانة المؤرخ في ٢٥ ث ١ سنة ١٩١٦ اي بعد اعلان الثورة باربعة اشهر : « قد حل العرب على الاتراك في خط طول ستون كيلو متراً جنوباً بغرب من المدينة . والثورة عند برعة توجب الاعناء فلا يجب ان تصدق الاخبار التي نصورها لنا انها حركة بسيطة لا اعباء لها . خمس سنوات في تركية تأليف ليمان فن سندرس صفحة ١٦٥ Cinq Ans en Turquie, par Liman von Sanders, Payot, Paris. P. 165

فقد جاء في كتاب افرنسي طبع في السنة الماضية في باريس^(١) ان الفضل كل الفضل في انتصار العرب في شرقي الاردن هو لشرذمة من الجنود الانكليزية وطاير من الفرنسيين الابل . وقد قال المؤرخ الانكليزي : ان العرب في الحرب خفيفو الحرس ، سريعون ، مرنون ، لا يحملون الثقل من العدة . وهم في القتال شجعان اشداء^(٢) اما شهادة العرب انفسهم فاسجل منها ما فيه الاعتراف بفضل غيرهم . فقد اجمع من حدثهم ممن شاركوا في تلك الحملة وهو الأمير فيصل في مقدمتهم ، على ان الفضل الجهم في جمع شمل العربان في بداية النهضة والتأليف بينهم انما هو لشباب انكليزي يحسن اللغة العربية كأهلها ويحسن كذلك التغلف دون تكلف باخلاقهم ، هو الكرنل لودنس . وقد اخبرني بعض من حاربوا تحت قيادة الأمير زيد انه لم يكن أيام جنوده مرة بالهجوم الا وكان هو في الصف الاول . فاذا فات ذلك الكونت دي غنطو يرون المتعامل على العرب والانكليز تحاملاً لا يليق بافونسي كرسيم ، فكيف يفوته ذكر الكرنل لودنس ولو بكلمة في كتابه ؟

اني اسجل الحقيقة كلها ، فلا انسى من له الفضل الاكبر في نجاح النهضة ، وهو « الحيال » الانكليزي ، الذي ابي دعوته كثيرون من العربان وفيهم من عشار القاصم ونجد . قد ينكر جلالة الملك حسين ان احداً من نجد اشترك في جهاد الاتراك ولكي اجتمعت ببعض اولئك المشطوعين فاخبروني بصراحة عرف العربي بها انهم كانوا مجاديين اولاً مع الاتراك فواد الملك حسين الاتب فافجأوا اليه .

(١) « كيف انتشرت فرنسا في سوريا » صفحة ٥٤ Comment la France s'est installée en Syrie, par Comte R. de Gontaut-Biron, Paris. Librairie Plon 1923

(٢) تاريخ الحرب لبريدة التيسى الانكليزية الفصل ٢٤٨ الذي عنوانه نصرة العرب The Times History of the War, Chapter CXLVIII, The Arab Uprising.

وما كان امراء العرب انفسهم ايركنوا دائماً الى البدو . فقد قال الامير علي الذي كان في المدينة عندما وصل فيصل اليها ، فاشتركا في حصارها ، انه لم يتمكن بادى ذي بدء من عمل كبير لان البدو لم يلبوه دائماً ولم يثبثوا اذا كانوا ملينين . وكذلك الامير فيصل الذي حاول متابعة الهجوم بعد تحريض سكة الحديد عند العلا ، فخرج الاتراك من حصونهم في شهر آب وحدث بينهم وبين العرب قتال خارج المدينة خسر فيه الامير خمسة من رجاله وخسر الاتراك ضعف هذا العدد ، فادوا الى المدينة واتفقوا يضطهدون اشياح الشريف من اهليها ويشكلون بهم . على ان الامير لم يتمكن من متابعة ما عنده نصراً في تلك الواقعة لان قواته لم تكن منظمة . وبالأحرى لان قواته كانت لا تزال من العربان الذين لا يأترون بغير اوامر شيوخهم وينفرون من التنظيم .

اما اندحار الاتراك في مسكة فقد اثر تأثيراً عظيماً في قوى العدو المادية والمعنوية . فتوقف جمال باشا عن شتى الاحرار في سوريا ، واسر انور قائد الحامية في المدينة ان يدافع عنها حتى الموت ، وتضاعفت الحامية في معان الاحتفاظ بخط الحديد ، واستؤنفت المواصلات بين الشام والمدينة بالرفع عما خرب به العرب من الخط قرب العلا .

كذلك اوقف الاتراك الامير فيصلاً ، فانخذ انفسه مقراً حربياً بين العلا وينبع ، ولث ينتظر انشاء جيش نظامي يدير جيوش البدو . اذ ان الانكليز كانوا قد اسروا كثيرين من العرب وضباطهم الذين حاربوا في صفوف الاتراك ، فجاؤوا بهم الى مصر حيث بدأ التجنيد لجيش العرب الشمالي . كان اكثر الاسراء من العراق وسوريا وفلسطين فلبوا مهلين دعوة الشريف حسين ، وفيهم من الضباط الذين اشتهروا بمدد في ساحات القتال مثل جعفر رجودت ونوري السعيد وغيرهم . بيد ان تنظيم هذا الجيش لم يتم حتى اوائل سنة

١٩١٧ ، فلما ظهر في الحجاز ازداد عدد الفارين من جيوش الاتراك^(١) المنضين الى جيوش العرب .

من انكر فضل الملك حسين والمجاهد في النهضة لا يستطيع اذا كان منصفاً ان ينكر فائدتين في الاقل فيها ، فائدة الاحلاف وخصوصاً الانكليز^(٢) وفائدة لعرب سوريا وفلسطين الذين اثرت فيهم مظالم جمال كوامن الضيقة والغضب ، فوجدوا في صاحب النهضة الاكبر زعيماً يتبعون ، وقطب نار فيثأرون ، ومحط رحال آمال يحققون .

جاءوا كما تقدم من مصر يقود قسماً منهم الأمير لواء السيد علي باشا فانضموا الى جيش الأمير فيصل الذي شرع يوحف شاماً في شتاء تلك السنة حتى وصل الى حدود بادية الشام . وكان الأمير علي مشتغلاً في ضرب مراكز الاتراك العديدة على جانبي سكة الحديد ، فصلى بذلك مؤخر جيش اخيه الذي استولى في زحفه على خط مسافته ستون ميلاً يمتد من البصر الى معان . اما اكليل انتصارات العرب في هذه السنة فهو سقوط العقبة ودخول الأمير اليها في ٦ تموز . ولم يكن ذلك ابداً لولا تأثيره الحسن في حركة الجنود الانكليزية في هجومهم على غزة وبيرو السبع .

كان الجنرال ألبي قد استلم قيادة الجيش ، فاعترف بفضل العرب

(١) « قد كانت خسائر الاتراك في هذه الوقعة (وقعة غزة الثانية) ٣٩١ من القتلى و١٣٣٦ من الجرحى و٢٤٢ من الفارين » .

ليسون فن سندرس في كتابه (خمس سنوات في تركية) صفحة ١٩٦

(٢) « بعد دخول العرب في الحرب بدأ الانكليز في الرجف على بادية سيناء »
ليسون فن سندرس صفحة ١٧١

(X) وفي الهجوم على مراكز البدو في العراق . فبدأت وقعة غزة الثانية في ٢٦ آذار ١٩١٧ وانسحرت الى ٣١ نيسان ، وحدث في العراق قتال عنيف في ٢٢ نيسان انكسر فيه الاتراك ونهضوا الى ناحية سامرا . هو هجوم مثلك مكان العرب الضلع الثالث فيه .

في ردعهم سرديات الاتراك التي كانت تعجبني. من معان الى يادية سينما فتضرب الانكليز في مؤخرهم . ولولم يكن للعرب غير هذا الفضل ، اي تأمين مؤخر جيش الجنرال آتني ، لكفى به فضلاً . الا ان فرائده المعنوية ظهرت في كل ساحة من ساحات الحرب الشرقية . فلولا تقدم فيصل الى حدود سينما لما ضرب آتني غرة وبيع السبع ، ولولا سقوط العقبة لما سقطت تلك البلدة على البحر التي دافع عنها الترك والالمان دفاعاً يستحق الذكر والاعجاب . ولما عاد الانكليز الكرة على بغداد لولا تقههم بالهزيمة العربية ورجعها ورجوعها .

جاء في نشرة من نشرات الوزارة الحربية في آب ١٩١٧ : ان خطة العرب في بداية نهضتهم لحطة وجهة فيها حذى وحزم ودهاء . فقد خرّبوا اقساماً من سكة حديد الحجاز ، واستولوا على مراكز الاتراك الى جانبي السكة وكانوا في اعمالهم على جانب عظيم من الجرأة والبسالة ، فيقبلون غالباً على جيش اكثر منهم عدداً واوفر منهم عدة .

وجاء في كتاب الكونت دي غنطو بيرون^(١) « لا قيسة حرية لجموع العرب ، فهم يظهرون ويختفون كيفما يشاؤون وساعة يشاؤون ، ولا يستطيعون رد الصدمات الشديدة ، بل يتفرقون ويهربون اول مرة تطلق عليهم النار . وجاء في الاعمال وهي اصدق الشهود : عندما سقطت غرة في منتصف تشرين الثاني كانت قد وصلت سرديات الامير فيصل الى ما بين عمان ودرعا ، فهدموا جسراً هناك ، وغلبوا الاتراك في واقعة صغيرة قتل فيها خمسة من العرب ومئة وشعرون من الترك ، ونسفوا القطار الذي كان مقللاً جال باشا ، وهو عائد من القدس الى الشام وقد كتبت له السلامة .^(٢)

(١) « كيف استقرت فرنسا في سوريا » صفحة ٤٢

(٢) « وقد ساعدنا العرب في هذا الشهر العسير ، شهر تشرين الثاني ، مساعدة تذكر في مجيئهم على الخط بين عمان وعمان فاوقفوا الانقلابات بضعة ايام في الوقت الذي كان الاتراك يحاولون اعداد جنودهم في القدس . » تاريخ الحرب العظمى : نهضة العرب

في الشهر الاول من سنة ١٩١٨ استأنف الامير القتال والمهجوم . فاتصل جيشه بطارف من جيش الجنرال آلبي في ناحية البحر الميت قرب رجم البحر ، وتجددت المعجيات على معان التي كانت لا تزال في حوزة الاتراك . ثم اعلن العرب في الغزوات شرقاً فوصلوا الى ناحية الجوف حيث كان الترك يجاملون مفاوضة ابن الرشيد في حاييل ليفروه بالشريف . استولى العرب على تيا ، وقطع العرب الخط على العدو فاستحال عليه بعدئذ ارسال النجيدات من معان الى المدينة . فسف العرب قطاراً قرب تبوك مشحوناً بالذخيرة فقتلوا كل من فيه وغنموا كل ما فيه مع اربعة وعشرين الف ليرة .

قد كانت خطة الامير فيصل في بداية هذه السنة تنحصر ظاهراً في الاستيلاء على معان ، ولكنه اراد في اشغال الترك هناك ان يستولي على بقعة ارض خصبة في شرق الاردن وهي الكرك . فارسل شراذم من جنوده على معان يدومون المعجم والمفاجآت ، وساعده الجنرال آلبي بما ساق من الطائرات على البلد . قد غم العرب في هجائهم مدفعين جبليين ، وثمانية عشر مدفعا رشاشاً ، وقاذفة بندقية ، ومئتي رأس من الخيل ، واستولوا على جوف الدرويش فأحاطوا بالعدو ومنعوه من ارسال نجيدات الى المرابطين من الاتراك في الكرك .

كذلك تقدم الامير ، وهو امين من القدر ، الى محجته فقسم جنده قسمين قسماً مشياً من العقبة فاجتاز خط الحديد شمالاً ورد العدو الى مركز يبعد خمسة اميال من معان ، وقسماً مشياً من وادي موسى فأخرج العدو من مراكزه في الطريق حتى الطفيل التي هي على مسافة ثمانية عشر ميلاً من البحر الميت . فلما سلمت حامية الطفيل اضطرب الاتراك في الكرك وخرجوا باحد عشر طابوراً وبعض الحيلة والمدافع يستعيدونها ، فالقى الفريقان في ٢٦ كانون الثاني على شاطئ سيل الحسا ، وهي على مسافة احدى عشر ميلاً شمال الطفيل ، فانهزم الاتراك وكانت خسائرهم اربعمئة من القتلى وثلاثمئة اسير .

لم يقف الأمير فيصل عند هذا الفوز ، بل استمر زاحفاً حتى وصل بعد يومين الى البحر الميت ، فحارب جيشه مركزاً للترك هناك ، فاغرق مركباً حربياً صغيراً وعدة سناييك ، وغنم كثيراً من الطوب ، واسر عدداً من الجنود . ثم اعاد الأمير تنظيم جنوده ، بعد ان ثبت قدمه على شاطئ البحر شرقاً ، ليواصل الزحف على الكرك . وكان الجنرال آكبي قد استولى على اريحا وعبر بجنوده الاردن فتقدم نحو عمان . لا شك ان الهجوم الانكليزي شرقي الاردن كان عوناً للأمير في ما سعى اليه . وكان من حظه ايضاً ان الطيارات التي جاءت تساعد الجنرال في زحفه الى عمان ساعدت كذلك العرب في زحفهم على الكرك التي استولوا عليها في ٢ نيسان ، فقطعوا عن الاتراك في معان مورد قوتهم مهم .

وقد كان في الكرك مئات من الارمن المنكوبين ، الذين ساقتهم مظالم الاتراك الى تلك الجهات ، فلقوا في الأمير وجنوده العطف الجرم ، بل كانت ايدي الاحسان تنبارى في انقاذهم من البؤس والجوع .

الفصل الخامس

عمان وعمان

مساعدة فرنسا للعرب - وفد الجزائر والهدية المشهورة - الضباط المزارقون -
حاجة فرنسا الى الخبرة - مشاركتها في حملة السويس - ثلاثة طوابير من الجنود
والاستعمارات - القوي السياسي - الشاء الفرقة الشرقية - البدو وضاباط الجيش
النظامي - تعاون الفرنسيين على العرب - خطية في مجلس النواب - تزييف
الطوائف - الاتراك يحرقون عمان - العرب والانتكازة متعززون - سقوط عمان -
الهجوم العام - انهزام الجيش الرابع - سقوط ذرعا - الدخول الى الشاهر *

قد اشترت في الفصل السابق الى مساعدة الفرنسيين للعرب وما يدعيه
بعضهم من الفضل في انتصارات جيش الشمال . فلا بأس ، وقد وصلت الى
هذا الحد ، ان ابين بما لدي من المعلومات ، واكثرها من المصادر الفرنسية
نفسها ، مقدار تلك المساعدة .

عندما كانت المفاوضات جارية بين الاتكليز والشريف او بعدها بعثت
الحكومة الفرنسية وفداً من مسلمي الجزائر الى الحجاز يحمل الى اميره
تلك الهدية المشهورة ، تلك الساعة التي رمزت الى هدية مثلها من خليفة
العرب الى ملك الفرنجة في سالف الزمان . ثم ارسلت بعض المواد والمعدات
الحربية وبعض الضباط الى جده ليشاهدوا تنظيم الجيش الحجازي ^(١) .

غني عن البيان ان فرنسا في تلك الايام كانت تحتاج في بلادها الى كل
جندي تستطيع تجنيده ، ولم تكن مشاركتها في الحملة على الاتراك في فلسطين
الا اسمية في البداية . فشأت ان تتجاوز هذه الحال ليحتل لها كلفة سياسية

(١) م الكولونيل بريموند Col. Brémont والتمندان كوس Commandant Cousse الذي قام مقامه بعدئذ في جدة الملازم يزاني Capitaine Pisani والملازم
راغو Capitaine Rago وضابط آخر يدعى كادي Lieutenant-Colonel Cadi ويظهر ان هؤلاء الثلاثة الاخيرين رافقوا بعدئذ جيش الشمال فدخلوا معه الشام .

بعدئذ في ما يختص بحيد البلاد ، فأرسات ثلاثة طوابير من جنود الجزائر والمستعمرات لتشارك في الدفاع عن ترعة السويس وفي الهجوم على فلسطين . وكانت قد باشرت في اوائل عام ١٩١٧ انشاء الفرقة الشرقية من متطوعي الارمن والسوريين ، فنقلت الى ساحة القتال بعد فتح القدس من كانوا منهم يتسرونون في قهرص ويورت سعيد .

بيد ان هذه المعسكرات التونسية والجزائرية والسورية التي رافقت الجيش الانكليزي لم تشارك العرب في شرق الاردن بشي . يذكر . اما الضباط الانكليز والفرنسيين فليس من ينكر ان بعضهم رافقوا الجيش النظامي وساعدوه في تنظيم العربان وتحريضهم على القتال .

كان عدد من انضم من البدو الى الجيش العربي يناهز المئة ألفاً . اما المعسكر النظامي فلم يتجاوز الخمسة آلاف ، وكان ضباطه كثيرين ولا غرو بالنسبة الى عددهم . غير انهم لم يبقوا عشر ما ادعاه سياسة الفرنسيين المتعاملون على العرب ، المشتمون بهم في الصحافة وفي مجلس الامة^(١) . وقد فاتهم ان عدد

(١) خطب الموسو ليندل M. Lénall في مجلس النواب الفرنسي في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠ قال : « وما هو الجيش العربي ؟ اربعة الاف جندي يرأسهم ستسنة قائد والف وثلاثة من الضباط . . ولم يشارك العرب مرة واحدة وحدهم ، بل كانوا دائماً محاطين بالله من الانكليز او الفرنسيين . . وعندما كانت تطلق المدافع كانوا يفرون هاربين (X) . . لم يتصرفوا غير مرة واحدة عندما اخذوا البلدة الصغيرة معان . او تبرقون كيف اخذوها ؟ كانوا على مسافة خمسة او ستة كيلومترات منها فقدم الملائم يترافى بالله الفرنسية صغيرة عددها مئة واربون رجلاً فاجسوا على القرية واخذوها وسلوها الى العرب . »

من كتاب (كيف استقرت فرنسا في سوريا) الفصل الثالث صفحة ٥٤

(X) « في مدة ستين من الحرب اخرج العرب الترك من الحجاز ، ومن سواحل البحر الاحمر ، وخربوا قسماً كبيراً من سكة الحديد ، وقتلوا واسروا اربعين ألفاً من احسن جنود الدولة العثمانية » تاريخ الحرب العظمى الفصل الثاني خضة العرب

الضباط ، في مثل هذه الحال ، يجب ان يقاس بالنسبة الى عدد المقاتلين كلهم لا بالنسبة الى الجنود النظامية فقط .

اعود الى الحوادث . بعد شهر من سقوط السرك في حوزة الامير اي في ٨ ايار ضرب العرب محطة القطرانة واسروا عدداً من الترك . ثم بعد اسبوع هجسوا على الحسا فأخذوا قطاراً كان هناك ودمروا قسماً من العدة والمذخيرة . ولكن العدو اخرجهم بعدئذ من الحسا فتقهقروا جنوباً وهم يخرجون في الجسر والخط^(١) .

وكانت ترددات قوات الترك بعد هجوم الانكليز على السلط وعمان ، فالقيادة العامة في الناصرة ، عندما وصلتها تلك الاخبار - وصلتها مؤخرة لان العرب كانوا عامين بتقطع ساوك الهرق والتلفون - اصدرت الاوامر بالانجاء الحامية في عمان وبنقل الجنود من الشام وحلب الى درعا ووادي اليرموك . يصح ان يقال ان اشد ايام القتال على العرب كانت في صيف هذه السنة ١٩١٨ وقد ظهرت نتيجة النجاحات في تقهقر الإنكليز من عمان والسايط الى غربي نهر الشريعة بعد واقعة الازدن الثانية .

على ان هذه الهزيمة لم تثبط من عزم العرب بل حملتهم على استئناف الهجوم والقتال . وكانوا في شهري ايار و حزيران يزددون قوة بما جاءهم من المساكر النظامية الجديدة من عراقيين وسوريين وفلسطينيين . حتى انه بينما كان شبه هدنة في ساحات الحرب غربي الاردن في شهر حزيران ، كان العرب بقيادة الامير فيصل وقواده يواصلون الهجوم والتزو والقتال . ولكنهم ردوا عن عمان خاسرين مراراً ، وخصوصاً في ٢٢ تموز عندما هجسوا على محطة قريبها فكانت خسائرهم عشرين ضابطاً ومئتين من الجنود . كان نوري باشا

(١) « من اول شهر ايار الى التاسع عشر منه خرب العرب خمسة وعشرين جسراً . »
ليون فن مندوس في كتابه (خمس سنوات في تركيا)

السعيد^(١) في تلك الناحية عين الحركة ويدها ، فجعل في اواخر آب بالفين من الجنود النظامية وخمسة من البدو عشرة مدافع حلة على عمان اسقطتها بعد قتال عنيف في حوزة العرب .

وعلى هذه الاخبار الى الشام فاستيقظت فيها الروح العربية الراقدة ، وحلف الناس يتهامون مستبشرين بالنصر القريب . بل حام بعض العرب حول المدينة وفيها ، مبشرين بفيصل ، رافعين علم الحجاز المربع الألوان . وشرعت تتحرك روا . الاسيرة ونجت الحبيب تلك السياسة التي كادت تقضي عليها مظالم جمال وفضائحه ، فاتصل بالاستانة خبرها ، فسارع اوياء الامر هناك الى اصلاح الامر . ارسلوا يعرضون على القائد الالماني الجنرال فن سندرس الحكيم في سوريا عليهم يقاومون بذلك تلك الروح النافرة منهم ويسترضونها . ولكنهم ابطأوا في ما اهتموا اليه من الحكمة الموهومة وغدا الجنرال في ذاك الحين اشد اهتماماً بالحرب منه بالحكم .

صدرت الارامر بالهجوم العام في ١٩ ايلول ، فتحركت الجنود البريطانية في خط طوله ثمانون كيلومتراً ، يمتد من الساحل حتى نهر الشريعة ، ولم تقف الا بعد ان اخرجت الالمان والاتراك من فلسطين والجليل . وجاء العرب من

(١) نوري السعيد ولد في بغداد في سنة ١٨٨٨ ودرس في مدارسها ، ثم في المدرسة الحربية بالاسانة ، فخرج سنة ١٩٠٩ برتبة ملازم ثاني والتحق بالتيق السادس العثماني في بغداد . وفي سنة ١٩١٠ دخل مدرسة اركان الحربية في الاسانة واشترك في الحروب البلقانية . وفي سنة ١٩١٣ عمل امرا اعتمال عزيز بك من قبل الاتحاديين ترك المدرسة هارباً من عتاب الديوان الحربي وسافر الى مسقط ومنها الى البصرة . ثم التحق بشريف مكة سنة ١٩١٦ وحاز على رتبة زعيم ثم امير لواء ، وظفر باللاوسنة العربية العاشية كلها . وبوسام الحرب الافرنسي والانكليزي . وقد رافق الامير فبصلا الى اوربا وخرج مع الملك فيصل من سوريا ، فجاء الى العراق سنة ١٩٢١ وتقلد رئاسة اركان الجيش العراقي . ثم في سنة ١٩٢٣ عين وزيراً للدفاع في وزارة صهريه جعفر باشا العسكري .

شرقي الأردن يسوقون امامهم ما تبقى من الجيش الرابع حتى قرويا من درعا . وكانت مفرزة النصر بقيادة جودت بك^(١) في طليعة الجيش فضربت الاتراك في درعا في ٢٨ ايلول فهزمتهم واسرت منهم عدداً كبيراً من الضباط والجنود .

وبعد يومين ، في ١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ ، دخل الامير فيصل على رأس الجيش العربي الى الشام ودخات سرديات من الجيش البريطاني الى بيروت^(٢)

(١) « كان جودت بك الهندادي يقود هذا الطابور الذي لم يتجاوز عدده الالفه وفيهم ثلاثون من الجنود الهندية » المذكرات « وثلاثة وثلاثون من المصريين ومعهم الملازم ينياني وبضعة عساكر من الفرنسيين . وكان من مهمة هذا الطابور ان يخرّب خط الحديد في درعا . فتجّح بفضل الملازم ينياني الشجاع الذي اعمل بيده الفخيل المستند على الحديد تجاه العقبة الحجازية . لما العرب فتشتوا قارين عندما حدث الانفجار . »

الكونت غطون بيرون في كتابه (كيف استقرت فرنسا في سوريا)

الفصل الثالث : صفحة ٢٥ .

وقال الجنرال كريس فون كريستينين الالماني ، الذي كان قائد المقدمة المانية في حرب سيناء ، للامير عادل ارسلان ، نقله الامير عادل في مقال له في كتاب « ملوك العرب » :

لولا الثورة العربية لما استطاع الانكليز دخول فلسطين لان الجنود الذين كان العرب يشاغلوهم من درعا الى المدينة كانوا اكثر عدداً من جنود جبهتنا الفلسطينية . (٢) ودخلت الجنود العربية الى حمص في ١٢ تشرين الاول ، والى حماه في ١٦ ، والى حلب بعد مقاومة شديدة في ٢٥ من الشهر عينه .

الفصل السادس

مناطق القوضى

من الظاهر الى الظلمات - عوامل السياسات الخفية - العرب والانكليز والفرنسيين -
 - السيم ضربات - موقف الامور فيصل - غلبة العرب الاولى - بلاد من الاحلاف
 ينقذه بلاد من الانكليز - سحر الامير الى باريس - نقطة دائرة الشهرة والاعجاب
 - سوريا امريكا - رئيس الجامعة الاميركية - ضجة ازعجت الحكومة الفرنسية
 - تضريح النسيب بيشون وزير الخارجية - مطالب الامير الازلي - مطالب في
 مؤتمر فرساي - القوضى في سوريا - الانكليز والفرنسيين قضية صالحة -
 منقذ قارة الفوضى - اصحاب السيادة وظلاها يتسابقون الى الكرسي - الانتهاز
 - الامتياز على تصريحات الموسير بيشون - مذبح الارمن في حلب .

عند انتهاء الشهر الاول اى تشرين الاول من سنة النصر كانت البلاد
 السورية قد خلت من جيوش الترك والامان، فزالَت عوامل الحرب الظاهرة،
 ودخلت الامة في طور من أطوار السياسة الذي ياتل بنتائجه شدائد الحرب .
 اجل، ما كانت تخرج البلاد من مظالم الترك حتى دخلت في ظلمات القوضى .
 ولا اظن ان عوامل السياسة واتواءها - وعمومها - تعددت في بلد من البلدان
 الصغيرة التي اشتعلت في الحرب تمدها وتزاحها في هذه البلاد السورية،
 وعلى الاخص في دمشق .

وكانت البلية الكبرى في عوامل السياسة الخفية . جاء الجيش العربي
 وجاءت معه السياستان العربية والحجازية، وجاء الجيش الانكليزي يعضد
 العرب ظاهراً ويناهض سراً الفرنسيين، فتشعبت سياسة حكومته الى ثلاث
 شعب اولها واهمها واثبتها المصلحة البريطانية، وجاء الفرنسيين هائجين ناقلين
 وفي مقدمة قافلتهم سياسة لبنان، وفي مؤخرها سياسة الموارنة، وفي اولها
 ووسطها وآخرها سياسة فرنسا في البحر المتوسط .

وكان في البلاد ولا يزال فيها سبع طوائف رئيسية هي سبعة احزاب

بل سبع ضربات مذهبية ، وفي كل ضربة سبع ضربات وطنية . ثم جاءت اللجنة الاميركية تستفتي هذه الامة المنكوبة فزادت بنكبتها - بسوم سياستها . اصف الى ذلك كله وعود الاحلاف وعهودهم السرية وما فيها من اخلاص كنهه الاخطار فاذا ما زالت الاخطار زال . ثم حقوق العرب والوحدة العربية وما فيها من احلام تجملت ساعة الماصقة كقوس قزح في سماء الحرب العظمى ففقدت بعدها كالجناح في مساء الامل .

انك اذا تصورت هذه الحالة العجيبة في شكل دائرة نقطتها البلاد السورية وروح النقطة وحياتها الامير فيصل ، ثم قتلت السياسات التي ذكرت فحوم حولها وحوله تارة ، وعلوياً تجري كالضباب المكهرب تحتها وفوقها ، دون محبة تعرف ، ودون قصد ظاهر يدرك ، بانك لك الصعوبات التي يندر مثلها في حياة رجل واحد حرم ركنين من اركان العظمة السياسية وهما الامة المتحدة القوية والتقليد الوطني الحلي . لا اظن ان كبيراً من كبار ساسة الاوروبيين الذين يستبدون قوائم ابناء العواصف من امة حرة متحدة وقومية مجردة من النزعات الدينية والنمرات ، يود ان يكون مكان فيصل في ادوار حياته السورية .

دخل الامير الشام دخول الظافر المحبوب ، والمنفذ المطلوب ، فاحتلت جيوشه العربية ومعهم بعض الجنود الانكليزية البلدان التي فتحت لهم ابوابها وقادها مهلة مرجبة . ورفع العلم العربي المربع الالوان فوق دور الحكومة من السريدياء الى حلب ومن دمشق الى بيروت ، فاضطربت على السواحل وفي لبنان اقزام ، وطربت اقزام .

على ان العرب في بادئة امرهم اخطأوا مرتين حرياً وسياسياً . فقد اخطأوا في قتلهم الامير عبدالقادر الجزائري واخطأوا في انقاذ شكري الايوبي الى بيروت ليحكمها باسم الملك حسين . فاعتست ان ظهرت في

المدينة العقدة السياسية التي حجبتها عن عيون الناس بزين الترحيب وازهار
الفوز والتعجيد . اجل ، قد امتعض المسلمون انفسهم من هذا العمل لانهم
كانوا يفضلون ان يقام الحاكم من المدينة نفسها . كذلك يفعل الفاتح الحصيف
الحكيم . ولكن الحاكم العربي لم يدم اكثر من اسبوع . امر الابوي برفع
العلم العربي فوق السراي في اليوم الثاني من تشرين الاول ثم امر في اليوم
التاسع باتزاله^(١) . وكان القائد الفرنسي الكولونيل بياي^(٢) قد وصل
بجنوده الى المدينة فخرجت اذ ذاك السياسة من طبرها العربي الى الطوارها
الدولية والمذهبية المتعددة .

ان التبعة في ذلك اعلى الاحلاف اضطاب الجهود السرية ، والمطامع
الاشعبية ، والوعود العرفوية . اليك من فعاليتهم اثنتان ليس بينهما غير شهر
واحد من الزمان . الاولى منشورهم الذي نشر في ايلول قبل احتلال البلاد
السورية ، والثانية بلاغهم في الشهر التالي اي بعد الاحتلال ، ذاك البلاغ
الذي ينقض كل ما في المنشور .

اني اخلص ما أعلن قبل الاحتلال في ما يلي : ان الغاية التي من اجلها
تحارب انكليترا وفرنسا في الشرق هي تحرير الشعوب الراحة منذ زمن
طويل تحت ظلم الاتراك تحريراً تامةً ناجزاً ، وانشاء حكومات وطنية تستمد
قوتها من اهالي البلاد عملاً بأرادتهم ، ووفقاً لاختيارهم الحر .

اما البلاغ الذي اصدره الجنرال بولس^(٣) المتعلق « بادارة اراضي العدو

(١) لم تسلم الحقيقة في هذا الابهاز . فقد رُفِع العلم في حادثة دامة وسكان من
خطبائها بعض رجال الدين المسيحيين . والاحمل من ذلك ان اليد التي رفعتها بد اخت
اثنين من الشهداء وخطيبة احداهم هي الانسة فاطمة المحضاني .

اما الذي امر باتزاله فهو قائد جيش الاحتلال الانكليزي . ولما رفض الابوي
ورفض كذلك رئيس البلدية ومدير الشرطة ان يتولوا العلم ارسل القائد بعض الجنود
الاستراليين قائلوه في الساعة الثانية بعد نصف الليل .

Le Colonel de Piépape (٢)

Major Gen. Sir G. L. Bols (٣)

«المحتلة» المؤرخ في ٢٢ تشرين الاول فهو يقسم البلاد السورية الى ثلاث مناطق على الطريقة التي قسمت سابقاً في معاهدة «سيكس - بيكو» وهي المنطقة الجنوبية اي فلسطين - ادارتها انكليزية . والمنطقة الغربية اي السواحل حتى الاسكندرونة - ادارتها فرنسية . والمنطقة الشرقية من حلب الى دمشق - ادارتها عربية .

لم يكن في هذا البلاغ ما يرضي احداً من اصحاب السيادة والمصالح في هذه البلاد . لم يرض الانكليز ، وهم يصدرونه مكرهين ، لانهم لا يرغبون بالفرنسيين في سوريا . ولم يرض الفرنسيين لانهم طامعون بالنيضة سكانها . وكانوا يفضلون الرجوع الى معاهدة «سيكس - بيكو» التي تضمن لهم اضعاف هذه المنطقة مساحةً واهمية . ولم يرض العرب لان البلاغ سلبهم بلاداً هي جزء حي من البلاد العربية .

بعد اعلان هذه الخطة الادارية اضطربت دوائر السياسة في الشام . وكان قد اتفق الامير فيصل واولياء الامر من الانكليز ان يسافروا الى باريس ليستل العرب في مؤتمر قرطاسي . فقل الى بيروت وفي معيته الكرنل لورنس ، فدخلها فلما دخل دمشق زعيماً محبوباً وكان له فيها استقبال ، فاق استقبال الدمشقيين رونقاً وبهاء . تول الامير ضيفاً على الجنرال بلفين^(١) قائد الفرقة البريطانية الحادية والشرين ، واقام في المدينة ثلاثة ايام ، وصرح قبل سفره انه يعايب باستقلال المناطق المحررة بمساعدة الاحلاف من حكم الاتراك ، زانه ذاهب الى باريس لهذه الغاية .

وفي ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ انجز من بيروت ، فاستقبل في مرسيليا استقبالاً اروعياً ، وما كاد يصل الى باريس حتى استطاعت شهرته العربية الى شهرة اوربية ، بل الى شهرة عالمية العبق على اجنحة الصحافة الى اقطار العالم المتشدن كافة .

(١) General Bullfin

كان الأمير في باريس قطب دائرة باهرة من دوائر السياسة . ولا غرره
فهو لطيف في مقابلاته ، مؤنس في مجلسه ، مقنع في حديثه ، فأدهش حتى
الصحافيين . لا اظن ان الصحافة اجمالاً عطفت على قضية من قضايا الحرب
عطفتها على القضية العربية وحامل لوائها .

وقد اعجب بالأمير كثيرون من السوريين اللبنانيين الذين كانوا يقاتلون
سياسة العربية بسياسة لبنانية افرسية . وجاء باريس وفود من سوريني أميركا
ليعلنوا رسمياً انهم من انصاره . فكان والحق يقال موقفاً في انصاره ومريديه
اكثر من كبار مساسة ذلك الزمان .

ثم جاءه فاضل اميركي يفتح باب الامل الاكبر ، الامل الجديد الامير ،
فتمثل الأمير الفرضي بواسطة اميركا اذا خذلت انكلترا ، ورحب بمساعي رئيس
الجامعة الاميركية السابق الدكتور هارود بليس الذي كان يعتقد ان الحكومة
الاميركية تقبل الانتداب في سوريا اذا طلب ذلك السوريون .

هوذا الأمير فيصل تتجاذبه العوامل السياسية العديدة . يحوم حوله
الزعماء وتتلف اليه الامال المائعة ، وتشع امامه مصابيح الصحافة ، وتجلس
لديه عرائس الشهرة والاعجاب ، وتهمس في اذنه المقاصد الدولية كالت لها
كل يوم معنى جديد . ولكنه في باريس ، تحت عين الحكومة الافرنسية ،
وفي ظل ابرسامة امة نبوغها في تهكمها . بيد ان هذا النبوغ لا يشمل دائماً
حكومتها . فقد أحدث وجود الأمير في باريس ضجة ازعجت تلك الحكومة ،
فصرح في ٢٩ ك ١ المسبو بيشون ناظر الخارجية يومئذ بان فرنسا حقوقاً
تاريخية وشرعية وادبية في سوريا لا تتنازل قطعاً عنها .

وكان الأمير لا يزال ينتظر الاذن بالدخول الى مؤتمر السلم فرفع اليه بعد
يومين عريضة فيها الجواب بما يلي من المطالب على تصريح ناظر الخارجية .
طلب الأمير :

اولاً - استقلال سوريا الداخلي التام مع مساعدة اخصائين من الاجانب

تختارهم وتستخدمهم الحكومة السورية . اما الامور الخارجية فتكون متصلة بامور الحجاز ، اي ان تكون حكومة الحجاز والحكومة السورية حكومة واحدة في الامور الاجنبية .

ثانياً - تشارف على العراق والجزيرة دولة من الدول العظمى .

ثالثاً - استقلال الحجاز مقرر ومعترف به .

رابعاً - اما في اليمن وفي نجد فتدير شؤون كل منها حكومة مستقلة يكون لها اتصال مباشرة مع الحجاز^(١) .

خامساً - فلسطين مثل العراق تقبل بوصاية اجنبية .

قد حاول الامير في هذه العريضة ان يوفق بين سياسة انكسار وسياسة جلالة ابيه ولم يفلح فونسا ناماً . فهو لم يذكر لبنان اعتباراً لما تدعيه فيه ، واحتراماً لاماني اهاليه . ولكنه عندما طلب ان يدخل المؤتمر ممثلاً لجلالة ابيه ابت الحكومة الافرنسية ولم تقبل ان يحضر الجلسات الا بصفته قائداً من قواد جيوش الاحلاف . فدخل بهذه الصفة وارتيق في مطالبه الى الوحدة العربية التي تشمل الاقطار العربية كلها من جبال طوروس الى اليمن ومن الموصل الى حضرموت .

اما في سوريا فبالرغم من بلاغ الجفرال بلس ويصح ان اقول بفضل ذلك البلاغ كانت الاحوال تزداد خللاً واضطراباً . وماذا عسى ان يوجب من العوامل المثاثة في الجيوش الثلاثة ، والادارات الثلاث فقد كانت السياسات الرئيسية تتجاوز الحدود الجديدة اما جهلاً من اولياء الامر واما عقواً واما عمداً فتصدم في كل حال الارادات والمصالح ، وهي في حال الاتهاب . بل

(١) هي فكرة الملك حسين الذي يريد ان يكون الاتصال بواسطة الوزارة الخارجية اي ان الحكومة الحجازية تمثل في الخارج الامارات العربية كلها .

راجع فصل المعاهدة صفحات ٢١٠ - ٢٢٢ من الجزء الاول من هذا الكتاب .

كانت البلاد كلها في تلك الايام مليئة بالمواد المتفجرة ، وكان كل من تحرك فيها بمن له شيء ، من السلطة يحمل على لسانه ويده النار والكهريت . فلا عجب اذا تعددت فيها حوادث الانفجار .

احتل العرب انطاكية فجاء الفرنسيين يخرجونهم منها ، فرفع فيها العلمان الافرنسي والعربي ، وكانت فيها ضجة من جراء ذلك ما بين احمد والمسيح . احتل جيش الانكليزي الاسكندرونة فجاء الفرنسيين من البحر يمتصون عليهم ، فرفع فيها العلمان ، وتحاصم تحتها الفريقان . جاء المندوب السامي الموسيو جورج بيكو^(١) الى الجزائر آنبي^(٢) ذات يوم يمتنع باسم الحكومة الفرنسية في امر من الامور فقال الجنرال : اننا لا اعرف لا حكومتك ولا حكومتى . اننا لا اعرف غير الوزارة الحربية . وقسرت الاعقاد من الكبار الى من دونهم ، فكانت المناقشات بين وكلاء الانكليز والفرنسيين تقلل من قيمة الاوروبيين في عين الاهالي مسيحين كانوا او مسلمين .

أخذت اليها تلك الضغائن التي ولدتها الحرب ونشأت بين جنود الامتين في الحادق ، فانتقلت الى ساحة السياسة في الشرق الادنى وكان اهل سوريا فريسة شرورها . ثم الدساتير العربية على الفرنسيين والتجسس لهم ايضاً بواسطة اناس من السوريين اعدوا يوماً من كبار الوطنيين . ثم دساتير المسيحيين على العرب وكانت صادرها تلك المقامات العالية المحترمة ، مقامات الورع والتقوى . ثم صيحات الفرنسيين انفسهم واحتجاجاتهم المتواصلة المتعددة على الانكليز ، وعلى العرب ، وعلى الجيش الشرقي ، وعلى القيادة العامة ، وعلى الاميركيين والجامعة الاميركية ، وعلى كل من قاومهم سرّاً او علناً او رفض ان يعترف بمقوقهم « الادبية والتاريخية والشرعية » في البلاد .

Georges Picot (١)

General Edmund Allenby (٢)

انها لحالة عجيبة محزنة يندر نظيرها في العالم . وأدعى منها الى الحزن انهم جاءوا الى سوريا فارغي الوفاض يطالبون بهذه الحقوق . جاءوا يسيطرون سياستهم في البلاد دون ان يبذلوا شيئاً في سبيلها ، او يستطيعوا في الاقل ان يحفظوا النظام فيها . فلم يكن لديهم في السنة الاولى من المال والرجال والجنود والاعطة ما يكفي لحكم مدينة صغيرة ، فغارلوا الاستيلاء على المنطقة الذرية منطقتهم بما تبقى من الفرقة الشرقية وببضع مئات غيرها من الجنود ، فأسقط في ايديهم ، وسقطوا في عيون مرديهم .

ان ضعف الفرنسيين ، والحق يقال ، وقصر ذات يدغم بالنسبة الى ما كانوا يدعون ويطلبون ، لمن الاسباب الاولى في تلك الاضطرابات . ومن تلك الاسباب ايضاً جهل اولياء الامر من العرب ، جهلهم السياسة الدولية ، جهلهم طباع الاوروبيين ، جهلهم التاريخ ، جهلهم حتى خطة الانكليز في اطاعتهم ، تلك الاطاع التي قيدتها وعودهم في الحرب فاضطرتهم الى السياسة السرية في تشييط العرب تارة وطوراً في تشييطهم . ومن اسباب الاضطرابات ايضاً تعدد الحكومات في البلاد ، فكان فيها اولاً القيادة البريطانية العامة ، ثم الانتداب الافرنسي مدعوماً بشركة من الجنود البحرية ، ثم مجلس ادارة لبنان ، ثم الحكومة العربية ، ثم رجال الدين والاعيان .

والكل سارعوا كالاولاد الى تبرؤ كراسي السيادة والمجد . فقد تسرع الفرنسيين في تعيين وصلاء لهم في الشام وحلب كما تسرع العرب في تعيين حاكم عربي في بيروت . وكيف لا والقيادة الانكليزية العامة صاحبة الامر رسمياً في البلاد ، فلم تعترف حتى بالمندوب الافرنسي السامي الا كاستشار سياسي لديها . فاذا عسى ان تكون الملائق بين مستشارين صغيرين . ان وجود الكومندان كوس^(١) يومئذ في الشام والتكولونل بيثون^(٢) في حلب

Le Commandant Cousse (١)

Le Colonel Pichon (٢)

لما زاد الحالة شدة وتمتدأ .

بدأ الهركان يتفجر في اواسط كانون الثاني سنة ١٩١٩ . اذ عندما علمت الشام بتصريح المسيو بيشون في ما يتعلق بفرنسا وحقوقها في سوريا ضجت المدينة غضباً واحتجاجاً ، وكان النادي العربي رأسها ولسان حالها . فأحرم في الجرائد نار العداء للجانب ، وبعث الخطباء في أنحاء البلاد يحرضون الوطنيين على التظاهرات ضد الاحتلال والانتداب ، وخطب خطيب في الجامع الاموي يدعو الناس للتجند دفاعاً عن الوطن .

في هذا الشهر ايضاً القى المسيو بيكو خطاباً في دمشق جاء فيه ما فهم منه ان قد تم الاتفاق بين الامير والحكومة الافرنسية بشأن سوريا . فغضب لذلك المسيحيون وهم يظنون ان فرنسا تفضل المسلمين عليهم وقد تفادي بهم في سبيل السياسة والمصلحة . فاكانت فرنسا في ما صرح به وزيرها ومنذوبها لتدعي احداً ، لا الخصم ولا الصديق .

ثم خطب في سراي بعبدا رئيس الوفد اللبناني الاول داود عمون مفصلاً عما كانت نتيجة مساعده في باريس فقال : « ان بين لبنان وسوريا علاقات تجارية ، وصلات متينة ، تستوجب ألا يفصل الشقيق عن شقيقه . فاجتمعت كلمتنا ، كلمة الوفد ، على وجوب انضمام الاثنين تحت لواء مراقبة واحدة » .

فجاء كلامه ضئلاً على ابالة . قال زعماء العرب : ان الحكومة الافرنسية تروم احتلال سوريا بواسطة اصدقاءها اللبنانيين . واتفق ان يوم خطب داود عمون خطبته عقد اجتماع في دمشق احتجاجاً على تصريح المسيو بيشون ، فعمقت عليه المدن السورية الاخرى ، وحدثت اثناء هذه التظاهرات في ٢٨

شباط سنة ١٩١٩ مذبحة الارمن في حلب .

لا حاجة ولا مجال ها هنا للنظر في تلك الحادثة المحزنة . بيد انه من المؤكد ان لو كان في المدينة حكومة متيقظة منظمة ، عربية كانت او انكليزية او افرنسية ، لما كان عتو الارمن يحمل بعض العرب المسلمين على المفاداة بسبعتهم الطيبة ، خصرصاً بعدما كان من احسان الامير فيصل وجنوده الى منكوبي الارمن في الكرك .

الفصل السابع

لجنة الاستفتاء الاميركية

نظريات المصلحين ومصلحي الامر - كليمنصو يقترح اتفاق بشأن سوريا ولبنان - الامير يرفض ويرجم الى سوريا - امتان تتياريان في اكرام - نظرية تستقويه الرئيس ولسون خادم ومخدوم - فيصل في فئة الاحلام - امة تخلص من امتين - الاستقلال يأخذ لا يعطى - الاستقلال التام التام الناجز - العجز قائمة لسوريا - الوفد اللبناني لدى الامير - تصريحه بخصوص لبنان - الشروط التي عرضها على جوريه ليكون في ١٧ ايار - المطوريك الماروني يسافر الى باريس - عباد المطوريك يجعل كتاباً من كليمنصو - الوحدة السورية والوحدة المسيحية - لجنة الاستفتاء بروتستانتية فيجب ان تتأموها - مطالب الدمعقيين - اللجنة تقضي فولسا - الضرر بالنظية العربية - بلاغ اللورد آكني - خروج الماسكر البريطانية من سوريا - رجوع الامير الى أوروبا - وحدة عربية مطاطة - تصريحه لا يقيد - احتجاج بليد .

كان الامير محترماً مكرماً في مؤتمر فرساي ، وكان كذلك الرئيس ولسون . ولكن السياسة الدولية لا ترحب آداب الاجتماع ، ولا تهبها فروض التكريم ، فلا تلك نظريات المصلحين واماني الوطنيين من مصلحي الامم . قد سقت ولسون ، تلك السياسة ، الحبل والمرء بعد ان شاركت هامة في اكرامه ذلك الاكرام الفريد المجيد . وكانت ارفق حالاً بفيصل . وكيف لا وقد عرض احد اساطينها في تلك الايام على الامير العربي بعض بنود فيما تضمن فرنسا استقلال سوريا تحت امارته وبشاركتها في بعض الامور الاختصاصية والاقتصادية . وتضمن كذلك استقلالاً نوعياً للبنان الى ان يتم الاتفاق بينه وبين سوريا .

ولكن الامير رفض ما عرضه الوزير الافرنسي الموسيو كليمنصو وعاد الى سوريا ليستشير صكها قال الامة . سافر الامير الى فرنسا على المدرعة الانكليزية « غلاستر » وفي معيته الكرنل لورنس (١) وعاد الى بيروت على

المدرسة الافرنسية « ادغار كينه » وفي مبيته الكولونل تول (١) امتان تباريان في اكرامه ، امتان تتسارعان الى خطب زاده ، امتان تسعيان في تعزيز سياستها في سوريا والبلاد العربية بواسطته .

اني متيقن انه ، لولا امر واحد ، لكان قد اختار احدهما في سفرته الاولى الى باريس ، بل لكان قبل كل ما عرضه عليه الموسيو كليمنصو . امر واحد تحلل معقوله واضعف فيه القوة الحاكمة . امر واحد هز منه القلب والخيالة واشعل فيهما مصباح امل . هو اقرب الى الاحلام منه الى احكام الايام . فتدع الامير وخذع غيره من هم اكبر منه . اجل قد خدع به احد « الثلاثة الكبار » (٢) الرئيس ولسون نفسه . وهو الذي خدع الامير ، كما خدع غيره من الناس ومن الامم والشعوب ، باظهار مظهر سياسات الدول كلها وبملء جروح الامم جماء .

« تقرير مصير الشعوب » - « حق الشعوب بتقرير مصيرها » انها الكلمات فتاة ! ولكنها لم تكن تستطيع ان تخدع الامير لولا مساعي هارولد بليس في سبيلها . ولا اظن ان ما صورته وتصوره الدكتور بليس ، وما ضج به سوريا المهجر ، كان يفتح الامير كل الاقتناع ، ويجعله على عمل يخالف الحكومتين الانكليزية والافرنسية لولا - وما هنا رأس الحدة واكياتها - لولا اللجنة التي طلب تشكيلها الرئيس ولسون لتستفتي الامة السورية . من الناس لا تخدعه هذه المناورات السياسية ، وبالاخرى هذه النظريات والاحكام من رئيس احدي الامم العظمى ، بل اعظمها في تلك الايام .

عاد الامير الى سوريا وفي صدره ولا ريب امل بالتخلص من الحكومتين

(١) Le Colonel Toulal

(٢) اي الذين اداروا مؤتمر فرساي يوم وودرو ولسون وجورج كليمنصو ولويد جورج .

Woodrow Wilson, Georges Clemenceau, Lloyd George.

الانكليزية والافرنسية ، بل في صدره أمل بتحقيق امانيه الوطنية العربية بواسطة الحكومة الاميركية . وصل الى بيروت في ٣٠ نيسان وكانت الامة تنتظر قدومه وهي ثائرة شقيقة الى اخباره وتصريحاته . تركها منذ خمسة اشهر وآماله راقدة ، فماد اليها وآماله تغرد في قفص الاحلام . تركها اميراً عربياً قد يفلح وقد لا يفلح في مساعيه ، فماد اليها اميراً خطيراً ، اوسع شهرة ، واعظم ثقة بنفسه ، وارفع مقاماً . فاستقبل في بيروت استقبالاً ملكياً ترأسه القائدان الافرنسي والانكليزي فيها وخطب في الناس فادهش الناس

« الاستقلال يؤخذ ولا يُعطى . . . حرية الامة بيدها . . . لنسعى متجددين فنجعل حياة عزيزة . . . الاستقلال التام في الاتحاد التام » . ثم قال اكراماً للفرنسيين والانكليز : « لا انكر اننا في حاجة الى المساعدات المادية والاقتصادية والعلمية . ولكننا سنطلب هذه المساعدات باجرتها ، سنستخدم الحكومة الاخصائيين من الاجانب وتدفع رواتبهم من مال الامة » .

وقد كان الامير اشد لهجة في دمشق : « الامة السورية تروم الاستقلال التام الناجز ولا تقبل بغيره بديلاً » . فرددت الشام ومدن سوريا بكافة صدى هذه الكلمات : الاستقلال التام الناجز !

وصل الامير قبل اللجنة الاستثنائية الاميركية فبشر بقدمها ، وحث الشعب ان يطلب الاستقلال التام بدون شرط ولا قيود . - « برغبتوا على انكم لستم كالنعام تباع وتشترى . . . الاستقلال بدون حدود البتة . الحرية بدون قيود اجنبية . . . من يطلب فرنساً او انكليزاً او اميركا او ايطاليا فهو ليس منا » .

ثم زار المجلس التشريعي في ٧ ايار فرحب به اعضاؤه ونادوا به زعيماً - الزعيم الاكبر - « لك الامر وعليك بعد الله الاتصكال » . ووقف خوري الشعلان يعاهد بالطاعة والولاء : « نحن كلنا عرب الرولا اطوع لك من

عينك ، ومن لا يكون مثلنا ليس من دين الاسلام . »

وفي هذا الشهر تنازل الامير عن الخطبة السياسية التي كان من شأنها ان تربط سوريا بالحجاز بل تجعلها تابعة لحكومة والده ، فقبل جلالة الملك حسين ذلك حباً بما بدأ يتطور من الآمال ، فارسل الامير الى مؤتمر السلم يقول ان الحجاز لا تعترض ان تكون تابعة سياسياً لسوريا . وقد قال لي جلالة الحسين هذا القول مراراً .

اما في ما يخص سوريا نفسها فقد كان اغيصل رأي في تقسيم البلاد الى مقاطعات ، وفقاً لحالاتها الطبيعية والعقلية والتهذيبية ، صرح به خصوصاً لوفد اللباني الذي جاء الى دمشق ليهنئه بعودته سالماً من باريس ، وليؤكد له ان قوياً كبيراً من اللبنانيين يطمحون الانضمام الى سوريا . فرحب الامير بهم وخطب فيهم خطبة بليغة فقال : « انه يجب ان يضم الى لبنان القسم اللازم الوافي حياة اهاليه الزراعية ، فيستفيدون من توسيع ارضهم كما تستفيد هذه البلاد من ذكائهم ونشاطهم . . . اقول بكل حرية ان لبنان مستقل داخلياً وادارياً وبإزم ان يبقى ما يلحق به مستقلاً وممتازاً . . . مع المحافظة على الارتباط بالوحدة السورية . ولكن هذا الانضمام لا يكون اجباراً بل اختياراً . . . اني مستعد ان اعطي الضمانة الخطية بكل ما اقول . وليعلم اللبنانيون ، وهم اخواننا بل قلوبنا التي بها نحس وعقولنا التي بها نفكر ، اننا نحن واياهم واحد لا يفصلنا فاصل طبيعي او مادي . . . ما سلكنا عندنا ولا يكون ادنى فرق بين ابناي ودمشقي او بين مسلم ودرزي . »

هوذا مبدأ الامير الذي اخلص له في تلك الايام ، واعتصم به ، وسعى في تعزيزه . على انه في بعض المواقف ، كما سيتضح للقارئ ، تغلبت الحوادث وبعض الرجال على معتقده وبقينه . قد وصل في شهر ايار سنة ١٩١٩ الى ذروة القوة والنفوذ ، فكان عاملاً مياذمه ، واثقاً من نفسه ، ذا رأي يسع

وامر يُطاع . غير ان القرض ليس في البلاد ، خصوصاً المندوب السامي وكبار الضباط ، لم يثقوا كل الثقة به ، ولا كانوا يرون السداد في سياسة حكومة باريس في ما يختص به وبسوريا ولبنان .

قد تقابل المسيو جورج بيكو والامير فيصل في ١٢ ايار فعرض الامير على المندوب شروطه بصراحة لا غبار عليها . قال انه يقبل بالانتداب الافرنسي اذا ألغيت معاهدة « سيكس - بيكو » واذا ألغيت في المنطقتين الشرقية والغربية الحكيم العسكري وسحبت فرنسا جنودها من البلاد ، واذا انحصرت المساعدة الافرنسية بالاختصاصيين الماليين والمعلمين العسكريين والمهندسين والمستشارين في دوائر الحكومة . وقيل انه طلب ان تضم الموصل الى سوريا وان تساعد فرنسا عرب العراق في استقلالهم . فبلغ المندوب السامي حكومته هذه الشروط وجاءه بعد شهر تفويض بان يقبلها .

ولكن المسيحيين في المنطقة الغربية تألموا اثنا هذا الشهر على السياسة الافرنسية السورية ، وعقدوا الاجتماعات لتأييد استقلال لبنان وتوسيع حدوده ، لطلب الانتداب الافرنسي . وكان الاسكادر دوس روح هذه النهضة والبطريوك الماروني رأسها . فرأى المسيو بيكو ان في تميزها بضمن فرنسا السيادة في لبنان على الاقل . وقد كان يظن ان المسيو كليمنصو لم يهتم كما يجب لهذه المسئلة الخطيرة ، فأرغم الى بعض اعيان لبنان ورؤساء طوائفه ان يمشوا بطريوك الموارنة الى باريس ليشل اللبنانيين لدى الحكومة الافرنسية ويطالب بحقوقهم .

انتخب اكثر الطوائف غبطة البطريوك الياس الحويك لهذه الغاية ، فسافر على مدرعة افرنسية الى ايطاليا حيث اقام شهرين وقابل قداسة البابا . ثم سافر الى باريس فقابل هنالك الموسيو كليمنصو الذي اعطاه كتاباً يسكن فيه روعه وروح اللبنانيين ، ويعددهم بما يطلبون من الاستقلال والانتداب .

تقل غبطته راجعاً يحمل هذا الكتاب الثمين الى مركابه ، فوصل الى بيروت في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩١٩ وتكلم في الاحتفال الذي اقامته له حكومة لبنان فقال : « قد كان اتحادكم من اسباب نجاحي . فأؤمل ان تبادروا على هذه الحملة ، فيجيا لبنان بعد ان يكون قد قال استقلاله . . . ولكم خير ضمير باستدراجكم الى الحياة في مساعدة الدولة المحبوبة التي حرمت نفسها من خدمات أحد اعظم اينائها - الجنرال غورو - حتى تكلفه بمهمة دعوها مهمة ابداع وخلق » . ثم خاطب الجنرال غورو بالفرنسية قائلاً : « اني اوجه على رؤوس الملا ان فرنسا تحب لبنان ، وتساعد لبنان ، وها نحن نقف بفرنسا . . . ولاسيا بعد ان اوفدت اليها الجنرال غورو الخ » .

فبينما كان الامر فيصل يدعو الناس الى وحدة سورية قومية لا تفرق بين الدمشقي واللباني ، او بين المسلم والمسيحي والدرزي ، قام اللبنانيون ، والاكاروس يستحثهم وينريهم ، يطالبون بوحدة لبنانية ، فقلدوا بطاريكهم الكبير زلم امهم ، فجعلوا المسألة دينية مذهبية ^(١) وادوا ان يكون لهم ادنى علاقة بالعرب المسلمين . بل امعن رؤساء النصب بالشقاق عندما وصلت لجنة الاستفتاء الاميركية الى سوريا . فبما ان اساندة الجامعة من انصار النهضة العربية واعضاء اللجنة من وطن الجامعة ، ادعى غير واحد من رؤساء الدين ان للجنة مقاصد دينية بروستانية وطلبوا من اللبنانيين ان يقاوموها ويتضافروا عليها .

وما يدعو للاسف ان قد كانت اللجنة نفسها عاملاً آخر من عوامل الشقاق ، لانها في طريقة الاستفتاء عززت من حيث لا تدري مبدأ العصبية

(١) اول اجتماع عقد في بيروت في ٢٢ غوز سنة ١٩١٩ قرر ان تضم المدينة الى لبنان وبعن استقلاله وانتدب لجنة مؤلفة من اربعة وعشرين شخصاً ليس فيهم واحد مسلم حتى ولا بروستاني واحد ، بل اكثرهم من الموارنة التجار .

الدينية والطائفية . الا انها فضحت فرنسا وجردت مزاعمها من الاوهام لان
الاقاية اللبنانية فقط طالبت الانتداب الفرنسي ، ولم تشمل هذه الاقايه
الطوائف المسيحية كلها . فازداد العرب قسماً بما يطلبون وازداد قسم منهم
تعباً ادى الى الاعمال التي سردت صحيفتهم . وسيجيء الكلام عليها .

وصلت اللجنة في قوز الى دمشق فطلب فروق من الدمشقيين الوحدة
السورية بما فيه لبنان وفلسطين ، والاستقلال التام التاجر ، وان تكون
الحكومة ملكية دستورية لا مركزية ويكون الامير فيصل ملك البلاد .
ثم طلبوا المساعدة الاقتصادية والفنية من اميركا ، واذا رفضت اميركا ، فمن
بريطانيا العظمى . وقد طلبوا ان يكون العراق مستقلاً كل الاستقلال ،
وان لا يكون حواجز اقتصادية بين البلدين .

ثم استفتت اللجنة العلماء فطلبوا ما يلي : الوحدة السورية المستقلة عن
الحجاز ، وحكومة دستورية لامركزية على رأسها الامير فيصل ، ومساعدة
دولة غنية قوية لا مطامع استعمارية لها .

اما المتطرفون اصحاب الوحدة العربية الحجازية الاسلامية فظاولوا متشبثين
بارائهم ، عالمين سرّاً وجهراً في نشرها وتمزيقها . وقد كان في المجلس
التشريعي ، وفي النادي العربي ، وفي مية الامير ايضاً من لا يسكنون ولا يعقاون
من الحزبين .

جالت لجنة الاستفتاء في فلسطين وسوريا ففضحت حكايات فرنسا ،
واضرت بالقضية العربية ، ولم تنفع احداً في البلاد . وكيف اضرت بالقضية
العربية ؟ اني اعتقد انها كانت السبب - بعض السبب ان لم يكن كله -
في البلاغ الذي قدمه اللورد آلني للامير فيصل في ٩ ايلول وفيه ما يلي :

١ - ان حكومة بريطانيا العظمى ترفض الانتداب في سوريا . ٢ - انها

توافق على المبدأ الذي يضمن لليهود وطناً قومياً في فلسطين . ٣ - ليس من شأنها ان توجب على السوريين قبول حكومة لا يريدونها اهل البلاد . ٤ - ان المارشال آتني المسؤول لدى مؤتمر السلم عن الامن في البلاد يتخذ الوسائل اللازمة لقمع الفتن والاضطرابات .

وفي ١٥ من هذا الشهر ايضاً تم بين الحكومتين الفرنسية والانكليزية الاتفاق الذي بوجهه تكفلت بريطانيا العظمى ان تخرج في تشرين الثاني عما كرها من سوريا بشرط ان الماسكور الفرنسية لا تدخل المدن الاربع منها ، اي دمشق وحمص وحماه وحلب ، لان بريطانيا العظمى قد عاهدت العرب على تأليف حكومة عربية .

اثار هذا الاتفاق وذلك البلاغ خواطر المتطرفين والمعتدلين من العرب ، وبليل الناس على ان اولي الالاب المبرنين في سياسة النلون والموادة وأوا في الوثيقتين تناقضاً قد يكون تعمده الانكليز من اجل حلفائهم العرب . فما ان انكليزاً ترفض يدها منها ، ولكنها تقول انها لا توجب علينا حكومة لا نريدها . وما انها تسحب جنودها من البلاد ، ولكنها تبقى السيادة المطاعة بيد المارشال آتني . فقام الناس يتظاهرون مثل تظاهرهم احتجاجاً على المسيو بيشون ، وتأسست لجنة الدفاع الوطني التي باشرت التجنيد .

وكان الامير في مقدمة المحتجين فاعاد تصريحه بالوحدة العربية وابرق الى مؤتمر السلم ان البلاد في اضطراب عظيم ، وان الشعب يقاوم اية خطة تجعله قيد المساومات ، وينصل من التبعة في الحاضر والمستقبل تجاه الحوادث التي من شأنها هضم حقوقه .

ثم سافر في اواخر ايلول الى لندن ليسي شخصياً لدى الحكومة الانكليزية في سبيل الوحدة العربية المطلقة التي مر ذكرها ، والتي صرح بها على صفحات الجرائد ، فقال لاراسل دوتر : ان معاهدة «ميكس - بيكو»

لا تعتبر ولا يعمل بها في نظر الامة العربية . وقال لمخرج جريدة « الايام اليهودية » انه يعتبر فلسطين جزءا من سوريا وانها في نظر العرب ولاية لا بلاد مستقلة . ثم قال : ان ما يسعى اليه هو تأسيس دولة عربية تشتل في الاقل على العراق وسوريا وفلسطين .

انها في السياسة خطة لا ترحبها الدول العظمى ، ولكن القوي اذا غير رأيه يعززه بالقوة ، وهو يتغلب حتى اذا تغلب . اما الضيف بقومه ان لم اقل بنفسه فالثبات خير له وابقي . هاهنا يبدو في الامير ضعف لا تجده في جلالة ابيه ، وقد تبست الى اليوم في مطالبه كلها ، فلم تتميز وحدته العربية وتتاون وفقا لحوادث الايام ، وسياسات الدول العظام .

اما احتجاج الفرنسيين على الحكم العربي في الشام فلا يتجاول من التعامل . قالوا ان العرب لم يحكموا باسم الحلف . كما نجت عليهم وانما حكموا باسم ملك الحجاز . وهل حكم الفرنسيين في المنطقة العربية باسم الاحلاف يا ترى ؟ وهل حكم الانكليز كذلك في المنطقة الجنوبية - في فلسطين ؟ وقالوا ان الملك حسين عجل في طلب المكافأة على خدماته في الحرب العظمى ، وكان ينبغي له ان يقرض الى ان تتم المعاهدة بينهم ويصير الاتفاق بخصوص سوريا . فليت شمري ما الذي فعلوه هم انفسهم ؟ افلم يقسموا البلاد السورية ويتسابقوا والانكليز في الحصول على قسمتهم منها ؟

الفصل الثامن

مرجعيتون

الامير في لندن - الرجوع الى كايستينو - الشروط - المساومة - الشورى - الرقعة
- الرجوع الى سوريا - موقف تجاه الامة - المعصيات - ضرب العبرة على ذمة
النصارى - حادثة العول - الهجوم على الجديدة - النار والمسيق - على من
التبعة ؟ - حوادث عين اول والقلعة - القومندان في الجديدة يلعب الارنب -
جواب المستشار لخورزي عين ابل - فريضة الكولونيل لياجر .

قد خابت في لندن امال الامير، لانه وان كان اثناء اقامته هناك موضوع
اصرام الطبقة العالية من الامة الانكليزية ، فقد أعلم رسمياً ان الحكومة
تحافظ على العهد الاخير الذي عقده مع فرنسا ، وانها وان كانت قد
اشتطت عليها الا تدخل بجنودها المدن السورية الاربع فقد سلمت بان تكون
المساعدة الفنية والاقتصادية للحكومة العربية منها لا من انكلترا . لذلك
أشير عليه بان يسافر الى باريس ويتفق مع كايستينو .

سافر الامير الى باريس ، وقابل المسيو كايستينو ثانية ، فدار بينهما في
٢٢ تشرين الاول ، حديث تناول المسئلة السورية بكل فروعها ، وكانت
النتيجة لائحة تضمنت حل المشكل على طريقة تكفل له الحكم في سوريا ،
ولفرنسا حق المساعدة ، وللبنان توسيع الحدود والامتيازات التي يطلبها .

تردد الامير ثم لجأ الى المساومة ، فطلب ١ - ان يكون نصف
المستشارين افراسيين والنصف الاخر من سواهم . ٢ - ان لا يكون
للمستشار الوأبي الفاصل في الامور . ٣ - ان لا يكون في سوريا ولبنان
عسكر افراسي . وقبل ان يكون العسكر الوطني تحت ادارة افراسية .

ورفض المسيو كايستينو الشروط الثلاثة ، فجمع الامير من كان في معيته يومئذ
واستشارهم في الامر فارتأى فريق منهم وفيهم اثنان من المسيحيين ان يقبل

لائحة الوزير . اما الفريق الثاني وفيهم اثنان من المتطرفين ، الواحد طليبه والثاني اديب من نابلس درس الحقوق في فرنسا ، فقد قاموا بفكرة القبول اشد المقاومة وكانوا من الفائزين ، فهدنوا في فوزهم على ضعف في الامير كان يؤلم المعتادين المشغولين من انصاره ومريديه .

عاد الامير في اواخر كانون الاول الى سوريا وهو يعلم ان الحكومة الانكليزية لا تخاف فرنسا من اجله ، وان فرنسا لا تتنازل عن سوريا^(١) مهما كان من امورها في المفاوضات ، وان الحكومة الاميركية^(٢) لا تتدخل بالرغم من لجنة الاستفتاء في امور البلاد السياسية . فاية خطة كان ينبغي له اتخاذها ؟ هل في امكانه ان يغير سياسة انكلترا الدولية ؟ هل في امكانه ان يحارب فرنسا اذا شامت الاستيلاء على المنطقة الشرقية ؟ اذا اجبت سلباً ، وهو اقرب الى الحقيقة ، على السؤالين ، ارى بحكم الحال ان امام الامير سيلين وفي كليهما شرف وحكمة ووطنية . فاما ان يكون قادراً على قيادة الشعب السوري فيقوده في جادة الاعتدال الى ما فيه المصلحة المشتركة بين الامتين الافرنسية والسورية ، واما ان لا يكون فيستعفي ويعيد مقاليد القضية الى جلالته ابنه .

وماذا كان بعد رجوعه المرة الثانية من باريس . هاكم الحوادث وهي اصدق رواة الاخبار . عندما وصل الامير الى بيروت خطب في الناس فثار الى ما لا يزال بينه وبين فرنسا من الولا . فاعترضه بعدئذ ممثل الحكومة

(١) قد طالما قال وزراؤها بريان ولايف ويشون ان مركز فرنسا في البحر المتوسط يتزعزع اذا تركت سوريا ، وان الاستيلاء السياسي على بلاد ما لا يتبدد اذا كان لا يقرون بالاستيلاء الاقتصادي ، وان لفرنسا في سوريا مصالح مادية وسياسية فوق حقوقها التقليدية .

(٢) قد قابل الامير فيصل في باريس المبرر بولك المستشار الفضائي يومئذ للنظارة الحازجة بواشنطن ، فلم ينده ولا حله بشي .

العربية فيها وانتقد اعتداله آخرون. وكان قد ذهب الى استقباله واستقباله وقد من الشيعة في جبل عامل فلم يكلمهم ملياً في بيروت بل استصحب هذه الغاية بعض علمائهم الى الشام. وقد عقد اجتماع في وادي الحجير فضرب احد المشايخ خيرة (استنصار الله بالسبحة) على ذبح النصارى. وكان في الخولة حكومة يديرها زعماء العصابات، والحكومة الافرنسية عالمة بها. اما العرب وهم اعداء فرنسا فاصبحوا اعداء من والاها تاهيك بن تمصّب لها من المسيحيين. وقد كان في من ولى الامر منهم، في النادي العربي وفي لجنة الدفاع بالشام، اناس لا يأمرّون بالمنكر ولكنهم في سبيل السياسة لا ينهون عنه.

فكانت النتيجة ان في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ اي بعد وصول الامير فيصل ببضعة ايام، اشاعت في مرجيون، باسم الوطن والسياسة، نار الجهل والنصب والقوضى. وكان العرب مشاعياً والفرنسيين متفرجين عليها.

غير ان حادثة المطلة تقدمت الهجوم على الجديدة وكانت السبب القريب في نكبتها. وما حادثة المطلة؟ قد صكان الامير محمود الفاعور، امير عرب الفضل، خارجاً يومئذ على الحكومة، فضرب بعض الجنود الافرنسية، على اثر حادث عدائي في الخولة، دار الامير بالحصاص وهدموها. فتارت عليهم العربان فبعثوا بطلين النجدة من الجديدة. ولم يكن في تلك الناحية يومئذ، مع علم الحكومة بما يهدد الامن وما ينذر من العصابات بالويل، غير الفين من الجنود في المطلة وخمسة في الجديدة.

طلبت المطلة النجدة من الجديدة فأرسل القومندان اربعة وخمسين من رجاله فلم يبق لديه غير خمسين. ولم يكن عند الاهالي غير مئة وعشرين بندقية واليسير من الذخيرة. اما الذين هجموا على الجديدة في ليلة ذلك اليوم فلا يقل عددهم عن الاربعة آلاف وفيهم العرب والدروز والمتاول، فاضرموا فيها النار واعسلوا باهلها السيف والرصاص. عوقوا اربعين بيتاً، وقتلوا

اربعمين نفساً ، ونهبوا من الامتعة ومن الرياش ما قدرت قبضته بثمة الف
ليرة ذهباً .

ومن المسؤول ؟ قد تحقق ان ثلاثة من العرب كانوا يأخذون المال من
الحكومة بدمشق باسم العساكر فيتصرفون بها ، ثم يأخذون من العصابات
قسماً مما ينهبون . وقد كان رجال العصابات العاملة يازمون القرى في جبل
عامل القيام بنفقاتهم ، ويقدم رؤسائهم التقارير الى الموثع العربي بدمشق .
أتبني الحقيقة كلها ؟ هاكها باسم الله . قد اخبرني احد افاضل الجديدة
انهم عاينوا بعض الجنود النظامية في من هجروا على المدينة .

ولكني لم اطلعك على غير نصف الحقيقة في ما تقدم وهو نصفها كاملاً
وهالك النصف الاخر . ان الحكومة الافرنسية او القيادة الافرنسية العامة
التي كانت مسؤولة عن الامن في البلاد كانت تستطيع لو شامت ان ترد عن
البلاد واهل هذه النكبات كلها . فكان قد جاء الجزائر غورو ومعه بعض
القوات العسكرية التي استمرت تردد لتتحقيق مقاصد حكومته في المدن
الاربعة بالرغم من اتفاق ١٥ ايلول .

فاذا القينا بعض التبعة على الحكومة العربية وآخذنا الامير لانه لم يسع ،
واذا كان قد سعى فلم يفلح ، في استيلائه على تلك الحكومة وارشادها الى
ما فيه الحكمة والسداد ، فاننا نلوم اولاً الفرنسيين الذين جاوزوا الحماية
المسيحية وما كانوا في البلاد الا بفضل المسيحيين . نلومهم لانهم وقفوا
متفرجين وكان في امكانهم ان يخذلوا النار .

والذي يثبت فوق كل اثبات ما اقول هو ان تلك الفظائع تكررت بعد
خمس اشهر ، في ١٥ حزيران ، في عين ابل والقيمة والجديدة نفسها . ولم
تكن الحكومة مستعدة لمقاومتها . طلب اهل الجديدة اسعافاً منها فلم تقدم
بشي . جاء احد خوارنة عين ابل الى المسيو شاربنتيه ، المستشار الافرنسي
في لواء الجنوب ، يشكو العصابات ، وقد كان في صيدا قوة كافية لمطاردتهم

والتسكيل بهم ، فكان الجواب منه ان دافعوا عن انفسكم . وجاء احد اهالي مرجيون في حادثة الجديدة الثانية الى قومندان الموقع يطلب منه بعض الذخيرة ، وكان قد نفذ ما عنده وهو يدافع عن نفسه واهله ، فلما وصل الرجل الى دار الحكومة وجد القومندان في فناء الدار يلعب ارنبة . فطلب منه ذخيرة فإني . فقال الرجل : لا تدافعون عنا ولا تعطونا سلاحاً و ذخيرة لدافع عن انفسنا فلم يصككت . ظل يلعب ارنبة . ثم نظر اليه بعين الاحتقار قائلاً : مات من الفرنسيين الوف في الحنادق وانتم تشكون اذا مات منكم عشرة رجال .

وجاء - بعد خراب البصرة - الكولونل نياجر لينسكل بالعصابات ففرض على اهل جبل عامل مئة وخمسين الف ليرة ذهباً ، وفوض الى حاكم صيدا العسكري ورجاله ، وفيهم ثلاثة من السوريين ، بجمعها . فجمعوا ضعفي المئة والخمسين الف ليرة بطرائق لا حاجة الان لذكرها - وقال المارقون المدققون ان الحياة الماهرين جمعوا اربعمئة وخمسة وثلاثين الف ليرة - فدفعوا تمويضاً لاهل الجديدة خمسين الف ليرة منها . . . واطلقت الحكومة على شارع من شوارع بيروت اسم الكولونل نياجر Le Colonel Nieger

الفصل التاسع

ملك سوريا

فيصل بين الاحزاب - ساعة الشدة وساعة الرخاء - مؤتمراً سورياً وهو المؤتمر
- الحكومة الجديدة تباعث عملها بمبادئ - الفكرة الليبرالية في الانضمام الى
سوريا - جزء الحزب الاكاديمي - انصار الوطنيين بخيانة وظهور - قرار
مجلس ادارة جبل لبنان - قصة العشرة الالاف ليرة - الحكومة التي القيت على
اعضاء المجلس - البلاد الشهابي من الجنرال شوروي الى الملك فيصل - (١) ابتداء
اقتصاد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية - ذنوب الحكومة العربية
- قرار المؤتمر السوري .

كان الشهر الاول من سنة ١٩٢٠ ميلاداً على المسيحيين وعاراً على
الفرنسيين . وكان الشهر الثاني من هذه السنة بداية الوبل على العرب .
هاجت حول الامير فيصل الاحزاب ، وهددت في الاسواق وفي المساجد
شكشة الخطباء ، واصطفحت في المؤتمر السوري قرون الثورات الدينية ، فاشتد
خميس بعض الاعضاء ، وتقيظ الآخرون ، وصر الامير يكافح قارة ، ويستسلم
طوراً ، يردد كلمة الملك الافرنسي ^(١) ساعة الشدة ، ويعود اذا ما صفا بطو
هنية الى بطانته وزعمائه . حتى استقر دور الاضطراب الاول ، او علقه
فاخفته افراح اليوم الثامن من شهر اذار ، يوم انتخب المؤتمر السوري العام
بصوت حي فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على البلاد السورية .

حلت الانباء البرقية خبر التسويج الى العواصم الأوروبية والاميركية
فجاء من احدها ، من باريس ، من مؤتمر فرساي ، نبأ الغضب والغرور . مؤتمر
يتوَّج ومؤتمر يمتزج ويحتج . بل يصدر الاوامر وهو يتوهم ان احكامه
نافذة في كل مكان . لما اذا قبلت التاج يا فيصل ؟ احضر عاجلاً الى هذا
المجلس الاعلى وافصح عن شذوذك وشذوذ الامة السورية . انها من

(١) الملك لويس الرابع عشر الذي قال : الدولة انا انا الدولة .

مضحكات السياسة الأوروبية . هوذا امير عربي ، في بلاد عربية ، وقد انتخبه مؤتمر عربي ، فادخل أوروبا او بالحري فرنسا وانكلترا بذلك ؟ ألا يجوز لامة شرقية ، عربية ، سورية ان تقيم ملكاً عليها دون ان تستأذن اثنين او ثلاثة من وزراء أوروبا ؟ وهم يتهمون العرب بأنهم يهتمون بأمر غيرهم اكثر من اهتمامهم بانفسهم . ولكن الملك فيصل لم يهتم بغير امره وامر بلاده فلم يلب دعوة مؤتمر الصلح المجهل .

بأمر جلالة الملك والمؤتمر السوري تأسيس حكومة جديدة ، وتأليف الوزارة ، وتنظيم الجيش . وكان من اعمال هذه الحكومة السورية عمل لم يسر انكلترا واخرون زائد بغيط الفرنسي . الاول هو اعلانها استقلال العراق عندما اعلن استقلال سوريا ، والثاني هو منعها الفرنسيين من استخدام سكة الحديد الى حلب ، ورفضها التعامل بورق البنك السوري الذي اجازته حكومتهم في المنطقة النورية .

اما الفكرة اللبنانية في الانضمام الى سوريا ، فقد كانت الاحوال في المنطقة النورية تزيدها قوة وانتشاراً . نفر بعض عقلاء اللبنانيين ودلوا وجوههم شطر الشام . فاعتزى الجزع الحزب الاكابركي الافندي فراح كباره بألوان الجلبونك الماروني ان يسافر ثانية الى باريس ليطالب المسيو كليمنصو بما وعده به لجبل لبنان . واستمرت حكومة الجبال غورو تقاوم كل من قال بالوحدة السورية ، فوصلت في مشجعها الى ما كان من امرها واعضاء مجلس ادارة جبل لبنان . جاء في البلاغ النهائي من الجبال غورو الى الملك فيصل ما يلي :

« وآخر ما لجأت اليه حكومة دمشق من المآتي هو انها اشترت ببلغ قدره اثنان واربعون الف ليرة القسم الاكبر من اعضاء مجلس ادارة لبنان فاقفقتهم مخافوا بتاريخ ١٠ توز وهم على أهبة السفر الى دمشق

ليبيعوا اوطانهم بيع السلع عابثين بالآماني التي اعرب عنها اهل وطنهم منذ زمن طويل باتفاق يقرب من الاجماع .

لست ممن استحسنا الطريقة التي سلكها الاعضاء الى غايتهم الحميدة ، وكنت ولا ازال اظن ان يمثل الامة الشمرعي لا يخرج من بلاده كالمجرم سرّاً ، ولا يجبن فيمويه رأيه اذا كان يعتقد الصحة فيه . ولكن هذه التهمة من اجنبي تنزع من الوطني ، مهما كانت عقيدته السياسية ، سلاح النقد والتثريب . مثل لفك انكليزياً في باريس يتهم اعضاء الندوة الافرنسية بالخيانة . . . أيفار الاجنبي على ايمان اكثر من غيره اياه عليه ؟ عند الى القرار الذي اصدره مجلس الادارة تَوَ الحقيقة التي يسوونها خيانة ، وترّ العجب في من يطالع القرار كله ثم يقول ان اصحابه مسافرون الى دمشق لبيعوا اوطانهم بيع السلع .

ان اصدق وابلغ جواب انما هو في ما انقله لك من ذلك القرار :

« قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلاً لوفاق يضمن حقوق البلادين المتجاورين لبنان وسوريا ومصالحهما ودوام حسن الصلات بينهما في المستقبل ، وبعد البحث في هذا الشأن وجد انه من الممكن الوصول الى ذلك بمقتضى البنود التالية :

١ - استقلال لبنان التام المطلق . ٢ - حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمنزلة عن كل تدخل خارجي . ٣ - اعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سوريا . ٤ - المسائل الاقتصادية يجري درسها وتقرر بواسطة لجنة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا . ٥ - يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود وضمان احكامها .

اما سفر اعضاء المجلس فلاجل التمكن من العمل على ذلك بحرية

ويعزل من حفظ خارجي ، ولاجل السعي الناجع في المراجع الايجابية تتقوى احكام البنود الاربعة المتقدم بيانها . ولم يكن قصدهم السفر الى الشام بل الى اوروبا واميركا عن طريق حيفا . هو ظاهر قصدهم وحقيقته ، لا ريب عندي بذلك . ولكنني ارى في الطريقة التي سلكوها وفي بعض المقاصد التي اخفوها او مرهوا بها ما يواخذون عليه .

الاسفار تقتضي النفقات ولم يكن في الخزينة اللبنانية ما يقوم بها فجاء الامير امين ارسلان ، صديق العرب واللبنانيين الاحرار ، يسعى في ذال السبيل قال سليمان كنعان ، احد اعضاء المجلس ، للامير امين : لا نستطيع ان نجتمع مالا كافيا للسفر . فقال الامير : انا اتكفل بذلك . وبعد قليل جاءهم بخمسة الاف اخرى عندما يجتازون حدود لبنان . وهما نحن في دور التسوية الذي افسد على الاعضاء عملهم . المال الذي جاء به الامير امين بوزارة نوري باشا السعيد هو من الملك فيصل لا من عارف النعماني . ولكن السند الذي كتبه سليمان كنعان بالقيسة كلها هو لامر النعماني وبكفالة الامير امين . فحيث لو كان السند صادقا فيكون المال من احد تجار الامة الذي يشارك الاعضاء في عقيدتهم السياسية ويود نجاح مساعيهم . ويمكن المال من الملك فيصل وهذه حجة الفرنسيين في الرشوة .

قال سليمان كنعان الامير امين : بشرط الاغتر بالشام ولا نقابل الملك فيصلاً . وكانني بالامير الناطيف الحاذق يقول و تأخذون ماله ولا « نياون » للسلام . فاتفقوا ان يسافروا الى حيفا ورسالوا من قبلهم اثنين او ثلاثة الى الشام للسلام — والمفاوضة . ولكن التقادير حالت دون الاثنين فقد اوقفتهما السلطة الفرنسية قبل ان يجتازوا الحدود ، وعادت بهم مخفورين الى بيروت حيث حوكموا امام مجلس فرنسي يرأسه ضابط اسمه ده فر كرويسون^(١)

فجبرتهم المحكمة ففتحهم الحكومة الى جزيرة ارواد ثم الى جزيرة كورسيكا .
بعد ان بقي القبض على اعضاء مجلس الادارة بازعة ايام اي في ١٤ تموز
سنة ١٩٢٠ ارسل الجزال غورو بلاغه النهائي الى الملك فيصل ، ومطلبه هذه
الكلمات :

« بينما كانت السكينة سائدة في سوريا اثناء الاحتلال الانكليزي
ابتدأ الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية ولا يزال آخذاً
بازدياد منذ ذلك الوقت »^(١).

هي الحقيقة بمينها . ابتدأ الفساد يوم حلت جيوش الفرنسيين محل الجيوش
الانكليزية . فقد كانت الجيوش الفرنسية اما عاجزة واما مهتلة . اما العجز
فالخرم الذي ابدته هذه الجيوش بعد البلاغ النهائي ينفيه كل النفي . واما
الاهمال فقد يكون ناتجاً عن قصد سياسي هو رغبتهم في الاستيلاء على المدن
الاربع التي تمهدت فرنسا لانكسارها في اتفاق ١٥ ايلول من سنة ١٩١٩
الا تخلفها .

اما بلاغ الجزال غورو فتقسم الاحتجاجات فيه الى خمسة اقسام . اولاً
- « الاعمال الموجهة الى حكومة الاحتلال الفرنسية » وفيه ذكر الحوادث
المفجعة التي كانت العصابات - بينها وان حكومة دمشق قد قابلت القامئين
بتخليها بالحفاوة والاكرام » ونخص بالذكر منهم صبحي بك بركات الذي
اصبحت عداوته لنا اشهر من نار على علم » .^(٢) ثانياً - « سياسة حكومة
دمشق العدائية » وهي تنحصر على ما يظهر من البلاغ بتعيين رجال في
الحكومة « معروفين بمعادنهم لفرنسا » . ثالثاً - « التدابير الادارية ضد
فرنسا » واهمها ما يتعلق برفض التداول بعملة البنك السوري . رابعاً -

(١) اعتمدت على الترجمة التي في كتاب « مركز ابحاث السياسي » ليوسف اصاف بك

(٢) وقد عنبوه بعدئذ رئيساً للانفاد السوري .

« الأعمال العدائية الموجهة لفرنسا رأساً » وفيه ذكر بعض الذين أدينوا في المنطقة الشرقية لانهم اصدقاء فرنسا ، والذين احترموا لانهم اعداؤها ومنهم الدنادشة ، وصكامل بك الاسعد ، ثم اعضاء مجلس ادارة لبنان . خامساً - التعديت على الحقوق الدولية » وفيه احتجاج على التجنيد الاجباري وعلى ملكية الامير » المقصبة غير الناتجة عن ارادة الشعب الحرة » وعلى المؤتمر السوري الذي تألف وشكل بصورة غير مشروعة .

« ان هذه الاسباب تثبت جلياً انه اصبح من المستحيل الاعتماد على حكومة جاهزت بصراحة تامة بعدائها لفرنسا . . . وعليه فان فرنسا ترى نفسها مضطرة ان تحتاط بالوسائل اللازمة لتأمين راحة جيوشها وراحة اهالي البلاد . . . ولذلك هي تطلب الضمانات التي يلي ذكرها :
اولاً - حق التصرف بسكة الحديد بين رفاق وحلب . ثانياً - العام الخدمة العسكرية الاجبارية . ثالثاً - قبول الانتداب الفرنسي . رابعاً - التداول بالعملة السورية . خامساً - معاقبة المجرمين الذين تثبت عليهم اكثر من غيرهم مناجزة العداة للجنود الافرنسية .

وقد طلب الحزبال قبول هذه الشروط « بوجه اجمالي دون استثناء البتة في مهلة اربعة ايام تتبدى في الساعة الاولى ليلاً من ١٥ نوز وتنتهي في الساعة الثانية عشر ليلاً في ١٨ منه . »

وصل البلاغ الى الشام في مساء اليوم التالي فاستدعى الملك للمشاوره عدداً من وجهاء المدينة من جميع الطوائف ، فقوضوا الامر اليه ليعمل بما فيه خير البلاد . ولكن المؤتمر السوري اصدر في جلسة قانونية القرار التالي :

« ان المؤتمر السوري الممثل للامة السورية في مناطها الثلاث يعتبر قراره التاريخي بجواده الثلاث التي هي : اولاً - الاستقلال التام والوحدة ورفض الهجرة الصهيونية . ثانياً - ملكية جلالة الملك فيصل على الاساس

النيابي الدستوري . ثالثاً - بقاء المؤتمر منعقدًا يراقب اعمال الحكومة
المسؤولة امامه الى ان يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسي ،
قراراً واحداً لا يقبل التجزئة . وان نقض جزء منه يعتبره المؤتمر نقضاً
للقرار بحدافيه . وان المؤتمر السوري لا يعترف باسم الامة السورية
باية معاهدة واتفاقية او برتوكول يتعلق بصير البلاد ما لم يصادق المؤتمر
نفسه عليها . *

في هذا القرار وطنية شماء لا يذريها من كان له وطن في العالم .

الفصل العاشر

ميسلون

الخلاف بين الملك ووزير الحربية - الحكمة والاعتدال - التحمس والضخية -
الثلة بين الحكومة والامة - اعلان الحرب - قبول الشروط - وصول الجواب
مؤخراً - السبب في التأخير - دعوى حكومة الانقلاب - الحقيقة - الجيش
الأفرنسي يرحل على دمشق - الطريق التي اتخذها - قطع خط الرجعة - تسريح
الجيش العربي - احتلال مجدل عنجر - دفاع البقية من النواء الاول - المدينة
- الثورة في دمشق - معركة بين الجنود والاعلين - الملك يدعو الناس للجهاد -
يوسف العظمة في ساحة القتال - وقعة ميسلون - الاستشهاد - دخول الجيش
الأفرنسي دمشق .

كان يوسف العظمة ، وهو صنو انور ومصطفى كمال في المدارس الحربية
الالمانية ، شديد البأس شجاعاً بأساً ، صريح الكلمة ، صادق الالفة ، ذا
وطنية اجمعها من نادر الشهداء . ولكن في حماسه واندفاعه ، وهو وزير
الحربية في الحكومة السورية ، اساء الى معقوله ونسي حقيقة الحال التي
توجب الحكمة والاعتدال .

اما الملك فيصل فهو في سياسته ، وخصوصاً في المواقف الحرجة ، يذسى
ان الحاسة روح الحقيقة ، وان الضحية نورها . فلو رأى الواحد منهما ما في
الاخر وتزل الى قبول شيء منه في الساعة الخطيرة ، ساعة الجزم واليقين ، لما
كانت تلك الثلة التي انقضت منها روح القوضى فساعدت الصائل على الامة
وذبحت فيها الحرية والامل .

كانت الثلة ، مهما قيل في حسن الصلات بين جلالة الملك والمؤتمر
السوري ، وكانت القوضى ، وكان الاستيلاء الاجنبي . ثبت المؤتمر في قراره
الاخير فاعلن الحرب ، على اثر وصول البلاغ النهائي ، دفاعاً عن الوطن . وصدر
الامر من نظارة الحربية بإرسال الفرقة الاولى الى مجدل عنجر في منطقة

ميسلون لتكون هناك مستعدة للحرب .

ولكن اعيان الامة ورؤساءها الوجيهين كانوا يمانون مثل الملك الى قبول الشروط ، فوكلوا الامر اليه ، فارسل جلالتهم في ١٦ قوز برقية الى الجنرال غورو يقبل الشروط كلها ، واصدر امراً في تسريح الجيش وآخر الى الجنود في منطقة ميسلون للرجوع الى الشام ، الا اللواء الرابع فيبقى محافظاً على الحدود . على ان البرقية لم تصل الى الجنرال الا بعد انتهاء المدة المعينة في البلاغ ، لان العصاة ، كما ادعت الحكومة ، كانوا قد قطعوا الاسلاك البرقية في جهات الزبداني .

هب انها الحقيقة ، فان القيادة العامة كانت عالمة بما كان يجري في تلك الايام في دمشق . وقد طارت طائرة في ١٨ قوز فوق المدينة فألقت منشوراً من الجنرال غورو مطلعاً ما يلي : « في هذه الساعة التي تغدوكم فيها حكومتكم الى القتال وتستهدف بلادكم لاختار الحرب وويلاتها اوجه اليكم الخطاب لاقول لكم السبب الذي من اجله تقتتلون . »

فاذا كان عالماً بما اقره المؤتمر السوري افلا يكون عالماً كذلك بما اقره جلالة الملك بالاتفاق مع وزرائه وفريق من اعيان المدينة ؟ أو ما كان جديراً به ان يسأل في الاقل ضابط الارتباط الافرنسي في دمشق ليبحث عن السبب في تأخير ابواب ، وهو القائل في منشوره : « على اني ما زلت آملاً بان السوريين الاذكياء المشهورين سوف لا يرضون بان يلقوا بانفسهم الى التهلكة دفاعاً عن الاقلية الانيسة . »

اذن هو عالم ان الاقلية ترفض شروطه والاكثرية تقبل بها ، وقد ارسلت الجواب الذي فيه فصل الخطاب . فلماذا فضل الجنرال العمل بظنه على العمل بيقينه ؟ فبعد ان ارسل البلاغ النهائي زحف جيشه وهو زهاء ستة الاف من

الجنود السنغالية والمراكشية والجزائرية^(١) على انشام متخذاً غير الطريق المروقة ، طريق وادي الحرير ، فقطع سهل البقاع من جب جنين الى وادي القلوح ، فربقوبة بنكا ، ثم يدير المشائر ، فاستصحب احد الرجال هناك دليلاً ، ودار من دير المشائر الى الدياس فقطع خط الرجعة على العرب المعسكرين في منطقة ميسلون ، ووقف هناك ليأمن مؤخره قبل ان يستأنف الرحل على دمشق .

وقد دل المسلك في زحف الجيش على استعداداته للقتال ورغبته فيه ، فشاء عند وصوله الى الدياس ان يخرج الجنود العربية من مراكزها المحصنة بضربها في الفلاة ويحتل تلك الاماكن . لذلك يادر الى احتلال مجدل عنبر عندما انسحبت الجنود العربية منها ، واخذت تتراجع بدون نظام الى دمشق بيد ان اللواء الرابع ظل محافظاً هناك بموجب الامر الذي اصدره الملك ، فتصدى للدفاع عندما تقدمت الجنود الافرنسية ، فأسقط في يده وأسر برمته .

اما قاطر الحربية يوسف العنانه فكان قد اصدر امراً الى الجنود المسرحة واقصى امر جلالة الملك ، فاقف قائد اللواء الاول حسن الجندي ، عملاً بذلك الامر ، عدداً من جنوده يتراوح بين الثلاثمائة والاربعمائة وعاد بهم الى ساحة القتال . فئة صغيرة وقفت وقوف الابطال في وجه الفئة الكبيرة فضشيت القيادة الافرنسية ان تكون الثغرات العربية التي انسحبت من مجدل عنبر متحصنة في جهات خان ميسلون ، وان تكون هذه الثغرة طليعة جيش كبير من العرب . فرغبت الى الملك فيصل بهدنة مدتها ثلثي واربعون ساعة تنتهي في الساعة الاخيرة من ٢٣ قوز . فكانت الهدنة وجار

(١) كان هذا الجيش مؤلفاً من بقية الاي البيضاء ٤١٥ والاي الزماة الجزائريين الثاني والفرقة السنغالية والاي الزماة الافريقيين وطابور من الصباهية المراكشيين والمدفعية السهلة والجبلية تدعمها الطيارات والذبابات .

اذاً، ها مندوب الحكومة العربية مصحوباً بالعمد الافرنسي بالشام للمفاوضة مع الحكومة الافرنسية بعاليه .

اعود بالقارىء الى المسرح في دمشق حيث التلعة بين الحكومة والامة كانت تزداد خطراً واتساعاً . فلما انتشر خبر الامر بتسريح الجيش نهض جمهور من الدمشقيين محتجون، بل نهضوا للثورة في سبيل الاستقلال، وبادروا الى التكنة والقلة يطلبون الذخيرة والسلاح . فاصدرت الحكومة امراً بتشتيتهم . وكان قد وصل الى دمشق بعض الجنود المسرحين العائدين من ميسلون، فازدادت نار الثورة تأججاً، وكانت الفوضى تنفخ فيها على الدوام، فقام بعض الرعاع يصيحون مع الثائرين ويسلبون وينهبون . جاءت كتيبة من الجند لتنفيذ الامر بتشتيت هذه الجموع الهائجة فنشب بين الفريقين القتال ووقع مئات من القتلى تحت نيران المدافع الرشاشة .

وكان يوسف العظمة لا يزال مصراً على رايه وعزمه . اما الملك فيصل فيبعد التردد والتعذر، نهض يوم الجمعة يشد حقيقه ويستل السيف باسم الله . وقف يومئذ في الجامع الاموي خطيباً وطلق يدعو الناس للجهاد، ويعدهم بانهم سيكونون في طليعة الجيش .

ولكن وزير الحربية الباسل سبقه الى الجهاد والاستشهاد فخرج باربعين جندي ومئتين من المجانة، يصحبهم ويقبضهم جيش من الاهالي والعربان يتراوح عدده بين الاربعة والخمسة الاف . جاء ينجذ تلك البقية المستبسة من الزوايا الاولى . ولكنه هو وزير الحربية كان يعلم ان الذخيرة والمعدات لديه لا تكفي لمعركة واحدة خطيرة، ففضل الشهادة على الحكمة والموت في سبيل الوطن على الحياة في ذله .

اتخذ العظمة عقبة الطين جبهة للدفاع ونشبت في ٢٥ قوز نار الحرب بين الجيشين في واقعة دامية استمرت ست ساعات، واستخدمت فيها الجنود

الافرنسية الطيارات والدبابات ، هي واقعة ميسلون المعروفة التي اضعفت القوات العربية واوقعت في صفوفها عوامل التفكك والتقهقر .

وظل يوسف العظمة في مقدمة رجاله يحثهم على القتال ، فاصيب برصاصة في فخذه ، واخرى في كتفه ، وظل يحرض ويقاقل حتى اصابته الثالثة في رأسه فهوى الى الارض صريعاً ، رحم الله ~~كل~~ من مات بطلاً في سبيل الحرية والاستقلال .

في اليوم التالي دخلت الجنود الافرنسية دمشق وكان قد غادرها الملك فيصل ومعه بعض من لا يزالون في حاشيته من بغداد .

الفصل الحادي عشر

الثورة في العراق

تجهر الحرية شهر شوهر على طلاب الحرية - ولا زعامة طاهرة - خسارة العراقيين
والانكليز - فساد الاخلاق في اوربا - روم التمرد في الشرق - حكومة هندية
في العراق - ضعف السيادة العنصرية - تأجيج الفتنة - العشائر والمقاتيل - السر
أكبر عائدات - الماقل الانكليزية - سوري ملتزم حكيم - البر آرلاند والسون
- في سياسته سوط ونكتة - السر برسي كوكس - في سياسته كثير من الزيت
- بلاغ المندوب السامي - حكومة وطنية - السيد عبدالرحمن النقيب الجيلياني
- أعضاء المجلس الوطني - أعمال المجلس - السيد طالب النقيب - العراقي يطلب
ملكاً - السيد طالب يحيى الطائب .

ان الشهر الذي استقرت فيه السيادة الفرنسية في سوريا لشهر شوهر
على السيادة الانكليزية في العراق - فقد اختار الفرنسيين نور ، شهر
الحرية ، ليقيموا شعباً مجاهداً في طلب حريته فجازوا ، وقد حاول العراقيون
في هذا الشهر ان يخرجوا الانكليز من العراق فلم يفلحوا . وكانت الثورة
قد اشتعلت وتأججت في أنحاء العراق كلها ، من النجف الى بقمربة ، ومن
المتفق الى الموصل وبلاد الاكراد .

جاءت الكلمة من العلماء ، وفي مقدمتهم كبير المجتهدين في النجف ،
فقامت الشائير ترددها وتعمل بها ، فارسلت روح التمرد في البلاد مبرمها ،
فالتهمت الاخضر واليايس في المضارب وفي المدن ، وعهد الوكلاء السياسيون
لهيبتانيا العظمى الى البرق والتلفون يطلبون النجدة من البصرة ومن
العاصمة . انه لأعجب مما حدث في العراق بعد الاحتلال الانكليزي .
هوذا بلد لا صحافة فيه تذكر ، ولا طارق مواصلات حديثة صالحة ، ولا
قيادة ، تعد الثورة فتربط اطرافه بعضها ببعض في اقل من شهر ، ثم تستمر
اشهرأ وهي تردد قرة وهولا . حتى ان العاصمة بغداد سكادت تسقط في
حوزة الثائرين .

قد انفتحت الحكومة البريطانية ملايين من التأثيرات وفادت بالوف من الجنود لاحتادها ، وكانت خسارة العراق كذلك كثيرة فادحة . هي ثورة شبيهة بزلزال هائل ، لا بمجاذت اجتماعي شاذ يديره مع ذلك العقل والحكمة ، فلم يكن فيها شيء من الخير لا لأهل العراق ولا للحكومة المحتلة .

بيد انها نبهت الانكليز الى حال في البلاد العربية بل في الشرق جديدة ، وذكرتهم بحال في اوربا هي بنت الحرب العظمى وام الانحطاط المعنوي ، تلك الحال العامة وقد كادوا ينسونها . ان لكل عمل رجلاً ولكل رجل يوماً ، ولكل يوم سياسة . قد كان الانكليز السبب الاول في ثورة العراق في صيف ١٩٢٠ لانهم نقاوا الى البلاد حكومة هندية قديمة عقيمة ، هندية في طريقتها ، هندية في سياستها ، هندية في رجالها . والهنود يجملتهم لا يحبون العرب ولا يحترمونهم ، والعكس بالعكس . وقد كان رئيس الحكومة في هذه الفترة رجلاً من الطراز الاول من ابنا بريطانيا الاشداء الذين شادوا في الماضي معالم مجدها . غير انه وجد في زمان غير زمان اجداده ، وبين شعب غيرت نفسيته وعقليته حوادث الايام .

السِر آرولد ولسون^(١) الحاكم بالوكالة يومئذ في العراق هو كهل في العقد الرابع من العمر ، ومن الانكليز الذين كانوا يحلون السوط في القرن الماضي ويحكمون بموجب ضميرهم لا ضمير انكليز اولاً ثم الخير الناس . وكانوا في تفوقهم محسنين ، وفي ظلمهم عادلين ، قوتهم في يقينهم . ويقتنعهم في اخلاقهم ، واخلاقهم متأصلة في فضائل شعب مجيدة ، اظهرها الشرف والعدل والصدق والنيات . بيد ان هذه الفضائل امست اليوم من التقاليد المحترمة . وقد يعيد الزمان الى التقاليد الحياة والعمل .

قام السِر آرولد ولسون يمثل في العراق امة افقدها الحرب صكها افقدت

امم اوربا جماعه كثيرأ من قواها المعنوية الروحية ، فصارت تفادي بعدلها في سبيل شرفها ، او تنزل عن شيء من شرفها لتحتفظ مقامها ، او تتساهل بالصدق لنظف ثابته القدم . - وعة الكلمة ، او تغلب وتتلون دفاعاً عن نفسها وكيانها . رجل من حديد يمثل امة من فولاذ اعتراف الصدا ، قام في العراق يحكم باسم الله وبريطانيا العظمى ، فوجد شعباً ظنه كمشوب الهند في القرن الماضي يقبل دائماً بالتأديب ويشكر دائماً المؤذنب .

قلت ان الحرب انقذت الامم الاوربية كثيرأ من قواها المعنوية ، الادبية والروحية ، ولم تُكسب الشعوب العربية بل الشرقية غير حب الحرية والاستقلال وتوقع في سبيلها لا فانها شدة حتى التزعات الدينية . ولكن الحروب والثورات ، اذا كسرت قيود الظلم ، لا تعلم المظلومين التزاهة والحكمة والعدل ، ثم العمل المدني الذي فيه هذه الفضائل الثلاث . فقد الانكليزي من قواه المعنوية ما كانت تقدر في الاحكام بنصف نفوذ ، ولم يبق في العربي بل الشرقي من الخوف والاحترام ما كان يقوم مقام النصف الآخر . كانت بريطانيا العظمى تحكم ثلاثة ملايين من الناس بثلاثين الفا من الجنود . هي حال وأت ايامها . فقد ارسلت سبعين الفا من جنودها الى العراق ، وسكانه لا يتجاوزون الثلاثة ملايين ، ولم تستطع ان تحمد الثورة في اقل من سبعة اشهر .

السبب بسيط . ان كلمة الحاكم العادل المستبد تستوجب في تنفيذها ، اذا كان لا يحترمها الناس ، قوة الشرطة او قوة الجيش . فكيف بها اذا كان الناس ينفرون منها ويقاومونها . زرع السر آرنلد ولسون ، اثناء قيامه مقام المندوب السامي ، بذور الفتنة ، وهو متيقن انها بذور الحكمة والحير ، وشاركه في الزرع وفي الحصاد رجل آخر من رجال الحكم الانكليزي هو السر آلبو هالدين ^(١) قائد الجيوش البريطانية يومئذ في العراق . ويظهر ان

السراي كان احرص على صحته وراحته من السر آرنلد . فقد اعتاد في الهند ان يتنقل مع الحكومة في كل فصل من فصول الورد والحر ، ف جاء العراق في آخر الشتاء ، وما كاد يدخل الربيع الذي هو النصف الاول من صيف هذا القطر حتى احس بحر حله على التجوال في جبال العجم . ثم نقل مركز القيادة العامة الى تلك الجبال بينا البلاد كانت تتخض بالثورة . اضاف الى ذلك ما كان يحدث بينه وبين وكيله المندوب السامي والوكلاء السياسيين من الخلاف الذي زاد في خلل الادارة وفي امتداد الفتنة . حتى ان السر آرنلد بعث ذات يوم يشكوه الى الحكومة بلندن فيجاءت بريقة من الوزارة الحربية تسأل القائد العام ماذا يعمل في جبال العجم . اجل ، ماذا يعمل في الجبال ووزير الفتنة تشتغل في السهول ؟

اما الغاية من هذه الثورة فقد انحصرت كما يظهر بأمرين ، اخراج الانكليز واعلان الاستقلال . على ان نهضة يدبرها او يوعز بها او يدعو لها المجتهدون لا تتجاوز من ترعة دينية تتدخل دعوتها السياسية . فقد كان المجتهدون في النجف وبعض الزعماء مثل يوسف السويدي وجعفر الي التسن يعملون سراً في اثارة الفتنة . اما العشائر فقد كانوا مستعدين - وهم دائماً مستعدون لتلبية اي دعوة تخلصهم من دفع الضرائب الباهظة التي تفرضها الحكومة عليهم وتحاول تحصيلها بالطرق الفعالة ، القانونية وغير القانونية ، فاهمهم شيء ولا عرفوا بشيء من مقاصد الزعماء المحتجين الخفية .

وقد كانت للعشائر قوة في الدفاع والقتال عجزت دونها الجنود البريطانية ارض العراق كما هو معلوم مسطحة بسيطة لا يمكن ان يكون فيها ملجأ يابجأ اليه المقاتلون في الغارات او ممكن يكتفون فيه فبني العشائر لهذه الغاية المقاتيل . والمقاتل هو برج صغير مستدير ، علوه من خمسين الى سبعين قدماً ، فيه درج غالباً لولبي يتصل بغرفة في رأسه فيها صكوى كبيرة من الداخل صغيرة من الخارج يوصد منها المدور ويطلق منها النار . وهي تختلف حجماً

فيسكن ان يحاصر فيها من الخمسة الى العشرين رجلاً عدة ايام . قد رأيت منها . في البصرة وفي نجد ولكنها قليلة هناك .

اما العراق فقد كان فيه الوف من المقاتيل عند دخول الانكليز . بل كان في بعض الجهات لكل بيت او في الاقل لكل حي مقتول . المقاتيل اذ هي الزيل الاكبر على الجنود الانكليزية ، وهم في الغلات معرضون دائماً لتارها ولا كنف يحسبهم منها . فلا عجب اذا عدت حصن العراقي المنيح ، والسلاح الوحيد الذي يشاء العدو . ولا عجب اذا كان العدو في الزحف والمهجوم يسمى اولاً في هدمها ، ثم يبني في السهول ما يقوم مقامها لجنوده وهو المقل او ما يسمونه بالانكليزية Block House وايس هناك ما يحول دون ذلك . فالمقل مربع بسيط له اربع نوافذ عالية وليس له باب ، وفي الداخل مراقف للجنود تمكنهم من الرصد واطلاق النار . قد بني الانكليز الوفاً من هذه المقل ، وفي الطريق من البصرة الى بغداد كثير منها ، ايس بين الواحد والاخر اكثر من مسافة ميل واحد .

اما هدم المقاتيل فيستلزم قوة وشجاعة واستيسال . وقد بذل الانكليز فوق ذلك كثيراً من المال . فكانوا يتقدمون الى شيخ القرية او شيخ القبيلة بشرك او جعفر او برشر من الرصاص او المال ، فيضغطون عليه او يستفرونه او يرشونه او يقدرون به — والحرب خدعة . اجل ، قد بذل الانكليز كثيراً من المال ومن الرجال في هدم المقاتيل . ولم تكن الطائرات التي حملوا بها على العشائر لتساعد كثيراً ، الا اذا كانت المقاتيل داخل القرية التي يضربونها ، فيهدمون ويحرقون فيها ليهدموا تلك الحصون الصغيرة الخفية او اجروا اهلها المتسربين . لا اظن ان في مظالم الحكم مظلة تورث العراقيين بغض الانكليز وتشبه عليهم نائرة الاحقاد مثل الطائرات ، ذاك السلاح الطائش الاعمى الذي يقتل النساء والاطفال والايام مع المذنبين .

وعلى الرغم من الطائرات قد حاصر الثائرون كثيرين من الضباط والوكلاء السياسيين وهم في مراكزهم يدافعون عنها الى ان نجيتهم النجدة او يقتلوا . وقد كان اكثر الموظفين من الجندي فلم يحسنوا الادارة خصوصاً في بلاد اجنبية ، ولم يكن بينهم وبين اهلها شيء من العطف . فضلاً عن الحلل في الادارة العسكرية التي كانت قيادتها العامة مقتصة في جبال العجم . فلا عجب اذا استمرت الثورة سبعة اشهر ، والعرب فيها فاززون بالرغم عن المعادل المشيدة والمقاتيل المهذومة .

وعلى ذكر المقاتيل اذكر سورياً سمي في هدم مئات منها وكان من المخلصين . فقد كان في خدمة الانكليز الادارية بعض السوريين من المقتدرين المخلصين ، كما جاء في تقرير المندوب السامي الى دائرة المستعمرات . « وقد كان احد سورياً المقتدرين المخلصين عوناً كبيراً لنا في هذا الموقف الحرج » ولكن كاتب التقرير لم يذكر اسم ذاك السوري . هو الجندي المجهول . فما اني هملاً بالواجب الانساني لا الوطني اذكر اسم من يستحق ضعفي هذا الثناء . هو سوري من حيفا كان نائب متصرف البصرة يوم كنت هناك ، فخدم الحكومة العراقية الانكليزية في ايامها الاولى المدنية خدمات جليلة في وظائف شتى ، وحاز جزاء خدمه في النجب خصوصاً وسام الدولة الهندية .

كان جاد غاري معاون الوكيل السياسي في الشامية^(١) وكانت المقاتيل في تلك الايام كما قلت اشد اعداء الجيوش البريطانية وامضى سلاح بيد المراقبين . فتمسكن جاد غاري في الشامية من حل العرب على هدم مقاتيلهم ولم يبذل من اسباب النجاح غير اللطف والمعروف وقوة الاقتناع . داراهم وهو في دارهم ، فاكتسب ثقتهم وحب مشايخهم ، فهدموا من حصونهم ما

(١) هو قضاء الشامية من متصرفية الحلة وعدد سكانه نحو خمسة وستين الف نفس كلهم شيعة . ومن العشار .

يتجاوز الالفين منها ، وكانوا بعد ذلك من اصدقاء الحكومة والانكليز .
قد لا يذكر اسم جاد غاوي في التقارير الرسمية ، ولكني سمعته حيناً سرت
في العراق وما سمعته مذكوراً بغير كالمات الحب والشكريم .

اما السر آرنلد ولسون ، فلا يزال في العراق من الانكليز لا من العرب ،
من يعجب به بالرغم من هذه الثورة ، ويستحسن خطته السياسية . ولا غرو ،
فهو على نزقه وتسرعه وعنفوانه حر الطبع ، صريح الكلمة ، طاق الحيا . وهو
حفظي اللون ، اسود الشعر والعين ، كأنه ايطالي او اسباني . وله شيء مما
كان لروفلت من المغالطة في المصافحة والحديث . قد كان الرئيس الاميركي
الشهير يضرب بيده على كنف من يحبه عند المصافحة ، فاصبحت من عاداته
المحبوبة . اما السر آرنلد فلا يضرب بيده بل بلسانه او بإشارة من اشارات
النفس التي تظهر في اللحظ او الابتسام او في زهات الكلام . قد اجتمعت
به في البصرة بعد ان رجع من انكلترا لرأس شركة الغاز الانكليزية
الفارسية في آبادان . فسلم كأنه من المعارف . وعندما تبادلنا السلام
تبادلنا كلمة بخصوص السر برسي كوكس . وكان قد علم السر آرنلد بالي
انتظاره لرافقه في السفر الى العقير فقال علي الفور : سنتظر طويلاً . فقلت :
اذا كان لا يصل في هذا الاسبوع اسافر وحدي . فقال : حسناً تفعل . هي
الطريقة الوحيدة في النجاح فخطرت في بالي اذ ذاك ما قاله الشاعر العربي فترجمته له :

وانما رجل الدنيا وراحتها من لا يعول في الدنيا على رجل

فقال السر آرنلد على الفور : عند العرب الشعر ولا ريب ، ، وليس
بندهم الفعل .

هوذا الرجل الذي كانت سياسته في العراق من العوامل الاولى في ثورة
سنة ١٩٢٠ . ولا اظنه اذا ذكرت مرة يحس بشيء من الندم ، لانه كان
ولا يزال يعتقد ان القوة في الحكم بالرغم عن التعنيف خير من اللين والفوضى .

اما الرجل الذي جاء في تشرين الاول من هذه السنة ليطفي ما تبقى تحت الرماد من جمرات الثورة ، ويؤسس حكومة وطنية لاهل العراق « وفقاً لغائب جلالة الملك » فهو نقيض السر آرند على خط مستقيم .

السر برسي كوكس^(١) رجل طويل القامة ، نحيل الجسم ، بيضي شكل الوجه ، دقيق الأنف والشفة ، ابيض الادم ، اذرق العين . هو انكليزي لا غش فيه . ظاهره ، وهو في مسكون ، يني . عن نفس رائقة ولكنها ليست بشفاقة . واذا كان من اضطراب هناك فقلما يبدو للنظر . في اطقه ما يدني ولا يشع ، وفي صراحته شيء يشير غالباً الى التعمد . هو من السياسيين الذين يحتفظون بسرهم ، وان كان لا يسم ، كثره رأس مالمهم في الحياة . واذا كشف عن زاوية منه فيعد ان تكون الحوادث قد كشفت عنه الستار كله .

ان مسكون السر برسي هو غالباً افصح من نطقه . وان عمله السياسي ، وان وقف فيه احياناً عند حد الموض أو العجز ، لا يخلو من الاخلاص للعراقيين وللعرب . فاذا حصرت النظر في سياسته العربية ارى ان اكبر فضله واظهر حسناته هو هذا الاخلاص ، ولو ظهر في بعض الاحايين في مظهر مائع او في مظهر مؤلم . فقد قضى مدة من حياته قريباً من العرب ولا يزال يحبهم ويعجب بمواهبهم الراقدة ، ويود ان تكون المنافع في العلائق الانكليزية العربية مشتركاً فيها على السواء بين الامتين .

(١) دخل السر برسي كوكس في ملك الحكومة الهندية سنة ١٨٩٠ فوعين بعد ثلاث سنين نائب قنصل زبلا في بلاد الصومال ، وانتقل في السنة التالية الى برهم ، ثم عين سنة ١٨٩٩ قنصلاً في مسقط ، ثم قنصلاً عاماً في ابني شهر . وفي سنة ١٩٠٩ استد اليه منصب المندوب السامي في خليج العجم . وعندما شبت نار الحرب العظمى اُنتدب لان يكون رئيس الحكام السياسيين لفرقة D من الحملة الهندية لفتح العراق . ثم ذهب بعد الحرب الى بلاد ايران بصفة وكيل للوزير البريطاني في طهران ، وعاد منها مندوباً سامياً لحكومة بريطانيا العظمى في العراق .

كنت تحدث وأحد رجال السياسة المعتدلين ، غير العرب ، وكان السر برسي ونفط العراق موضوعنا فقال جليسي : ان في سياسته كثيراً من الزيت . هي استعارة غريبة عطفية ، وفيها خلا الإشارة الى زيت العراق مغزى لطيف . فالآلة الميكانيكية اذا كثرت زيتها يخف صوتها وتنعيم في احتكاك اجزائها . ولكنها تقف احياناً من الاحتقان في مفاصلها فيحتريها الحطل . وكتبوا ما روقت الآلة السياسية في دار الانتداب ، وكان رئيس المهندسين ، بل رئيسهم المس بل ، تذكر في البلاغات بعض اسباب الحطل ، ولا تشير مرة الى كثرة الزيت والاحتقان .

هنا قيل في السر برسي فان وجوده في العراق ، في ما يعد من اهم ازمته العراق السياسية بعد الحرب ، كان خير ضمين لكرامة انكليترا ومصحتها ، وخير صلة بينها وبين هذا القطر الناهض من الاقطار العربية . فقد حدث في عهده من الحوادث ما ستكون باذن الله وبهمة العراقيين اول صفحة مجيدة في تاريخ العراق الجديد .

عند وصول السر برسي في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ انتهى الحكم العسكري رسمياً . ولكن شراف من الثورة كانت لا تزال خارجة في اماكن مختلفة فصوب المندوب السامي باكورة اعماله اليها . فسلمت كربلا ، وهي قطب الفتنة ، في ١٣ تشرين الاول ثم انجبت الحامية في البصرة ، فسلمت على اثر ذلك النجف ، وأذعن عشائر الشامية والديوانية لاورامر الحكومة ، فكان عدد ما جمع من السلاح في هذه النواحي ثمناً وستين الف بندقية .

اما في لواء ديالى ، حيث سكنت الثورة في اشد حالها ، فقد استمر الاضطراب وما تخلله من الحوادث المؤلمة الى اواخر سنة ١٩٢١ عندما عقدت المعاهدة بين الحكومة وروساء العشائر هناك . وظل في الشمال في نواحي الموصل نفوذ الاتراك بنضر كالسوس في عظم السيادة العربية الانكليزية .

عندما باشر المندوب السامي أعماله السلية اصدر بلاغاً الى العشائر خصوصاً
والى اهل العراق عموماً يعلمهم فيه بانه انتدب ليعاود في تحقيق اماني الامة
بواسطة زعمائها ، وليؤسس بموازرتهم حكومة وطنية . على ان ذلك يستحيل
قبل ان يستتب في البلاد الامن والنظام . ولما توفقت حكومة الانتداب الى
الاجهاد شي . من ذلك اصدر بلاغاً آخر يعلم الامة بتأسيس حكومة مؤقتة الى
ان يجتمع المجلس النيابي العام في ١٧ حزيران من سنة ١٩٢١ ، وان هذه
الحكومة المؤقتة تتألف من مجلس وطني يحكم تحت مشاركة المندوب السامي
في كل الامور ما عدا الخارجية والعسكرية .

ان اصدار مثل هذا البلاغ لمن البسط الامور واسهلها ، ولكن تأسيس
حكومة مؤقتة ، تجوز ثقة البلاد وتكون مرنة بيد المندوب السامي ، هو
من الامور التي يسكت فيها العقْد ولا تخلو من النفاطات .

لا ريب ان بيت النقيب ، وعلى رأسه الشيخ الحليل السيد عبد الرحمن
الحيلاني ، هو مسوخ الكلمة ، محترم الجانب في بغداد بل في العراق .
ولكنه في السياسة ، كما هو في الدين ، يؤثر التقاليد على البدع ، ولا يرفع
على الاعتدال حسنة من حسنات الوطنية . وقد تنقلب في اعتداله المحافظة
التي يعقم عندها الرأي وتقتاص عوامل التجدد . الا ان ذلك لا يهيم النفاطات
في العقْد الواقي فتلهن المسر بل .

— ان فضيلة النقيب صديقنا ، صديق انكليزنا ، وهو ثابت في صداقته .
وان له نفوذاً سياسياً مقروناً بنفوذ ديني لا يضاهيه نفوذ في البلاد . اذن هو
صديق الامة وصديق الانكليز — هو الزعيم . سأعود الى فضيلة النقيب
ومجلسه وسياسته في فصل آخر .

قبل مقترداً رئاسة المجلس الوطني الذي كان من اعضائه الاخصائي المالي
الشهير في العراق ساسون افندي حزقيل ، والسيامي الداهية السيد طالب

النقيب ، نقيب البصرة ، والعالم الفقيه مصطفى افندي الالوسي ، والوجيه
الفاضل عبد اللطيف باشا المندلي . كانهم من اصحاب النجدة والكرامة ،
وليس فيهم من حارب في الحرب العظمى وكان من الشبيبة الوطنية التي
تنعكس في اعمالها واقوالها ، وفي بعض اعمالها ، جمال النهضة العربية ، وحقيقتها
العالية ، الاجعفر باشا العسكري .

اجتمع المجلس لأول مرة في ١٠ تشرين الثاني واستمر في الحكم الى
يوم تنويع الامير فيصل ملكاً على العراق . وقد كان من اعماله المقو عن
بعض المنفيين من اشتركوا في الثورة ، ومساندة الضباط العرب الذين خدموا
في الحكومة السورية الفيصلية ليرجعوا الى العراق ، وتنظيم حكومة مدنية
يديرها موظفون وطنيون تحمل محل الحكومة العسكرية التي كان يديرها
الوكلاء السياسيون الانكليزي . ثم باشر المجلس دوس انشاء جيش عراقي
ودرس قانون الانتخابات التركي وتصحيحه لطابق احوال البلاد الجديدة .

وكان قد تولى هذا الامر ناظر الداخلية طالب باشا النقيب . غير ان
الانتخابات والمطامع الملكية قلما تلتئم خصوصاً اذا كان امر الاثنين منوطاً
برجل واحد . بدأت الامة تطالب بتنفيذ قرار ١٧ حزيران الذي اصدرته
الحكومة العسكرية واجازته الحكومة الوطنية المؤقتة . بدأت تطالب
 بانتخاب المجلس النيابي العام .

وكان الامير فيصل قد سافر الى اوربا ووصل الى انكلترا ، وكانت
الحكومة الانكليزية تفكر في ملكية العراق وفي نكبة الامير . اما في
العراق فكان قد ولي بعض الناس وجوههم شطر الكعبة يستمدون من
ظله المبارك الرعي في تشييد ملكهم الجديد . فشاغ في البلاد امر الملك
حسين واولاده ، وبعث بعض اولئك العراقيين يرغبون اليه بان ينفذ احدهم
ليتبرأ العرش الجديد .

افزع الجبه وزير الداخلية الذي فكر ملياً في الامر فرآه منشعباً كثيراً
 الاخطار . ان لالشريف اربعة انجال وفي كل واحد منهم الخير والبركة .
 ولكن الامة العراقية تأبى التفضيل ، وقد تسيء الاختيار ، فتتقسم على نفسها
 فيتراحم ويتهاك الانجال الاشراف في سبيل مصالحها . . . وليس في مثل
 هذه السبل خير للعراق .

لذلك شرع السيد طالب يطوف في البلاد ايتن اصلاحاً خاصاً في قانون
 الانتخابات ، كانت المادة الاولى فيه ، تلك التي تولى بنفسه نشرها وتعيينها ،
 ان لا تنتخبوا شريفاً اجنبياً ملكاً عليكم . ويحكم . هوذا السيد طالب
 وهو مثل انجال الشريف من الاشراف . فهو يتكفل لكم بمن يلائم كوسي
 العرش ولا يكون الناج على رأسه كبيراً او صغيراً . بيد ان المستر تشرشل ،
 وزير المستعمرات الانكليزية ، وعو يومئذ « طنب سارج » مثل السيد
 طالب ، كان يسعى في غير هذا السبيل .

الفصل الثاني عشر

فليحي الملك

ثلاثة يهتفون ، والثاني واحد - السيد طالب يخطب - المستر كشرشل يدعو - الأمير فيصل ينتظر - مؤتمري القاهرة - رجوع السير برسي كوكس الى بغداد - السيد طالب يهدد دار الانتداب - المخراتين يدعونه الثاني - الجنود تحمله على إساق الربيع . . . - المندوب السامي يصدر بلاغا - الأمير فيصل يزور والده بمكة - السير ايف المراق - الوصول الى البصرة - الاستفتاء والمباينة - التتويج - فليحي ملك العراق - ملكان يتأخضان - الامة والصداقة تهللان .

ثلاثة في هذه الحوادث التاريخية عظمت همومهم فبلغت الحلة الفاضل بين النكبة والنعمة . ثلاثة يالتون الشعب الذي اصبح ويده التاج والصولجان بينهما من يشاء ، ويحط بها اذا شاء . ثلاثة يهتفون والتاج واحد . اما المستر كشرشل فقد كان همه الاول ان يخفف الضرائب عن الشعب البريطاني ليحفظ السيادة له ولجزبه في الحكومة فيضمن لمليكه سلامة التاج وثاني الثلاثة الامير فيصل الذي فقد تاجه في سوريا وراح يطالب الحكومة التي اعتادت - وفي كل عادة شيء - من الذمة - ان تضارب خارج بلادها بالنيبجان . والثالث سيد من سادات البصرة ، فيه شيء من الاسد وشيء من الثعلب ، رأى الامة ويدها تاج تبقي صاحبة فجاء ليخبرها بان صاحبه النقيب سيد البلاد الأوحده . اما اذا احببتم ان ينوب عنه السيد طالب ، وهو نقيب ابن نقيب مثله ، فلا بأس . وراح يطوف البلاد كما جاء في الفصل السابق ليتحقق رغبة الامة .

وجاء المستر كشرشل الى فلسطين ثم ام القاهرة ليدرس الحالة السياسية في الشرق الادنى فيدعم بشيء من الاصلاح سياسة الاحرار في الحكومة . هذا ظاهر الغرض من تلك السياحة ، ومن المؤتمر الذي عقد في القاهرة . دعا المستر كشرشل رؤوس الحكومات الانكليزية في بعض الاقطار العربية للمفاوضة

فجاء من العراق المندوب السامي يصحبه بعض المستشارين والمس بل ووزير المالية ساسون افندي وجعفر باشا وزير الدفاع .

وجاء الى القاهرة في ذاك الشهر ايضاً اي الشهر الثاني من سنة ١٩٢١
الامير فيصل وحاشيته - متزهين - فصفا الجو في العراق للسيد طالب ثم
اكتنهر كما سيحيي الكلام . والسبب في ذلك ، مها قيل في التقادير الرسمية ،
انها هو مؤتمر القاهرة . - قد اجتمعنا ايها السادة لننظر في طريقة صالحة
نتمكن من تخفيض القوات الانكليزية المسلحة في الشرق الادنى دون ان
ياحق شي من الضرر بالسيادة الانكليزية . ثم للنظر في تأسيس دائرة
خصوصية للشرق الادنى في وزارة المستعمرات لتوحيد السياسة والعمل .
وبكلمة اخرى ، بكلمة وجيزة صريحة ، يجب ان تخفض نفقات حكومات
الانتداب لترفع عن مناكب الشعب الهريطاني انتقال الضرائب . واننا نرى
ان ننظروا في العراق جيشاً من الوطنيين فنتسكن من سحب جنودنا من تلك
البلاد . . . قد اجتمعنا ايها السادة . . . ملك العراق ؟ نعم . نعم . . .
وكان الامير فيصل وحاشيته قد اُروا القاهرة كما قلت ترويحاً للنفس .

عاد وفد العراق الى بغداد فأصدر المندوب السامي بلاغاً في ١٢ نيسان
قال فيه ان ما قرره مؤتمر القاهرة يجب ان يعرض على الحكومة بلندن قبل
ان يعلن . وكان السيد طالب قد اذعن في التطواف والخطابة ، وتوسع في
سياسة الانتخابات والنتائج ، فازعج فريقاً من الامة وخصوصاً فضيلة النقيب
الذي كان يدرك من غوامض الامور ، وهو الصوفي الكامل ، ما تعجز دونه
روحية طالب باشا وعقلية امثاله . أغض النقيب الاكبر عييه ونظر الى ما
وراء حجاب النقيب ، فواى هناك وزيراً من كبار الوزراء وخاتوناً من كبيرات
الخواتين ، دع النفائث في العقد ، فسمع الاول ، ويقول والثانية تترجم : لا
ترغب حكومتني لعرش العراق بغير واحد من بيت الحسين بن علي .

ولكن السيد طالب لا يسمع ولا يردوي . فغني مأدبة ادبها لبعض الصحافيين الانكليز ، وحضرها عدد من الوجها . الوطنيين ورؤساء العشائر ، وقت بعد ان دارت الكؤوس خطيباً ، وكان في جهره عجبياً - - ان في دار الانتداب من لا نجحهم لانهم يتدخلون في شؤون الامة التي لها الحق ، ولها وحدها ، ان تؤمر او تنكح عليها من تشاء . وقد صرحت حكومة الانتداب بانها ستعتمد ارادة الشعب العراقي . ونحن نختارها اذا فعلت . اما اذا اخلقت فيها هنا عليها - ونظار اذ ذاك الى رؤساء العشائر - عشرون الف بندقية .

كلمة شديدة صريحة ساقطت الى جو السياسة الغيوم والضباب فقامت الحواريين تبديدها . دعت اللادي كوكس السيد طالباً للشاي وكانت المس بل هناك قتل على الدوام التفافات في القدر ، فسحر النقيب ابن النقيب ، وخرج من القصر مسجوراً ، فاستقبله عند الباب بعض الجنود ، فدفعوه الى سيارة كانت طيارة . حملوه على بساط الريح دون ان يدري بذلك احد من الانس ، ولم يبقوا به حتى امسوا خارج العراق . ثم صدر منشور المندوب وفيه الاسباب التي حملته على زفي صاحب المعالي السيد طالب باشا النقيب .

وظل الامير فيصل سائماً في جو صفا اديمه وتلاذت من ورائه طلائع النيب ، فوصل الى الحجاز في اوائل حزيران ، يوم القى المستر كشرشل خطاباً في مجلس النواب يختص بالعراق ، وركب الهجين من جده الى مكة ليقيم هناك بالواجب النبوي . تباركت الاقدار التي تديرها سياسة بريطانيا العظمى . فقد أنست الابن غضب ابيه ثم استيقظت في صدر صاحب الجلالة الراحة والرضوان ، فجاءت منه برقية تقول ان ابنه فيصلاً قد سافر الى العراق .

وبعد عشرة ايام اشرفت شمس الامير في خليج فارس فجاءت النقيب برقية ثانية تقول انه سيصل الى البصرة في ٢٤ حزيران . وما ضل البخار ولا غوى . وصلت الباخرة في الوقت المضروب فاستقبل من تقل استقبالا

رسمياً جيلاً في البصرة بالرغم مما كان فيها من عوامل الريب والتردد بشأن من جاء يجلس على عرش العراق . بيد ان الامير في محضره وحديثه وخطبه هو اصكبر حجة لنفسه على المترددين من الناس . وقبل ان أم بغداد زار المشهد^(١) والحضرة^(٢) فاستمال اليه القلب الجعفري الحنفي . ثم في ١١ تموز اجتمع مجلس الوزراء برئاسة النقيب وقرر ان يكون الامير فيصل ملك العراق بشرط ان تكون الحكومة دستورية ديمقراطية نيابية . فاضاف المندوب السامي انه بموجب تصريحات حكومة جلالة الملك بان يكون للامة العراقية حق انتخاب من نشاء ملكاً عليها ، فلا يعمل بهذا القرار قبل ان يشته الشعب العراقي . وشرعت الحكومة في الاستفتاء او الانتخاب او المبايعه ، فكانت النتيجة واحدة . ان انتخابات هذا الزمان الديمقراطية ، خصوصاً في الشرق ، لا ضحوة من اضاحيك السياسة . على انه بالرغم من معاصي الضباط الانكليز السياسيين الذين تولوا امر الانتخاب قد اشترط كثيرون من المتطهين بان تكون حكومة الملك حكومة مستقلة عن اية سيادة اجنبية كانت . اي انهم رفضوا الانتخاب

وكانت حفلة التتويج في ٢٣ آب سنة ١٩٢١ ، فوقف السر برسي كوكس يعلن امام الجماهير المحتشدة ان الامة العراقية اجمت بستة وتسعين من اصواتها على مبايعة الامير فيصل ، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تعترف به ملكاً على العراق . فلقى جلالة الملك خطاباً جاء فيه : ان اول عمل اقوم به مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي .

وبعد انتهاء الحفلة قدم المندوب السامي للملك برقية من الملك جورج الخامس فيها الكلام المأثوف في النهضة ثم ما يلي : « وان المعاهدة التي ستعقد

(١) قبر الامام علي في النجف .

(٢) قبر الحسين في كربلاء .

قريباً بيننا فتشبت التحالف الذي تحالفناه في ايام الحرب المظلمة ستسكني ولا ريب من القيام بواجباتي المقدسة لادخال العراق في عهد جهيد من السلام والنجاح» فاجابه الملك فيصل بعد كلام الشكر المألوف بما يلي : « لا اشك بان المعاهدة التي ستعقد قريباً بيننا ستسكن عرى التحالف الذي قدسه في ساحة الحرب العظمى دم الانكليز والعرب وانها ستقام على اساس متين » .

اما الشعب والزعماء والصحافيون فلم يدركوا ، وهم في نوبة من الحفاة والابتهاج شديدة ، خطورة هاتين الهزمتين . لم يدركوا ان الملكين عقدا يومئذ عدة استعجال في السنة التالية حلها فكانت السبب في ما شوه الاحكام الاحمى والانتدابية من الخلل والاضطراب . غس الصحافيون يومئذ اقلام الفصاحة في محاور البيان ، واستعاروا من البلاغة اجنحة طاروا بها في سماء الاماني الوطنية والاعلام .

- وفي هذا اليوم شغفت انظار الامة الى مليكها تستعيد ذكر المنصور والرشيد والمأمون . وفي هذا اليوم تستمد الامة من ماضي مجد العباسيين نوراً تدير فيه الى اعالي مجدها الجديد . وفي هذا اليوم تؤسس حكومة عربية حرة دستورية نيابية ديمقراطية مستقلة كل الاستقلال . وفي هذا اليوم - سقط منذ سنة ملك سوريا ، فليحيى اليوم ملك العراق .

بعد سنة اخرى ، في عيد الجلوس الاول ، رددت الصحافة آيات البلاغة الذهبية ، وحلقت في سماء الامال المسجدية ، فزهنت على ضعف في ذاكرتها او في سمعها . في مثل هذا اليوم منذ سنة وقف المندوب السامي يعلن للشعب باسم جلالة الملك استقلال العراق وانتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق . وفي مثل هذا اليوم ابرق الملك جرجس الخامس الى الملك فيصل يهنئه والشعب العراقي ويذكره بالمعاهدة . فلم يكن لا في كلام المندوب ولا في بروقة الملك كلمة عن الاستقلال التام .

امر تسامعت به الحكومة قبل التتويج وامر تسامعت به الامة يوم
التتويج وبعده ، ها هنا رأس الخطل والخلل . فقد اشترط المبايعون في
بيعتههم رفض الانتداب فلم يأبه لذلك دار الانتداب . هم المشتغلون ونحن
الطاكون . وقد تعاهد المليك على عقد مهادنة في القريب العاجل فلم
تذكر ذلك الامة ، او انها ادركت ولم تكتراث . دع الملوكة يتعاقدون .
اما الحكم اليوم فلا شعوب . هوذا الاساس الواهي في الملك الجديد . هوذا
رأس الخطل والخلل .

الفصل الثالث عشر

المعاهدة

العجز في الحكومة عجزان - الضرائب - الامة حائرة - الانكسار الشؤن -
اعترافهم بالخطأ - معاهدة تثبت الاستقلال وتنفيه - لا ضراحة ولا ثمة ولا يقين
- الاستقلال معان - لا حرية ولا اتحاد - الوزارة الجديدة - المعاهدة - بعث
بنود النص الاول والنص الثاني - حكومة امروسة تختص - الهند الهادي عشر
ينتهي اضراما لها - خلاصة المعاهدة - توقيعهما - المستعجلون في بيت القتيب -
مفوض الوزارة - وزارة السمرقون - عبدالحليم باشا المنديل - المعاهدة ومفوضاتها
في الوزارات التالية - المعاهدة في المجلس التشريعي - سياسة الضغط والارهاب -
اعطاء المعاهدة - ولا تزال الامة تشكو وتحتج .

باشرت الحكومة الجديدة اعمالها بما اشترت اليه من العجز المعنوي . هر
عجز لان التصريح التام في مثل تلك الاحوال ، بل التحديد الاكيد الذي
اقتضته تلك الحوادث الخطيرة ، كان مفقوداً . فلا الملك العربي قيد وعده
الملك الانكليزي بالشرط اللازم ، ولا الامة التي بايمنت الملك اصرت على
الحكومة في البداية بقول شرط الـ لا انتداب . ولا حكومة الانتداب
صرحت برفضها شرط الامة في المبايعة . هذا هو العجز المعنوي الذي قل من
سلم من نتائج الحيلة .

وقد كان في ميزانية الحكومة عجز مالي لا يقل عن المليون ايرة
انكليزية فسد بقرار من مؤتمر القاهرة - ادخل في ميزانية حكومة انكلترا -
تمهيداً للعهد العراقي الجديد . بيد ان ذلك القوار اوجب على الحكومة
العراقية ان تخصص في ميزانيتها الجديدة ثلاثمائة وخمسين الف ليرة للجيش
العراقي . فكان ذلك عجزاً آخر . لانه تعسر جمع الضرائب من امة كانت
تائرة وظلت نائمة معاندة . هما عجزان فكانت الثورة السبب المباشر فيهما ،
تلك الثورة التي اثلقت في الزرع والضرع ما اثر في الضرائب تأثراً شديداً

وفكت من عرى الأمن والنظام ما أضمت الحكومة الى حذر لم يكن لها فيه سيادة فحتم . على ان الامة في حبوط الثورة فقدت الثقة بنفسها وصارت في جوارها ، في جوارتها ، اقرب الى التهويل منها الى العمل . وما يصح فيها من هذا القبيل يصح في حكومة الانتداب وفي الموظفين الانكليز عامة . الا ان طريقة هؤلاء ، وهم يظهرون من الضعف قوة ، كانت اضمن للستر والكرامة . قد يكون الفرق بين الاثنين فرقاً طبعياً لا خلقياً . وقد يكون غير ذلك . امرهما امر اثنين تصارعاً وتغالباً وكانا في النهاية مغلوبين على السواء في ما احابهما من الم ومنهك وقنوط . بيد ان آلام الواحد كانت ظاهرة ، وآلام الآخر خفية .

ومع ذلك فقد ابت على الكاظم الحفا . ما كانت انكليزياً في تلك الايام ، ايام العجز الادبي والمالي ، الا وكان ، بالرغم من التجدد والشدّة والثبات المشهور هذا الشعب بها ، متألماً من الحالة حتى اليأس . - « عندنا من الموظفين من يظنون انفسهم اكبر من كرامتهم فلا يحسنون الجاوس فيها . وعندنا آخرون هم كالاولاد المستديرين في الاثقاب المربعة مترعزون متقلقون » . وقال آخر : « عساكر وضباط في وظائف ادارية ومركزهم الطبيعي انما هو في الجيش » . وآخر - بارك الله بن عرف خطاه واعترف به - : « حكومة لندن تربط ايدينا وحكومة العراق تردينا . . . الية حسنة وان كانت الاغلاط كثيرة . . . نحن في حاجة الى العراق والعراق في حاجة اليها . ولا خير لنا وللعراقيين بغير المصلحة المشتركة والاكرام المتبادل » .

على انهم ، وهم ينطقون باحلى ويعترفون باغلاطهم ، يرتكبون الخطأ القادح في معاهدة تكفل الاستقلال للعراق وتنقض في بعض موادها ذلك الاستقلال . وقد يكون الحق في جانبهم في ما ينقض ، من الوجهة المالية في الاقل ، لا في ما يشب الاستقلال . ولكنهم لم يصرحوا بذلك . نعطكم كذا وكذا ، فمعهن كذا وكذا ، والاستقلال الحقيقي انما هو القيام

بالعهود . لم يكن في العراق لا من المعتدين ولا من المتطرفين من يقول هذا القول . طلبوا الاستقلال مجازاً ، وهذا لا يكون . ولكن الانكاز سكتوا فظن في سكتهم القبول . ثم جاءوا بالمعاهدة تتفاضلهم عن الاستقلال فرفض العراقيون الدفع . وجاءوا بالمعاهدة قبل ان يجتمع المجلس التأسيسي الموعود به في قرارات سابقة اثبتت رسمياً في حفلة التوقيع .

ان المرء ليعجب من حكومة عاقلة راقية مثل حكومة انكلترا اذ تقدم على عمل في غير بلادها لا حكمة ولا سياسة ولا عدل الا في عكسه . هم يطلبون المعاهدة اولاً ، ثم يشترطون في القانون الاساسي ان لا يكون محالفاً لمبادئهم ، ثم يأذنون بانتخاب مجلس نيابي ليجيئها . والمثل الذي يمسب هذا المثلث مثل انكليزي . على ان المرة جرت الحصان في العراق اقبل تستطيع ان تجره الى حيث تنهبي وظيفته المضحكة ؟

ثبتت الانكليز في فلسطين وفازوا . فهل يشبث الفوز المبني على الغلط يا ترى ؟ ^(١)

اعود الى حيث انطلقت بالقارى ، لا طامع على القمم السوري من تاريخ جلالة الملك ، فاقف به ثانية عند حادثة القصر في تاريخ الحكومة العراقية الجديدة . اعود به الى تلك الايام التي لم يكن في العراق لا حكومة تذكر ولا انتداب ، لا كل قصة المعاهدة المشهورة . من العام الاول بعد التوقيع وما رأى الناس فرقاً كبيراً بين سياسة الحكومة الحاضرة وسياسة الحكومة الاحتلالية الصابرة . فلم تضع الامة ثقها التامة بوزارة النقيب الثانية ولا وضعت الاحزاب المقاومة ، وعلى رأسها الشيعة ، ثقها التامة بجلالة الملك .

(١) وما قد مرت خمس سنوات على تلك المعاهدة ولا تزال الحكومتان البريطانية والعراقية تتفاوضان في امرها . لا يزال فيها ما يجب اصلاحه او تعديله او الغاؤه . معاهدة ولدت قبل المجلس النيابي والدستور الاساسي ابويها . ولدت باعجوبة فهل نعيها باعجوبة يا ترى ؟

وكانت دار الانتداب بين فريق يعرج ووجهته النقيب ، وفريق آخر مثله ووجهته القصر ، يحاول الانتفاع بالحالتين ليصل الى الغاية المنشودة .
والغاية عقد المعاهدة . الا ان هذا التهديد في المعاهدة يا فخامة المندوب ، وفيه نص صريح على الانتداب ، لا تقبل به الامة ولا يسكننا من العمل واما كما جاء فيه خير البلادين . اجل ، قد كان حق النقيب من المحتجين .

استمرت المفاوضات بين بغداد ولندن بخصوص ذلك التهديد وبعض بنود في المعاهدة هي من بابها . وقد كانت دار الانتداب شديدة الالفة على الوزارة الخارجية . - قد خفضنا كثيراً نفقات الحكومة يا مستر تشرشل ، اسقطنا اكثر من ثلثها ، فاصبحنا ولا قوة لدينا تنفذ اوامر الحكومة وتجميع الضرائب . وكل تخفيض في النفقات في بلدان الشرق ، كما لا يخفى على فضائلكم ، يلزمه او يتبعه ضعف في الحكومة . ومع ذلك مشينلر وايامك يا تأمرون - والحرب - هل في الخريطة يا مستر تشرشل . انتم تبغون عقد المعاهدة ولا تراجع واقعة الحل . اليس من الممكن ان تتنازلوا عن الانتداب - او عن النص عليه في الاقل ؟

سمع المستر تشرشل شكوى دار الانتداب ببغداد ، فتمتعت المعاهدة ، وانتهى ذلك التهديد المشؤوم ، وأضيف الى المادة الاولى جملة احتياطية بخصوص السيادة الوطنية ، وأبدل في المادة الثالثة الشرط الإنجابي بشرط سائي ، ثم في المادة الحادية عشرة اضيفت جملة احتياطية طويلة لا احكروا للعراقيين ولا للانكليز ، بل ارضاء لحكومة ولايات اميركا المتحدة .^(١)

(١) المادة ١١ في النص الثاني النهائي : يجب ان لا يكون ميزة ما في العراق لرعايا البريطانيين او لغيرهم من رعايا الدول الاجنبية الاخرى على رعاية اية دولة هي عضو في جمعية الامم ، او رعاية اية دولة مما قد وافق جلالة ملك بريطانيا بموجب معاهدة على ان يضمن لها عين الحقوق التي قد تستمتع بها فيما لو كانت من ضمن اعضاء جمعية الامم في الامور المتعلقة بالضرائب والنجارة الخ .

اما المعاهدة نفسها فيمكن تلخيصها بعشرين كلمة. وهي ان حكومة انكلترا تعد الحكومة العراقية للمال والسلاح والمساعدات الادارية والتقنية بشرط ان تقبل نصابها واوراقها في كل ما يتعلق بذلك. في هذا شي من الاستقلال، فيه يستقل العراق عن دول الارض كلها سوى دولة بريطانيا العظمى. ولكي يدرك القارى ما هو اعتمادها على هذه الدولة اتوسع بما تقدم من خلاصة المعاهدة فاقتطف ما يلي من اهم بنودها.

ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يتعهد بان يقدم ما يقتضي من المشورة والمساعدة الى دولة العراق (المادة الاولى) وان يقدم من الامداد والمساعدات الى قوات العراق المسلحة ما يتفق عليه من وقت الى آخر (المادة السابعة) وان يسعى باذخال العراق في عضوية جمعية الامم باقرب ما يمكن (المادة السادسة)

ويتعهد جلالة ملك العراق في مقابلة ذلك بان لا يعين في الحكومة العراقية من الموظفين الاجانب غير الانكليز (المادة الثانية) وان يقبل المشورة التي يقدمها ملك بريطانيا بواسطة المندوب السامي في جميع الشؤون المهمة وخصوصاً الشؤون المالية (المادة الرابعة) وكذلك الخطة التي يشورها في الامور العدلية لتأمين مصالح الاجانب (المادة التاسعة) وان ينظم قانوناً اساسياً لا يخالف في

ولمذه الجلسة الاحتياطية التي اُضيفت ايضاً الى المادة ١٥ التي تختص بالاثار القديمة قصة لا تخلو من لذة. عاكها بالاعتزاز من المعلوم ان اميركا لم تدخل في جمعية الامم. ومن المعلوم كذلك انما كانت قد اتفقت مع انكلترا وفرنسا على استئجار زيت العراق. على ان هناك ما لا يماسه غير بعض الاختصاصيين والسياسيين وهو ان شركة اميركية ارسلت مهندسين من قبلها في شتاء سنة ١٩٢٢ الى العراق ليتجسسوا الحقائق العلمية والاقتصادية بخصوص الزيت فلم يتمكن المندوب السامي من ذلك. وكانت المعاهدة يومئذ هي الاكبر. فانصل الخير بحكومة واشتغلون التي احتجت على حمل المندوب السامي وبعد المفاوضات بينها وبين حكومة لندن ادخلت الجلسة الاحتياطية على البندين الحادي عشر والرابع عشر من المعاهدة. فيظهر ان اميركا لا يحبها من العراق الا ما كان مدفوعاً في اراضيه من الاثار، ومن منافع الدولار !

مواده هذه المعاهدة ليعرض على المجلس التأسيسي للتصديق .

وقد اتفق المتعااهدان بان تضمن المساواة بين رعايا بريطانيا العظمى ورعايا الدول الداخلة في جمعية الامم في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او ممارسة الصنائع والمهن الخ (المادة الحادية عشرة) وان تكون مدة المعاهدة عشرين سنة .

في اليوم العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٢ م ١٩ صفر ١٣٤١ هـ اجتمع في باب السيد عبدالرحمن نقيب اشرف بغداد ورئيس الوزارة في الحكومة العراقية جمهور من الناس ضاجين مشاعين وهم يبخون مخاطبة الوزير ، فحصل احد الحجاب خههم الى سيده فاذن لهم بالدخول . وكان قد وقع المعاهدة صباح ذلك اليوم فدخلوا يحتجون عليها وعليه . فسألهم قائلاً : باسم من تحتجون ؟ فاجابوا باسم البلاد . فاحتمد فضيلته غيظاً وانتهرهم قائلاً : ومن انتم لتحتجوا باسم البلاد ؟ عودوا الى بيوتكم واشغالكم . اما صاحب البلاد . فخرجوا احتراماً ساكتين ، وما كانوا مقتنعين ولا راضين .

ثم نشرت الجرائد صورة المعاهدة مصدرة ببلاغ من صاحب الجلالة الى الشعب العراقي يقول فيه ان قد اعترض سير المفاوضات مصاعب جمة « ولكننا تمسكنا من التغلب عليها والوصول الى هذا الحل المرضي ... وهي خطوة واسعة في سبيل تحقيق امنينا الوطنية ... فقد اعترفت بريطانيا العظمى باستقلالنا السياسي واحترام سيادتنا القومية » ثم يدعو الناس لمؤازرته ولاتحاذ الخطوة الثانية وهي مباشرة انتخاب المجلس التأسيسي ووضع القانون الاسامي الامة . فقرأ الناس البلاغ الملكى والمعاهدة وما كانوا مقتنعين ولا راضين . وقرأها اشياح الحكومة ساكتين احتراماً وآسفين .

بعد شهر من يوم التوقيع سقطت وزارة النقيب . كنت يومئذ في العقير

وكان عبداللطيف باشا المنديل^(١) عندي في الحيمة عندها استلم برقية من عبدالحسن بك السعدون في بغداد يخبره فيها بان جلالة الملك قد عهد اليه بتأليف وزارة جديدة ويسأله ان يكون وزير الاوقاف فيها . وفي ذلك اليوم نفسه علمت من السريسي كوكس السبب في سقوط الوزارة فجزئت لما علمت . اجتمعت الصداقة بالسياسة مرة في قديم الزمان فقالت الواحدة للآخرى : وكان سلامه علي وداعاً .

وبعد سنة وثلاثة اشهر من يوم التوقيع اجتمع المجلس التأسيسي في بغداد وكانت الامة لا تزال مقاومة لتلك المعاهدة ، متناوئة لأتصارها الفيليين ، فرفض المجلس انفاذها . ثم انتقلت الوزارة الانكليزية الى حزب الدول ولم تتغير في سياستها الخارجية . فأصدر المستر مكدونالد بلاغاً رسمياً أعلن عزمه على احالة المعاهدة الى عصبة الامم اذا لم تقبل بمجديها في ١١ حزيران . وكانت معضلة الموصل يومئذ قيد البحث بين مندوبي انكلترا وتوصيا في الاساندة فالتحذتها الحكومة الانكليزية سلاحاً آخر تروغ به الامة العراقية . اتفهي الزيادة من هذه القصة المحزنة ؟

(١) عبداللطيف بن ابراهيم المنديل هو من عشيرة الدواسر ويعد ينسبه الى همر بن الخطاب . ظمن احد اجداده الى جلابجل في نجد ومنها منذ تسعين سنة جاء والد عبداللطيف باشا العراق فأسس محلاً تجارياً في البصرة وآخر بعدئذ في بياي ، وآخر في بغداد . وقد سلك عبداللطيف مسلك والده في التجارة والزراعة فزاد بثروته واملاكه . وهو من الكلمة سديد الرأي ، يخلص الود لآل سعود ويحدهم وصلاً لسلطان عبدالعزيز ، ويخلص العمل لوطئه الثاني العراقي . فقد انتخب في زمن الحرب عضواً في مجلس الاعراف في البصرة ، ثم امتدت اليه وزارة التجارة في الحكومة العراقية المؤقتة ، وبعد التوزيع تشكلت الوزارة برئاسة النقيب ايضاً وامندت اليه وزارة التجارة مرة ثانية . ثم جاء الى الحسا يزور السلطان عبدالعزيز الذي شاء ان يفاوضه في بعض الشؤون . وعندما كنا في المنين جاءه من عبدالحسن بك السعدون برقية يسأله فيها ان يرأس وزارة الاوقاف فقبل عبداللطيف باشا وامسح في هذا المنصب سنة ، ثم انتخب في ٣٥ شباط سنة ١٩٣٢ عضواً عن البصرة للمجلس التأسيسي .

دُعي المجلس التأسيسي لعقد جلسة فوق العادة ، بعد ان ارفض في ١١ حزيران دون ان يبرم المعاهدة ، فلم يحضر الجلسة غير تسعة وستين عضواً من مئة وعشرة اعضا . فاقترحوا على المعاهدة فكان منها ستة وثلاثون وضدها اربعة وعشرون . اما التسعة الباقون فرفضوا الاشتراك في الاقتراع .

هذي هي نتيجة ذلك المسلك السرياني الذي رأينا العربية فيه تخر الحضان . بل هذي هي النتيجة لتلك الخطة السياسية التي يبدأ صاحبها بالسعف قبل ان يتم اساس البيت . فقد قبلت دولة بريطانيا العظمى معاهدة ابرمتها اقلية صغيرة في المجلس التأسيسي العراقي ، ولا شرف في قبولها لانه يخالف تلك القاعدة الاساسية للحكم الدستوري المحترم في بلادها .

الفضل الرابع عشر

اصحاب المعالي

مكرّمهم الوزارة يخلفني من فندق بغداد - خليل ومضيبي - السيد عبد الرحمن
الفتّيب - تاريخ العالم منذ سقوط حواء الى سقوط الاثراك - اهل العراق -
المبالي والكروسي الكهروالي - « لسان سياسي » - قصة الفيلسوف والفن -
الاميرضي العالم بكل شيء - اغراس النخل والزراعة - اولاد الفتّيب المشهور
والصبيان - وفد من الصين - ارادة الثورة - اقيم في بيت التداسة والظهور
- الولي عيسى ومن - مولانا عبدالقادر الجيلاني - مائدة سيدي الفتّيب - المجتهدون
والوطنيون - الفرق في حب الذات عند الانكليز وعند سواهم .

النادي العراقي - الطاولة الخضراء - اخواني في لعب الالف براديه - عزلي لا عش
فيه - السمكوت الغرور - ترجمة عبدالحسن بك السعدون - وزارته واعمالها -
تقي زعناء الشيعة - مطالبهم - رسالة من معالي الوزير .

الوزارة الجعفرية - جعفر باشا لا يكذب اسمه - الجيش العراقي - وزير لا يهتبه
المطلق - درع جداره خير من قنطار مقامات - الوزير التخليد - البعية والعصفور
- راحة في الانكليز .

الوزير الكتيب - شجا في حلق الانكليز - فيلسوف في الاحزان - عيني مائدة
النس بل - لجنة تدقيق المعادة - مطالبها - وزارة ياسين باشا و ترجمته - الوزير
المات في الوزارات العراقية - ترجمة سامسون افندي .

والوزارة الوحيدة جرتود بل - رأي احدي النساء فيها - رأي احد البعثاريين
- انكليزية عربية - القاعة والتضيق - حالة العرب وعصمهم .

قد حكا من حظي في بغداد اني لم اضطر ان اقيم دائماً في فندق من
فنادقها الفخمة ، فأروض الجسم في احدى غرفها منذ اليوم للقه ، واكل تحت
الارض في السرايب من المأككل التي لا يعرف لها تاليف ، ولا قومية .
والفضل في خلاصه لشاب اديب كريم ، له جذوع وفروع في تاريخ الدين
والدنيا تحب علماء الانساب والآثار ، ولا تقيه مع ذلك من النار . فهو فارسي
الاصل ، انكليزي التربية ، شيعي المذهب ، درويشي العقيدة ، نبوي السليقة
قديماً وحديثاً . اقول قديماً وحديثاً ، واليك البيان : هو في الاول سيد من
السادة الذين يتصل نسبهم عن طريق الحسين بفاطمة الزهراء ، وهو في الثاني

غصن صغير يابس من شجرة النبوة الحديثة التي زرعتها « الباب » في بلاد
العجم في القرن الماضي ، ثم نقلها « البهاء » الى حيفا ، فاستثمرها « عبد البهاء »
خال صديقي ونقل من ثمارها الى اورشليم واميركا . وهو مع ذلك وفوق
ذلك استاذ في علم الاقتصاد السياسي .

عرفته يوم وصولي الى العاصمة . جاء به الكسباني امين يقول : هذا
الحسين بن الحسين وعنده من كل فن خير . كان من الواجب ان يسوه فنونا
واكتهم اسما ، وا اختيار الجلس فسوه افنان ، - حسين افنان ، سكرتير
مجلس الوزراء ، والصلة المرنة المفيدة بين الوزارة والعرش ودار الانتداب .
فقلت : سبحان الله الذي جمع مساوي الثلاثة في شخص واحد . فقال
الكسباني : وقد اضاف اليها مساوي اخرى : فضحك افنان فانارت
الضحكة وجهه القمري - المستدير كالقمر . وعندما سمعني اشكو من
الفندق فضاوة فيه ، وفي مأكله واغاليه ، قال : غدا افشاء الله ويحك منها
وكان قد استأجر بيتا له والكسباني فاعد لي فيه غرفة لا تهجرها الشمس في
النهار ، ولا انحاء ولا القبار . هي بمقداد . وما فيها غير فصلين في السنة
فصل القبار وفصل الوحل . وصلت اليها في الفصل الاول ، ثم سافرت الى
نجد وعدت اليها في الفصل الثاني كي لا يفوتني شيء من محاسنها . . .

رفيقي خليلي ، ولا اغاظكما شعرا . قد تحسنان وقد قسيتان في
وظيفتيكما ، قد تكررنا في ما تكتبان وتترجمان ، وقسميان وتجريزان ،
خيرا الانتداب يوما وشرا على الامة ، او خيرا صافيا للاثنيين في بعض
الاحايين . اما في صفتكما الهرمكية في محلة الاشراف ، في ذلك البيت الذي
كان مفتوحا دائما ، ليس لي فقط بل للشمس والقبار والضوضاء ، فكانا
نمتص من الحر برديابه في النهار ، كما تذكران ، وبسطحه في الليل ، فلم
يكن فيكما وانما الرفيقان المضيقان غير الحميم الصافي على الدوام .

(١) السيد عبد الرحمن النقيب

قال الحسين يوم اجتماعي به في الفندق : قد قابلت صاحب الجلالة سيد
الكعباني فوجب ان تقابل صاحب الفضيلة والمالي سيدي . فقلت : اني في
الحالين طائع وسرت وايه الى بيت جميل على شاطئ دجلة مكان في تلك
الايام قطب السياسة والسياسيين كما هو قطب الاتقياء والمثبدين -
والمزارعين . فان سيدي النقيب يهتم بالارض اهتمامه بالسما .

وكان اول اجتماعي به في القاعة التي تجتمع فيها الوزارة والتي وقعت فيها
بمؤتد المعاهدة . هوذا شيخ في العقد الثامن من العمر ، يحمل في قلبه افراح
الثانين واتراحها هادئ ، البال ، ويحمل في رأسه فلسفة روحية سياسية زراعية
خالية من غش الاوغام والخيال ، ويحمل في مفاصله داء اقدمه فالجاء الى العضا
يتوكل عليها من عقر داره الى بهر الاستقبال . وكان يومئذ يحمل فوق ذلك
كسلة الحمل الاتقل والاختن ، حمل المعاهدة الانكليزية العراقية وسياسي
العرش ودار الانتداب .

رجل عدل القامة ، وافر موضع النطاق ، براق العين ، ناصع الحين ،
قصير الضحية ، بسام الحيا . يلبس الانابيز البيضاء . وهي دائماً كالثلج ، ويحلبس
على الديوان ، الى عينه عصاه وباقرب منه على قيد ذراعين الزائر الجديد ،
وقبالتة على ديوان آخر شيخ مثله اجلاء . ولكنهم دونه سناً . هم اولاده .
وكان قد اخبرني صديقي بان فضيلة النقيب ، على علمه وحصافته وروحانيته ،
يتقرز من لمس ايدي الناس . فلما دخلت وقفت امامه بحني الرأس مسلماً
وكان قد وقف لاستقبالي ومد يده مصافحاً ، فدهش الحضور كما علمت
بمؤتد . واسكني زرتة وانا في بغداد مراراً ، وشرفني مراراً ، بان دعاني

(١) توفاه الله في شتاء عام ١٩٣٧ فخلقه في الرئاسة الروحية ابنه السيد محمود .

لما لدته ، فأكاني وصافحني دون ان يغسل يده ذاك يديه . كأنني به وهو
 اصغر القومين من سبعة مولانا عبدالقادر العالوية ، وحامل مفتاح حجrote
 القدسية ، نظر بعين الغيب الى ما وراء الحجاب ، فرأى في هذا الوحالة
 رغبة في التصوف لا تزال حافلة ، فأحب ان يغذيه بتعطفه وبقربه وبشيء
 من الكرامة في يده .

وصكان اول ما حدثني به من مندهشات مجاسه انه قص علي في بضع
 دقائق قصة العالم منذ سقوط امنا حواء الى سقوط الاتراك في بغداد . ثم
 قال : وتاريخ الانسان يا افندي مثل تاريخ الامم - مقدمات النتيجة واحدة
 هي السقوط . ونحن العرب خصوصاً العراقيين اوفر الامم حظاً من هذا
 القليل . العراقيون يا افندي انت تذكر ما قاله الحجاج ابن يوسف . قللت :
 ولكننا في زمان غير زمان الحجاج . فقال علي القوي : اما اهل العراق فلا
 يتغيرون . خلاصتهم من الاتراك ، ومن العجم ، ومن الاحتلال العسكري ،
 ونحن نعيش الان في خلاصهم من الفوضى وهم لا يريدون ، ولا يرضون ،
 ودائماً ناقون . . . هل رأيت في كل سياحتك يا افندي شعباً يحسن صنع
 الحبال وصنع المشانق ولا يجد من يجوبها فيه غير نفسه ؟ وهل يستعدون
 المشقة في اعدام المجرمين في اميركا ؟

قلت : عندهم الكرسي الكهربائي . فسألني ان اصفه ثم قال : خش
 طريقة . يلزمنا عدد من تلك الكراسي في العراق . قللت : العفر اذا خالفت
 سيدي النقيب . فان امة توكل امرها الى مثله تجد في اساليب السياسة
 وطرق الحكمة حلاً مرضياً مفيداً لمشاكلها كلها .

فقال وهو يبتسم النفي بيديه : لا ، لا ، لسنا بسياسيين . ما علمنا من علم
 السياسة الا اليسير . وهذا اليسير التقطناه في اختلاطنا برجال السياسة
 الحقيقيين . مثلنا مثل المص والفيلسوف . جاء المص في ليلة مقمرة الى بيت

الفيلسوف يبغى السرقة، فدخله من النافذة وكان الفيلسوف جالساً في الزاوية يشكر الله الذي اثار بيته بنور القمر . فجال الاصل في البيت وهم بالخروج وهو خائب الامل . فخطبه الفيلسوف قائلاً : اذا كنت انا صاحب البيت لا احد فيه شيئاً في ضوء النهار فهل تؤمل انت الغريب ان تجد في ضوء القمر شيئاً فيه ؟

قلت : وايكي لم ادخل البيت من النافذة يا مولاي . فضحك حتى استلقى وهو ينظر الى انجالة تارة وطوراً الى والى افنان ويقول : عطني . غلبي . ثم اخبرني قصة تفصح عما فيه من حب الذكوة ومن البراعة في التهمك قال : زارنا في الاسبوع الماضي رجل اميركي مندوب احدى الجرائد هناك . وجلس هناك - اشار الى الديوان قبالة - واخذ يتكلم - خوش كلام - وهو يألنا سوالات في السياسة ، وفي الامتيازات ، وفي النفط ، ويجيب عليها بنفسه . ونحن مثل الفيلسوف الذي قصص عليك قصته جالسون في زاوية السكوت نشكر الله الذي اثار بيننا السياسي بنور القمر . ولكننا استأنسنا بهذا الاميركي - جا . مثلكم في النهار ولم يدخل من النافذة . ولكن لسانه مثل سيف ذي الفقار - خوش لسان . هل كل الاميركيين مثله حذقاً وبراعة وعلماً ؟ عندما قام يودع شكرناه على زيارته وعلى ما استفدنا من حديثه . وخطر لنا يومئذ ان نسأله عن اغراس النخل التي اخذت من هذه البلاد الى اميركا ، وزرعت هناك . وايكنه لم يفسح للسؤال مجالاً فهل لك علم يا افندي بتلك الاغراس ؟ هل نجحت في اميركا ؟

فاجبته قائلاً : اذا اخذتم باستمارة استمارتكم اقول ان بيتي الزرامي مثل بيت الفيلسوف الذي وضعتم .

فضحك وقال : وانا مثلكم دخلت من الباب لا من النافذة . ثم نظر الى انجالة وهم جالسون امامه متكئين يرتسمون ولا يضحكون فقال :

اراني مع الافندي مغلوباً - مغلوباً اليوم - يجب ان يزورنا مرة اخرى .
فقلت : هو احب ما احب في هذا البار ، ثم كملت جملي السابقة : اما البيت
فلكم كل ما فيه . اذكر اني قرات مرة ان نظارة الزراعة في واشنطن
استجلبت من البصرة اغراساً من النخل وغرسها في الولايات الجنوبية .

- اذن علمك وعلمنا واحد .

- في هذه المسئلة فقط .

- بيتنا بيت الفيلسوف انتم تسوحن طالبين العلم ونحن نأخذ علومنا
من الكتب ومن يجتمع به مثل فضلكم .

فاعتذرت وشكرت . وكنت قد نظرت الى افنان فأعطاني الاشارة
فقلت اودع . فتهض فضيلته ومد يده ثانية يضافني .

ان للسيد عبدالرحمن الجبالي ، سليل مولانا عبدالقادر قدس الله سره ،
طائفة من السالكين المتعبدين منتشرة في اقطار الشرق كله . وله في بيته
جيلان من الانجال ، الجيل الاول كان جالساً معنا وهم ثلاثة يتراوح سنهم
بين الخمسة والحسين والستين يحضرون مجلس والدعم فلا يتكلمون ، اذا كان
عنده زائر ، الا اذا سئلوا ولا يضحكون ، مهما كانت النكتة ظريفة ،
ضحكة عالية . اما الجيل الثاني وعدده ستة او سبعة صبيان فن هذا الزمان
حقيقة ومجازاً . لان بينه وبين الاول فترة مقدارها نحو اربعين سنة . والسبب
في ذلك سرٌ احترامه .

زارني ذات يوم كبيرهم ، وهو لا يتجاوز السابعة عشرة ، فلم يكن مثل
الصحابي الاميركي الذي زار فضيلة ابيه . سألني ان اقول له ما الفرق بين
الانتداب والاحتلال . فاجبته فقال . ولكن الانكليز يعرفون باستقلال
العراق ولا يخرجون منه . وجاءني ثانية ومعه بضعة اولاد من اقاربه ورفاقه

في المدرسة ينفون السلام والتعرف ثم الاحتجاج على الانكليز . فالتحذت في مقابلاتهم الحطة التي اتخذها النقيب في زيارتي له اي اني سببتهم الى السؤالات فكانوا في اجوبتهم مدهشين .

— واذا كانت اللغة الانكليزية لغة الحكومة المحيطة أفلا تتعلمونها ؟ فاجاب احدهم : اذا كانوا يشرون الإقامة في بلادنا يجب ان يتعلموا لغتنا . وقال آخر : نتعلم لغتهم ويتعلمون لغتنا فيفهم اذ ذاك بعضنا بعضاً . وقال الثالث وهو صغيرهم : اذا كان لا خير في الاجانب فلا خير في لغتهم . فاجابه ابن النقيب قائلاً : اللغة شي . والسياسة شي . اخر . فاذا تعلمنا لغتهم نتعلم طرقهم السياسية ونحاربهم بها . فرد عليه الصغير وهو يضرب الارض برجله انا لا استعير يد رفيقي لا ضربك بها . انا اقاتلك بيدي .

— ولكن السياسيين لا يضربون بايديهم .

— يضربون بارجلهم اذن ؟ لنا ارجل مثلهم . الا لا يجيئنا احد علينا . فنجهل فوق جهل الجاهليين .

صفي له رفاقه ثم عادوا ، وقد ونجهم الاكبر ، الى التآدب . وكنت اخشى ان ينتقل هذا الوفد العراقي الوطني العجيب من الكلام الى الايدي فنهضت اكشف الساعة ، فكان الصغير اول من فهم الإشارة ، فنهضوا وسلموا مودعين .

كنت اقيم ببغداد بين ولين كوريين عرفت الواحد منها لأول مرة في عدن . وهو هناك ولي البلد له مقام بقية ، وعشيرة واجبة ، وصندوق احسان يلاؤه كل شهر الاتقاء ، فيوزع المال على الفقراء . هو عيبدروس المدفون كما قيل في عدن ، وله في بغداد مقام وصياد . اما الولي الآخر الذي كان قروي ، بل كنت انا السعيد بقربه ، فهو اشهر من عيبدروس واعظم ، اذ لم يكن كرامة وقداة ، فسيادة ونفوذا . كيف لا ومن شاطئ . دجلة تنبع شمس

شرقاً وغرباً فتنير ضفتي الكنج والنبيل كيف لا وهو مولانا عبدالقادر الجيلاني المدفون رمزه المادي تحت تلك القباب الالزورية في جامع يعسد من افخر واجل ما في بغداد . هناك شرقة من سريري على السطح مطلع الافوار ، فكنت كل يوم عندما انبض صباحاً امتع نظري وروحي بشهد الشروق على مسرح القداسة . فارى الشمس تكون من الغيوم البيضاء المتقطعة ، فوق قباب عبدالقادر المتعددة ، ما يشبه قطعان الغم وهي تسرح في مروج من الترجس الذهبي العنبر ، والعصفر الذهبي الخفيف . كانها الزوار جاءت من العجم والهند لتستقي من الموارد القدسية ، ونحيا في المروج القادرية . . . عبدالقادر الجيلاني ، من احسانك لا تنساني !

وما كان كرم الله وجهه لينساني وانا في بغداد . فكان يوحى الى فرع دوحته الاكبر السيد عبدالرحمن حياً موضوعه هذا القريب في جوار الحبيب . وكنت انا المذبذب الى تلك الشخصية النفسائية ، كانها كوّنت من اوان تلك المروج وتلك القباب فوق ضريح عبدالقادر . ليتأكد القارى . اني مجد في ما اقول . لقد لا استحسن سياسة النقيب ، وقد لا تهمني الا في سبيل الادب مصادر القداسة حوله وفيه . ولكنني ممن يعجبون بظواهر الحياة الفريدة ، اينما كانت ، ويشواردها الجديدة ، كيفما بانث . ولا سيما اذا تمثلت في مثل هذا البشر الكريم ، والشيخ القديم .

ما رددت مرة دعوته لمجلس او لائدة ، وكنت كلما دنوت من صميم ذاتيته ازداد اعجاباً بها . وان بين النقيب ومائدته وجه شبه لطيف . في الاثنين غذاء كثير ، وفاكهة واباذير . في الاثنين فيض برمكي اصمعي ، فترتاح الى الاول العين والمعدة كما يلتذ بالثاني السمع والفؤاد .

وما عرفت اشجع منه ، على سنه ودائه ، اذا مدت الايدي الى الزاد . على انه لا يشبه الاكل في انه يهمل من يواكله . كنت اسمه يتكلم ،

واراه يتصرف بالانوان الواحد قار الاخر ، وعينه على ضيوفه ، يشجعهم ويحرضهم على الهجوم .

— خوش جباري يا افندي امين . من صيد اليوم . لا ترهه بها . . . اذا كنت لا تشكلم يا حضرة الكسباني افلا تأكل ؟ . . . افنان لا يحتاج الى من يغويه بشي .

١٠ * لو كان الكسباني امين على علمه وادبه وسياحاته في الارض — وسنه — ينجح كآبنة السادسة عشرة اذا وجه اليه الكلام في مائدة النقيب او مائدة الملائكة ، فيص باللقمة ويزداد ارتباكاً قليل الكلام ، قليل الاكل — في المواقف الرحمة . ولكني والحق يقال رأيت سكوتاً خجولاً حتى في حضرة السيدات .

١١ بينما انقلب مرة على حياته ونحن الى مائدة النقيب فاكثرت من اكل الزيتون منا كل على ما اذكر ثلاث حبات ، وهو يحسن الى صحراء الشويقات . فجاءني من مولانا في اليوم التالي جرة من الزيتون واخرى من الزيت . اتبغني اوضح من ذلك ذاك على عجب مواهب النقيب وتعددها ؟ ان القابلية للطعام ، كمثل اغنياء من الحسن البشرية . بل هي ، مثل الذكاء ، والكرم واليقظ ونحسن الحديث ، كموهبة من المواهب التي يهبها الله من يشاء . من عباده . وقد خص هذا الرجل الكبير بكثير منها كلها . اني لا انساه حياتي وهو يأكل كالشباب ، ويحدث كالشيوخ ، ويراقب من طرف خفي كالامراة فلا يفترقه عما له وما عليه .

١٢ واما كتلي في الحديث لندنو من السياسة الا نادراً . اذكر انه مر بالموضوع مرة فقال انه شديد الرغبة في التزلف . ولولا اطاح المندوب السامي وزملائه في بداية الامر ، قبل الترويج وبمده ، لما كان يقبل ان يدير سياسة البلاد . ولكنه بعد ان وقع المبالغة واحس ان الفكرة في القصر تردد صلابة وظهوراً

عليه ، وان دار الانتداب قيل تسللاً اليها ، ورأى فوق ذلك ان مقاومة المتطرفين ترداد شدة وعناداً ، ترع بحكم رد الفعل الى التسلط والاحتفاظ بمنصبه . ولما صدر امر الحكومة الاول مباشرة الانتخابات للمجلس التأسيسي ، فاصدر على اثره احد المجتهدين في النجف فتوى بان الانتخاب مخالف اقواعد الاسلام ، رأيت فضيلة الشيخ مضافاً وسمعتة فضوياً :

- في البلاد وطنيون كثيرون وكاهم رجال سياسة . ولكن ليس في رؤوسهم عيون تربهم ما هم فيه . اين هم من البلاد ، واين البلاد منهم ؟ كانوا امس تحت اقدام الترك ، واليوم يبيعون البلاد الى الترك بفلس لينتقموا ممن يظنونهم اعداء هم . نحن اخذنا الامر على عاتقنا ، ولا نسال التوفيق من غير الله ، ولا نتوصل الا عليه سبحانه وتعالى اما اجتمعت بالوطنيين يا افندي وسمعتهم يتجمعون ؟ غداً تجتمع بكبارهم في كربلاء والنجف نصف هذا الاجتهاد جهل ، ونصفه عناد .

ذكرني كلامه وتفيظه بالكلمة الانكليزية المأثورة التي قالها الفيلسوف دجونسون فترجمتها لفضيلته : ان حب الوطن ملجأ المنافقين الاخير^(١) . فسر بها جداً .

- خوش كلام ، خوش حكمة . الانكليز يا افندي امين احكم الناس بالرغم عن سياستهم كاهما . هم ينافقون ولا شك ولكنهم لا يسبون نفاقهم اجتهاداً ولا يحطون الدين بالسياسة . هم يحبون انفسهم ولا شك . ولكن حب الذات يختلف عندهم عما هو عند سواهم . عند الالمان مثلاً حب الذات في بارد لا يقبله الناس . اما عند الانكليز فهو ناضج وفيه شيء من الانجاز هو لبعض الناس مثل السم . عند الانكليز العلم ، وعندهم المال ، وعندهم الحكمة . اما الوطنيون في البلاد فاي شيء عندهم ؟ هل هم يحبون

(١) « Patriotism is the last refuge of the scoundrel. » — Samuel Johnson.

البلاد أكثر منا وهي بلادنا قبل أن تكون بلادهم ؟ وأكثرهم لا يزالون من
الأجانب . . . أعد المثل الانكليزي . - حب الوطن آخر ملجأ للمنافقين -
خوش كلام ، خوش حكمة .

ولكنه بعدئذ ، أو أنه كان عالماً متجاهلاً ، بأن السياسة ، انكليزية
كانت أو عراقية ، لا تعرف الثبات والوفاء . فقد استنصره واستخدمه
الانكليز إلى أن تمت مقاصدهم فيه . إلى أن تم توقيع المعاهدة ، وبعد ذلك
هجروه . وقبل الهجرة ، عندما أراد السيادة والتغلب ، خذلوه .

عبد المحسن بك السعدون

في النادي العراقي روح اجتماعية وطنية صحيحة لأنها مبنية على المساواة
والإخاء ، ولأنها فرق ذلك غلظة أي أنها عراقية انكليزية . ما رأيت
الانكليز قبل اليوم ولا سمعت بهم يخاطبون اجتماعياً من يحكمونهم أو
يساعدون في حكمهم من الشعوب . أما في العراق فالروح الجديدة يستشر
بها . قد تعرف في لعب الورق شيئاً من أسلوب خصك في السياسة . والذي
أدهشني من الموظفين والمستشارين الانكليز في العراق أن أكثرهم يحسنون
التكلم باللغة العربية . صكبت اجتماع بهم في النادي وأرى بعضهم جالسين
إلى تلك الطاولة الخضراء يحاولون كسب روية من زملائهم العرب .

أجل أن في النادي طاولة خضراء يجتمع إليها الوزراء بعد الظهر ، ساعة
الشاي ، ليحافظوا على الموازنة النفسية بينها وبين تلك الطاولة الأخرى في
السراي . فقد كُتِب لي أن أرى الوزراء يلعبون ساعة بالورق لبيدوا هموم
الأوراق الرسمية والمعاهدات . وليس في ذلك ما يؤخذون عليه ، بل وفيه
برهان على أن للفلسفة العملية مقاماً عندهم محترماً .

أما الطاولة الخضراء في النادي العراقي فهي مثل الحكومة العراقية قليلة

الموارد محدودة الخراج ، ولها ان تفاخر غيرها بالكيفية لا بالكمية . هي
برجالها تفخر لا بالعايبا واموالها . هاك على رأسها الاخصائي المالي ساسون
افندي . من وكالت الامة اليه امر مالياتها ، يحيي كل يوم ، وهو اثبت في
ذلك من قيم النادي ، لبفادي بشي . من ماليته . ولكنني لم اسمع انه خرج
مرة خاسراً ، او ان ارباحه كانت تتجاوز الخمس الرويات . وكلهم في لعب
ال « بريدج » اخصائيون . الا ان الكسباني امين كان يسدد حسابه في
الغفلة من حسابه في النادي . لانه في ال « بريدج » مثله في التحفظ السياسي
سيد الاخصائيين .

قد ذكرت النادي لاني اجتمعت فيه لأول مرة بزملاء سيدي النقيب
ساسون وصبيح ونوري وباسين والسعدون عبدالحسن موضوع حديثي الان ،
واظنني فضحت نفسي في ما حكيت اجهل من امر آل سعدون وما لهم من
السيادة والتفوق في العراق^(١) على ان من يقابل وزيراً لأول مرة في تلك الحال
لا يلام اذا نسي التاريخ او تسمية . ظننتها جلسة « يوكر » وظننت الاعضاء
مثل غيرهم في نوادي القمار فسلمنا وما تحدثنا . بل نسي الرجل فضجعت
بعدئذ مما كان . ضاع وجه السعدون بين الوجوه المديدة التي كانت تمر
صورها امامي في تلك الايام فلا يتطبع في الذهن منها الا القليل . ثم اجتمعت
به مرة ثانية في نادي الحزب العراقي الحر الذي خطبت فيه ، وكان هو جالسا
الي جدي ، فلم علي فسلمت واتا اذكر صورة وجهه ولا اذكر اين بدت لي
سابقاً . فسأته ، فاضحكني بلطفه وابتهامه .

اجتمعنا بعد ذلك مراراً ، وكشيت كل مرث ادنو منه اراه بعين التصور

(١) هم من الاشراف وقد هاجر احد اجدادهم منذ اربع مئة سنة الى العراق
فاستوطن البصرة ثم ذهب الى المنتفق وتأمر احفاده على عشائرها . والسيادة في لواء
المنتفق لا تزال لهم الى الان .

قبل ان اراه بعين الجسد . فيستل امامي لابساً العباة والعقال ، راكباً الهجين ، قائدأ الى الغزو العربي . اجل ، ان صاحب المعالي عبدالمحسن بك السعدون هو الوزير الاول في وزارته الذي تبدو فيه العروبة الخفة ، والثاني هو عبدالمطيلب باشا المندبيل . اما الآخرون ففي ظاهرهم مستعجبون ، فاجي بك السويدي اشبه برجل من شمال اوروبا ، صبيح بك نشأت هو في تركيبته اظهر منه في عرويته . جعفر ونوري من الاكراد ، وساسون افندي حزقيل من العالم - من الاسرائيليين في العالم . اما السعدون فمن العراق . من صميم العرب ، ووجهه اصدق اخباره الصادقة .

هو رجل في العقد الرابع من العمر^(١) ربع القامة ، اسمر اللون ، حسن البنية ، اوروي حتى رأسه - حتى الاستثنائية اريد . فالرأس اسود الشعر قصيره ومثل كتلة المدفع مستدير ، والعين فيه كالشعل بين اللبل والنسق . والقلم عدل الا انه قاسر قلما يدمس وقلما يتكلم . ولكنهم عندها يتحرك يؤنس ، اذ تسارع اليه نفس جذابة فتتأرجح بكلماته القليلة ، وفيها مضى .

(١) ولد سنة ١٨٧٩ م في الناصرية مركز لواء المنتفق ، وكان يومئذ والده فهد باشا حاكماً في الكواء واميراً على جميع عشائره ومقرباً من المايين . فطلب منه السلطان عبدالحسيد ان يرسل ابنائه الى الاساتنة ليطعموا في المدرسة التي كان قد انشأها خاصة لابناء رؤساء العشائر . فارسل فهد باشا ابنه عبدالحسن وعبدالكريم . وكان عبدالحسن يوم سافر الى الاساتنة في الثالثة عشرة من سنه فتخرج من المدرسة المذكورة ، ثم دخل واخوه المدرسة الحربية العالية فتخرجاً منها ضابطين في الجيش العثماني ، فاخترهما السلطان عبدالحسيد مرافقين له في المايين ، وبقي في تلك الوظيفة الى اعلان الدستور وترقياً أثناء ذلك في الجندية الى رتبة بكباشي . على اخما استفالا من الجندية بعد سقوط عبدالحسيد ، فرجع عبدالكريم الى وطنه ليهتم بأملاكه التي في البصرة وفي المنتفق ، وبقي عبدالحسن مقبلاً في الاساتنة . ثم انتخب نائباً في مجلس النواب العثماني عن المنتفق وظل كذلك الى بداية الحرب العظمى ، فرجع اذ ذاك الى وطنه العراق وتلقاه بعد وصوله منصب وزارة العدلية في الوزارة التنفيذية الاولى ثم وزارة الداخلية في الوزارة الثانية التي استقالت في شهر آب سنة ١٩٢٢

وليس فيها جفاء . رجل سكوت . وكل سكوت لغز لمن لا يعرف شيئاً من سابق حاله . على اني الفت السكوت في من سافرت معهم من العرب ، فكنا نسير ساعات في النهار جنباً الى جنب دون ان نفوه بكلمة واحدة . وكنت غالباً اعجب بما يجيش السكوت فيهم من شهم وكرم وذكاء .

وهوذا السعدون عبدالحسن العربي السكوت ، ويحق لي ان اقول الان السكوت العزوم . فقد برهن في وزارته التي استمرت سنة^(١) على انه فعال لا قوال ، وعلم في ما يفعله حكيم . كانت نفسية البلاد من حيث المعاهدة التي رُفعت منها لفظة الانتداب ولم تمس قيوده ، صكها وصفت في الفصل السابق ، عندما استسلم زمام السياسة العراقية . فاقدم السعدون على عمل يعد من اهم اعمال وزارته وامان حاله يقول : لانضحتك من الامة فنصور لها الانتداب خيالاً زائلاً ، وانكنا تخفف عليها ثقل القيود . فتم عقد الملحق بين حكومة العراق وحكومة ملك بريطانيا العظمى الذي توجبه أثرت مدة المعاهدة من عشرين سنة الى اربع سنوات^(٢) .

ولتلك المعاهدة ملحقات أخرى تتعلق بالجندية والمالية والقضاء وبشروط استخدام الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية . فتوفقت وزارة السعدون الى عقد الملحق الذي يتعلق بالقضاء ودرست الملحق الذي يختص بالموظفين البريطانيين ، فقدمت به لائحة فلم تقبلها حكومة الانتداب . رسمت في

(١) تالفت في كانون الاول سنة ١٩٣٢ واستتالة في تشرين الثاني سنة ١٩٣٣

(٢) هذا نص البروتوكول اي الملحق بالمعاهدة :

قد تم التتاقم بين الفريقين الساميين المتناقدين على انه مع وجود نصوص المادة ١٨٥٥ يجب ان تنهي المعاهدة الحالية عند دخول العراق في جمعية الامم وعلى كل حال يجب ان لا يتاخر انتهاءها عن اربع سنوات من تاريخ عقد الصلح مع تركيا . وليس في هذا الاتفاق ما يمنع عقد اتفاق آخر لتنظيم ما يكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتناقدين . ويجب الدخول في المفاوضات بشعاً لاجل ذلك الغرض قبل انتهاء المدة المذكورة اعلاه .

تحسين الصلات بين العراقيين والانكليز فكان سعيها مبروراً وان لم يكن مشراً . وجاءت في سبيل الميزانية فأفلحت ، اذ اعادت اليها التوازن بالرغم عن التخفيض الذي اجازته في رسوم الاراضي الاميرية ورسوم المواشي والنخيل . ولكن هناك صخرة اصطدمت بها فحشاها ذلك على الاستقالة .

يذكر القاري . ان في المعاهدة بنداً يوجب على الملك ووزارته وضع دستور اساسي للحكومة العراقية ثم انتخاب المجلس التأسيسي للنظر فيه وتنقيحه . فقد وضعت وزارة سعدون الدستور واصدرت قراراً يوجب مباشرة الانتخاب ، فاعترضها في ذا السبيل ما اعترض الوزارة السابقة من مقاومة علماء الجعفرية ابي الشيعة . ولكنها تقلبت عليهم بعض التغاب اذ قد تم في عهدها انتخاب المنشقين الثائرين ولم يبق سوى انتخاب الاعضاء .

هي ذي العقبة الكزود . قد صحت ما قاله النقيب عند تقيظه في هؤلاء الافواه ، واكثرهم من الاعجام . ان سياستهم الوطنية اصولاً وتزعات كلها او جلها ولا شك مذهبية ايوانية . وان ايمانهم في العراق نفوذاً يفوق نفوذ اكبر المقامات الرسمية المالية . وفيهم المجتهدون الذين « يجتهدون » دائماً ان يبرقوا مساعي الحكومة . ازعجوا السعدون كما ازعجوا سلفه النقيب . فاصدروا الفتاوى الديلية ضد الانتخاب والانتداب . وفي العراق مليون من الشيعة يسمعون فتاوى المجتهدين فيطيعونها ويعصون الحكومة .

هاك ما حل السعدون السكوت الغرم ، بالرغم من تردد الملك والندوب السامي ، على العمل الذي يعد من اكبر اعماله ، اذا اعتبر فيه العزم والشجاعة فنفي الى الحجاز آية الله الشيخ مهدي الخالصي احد مجتهدي الكاظمية (١) واكبر مجتهدي العراق ، فحدث ضجة في البلاد ظن انها ستفضي الى ثورة ثانية . على انه لم يكن من نتائجها غير احتجاج نفر من العلماء فسافروا الى (١) زميله هو السيد حسن صدر الدين . راجع الشرح في صفحة ٤٠٤ من هذا الجزء

ايران مقضين .

اما جلالة الملك فقد كان يؤيد في البدء قولاً رفلاً سياسة وزارة به بالرغم عن احتجاج الشيعة في البلادين ايران والعراق . وبما ان اكثر اهل الشيعة في العراق من الشيعة الايرانية ، وهم يفتون فيها ، فقد اصدر منشوراً طلب منهم فيه ان يتجنسوا جنسية البلاد ليحق لهم التمتع بالحقوق التي يتمتع بها العراقيون . فزادهم المنشور سخطاً وقرحاً . وقام اولئك الذين طعنوا الى ايران يتقدمون الشعب الايراني في التظاهرات على الملك فيصل ، وعلى المندوب السامي البريطاني . ثم اعلنوا مقاطعة البضاعة الانكليزية .

قد احتجت كذلك حكومة طهران الى حكومة العراق فاحس بعض الخاصة في الدواوين بسلك كهربي في انكليزي في ذلك الاحتجاج . وكيف لا وقد هز دار الانتداب في بغداد فتأثر القصر والمجلس ، فقال جلالة الملك بعد المذاكرات ما قاله فضامة المندوب . ولكن العلماء استهزوا مكابرين معاندين فقالوا انهم لا يرجعون الى بلادهم الا اذا نفذت اربعة شروط ، وهي :
١ - اخلاء الانكليزي للقطر العراقي ، ٢ - استقالة الوزارة الحاضرة ، ٣ - تعيين زمن الانتخاب ، ٤ - ادخال عدد محدود من الشيعة في المجلس النيابي ، قال المندوب السامي . . . فقال الملك فيصل . . . فقالت الوزارة : الوداع . وما اجل التفيظ في الرجل الجري . العادل . قد جاني من معالي الوزير كلمة بعد استقالته يقول فيها : « احببت ان اسمي لرفع المشادة الفكرية عن اخواننا الشيعة واثارة بضائهم بالحقائق . فبينت لهم ان الموكل موهوم والموكل غشوم . لقد قت بهذا الامر في هذا المحيط وهذا الزمان وتحملت من الاعباء ما تحملت لافتح طريقاً لآخي الوزير الشيعي فيتم ما بدأت به . وحينئذ يبدأ بتغيير عام . اطرد جيوش الزبالة والادهام ، وينفخ في صور الاخاء والمساواة وتم نبوة اشعيا الفيلسوف حيث السباع والقوم يرتعون سوية ، ويسود سلام في العالم وسلامة الضمير في بني الانسان » .

هو ذا عربي كبير يحلم مثل النبي اشعيا الاحلام وينشد المثل الاعلى في العالم . وهو في موقف العمل كما تبين بفقته حقائق الحياة الوضعية وما بينها كلها من صلة العقل والخيال . وان السعدون صريح اذا قال ، مخلص اذا مال . سألته عن رأيه في السياسة العراقية الوطنية وما هي عقيدته تجاه الانكليز . فاجاب بما لا يقبل التفسير والتأويل * اني اعتقد ان منعمة الوطن تقضي علينا في الوقت الحاضر بان نكون في سياستنا تجاه الانكليز مصادقين لهم لاننا محتاجون اليوم اشد الاحتياج في نهضتنا السياسية الحاضرة الى يد مساعدة ودماغ دائب نسترشد به . ولا نجد في هذا الباب خيراً من الانكليز . ولكن على شرط ان لا يحجب ذلك باستقلال البلاد او بتنافعها .

جعفر باشا المنسكوري^(١)

زرتة اول مرة في وزارة الدفاع التي كان يومئذ وزيرا . وكان الحمر

(١) هو مثل - لفة السعدون في المقعد الرابع من العسر ، وقد تلقى العلوم منه في المدرسة الحربية في الاسكندرية فخرج منها خابطاً ثم سافر الى ايطاليا ليتعلم دروسه الفنية . وقد بدا من نبوغه لانور باشا في الحرب العظمى ما جعله على ترقبته الى رتبة باشا وارسله على غواصة الى بنغازي لقيادة متطوعي العرب الذين كانوا يقصدون الرحف على البلاد الداخلة في المنطقة الإيطالية . فقادهم جعفر وحدث غلب الحدود المصرية قتال بينهم وبين الجيش البريطاني فخرج في المعركة فاعتنى به رجاان الصليب الاحمر ونقل بعد ذلك الى القاهرة في القاهرة . فحاول الثقات من الاسر فوق فانكسرت رجليه فزيم الفراش ستة اشهر .

وكانت الثورة العربية في يداعها والضباط العرب ينضمون اليها ، فكُتِبَ لجعفر ان يكون منهم ، فجا . سنة ١٩١٧ الى مكة ثم اطلق بالجيش العربي الذي كان مرابطاً حول المدينة . ثم اوسل الى العقبة فحين قائداً من قادة جيش الشمال . وبعد فتح الشام تعين ممثلاً عاماً للجيش العربي في سوريا ، ثم حاكماً عسكرياً لولاية حلب ، ثم رئيساً لحجاب جلالة الملك ، وبعد واقعة مسلون عاد الى بغداد لتساعد في تأسيس حكومة وطنية ، فحين وزيراً للعربية في الحكومة المؤقتة اي قبل التوقيع ، ثم في وزارتي

شديداً ، فدخل والعرق يتصبب من جبينه يحرق ما فرضه الله عليه من وزر
السنن ، كأنه مدفع يتحرك بنفسه ، او كأنه في ساحة القتال حيث لا ترم
ولا تجمل . جعفر باشا لا يكذب احده ، فهو أولاً وآخرأً - عسكري ، يسرع
ولا يتكلف في ما يقول ويفعل . سلم سلام الاجاب وزرع « ساكوه »
وجلس في الكرسي ورائه منضدته وهو يروح تروحة من القش ويتكلم .
فتش امامي رجلاً اميركياً ، رجل محلي واهلية ، من اولئك الذين يدورون
ادارات كثيرة بالضبط على زر كهربائي . اما وزير الدفاع في الحكومة
العراقية فكان يصفى كفاً على كف ليغطي اوامره . وهذا لا يهم عند روح
العمل الجديدة التي تشل في جعفر وزملائه - روح العمل المصرية المجردة
من خزعبلات الابهة الشرقية وسخافات اللباقة كلها .

س والله يا استاذ عندنا رجال وعندنا وطنية . ولكن الادارة مفقودة
والمال ، اين المال . مثلاً ، او بالحري مثل الحكومة التي تولت في البدء امرنا ،
مثل شاب ورث ثروة من ابيه فصرها في القمار . بذل الانكليز في سنة
واحدة من المال في البلاد ما يكفي جيشاً وطنياً كبيراً خمس سنين . ولا
اثر ولا نتيجة لما بذلوه . والان ونحن في اشد حاجة الى المال هم ينفضون
ابليسهم ويرونا كبد فارغاً مبدئي الوطني واملي وعلمي تتوقف كلها على تنظيم
الجيش العراقي . يقول لنا الانكليز : ساعدوا انفسكم ساعدكم . وهذا
صواب ولكنهم افسدوا علينا وهم لا يدرون موارد المساعدة . عندما
تكون البلاد في هياج سياسي يصعب على الحكومة فيها اية كانت ان تجي

الغيب الاولى والثانية . ولما دعا المستر تشرشل رؤساء حكومات انكثرا في الشرق
الاول لمؤتمر القاهرة كان جعفر باشا من رافقوا مندوب العراق السامي وشاركوا
في البحث في امور العراق المالية والعسكرية وفي شتا ١٩٢٢ - ١٩٢٣ كان مندوباً
للحكومة العراقية في لندن فجاء منها الى لوزان باسم للعراق ولكنه لم يشترك في
ذلك المؤتمر .

اموال الخراج .

- وما هو عدد الجيش العراقي الذي باشرتم تنظيمه ، وما هي حالته ؟
 - عدده خمسة الاف وحالته المعنوية دون ما تروم . لا تظن ان السبب في ذلك نقص في الوطنية . لا والله . انما هو دليل من احد الوجوه على الوطنية . وهذه هي الورطة التي نحن فيها الآن . ندعو شبان البلاد الى التجنيد فلا يلبون واذا ابوا فيجيشون يمرجون ولسان حالهم يقول : اذا كان الانكليز ينفون الاقامة في البلاد فلماذا فاعواهم منها . ومن وظيفتي انا ان اقدمهم بان الانكليز ، وهم في البلاد ، غير مقيمين فيها ، وانهم وهم الاغنياء بالمال والرجال ، لا يستطيعون الدفاع عنها مع رغبتهم فيه . هل تعرف وزيراً في حكومات العالم اليوم هذا موقفه في السياسة والمنطق ؟

جعفر باشا حر الكلمة صريح الاشارة والمباراة . سألته رأيه في احد رجال السياسة العراقيين الذي كان يومئذ من الموجهين لرئاسة الوزارة فقال : اي رجل اخر احسن منه . درهم من الاعلية يا استاذ خير من قنطار مقامات . البلية الكبرى في هذه المقامات التي ليس فيها غير الادعاء والسخافة .

وهو ان رفعة الجدارة الى اعلى المقامات لا يكتفي بها عنده من خبرة وحكمة بل يسعى دائماً في ما فيه زيادة وتحمين . قد اخبرت القارى . في مطلع هذا الفصل بان حسين اذ كان سكرتير مجلس الوزراء هو استاذ في علم الاقتصاد ، ولا فوق في مصادر علمه اصلية كانت او مشتقة . فكنت ارى الحسين مكباً على ترجمة آدم سميث^(١) وغيره من اساتذة هذا العلم واعجب باخلاصه ، وبقروله : خير لي ان اترجم عن الثقافت من ان اجينهم بما يجلب الامانات . انك ترى التقيية والاديب والوزير في من يحضر تلك الدروس الاقتصادية واسست مبالغاً في ما اقول .

دعشت يوم اخبرني جعفر باشا بأنه يحضر دروس السيد افغان وازدادت
اعجاباً بماله ، اطلب العلم من المهد الى القبر . ليس اشرف من الحديث
النسوي غير الحديث النبوي المتجسد في وزير من وزراء العرب وهو تلميذ من
قلاميذ كاتب سره - جاء جعفر باشا يزورني يومئذ في البيت ويدعوني للعشاء
في بيته .

— لا تظنك قواخذنا ونحن لا نزال في ما هم اشبه بالكرخ . ولكنه
خارج البلد فنمر في طريقك ببساتين يروقك منظرها .

ثم تطرق في حديثه الى الانكليز ، وهو معجب بهم متخوف منهم .
الانكليز وجعفر مثل الحية والعصفور . ولكن الوزير العراقي ران وقت
امام اطية مسجوراً ، فلا يكنها منه اصبح ما يقول :

— يجب ان نتفاهم وايهم وننتفق . وخير البر عاجله . الانكليز يخطفون
عن بقية الناس . هم وحدهم يا اخي — ممتازون انزلوا من السماء في قفة .
املا ترى كيف يساكون في نهارهم وفي ليلهم ؟ يلبس الجندي منهم البساطون
القصير فيكشف ساقه حتى الركبة — ابن عم البرابرة — ولكنه في المساء ،
اذا دعي للعشاء ، تراه في ثوبه الرسمي وفي سلوكمه كأنه من الاعيان . فلو
كانت هذه الحرية لنا لكانا برابرة في النهار وفي الليل . . . يجب ان ندرس
هؤلاء الانكليز ونفهمهم ، ونتفاهم وايهم . هم لازمون لنا في اوقت الحاضر

وقد حاول في السنة التي تولى فيها رئاسة الوزارة ان يفهمهم ويتفاهم
واياهم . فدرست وزارته ملاحق المعاهدة الثلاثة الباقية اي تلك التي تتعلق
بالجنسية والمالية والموظفين الانكليز . ولكن المجلس التأسيسي ، او بالحري
اللجنة التي عينها المجلس لدرس تلك الملاحق والاتفاقيات ، رأت ان الشروط
فيها فادحة فتفاقت على الوزارة الاحتجاجات ، فاستقالت .

ياسين باشا الهاشمي

كان ياسين باشا^(١) من المقضوب عليهم في دار الانتداب يوم كنت في بغداد ، وكانت المس بل مع ذلك تعجب به وتحترم ارامه . وقد يصح فيها وفيه ما قلته في جعفر باشا والانكليز . هما مثل الصغور والحية . على ان الاية تعكس ما هنا ، فلا تنحصر الحكمة والجاذب في المرأة .

كنت اجتمع بياسين باشا في النادي فاصحه بيجبر برأيه ضد الانكليز او بالحري ضد حكومة الانتداب . وكانت المس بل قدعوه لما ثبته فيجي . في ثوبه اليومي وبرآرائه التي هي مثل ثوبه طليقة ، لا تقيد فيها ولا ادعا .

وكان على الدوام كثيراً . وكانت الكتابة بليغة مستحبة ، فنظر من عينه السوداء اليك كأنها تقول : ان عدو نفسه ، وحسن وجهه ، وشجا صوته ، انها كلها مني . ظننت تلك الكتابة من خلقه . ولكنني علمت بعدئذ

(١) واد ياسين باشا الهاشمي في بغداد سنة ١٣١٣ هـ وتخرج في المعاهد التركية فيها ودخل بعدئذ في المدرسة الحربية بالاستانة وخرج منها في سنة ١٣٢٠ هـ رتبة ملازم ثان وبعد ان درس سنتين في مدرسة ضباط اركان الحرب تقلد عدة وظائف في الجيش التركي الى ان اعلنت الحرب العامة وهو وقتئذ رئيس اركان حرب . وقد اشترك في مواقع غالبيتها وقهرها وكان في رأس الفيلق الثامن لما اخزم الترك في سوريا فاختطف صاحب الترجمة في الجيش العربي وعين رئيس اركان حرب حاكم سوريا العسكري ورفع الى رتبة امير لواء وعين رئيساً لديوان الشورى وتقي بعد ذلك . وبعد رجوعه من المنفى احل الفرنسيون سوريا فعاد الى مسقط رأسه بغداد سنة ١٣٤٠ هـ حين منصرف المنتفق . وبعد ان تولاه مدة شهرين عين وزيراً الاشغال والمواصلات في وزارة عبد المجيد بك السعدون . ثم انتخب نائباً عن لواء بغداد في المجلس التأسيسي وكان فيه نائباً ثانياً لرئيس المجلس . وكان رئيساً للجنة تدقيق المائدة العراقية البريطانية ولجنة قانون الانتخاب ولما اتم هذا المجلس اعماله واعتزلت وزارة جعفر باشا العسكري انتدب لتأليف الوزارة في ٢ آب سنة ١٩٣٤

ان ابنه الصغير الوحيد كان مريضاً ولا يرجى شفاؤه فأغلقت في وجهه ابواب
الطب كلها ، وانصرف عنها وعن الاشغال يسمى بما عسى ان يصل الى عرش
الرحمة الاعلى ، كما يؤذن الله بشفا. صغيره العزيز .

لم يستجب الله طلبه عبده . وعندما رحلت اهزي ياسين باشا الذي كان
يو مشر وزير الاشغال في وزارة السعدون ، استقبليها هاشا ولم يأذن بذلك
الكلمة المألوفة التي لا تنفي فتيلاً . ما شاء الله كان . هو مثل دارد الذي
تقي في المصيبة ، فيلسوف في الاحزان .

ولكنه في السياسة لا يستسلم دائماً الى الاقدار . اما وفي ذلك الوقت
كان رئيس الوزارة التي خلفت الوزارة الجعفرية ، وكان رئيس اللجنة ، لجنة
تدقيق المعاهدة ، التي عينها المجلس التأسيسي ، فاذا عسى ان يكون موقفه في
سياسة اصبح لا يتلك غير طرف واحد منها ؟

جاء في تقرير اللجنة ان في بنود المعاهدة والمصغرات او الاتفاقيات ما
يشغل كاهل العراق فلا يمكنه القيام بتعهداته . ثم قطاب اللجنة التعديلات الالية
١ - التصريح باستقلال الدولة العراقية .

٢ - التصريح بالاعاء الامتيازات الاجنبية قضائية كانت ام اقتصادية

٣ - الحكومة العراقية حرة في تنظيم ميزانيتها السنوية .

٤ - التصريح بان الحكومة العراقية ستصبح حكومة حرة مستقلة
ذات سيادة تامة عند دخولها في عصبة الامم او عند انتهاء الاربعة سنوات .
وماك تعديلات فرعية تتعلق بالاتفاقيات المالية والعسكرية .

فهنا قيل في وجوب هذه التعديلات كلها لا اظن معالي الوزير الجديد
يسمى في نقض قاعدة مالية اجمت الامم على صحتها . يقول العراق لبريطانيا
العظمى : يجب ان تسحب قواتك من العراق ويجب ان تقرضني مالا لانني

جنداً وطنياً يقوم مقامها . فنقول بريطانيا للعراق : يجب ان تعطيني ضماناً على المال وستبقى بعض قواتي في البلاد الى ان تسدد الدين .

هوذا المشكل الذي يُرجى حله في عهد الوزارة الهاشمية خصوصاً لأن فيها اخصائياً في التجنيد هو رئيسها واخصائياً مالياً مشهوراً هو ساسون افندي^(١)

جر تروذريل^(٢)

النادي العراقي مخض بالرجال دون النساء . ولكنني سمعت يوماً صوت امرأة في غرفة القراءة ، فدخلتها فإذا هناك المس بل واحد الوزراء يتجادلان اطراف الحديث كما يقال . وصكنا يوماً مدعوين انا والسيد افان لمأدبة فورنا باحد المستشارين ظناً منا بأنه وزوجته من المدعوين فقال المستشار : انا ارافقكم اما انت فلا . يظهر ان الالة مختصة بالرجال . فقلت وقد سمعت ان المس بل ستكون هناك . فقالت السيدة زوجة المستشار : ولكن المس بل وسكنت .

نعم ، ان المس بل في صفتها الرسمية لمن الرجال ، فهي لا تقيد نفسها بما

(١) هو الوزير الثابت في الوزارات العراقية لان ليس في العراق من يضاميه في علم الاقتصاد والاضلع من ادارة الشؤون المالية . ولد ساسون افندي حزقيل في بغداد في ١٧ اذار سنة ١٨٦٠ وتلقى علومه في بغداد ولندن وتخرج في الحقوق بقبا طاصة النساء . وقد شغل عدة مناصب ادارية في الحكومة العراقية الى ان انتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب العراقي من سنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ وكان رئيساً للجنة المالية في ذلك المجلس سبعين عديدة . وعين مستشاراً لوزارة التجارة والزراعة في الامانة . ولما تألقت الحكومة المؤقتة في العراق في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ عين وزيراً للمالية وبقي في الوزارة المذكورة ثلاث سنوات اي الى ان استقالت وزارة السعدون . ولما تألقت الوزارة الهاشمية في شرآب سنة ١٩٢٦ استد اليه المنصب نفسه

(٢) راجع صفحات ١٨ و ١٩ و ٢٠ من هذا الجزء .

يقيد بنات جنسها ، وهي تعضهن لان الحرية التي افتمها لا تأبه للاصطلاحات العقيمة . على ان الوظيفة تضطرها احياناً الى ما يظنه الناس تمسداً في الخروج عن المألوف . وهي في صفتها الرسمية تعمل عمل الرجال فتستحق ان تذكر مع الرجال . بل هي شبه وزير دار الانتداب فينبغي لي ان افسح لها في هذا الفصل مجالاً . ولا اظن اصحاب المعالي الوزراء يستذكرون او يعترضون .

ان السيدة جرترود بل كاتبة اسرار المندوب السامي في الامور الشرقية او رئيسة القلم الشرقي في دار الانتداب^(١) لمن اوثق الانكليزيات القليل عددهن الاواني يستشرقن او يتعربن لدافع فيهن اولاً نفسي بل روحي يصعب تعديله على ما اظن بغير ناموس التناسخ او الوراثة البعيد الاسرار والاسباب . ان امرأة عالمة ، نشيطة ، حسيمة ، ذات عزم ومضاء مثلاً ، تتجدد في بلادها من دواعي العمل والشهرة والفتار ما يرغبها عن البلدان الاجنبية ولصكن نزعة فيها الى الشرق ، الى العرب ، تغلبت على كل آمالها ومطامعها ، فجات الشرق الادنى سائحة ، طالبة علم ، وجالت في البلاد العربية ، فقطعت الصحراء الى جبال شمر وحائل ، وآخت العربان ، وكتبت في ما كتبت كتباً عن العرب والبلاد العربية والسورية فيها العلم مقرون بالعطف والاخلاص . ثم جات ايام الحرب الى بغداد فكانت للقيادة العامة والوكلاء السياسيين عوناً كبيراً في ادارة شؤون البلاد .

ان المس بل تعلم من امور العراق وعشائره ومشايخه واشرافه ونجاره والسياسيين فيه ما يندر ان يعلمه سواها . وهي تتكلم العربية بلسان عربي تحف المسكنة فيه وتجالس العرب فتستأنس بهم ، ولا تكلف ولا عناء ، كأنها تجالس من تحب من ابناء جنسها ، بل كأنها عربية بنت عربي .

امرأة طويلة نحيلة جليظة ، تكاد تكون مجموعة اعصاب وافكار ،

هادئة الإشارة والاهجة ، هادئة البادرة ، يتغلب في حديثها العقل ، وتتقلب في عقابها السياسة . وهناك شيء من القلب ، بل أشياء فاضحة مستوية ، تراحم العقل والسياسة أحياناً فتجي . تارة عفواً وطوراً تغم على اجتهداء وعناء .

حدثني أحد المستشارين قال : طريقة المس بل السياسية قديمة ، وهي مع ذلك لا تترك في الأمور لا لمقلها دنفاً ولا لقلبها . وقال آخر : الناس يأبون النأديب اسواء اكانوا عراقيين ام انكليزاً .

ولكن المس بل لا تحبب العراقيين دائماً بالقاعدة والقضيب كالمعاملة المرشدة . بل تحببهم مراراً وهي تحمل هدية بدل القضيب . هوذا قلبها عربون اخلاصها ايها الزعيم الوطني . هي ام المؤمنين يقيناً . واذا رفضت الهدية والمرشدة ، اذا ابيت النصح والامثال ، فهوذا السجل وفيه سيرة حياتك منذ دببت ودرجت الى يوم وقفت مستهطفاً او محتجاً في دار الانتداب

لذلك لا يبادلها العراقيون الحب والوداد . ولكنهم يحترمونها ، ويعجبون بها ، ويودون لها ما يوده المرو امته او الفتاة لحائتها . لا تحببنا كثيراً عافاك الله ولا تتدخل في امورنا .

الفصل الخامس عشر

اصحاب القوافي

السياسة والمقاضي - الترويح في التدخين - الشعراء - معروف الرضائي في الفريكة
- في الاستقاة - الرحانة والشاعر في بغداد - الشاعر الناقير علي الجميم - المس
بل تحافظ على اللياقة في الصحافة - الشاعر يونسها - غضب المرأة الراقية - لا
منفى للشاعر - ذنب الحرية - عقيدته في الدين - تقويمه في العالم - شيء من
شعره في الشعر -

من ذا القادر من المبرة راحياً حماراً ابن اتان ؟ - وصلب الزهاري - شين
زاهد - ليلى الاخيلية تمسح دموعه - شكارة الشاعر الفيلسوف - قصة شاعر
الملاك - لا امدح بالاجرة - المبتذل في شعر الزحاري - ترغبات الشيطان
- حقائق راحة - يا شرقي وبها حرب ! - الشعر الحقيقي -

اولئك الذين يكفرون الناس - تليق الضمائر - الاعظمية والكناخية وراغب
كموشي كرملي - التقليد والتقليد والتمثيل - شاعر لا قلب له - اوهارم القويدية
والاحسان - الدجيني شاعر القوة القاهرة - هنري ونيشي - شيء من شعر
الدجيني - ال «رياليزم» realism في شعره - مادي يهتبر بالارواح - وطني
يقترء أبناء قومه ومذهب -

رايم الكثرة - ان الكرام قليل - «الفن» لشعير من الدويوان الى البيت C
مجيد الشاوي - في وجهه شيء من الاسد والنمر - وليس على صفرة نيشان -
ولا يعرف للتوسر - الى من يمتص - ابن عبي - المعري والغيامر - في مجلس
السيد محبوب التتبيب - جدال في حلم النبي وحنا - وما ذنب النساء في الحروب ؟
- دائرة معارف الادباء - في العراق روفائيل لطفي - مثال من نقد وشعره المنشور -

لولا الشعراء في العراق اسلمت السياسيين ، ولولا السياسيون لغرقت
هارباً من الشعراء . وبكلمة اوضح لولا الفريقان حولي لكانت من المالكين .
بيد اني مشيت مثل الباهوان على جبل الاحتمالات والتكريم ، احمل بيدي
خيزرانة التوازن وفي احد طرفيها اكرة السياسة وفي الاخر قيثارة الشعر .
تباركت الامة التي يتوازن فيها الشعر والسياسة .

ليس في امم الارض على ما اظن من يهتم بالسياسة اهتمام الامة العربية .
وليس في الاقطار العربية كلها من يشغفون بالسياسة شغف العراقيين . في

مدينة بغداد مثلاً ثلاثة مقهى وفي كل مقهى عشرون سياسياً في الاقل
يدخنون الارجيلية ايل نهار ويدخون شؤن العرش والانتداب . ولكل
سياسي لو حدثته رأي في السياسة الدولية وسياسة العراق غير رأي زميله
وجاره . الا انهم لحسن الحظ يدخنون وينسون . ان في الارجيلية لتعصم الامة

معروف الرصافي

ولكن في هذه الامة اناساً ممتازين يدخنون ويسكتون ، فيجمع العراق
احلاماً يولدها التنبك ويبدها ، ويحفظ القرطاس من النفقات والنقبات ما لا
تعددها . ثم الشعراء . واكثرهم بل كلهم في العراق اليوم سياسيون ينظفون ،
او نظامون يعالجون السياسة كرماء منهم ، وفي مقدمتهم شاعر تجاوزت شهرته
حدود الجزيرة ، فرجت بها سوريا ومصر والاسنانة ، واجلستها على ديوان
الفجر والاعجاب .

وقد وصلت هذه الشهرة الى الفريكة في شخص صاحبها المحبوب معروف
الرصافي يوم كان عربياً - بدوياً - في قلبه ولهجته ، وفي نظمه وقوافله . نام
معروف الرصافي يومئذ في خيمة الناسك المشرفة على الرادي ، واكل من
جفنته ، وشرب من ابريقه . ثم سافر الى الاسنانة اولاً وثانياً ، وكان فيها
من المرشدين الواعظين ، وعاد منها يلبس الطربوش والثياب الافرنجية ، فافصح
ذا التطور الظاهر عما خفي منه فيه . اجل ، قد افسد الاتراك او بالحري
مدنية الاسنانة - وهي في هذا الباب اشد واسرع فعلاً من مدنية باريس -
قد افسدت شيئاً من السذاجة الجميلة في شاعر عربي مجيد . احترقت حواشي
تلك السذاجة . فتغير لونها وطعمها ، وصار الشاعر سياسياً ، وصار العربي
مسلاً . او بالحري صار الشاعر في سياسته وفي اسلامه تركباً من اتراك
ذاك الزمان .

على ان الرضائي وهو من خصهم الله بشعلة النبوغ - والتبرغ طموح ،
والطموح جهاد مستمر - لم يقف في التطور عند حد يريب ويعيب ، بل ظل
يشغل في الادب والشعر حتى امست السياسة التركية الاسلامية بعيدة عنه ،
تؤكد لبعدها لا ترى ، وحلت محلها سياسة عربية قومية ، مجردة من كل
نزعة دينية ، وكل صبغة مذهبية . وكانني بمروء قد عاد الى تلك الحية ،
خيسة الناسك ، فذكر فيها الخفنة والابريق ، وعقيدة الاخ الصديق ، الذي
كان مثله هدفاً لعوامل التطور الشديدة . فقد صار ناسك الفريكة رحالة ،
غراح يحول في الارض غرباً وشرقاً ، حتى اجتمع بعد سنين بصديقه الشاعر
في بغداد وهو يشغل وظيفة صغيرة في وزارة المعارف .

وكان معروف اول المرحبين ، واول من قال شعراً فيه زجرة وفيه انين .
شكنا الى صديقه القديم حالاً هو فيها فقال :

اقت ببلدة لمثت حقوداً	علي فكل ما فيها مريب
امر فتظن الابصار شرراً	الي كأننا قد مر ذيب
وكم من اوجه تبدي ابتساماً	وفي طلي ابتسامتها قطارب
سكنت الحان في بلدي كأنني	اخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغرياء فيه	لا في اليوم في وطني غريب
وما هذا وان آذى بدائي	ولا هو امره امر عجيب
واسكني ادى ابنا قومي	يدبر امرهم من لا يصيب

وحمل على السياسيين في العراق ، الوطنيين منهم والانكليز ، وحمل
كذلك على الاغنياء والاعيان ، وشكنا الدهر والزمان ، كان صديقه الرحالة
يحمل في حقيقته دواء لكل ادواء الانسانية وترباقاً لسوم الحكومات
الاستعمارية والاستعمارية .

أأمين لا تغضب علي فاني لا ادعي شيئاً بغير دليله
من اين يرجى للعراق تقدم وسيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند جبانته والمال عند نجيله
والرأي عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله

ما كنت لاغضب على صديقي الشاعر لو لم اكن جئت العراق من قطر
عربي ليس فيه جز. صغير بما في العراق من دلائل الرقي واللائع الادب
والعمران . الا ان غضبي عتاب اخوان ، ولعب صبيان ، اذا قوبل بغضب
اصحاب المناصب العالية ، والسيادات اللينة البالية . وليس غضب هؤلاء
وعم رجال بشي. اذا قيس بغضب سيده سائده ، لها الامر وهي اجنبية ، ولها
نفوذ يمتد حتى الى ادارات الجرائد العراقية .

قد اغضب الرصافي المس بل فحالت دون نشر قضائده في الجرائد .
وهذا قليل من كثير جاء منها بالاساليب الدقيقة الحفية ، لانها وهي امرأة
راقية وهي فوق ذلك سياسية ، لم تناصبه العدا . بالطرق الاستيادية . ولا
اخطأت كما اخطأ سابقاً دار الانتداب في نفيه الوطنيين الاحرار . صكاتها
قالت في نفسها : هو شاعر ، والشعراء يلتذون بالسجن ويفتخرون بالمنفى .
وكيف لا وفي الاثنين ما يسكنهم مزونة العيش والعمل فيضمن لهم خير
يومهم والغزلة للنظم والتأليف . دعت المس بل معروفاً وشأنه ، ولم تلجأ في
توبيه الى غير الدقيق الحفي من اساليب النقمة عندها . وكان معروف يومئذ
نائماً على العراق كله كما تقدم وعلى كل ما فيه ومن فيه .

سأنصب لله واجس حروجه	يعود الى الشروق به الغروب
واضرب في البلاد بغير مكث	اجوب من المهامه ما اجوب
الى ان أستظل بظل قوم	حياة الحر عند عم تطيب

وكان املة ان المس بل ، وهي ولاية الامر ، تسع في الاقل هذه

الشكوى منه ، فارسل اليها كتاباً يقول فيه انه يحترمها لانها عالمة وانكبتها
في الامور الوطنية ليست اعلم منه ، وانه اذا احسنت العمل يتجدد ذكرها في
التاريخ والا فلارادع لشعره عنها « واني ارجو ايها السيدة ان يكون
لغضبك نتيجة ظاهرة . »

سكنت الحان في بلدي كأنني اخو سقر تقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيسه لاني اليوم في وطني غريب

أفلا تترقي المس بل خلة ، وقد سمع الإقامة في بلاد لا خير ولا ما يشبه
الحير فيها ، فتسعى بإبعاده او إسجنه او ينفيه ؟ افا الغريب في اسر هذا الشاعر
انه لم يفقه عقلية المرأة المذهبة ولا ادرك السر الاول من اسرار قلبها . فهو
يطلب منها كالصبي ما ينبغي حقيقة ولا يحقني عرضه او يؤبه به . فلو قل لها :
اني افضل زاوية مظلمة في سرداب من سراديب بغداد على قصر في الأستانة
لكانت سمعت ولا ريب بإبعاده عاجلاً عن العراق ، بل بتسفيره الى الأستانة .
اذا العلماء النافون على الرصافي او بالحري النافم هو عليهم فانهم يجدون
قصتهم في بيتين من شعره :

لقد مزقوا احكام كل ديانة وخالطوا لهم منها ثياب ربا .
وما جعلوا الا ديان الا ذريعة الى كل شغب بينهم وعداء

ولا فهمهم انهم الرصافي عن العراق ام لم يبعد ، فهم يعلمون ان الشاعر
الحجيد الحر الذي تتنازع وتتناقل اشعاره الناس قبل ان تطبع يستطيع ان
يضر بهم ايها كان . وقد تجيء الضربة شديدة بالنسبة الى بعد مرماها .
لذلك اقتصرنا على تكفيره في بلده وشرعوا يشتمون به لدى العامة حتى صار
يُنظر اليه اذا ما مر « كأنه قد مر ذيب » وهو والحق يقال ذئب الحرية في
العراق يشب على كل من يحاول قتلها او تقييدها .

لمعروف الرصافي عقيدة في الدين والاخرة تكاد تكون مادية . واكنه
هو الحكيم المدرك حدود علمه ، قلما يفصح عنها تفصيلاً وتأصيلاً في
ما يكتب وينظم . وعندى انها في هاته الحال السديية اشد تأثيراً في ما
يقصد بها من اصلاح العقائد والتقاليد . قال لي مرة : لا تصطالح البلاد
العربية وتوتقي الا بالفكر . وانا افهم وهو يفهم ما يريد بما قال . فار نطق
كعالم بوجوب قياس العلم والمنطق لما كان يؤثر في الناس كفره المزعوم .

ولرب قائل يقول : مالك وانت تكتب عن شاعر عبقري تقدم في شعره
السياسة والدين ؟ الجواب : ان الباحث اليوم في احوال الشرق عموماً والعرب
خصوصاً يرى ان للسياسة والدين الشأن الاول والاغلى في امورهم كلها .
اجل ، ان في مصبتي السياسة والدين تصطبغ الاقوال والاعمال والامال ،
فيقدر الشعر الصافي والنثر الادبي في ما ينظفون ويكتبون . وعندما اجدي في
نثرات العقول الكبيرة الحرة ما يعارض النعرات المتذلة الذميمة بنعرات جديدة
في الفكر والاعتقاد اقدمها عملاً باهيتها على غيرها . كذلك سالت في
تسريح جزء من شخصية صديقي الرصافي المستازة .

اما الشاعر فيه المجرد من نعرات الناس ، ومن النزعات السياسية كلها -
الشاعر الذي لا يعرف في الحياة غير الشعر والجمال والحقيقة العلوية فيها -
فهو دائماً فوق الجماعات والاحزاب ، لا يعتبر في الانساب غير النسب الذي
بينه وبين البليل ، والمواصف ، والكواكب ، والازهار . ولا وطن له غير
وطن الفكر والعلم والحرة . فهو اذا سألته : ما الشعر ؟ يجيبك قائلاً :

وما الشعر الا كل ما رنح الفتي	كما رنحت اعطاف شاربها الحمر
وحرك فيه ساكن الوجد فاعتدى	مهبجاً كما يستن في المسرح المهر
فن نفثات الشعر سجع حمامة	على ايسكة يشجي الحزين لها هدر
ومن شذرات الشعر حوم فراشة	على الزهر في روض به ابتسم الزهر

ومن ضحكات الشعر دمة عاشق بها قد شكوا للحب ما فعل المهجر
ومن جرات الشعر رنة ناصك مقبجة اودى بواجدها الدهر
ومن لفتات الشعر ترجيع مطرب تعاود مجرى صوته الحُفُض والنهر
وان من الشعر ائتلاف كواكب يجنح الدجى باتت يضا حكاما البدر
وان ابتسام الفيد عن كل اشنب يطرب نفسي فوق ما اعطرب الشعر
هوذا الشاعر الحقيقي . هوذا الرصافي ينطق بلغة زملائه واقاربه في
البساتين وفي الدماء .

جميل صدقي الزهاوي

والرصافي زميل ونسيب من الناس بشاركه الاقامة في العراق كان ينتمي
لي ، لو اعتبر السن والعلم في الشعر ، ان اقدمه عليه . وان كان الشاعر هو
شاب ابداء والعلم في الشعر يكسبه حكمة ولا يزيده جمالا . علي ان لجليل
صدقي الزهاوي مثقلة في الشعر العربي اليوم لا يشاركه احد بها . فهو في علمه
وفي ادبه ، وفي شعره اقرب نوابغ العرب الى المعري الي العلا . واذا صح
مبدأ التناسخ والحلول يكون « رهن الحبسين » قد عاد الى هذه الدنيا بعد
الف سنة فالتحنت روحه الزهاوي محبسا جديدا ، ومعتقلا من الفكر مجيدا .
او ليس شبيها بصوت صاحب اللزوميات صوت من قال :

« ثم بعيداً في خلوة الاجداث من رغاء الخطوب والاحداث
انما الموت خير ما خلفته لنيبها الابهاء من ميراث »

وما كان المعري في هذا التجسد الجديد موفقا في الصحة والناحية ، لان
شكلا في رجل من حل فيه ينمعه عن المشي . جاء في اللامية الزهاوية :

« وقد احاول ان اسمي فتسمني رجل رمثها يد الايام بانثلل »

فأضطرته إذا خرج من البيت الى الركوب، وكان اختياره في المركوب اختيار الشاعر الفيلسوف، هوذا الشاعر الفيلسوف راكباً اقله البيضاء، كأنه من مدينة المؤمن المدورة لا من بغداد الجديدة، ولكنه يلبس الطربوش لا العمامة، فيبدو شعره من تحته خصبلاً متوردة شاردة، لكل منها يد من الهواء، تداعبها فتعدها عن اختها، وقد يتصل بعضها بشعر حليته الشحط، «البشقية» التي لا تخضع حتى لمشط من العيادة او لمقراض، وهي تظهر في اشد المظاهر الفرضية في الشواب منها الثائرة على كل نظام وكل ظلام، وقد اختبأ تحت الشواب جل ذلك الفهم البليغ الذي هو ختم الفهم اذا سكنت، وباب الصواعق والاضاحيك اذا تكلم، اما الأنف فتنبسط الاطواب مستريح تحت عين دامعة تشكر النظارات على ما تجسسه وتوحده لها من الزمان الحياة، ويشرف على هذه الايات في التكرين المشور جين رفيع نصيب منيع.

اما ثيابه فاغريقية، ولكنها كذلك حرة ابيه، لا يهبطها الشكل والزي، وقلما تنفت الاناقة فيها النظار، ينطالونه كالكيس حول الساق، قبضه مفكوك الزر عند العنق، ومستقلة في بياضها - ذو الياصع - فلا يخل قسماً منه شيء، نأ تدعوه قطعة او ربطة رقبة، شيخ زاهد بكل شيء الا بالعلم والحرية، وليلى الاحياء - اجل ان الزهاوي ليلاه، تطارد من نفسه الظلمات، ومن قلبه الشبهات، ومن بيته الطالبات، هي عروس شعره، عروس حياته، عروس افكاره واحلامه، وهي كذلك رمز سياسته.

«كان يهوى ليلي ابن عمه ليلي فابتغاه من اهلها كخطيب
ولقد انجده من بعد حين ان ليلي قد زوجت بغريب»

وان هذا الشاعر في عشقه لكلاً باحي في بعض الاحايين يشرك بحب ليلي كل عاشق حزين، هي ليلي الالهية التي يخاطبها فيقول:

«ليلي اطلبي على العا شقين ليلي اطلبي

تري اعززة قوم مطأطين بذل
تري صدوراً من الشو - ق والصبابة تنسلي
عدي وان كان وعدال - حبيب رضا بطل

ثم بتغلت الشاعر من يدي الوطني والفيلسوف ، وركب وعروسه الاثان
البيضاء ، الى الصحراء ، او تختلي بطبقها في داره ، فيسعه من الشعر الرقيق
المتسجم ما يقارن اجل نفثات « المجنون » .

« ابيت في الدار وحدي معاتباً حيا لك
قد غرتي انه كان ن باماً كشالك
لا تسألني عما اصابني بعد ذلك
ما زلت اضمر جأ مناسباً لجناك
ابيع كل حياتي ساعة من وصالك
اني بحبك يا ليلى لا محالة هالك
فهل سأخطر يوماً اذا هلكت بمالك ؟ »

جاءني الشاعر الفيلسوف ذات يوم يحمل الي شكاية هي ظاهراً عن ليلى
ومشاقها - ما هم وافه أهلاً لها ، ينظرون الشعر الاخيلية وبقدمون الهدايا
الاجنبية . ولذلك فصل لا يسكتوت ، واذا اسكتوت فلا ينصف . أو لم
اقل له في قصيدي :

« لا يؤأس الناس في عصر نهيش به الا الذي اقلوب الناس يتلك »

والشاعر يا استاذ من الناس ، وله فوق ذلك حق على الناس ، في من
يأسكون او يؤمرون . ترانا نحمل النار بايدينا الى امة تكاذ من الدفق قوت ،
فيوقفنا في الباب اناس لا يساوون قلامة ظفر منا . »

هي الحقيقة في كل قطر من الاقطار العربية . ولكنها في العراق بحسنة

في كبار شعرائه . اعجب بشعراء غاضبين شاكين ، وقد تنازلوا عن مكافئة الزمان الى مكافئة الانسان . الا انهم يختارون ولا شك الاقران ، او من يدنو من الاقران . حمل الوصافي على سيدة اجنبية من اجل ليلى وعشاقها . وجاء الزهاوي يشكو من مدحه بالامس وكانت لا تزال قوافيه ترن في البلاد . - سألتني يا استاذ ان اصكون شاعر المملك وعينوا لي راتباً شهرياً . فقلت : لا امدح بالاجرة . واني اقبل الوظيفة بشرطين ، ان لا اقول الا عندما اري المدح واجباً وان يكون الراتب لوظيفة غير المدح .

فغضب جلالتهم ، وكان لي على بعض الاصحاب السائقين حق المساعدة فافتننوا فرصة غضب المملك وانقلبوا علي . والله يا استاذ ما قبلت ان اكون شاعر المملك الرمحي الا بالشروط التي ذكرت معاذ الله ان اصير في اخر هذا الزمان مداحاً بالاجرة .

هذا نصف القصة صحته غير مرة في بغداد كما رواه الزهاوي . وصحت كذلك النصف الآخر . اما جلالة المملك فيصل فقد كان بين النصفين ، تنجاذبه اكثر من ارادتين . واني اروي القصة كلها لما فيها من نور يضيء بعض زوايا الملك الجديد . انما نرى في البداية جلالة المملك بين شاعرين هما صنوان ، هما شاعرا العراق الاولان . ولشاعرين اصحاب من ذوي السيادة والنفوذ في المدينة وفي البلاط . وبين الشاعرين ، بل بين الشعراء على الاطلاق ، منافسة دافئة تكاد تكون طبيعية . قد فات ذلك جلالة المملك فاغضب في انعامه الشاعرين معاً .

ولو كان ممن مارسوا الشعر فخيروا طبائع الشعراء لاختار لهذه الوظيفة احد ابناء الطبقة الثالثة او الرابعة لانهم يحسنون المديح اكثر من سواهم ، واسكان كفى نفسه عداء شاعري العراق الكبار بل كان في استطاعة جلالاته ان يعمل احسن من ذلك ، فيقول لمن حببوا اليه « الشاعر الرمحي » ،

اننا في بداعة امرنا ، ولا حاجة لنا بمذاح مأجور . او انه يقول : شاعر البلاط من كالات الملك ونحن اليوم احوج الى الضروريات . أفلا تظننه مفلحاً لو اتخذ هذا المسلك ورفض ان يعين شاعراً رسمياً ، فيصير شعراء العراق كلهم شعراء البلاط — وبدون اجرة ؟

ظلمت والله يا استاذ . لنا لا ابغى اجرة على المديح اذا مدحت واني لا امدح دون فكر او نصيح . ألم اقل لفصيل :

« تلقى اعتمادك لاستتمام مهضتهم على الذين بنهيج الحق قد سلكوا
على اناس اصدق القول قد لزموا على رجال لعل النفس قد تركوا
على الألى عرك الايام اظهرهم عر كآطربلا ولايام قد عر كرا »

اجل ، ومن يا ترى عر كتبهم الايام مثل الزهاوي ؟ ولكن الشاعر يخدم بلاده في ما لا يحسن الخدمة احد مثله . قد تقلد الزهاوي مناصب في الدولة كثيرة وكانت يوماً له ويوماً عليه ، وكان في ذلك واحداً من كثيرين وقد قدمت صفاته في فنون الادب ، فشغف بالعلوم الطبيعية ، وألف كتاب « الكائنات » وكتاب « الجاذبية وتعليلها » وكان فيها واحداً من مئات القوافي . ومن غرائب اجتهاده وتنوع علومه انه كتب رسالة في سباق الخيل وكتاباً في علم الداما . وفي هذا الكتاب العجيب ذكر الف لعبة من مخترعاته ! فلم يكن الزهاوي شاعراً وطنياً قلنا ان في تعليم الامة لعب الداما وظيفته الاولى . واكنه شاعر كبير بالرغم مما في شعره من مبتذل القول مثل :

« العلم ثروة امة ويسار والجهل حومان لنا ويوار »

« ان التوقف في زمان حازم فيه تقدمت الشعوب لغار »

« من راح يمشي في طريق مستور أمن العثار فما هناك عثار »

ومثل قوله في مطلع قصيدة « الجهل والعلم » :

« الا ان ليل الجهل اسود دأسي . وان نهار العلم ابيض شامسي
وتشقى حياة ما لها من مدرّج . وتشقى بلاد ليس فيها مدارس »

هي حقائق لا ريب فيها . ولكنها من الحقائق المعروفة المبتذلة ، وقد اصبح الاعتقاد بها عند الغربيين من باب الاعتقاد بوجوب الرياضة مثلاً او الاكل . اما عند العرب فالامر غير ذلك . وانه ليغفر للشاعر في امة تطرب للشعر طرب الغربيين العربية اذا وضع لهما حقائق كل يوم - حقائق ايام الشغل - في قوالب شعرية .

من مزايا الشاعر الحقيقي ان البؤس في الامة يمزجه حتى الألم ، فيصبح كأنه هو الامة البائسة الموحجة ، فيسنع صيغته من قد خشت او تحذرت من الآلام اعصابهم ، فيستغيثون طالبين الدواء والشفا . هذه هي وظيفة الشاعر الكبرى في امة كان للعلم فيها روع زاهرة امست كالغفر الياب .

وايكن في شعر الزهاوي غير هذه الحقائق - حقائق ايام العمل . ان فيه كثيراً من حقائق الآحاد ايضاً والاعيان . هو الشاعر الذي يبهجه اربيع الارهار ، وبريق الانوار ، فيود لو كان بامكانه ان يداوي بها البؤس والظلام - البؤس الذي منشاء الخول ، والظلال الذي هو الجهل .

اننا نقدر سرّاً في الاكران . فحبذا ما نقدر دواء لما نقاسيه . حبذا الحياة ، حياة النمو والتجدد الدائم . ولكن الجهل عدو هذه الحياة وعدو الله ، والمتاجرون بالجهل رؤساء الاديان ، ورؤساء الاديان في كل بلد لا يخفّ شرهم الا بئس الزهاوي والوصافي وشمرهما . وهما هنا في هذه الامة الجديدة سبب التقيظ الجديد ومصدره . اولئك الجاهلون في مسكنهم وفي علومهم يكفرون الناس فيدفعون ذوي النبوغ فيهم الى الكفر بالله . ان

وجودهم في المجتمع الانساني سادة لما يصفف الثقة بالمقائد الدينية كلها ،
فيخرج الزهاوي اذ ذلك من المستذلات ، ومن الرطنيات ، وينظم ديواناً
كاملاً في « نوعات الشيطان » فيسمعك من الحقائق التي هي كائنات الياي
وكالمذقع الالائي . ويسمعك بعد الزجيرة ضحكة لا تنسى زمانك صداها
وصدى التهمك فيها .

« توفقت لا ادري تجاه الحقائق التي خلقت الله ام هو خالقني »

ان الزهاوي في « نوعات الشيطان » مثل ابي العلاء في « رسالة الفيران »
وقد يفوق معري اليوم معري الامس جساراً وبريقاً . فنصل يد شيطانه حتى
الى العرش الاقدس ، وحتى الى طية صاحب العرش . على انه بعد التطاول
والتعديف يستغفر الله ويعود الى عمل كل يوم معري الغرب في الشرق فاعزاً
فاه ، ضارباً بعصاه ، فيزجره بالمبتذلات ويهدده :

يا ايها الغرب ان الشرق مضطرب

يا ايها الغرب ان الشرق معتصب

خفت من الوطء فالايام تنقلب

الشرق يشبه بركاناً به حمم

اخاف من انه ياغرب ينفجر

ياسرحة الماء انت اليوم وافرة

وانت قاعمة خضراء ناضرة

لا تأمني الدهر فالايام قاهرة

ياسرحة الماء ان جاء الخريف غدا

فاغدا هذه الاوراق تذتر

ثم بين التعديف والتعنيف يسمعا الشاعر من نغمة الناعمة الصافية ما هو
من صميم الشعر الذي يستأثر بعناه الايام ، فالسكوت ، فترى الديمة فيها

تروي الابتسامة ، وترى الابتسامة تحضن الدروع كما يحضن ورق الورود
الندى . من ذلك قوله مخاطباً نساء العراق :

« انظريني اذا العنادل غنت	سجراً فوق منكب الشجر.
انظريني ليلاً اذا الشمس غابت	بميرن النجوم في الظلماء.
انظريني اذا الطبيعة أصغت	في الدياجي الى خرير الماء.
انظريني اذا الحوادث رامت	هدهة في الصباح او في المساء.
انظريني اذا الحزيف تراءى	آسياً من اشجاره الجرداء.
انظريني اذا غدا الروض خلواً	من زهور او زهره من بوا.
انظريني من الفروج خلال الـ	سحب سراً بعينك الزرقاء.
انظريني اذا نظرت بعيني	وهي شكوي اليك تند البكاء.

كانظم الدجيلي

ان في العراق من العلماء من لا يزال في المعقل الذي مات فيه « ملغان »
الكنيسة المسيحية يوم قضي على ما كان للكنيسة من سيادة ادبية في العالم .
وعهد « الملغان » ليس بعيد . بيد ان وظيفته في مراقبة اداب الدنيا والدين
لم تكن لتتغير بالكنيسة الكاثوليكية ، بل تجاوزتها الى علماء اكسفورد^(١)
البروتستانتين الذين كفروا في النصف الاخير من القرن الماضي دروين
واصحابه لقومهم مبدأ النشوء والارتقاء على ان زمن الـ « ملغان » في المسيحية
قد ولى ، وكذلك الـ « دون » فودعهما التاريخ شاكراً مسروراً .

اما في الاسلام ففي بعض الاقطار كالعراق مثلاً لا يزال العالم يحمل سهام
التحريم والتكفير ، يرمي بهما من خالفه رأياً او نشر ما يخالف عقيدته في

(١) اكسفورد اكبر جامعات انكلترا وهي المدينة التي تسمى بهذا الاسم . والملغان

يدعى في اكسفورد « دون » Don

دأب الدنيا والدين ولا يحق للشيعه وحدها ان تفاخر بشئ هؤلاء العلماء وان
كثر عددهم عندها . فان عند السنة منهم من يسود الوجه حتى يجفئ على
« ملافين » كربلاء والنجف .

وهناك في تلك البقعة النائية عن دوائر العلم الغربية بعض رجال الدين
المسيحيين الذين يتقون نقيب الضفادع ككل مرة يسبح في البلاد صوت حر
كرويم ، فيصدرون القناوي بالتحريم والكفر اقتداء بقضية الشيخ الاعظم
و « آية الله » الاكبر . وما الفرق يا ترى بين ثلاثة هم واحد تجاه الحقيقة ؟
انهم وان اختلفوا اسماً ومذهباً لأعداء الحرية . بل هم الاحلاف على انصارها .
الا ان الكرمللي والالوسي والقزويني لثلاثة رؤوس ، هي التقليد والتقييد
والتعقيد ، على جسم واحد ، هو التعصب . وكلهم لاهام فضاهم من فضلات
السخافة والحرافة في العالم . بل من آيات السقم والعقم والادعاء والرياء ،
ان كان في السكافلية^(١) او في الاعظمية^(٢) في النجف او في بغداد .

وكلام يكفرون الزهاوي والوصافي والدجيلي ، ثالث المنضوب عليهم
هناك . على انه في الساهل والصحراة والجربة الادبية علم من الاعلام وقلم
يعد احد قبله . الشيخ ككافهم الدجيلي فيلسوف ينفر من الخيال ، وشاعر
يهوى صدق المقالة ، وليس في ظاهره ما ينبغي . بوجود الشاعر فيه او الفيلسوف
ليس في طبعه او في صوته ما يستلزم اليه او يستوقفك وانت غريب . بل
في وجهه المخروط الضامر ما يشير الى الفزع والتسرع ، اللهم اذا قلنا التكوين
الاهلي بقياس الفن الانساني ، فنقول ونستعمر الله : قد ارتجفت يد المكون
في تكوينه ، او ان الناظم اخل بالنظم فلم يك مؤزونا . هالك وجه الدجيلي .

(١) الكاظمية مدينة على الساحل الغربي من دجلة على مسافة اربعة اميال من الكرخ
واماها من الشيعة وغيرها جامع جميل مدفون فيه الامامان موسى الكاظم ومحمد الجواد
(٢) الاعظمية هي قبالة الكاظمية على الساحل الشرقي من دجلة وفيها قبر الامام
الاعظم ابي حنيفة .

عيناه بعيدتان الواحدة عن الأخرى ، فله وانفه صغيران بالنسبة الى صفحة وجهه ، شعر رأسه وهو دائماً قصير يظهر انه ملتصق بجبينه . اما الرأس ففيه من الأذن الى القمة طول يخالف أيضاً قواعده التناسق ، وهو الدليل الظاهر الوحيد على ما في الرجل من قوى التفكير والحكمة . وليس في صدره اذا حدثك ما ينسبك ظاهر صاعبه ، او يستفري الغرض بك ، فهو دائماً عالي رفيع لا منخفضة في ولا منعطفات . تنفر منه لاول رحلة ولا غرو . الا انك بعد ان تألفه تروح الى التوت الواحد فيه . وقد تكون المادة التي يحملها ويومز اليها السبب في ذلك ، انما هي لب الرجل وكنهه ، هي حقيقة وجوده .

ان الدجبل عقل كله ، عقل صافٍ لا يمازجه شيء . من الروح والقلب . فيه نور الشمس ونارها ، وليس فيه ظل او خيال . وهو في حريته مثل نور الشمس يحرق وينير ، ويحرق احياناً نفسه قبل ان يحرق سواه . ما اجتمعت في البلاد العربية برجل مثله في صراحته وجرأته واخلاصه . وانك في الشرق ، حيث اللطف ضارب اطنابه والتجمل حامل ابداء محرقة الطيب ، تعجب بالدجبل ضحفي اعجابك بشله في أوروبا او في اميركا . وما تأتيه الظواهر بعد ان ينكشف النقاب عن هذه العقلية الباهرة .

رجل ولد في مهد التقليد والتقييد والتعقيد وهو اليوم مطلق منها كلها . يبتذ المذاهب الدينية ، ويحمل عليها ، ولا يحتفظ بغير الالب من الدين . له في الحياة عقيدة مادية يجهر بها ويناضل عنها ، شغف بالقوة القاهرة وهي عنده الحق ، لا يرى للاضيق ، ولا توقفه زخارف التعاليف وارهام الغيرة والاحسان . هو في شعوره اقرب الى شعراء الجاهلية من حيث انه لا يرى الا ما يرى . من حقائق الوجود . ولكنه في ذلك عصري ، اي انه اتخذ هذه الطريقة لانها تساعد اكثر من سواها في تجريد الاداب من ترهاتها ، والاديان من خزيلاتها ، والانسان من اوغامه كلها .

يذكر في الدجيلي بشاعر انكليزي من شعراء الشطر الاخير من القرن
الماضي جرد شعره من حلي التقاليد الصناعية كلها - من زخارف الحيل، من
اورهام الالام، من مصقول المقال، فجاءت قوافيه كالبرق يثني الظلمات، وكلماته
كالنصال وقد جردت من الاغداد . هو الشاعر الكبير شعراً لا شهرة ارنست
هيني^(١) القائل :

ولو احبقت لي الظلمات والاعصار ،
وكان الليل من القطب الى القطب كالقار ،
فالي الامام ولا اندجار ،
اني ربان هذه النفس ، اني سيد الاقدار .

وكان هيني وقد كان معاصراً لنييتشي^(٢) الفيلسوف الالماني الشهير يردد
شعراً احدى كلماته الملهمة او شيئاً من فلسفته المأهولة . - الارادة الارادة .
العزم العزم . الاعتماد على النفس . التدبر على الضعف فلا تسكنه منك .
والقوة أولاً . وخرأ . خذ هذه الفلسفة نظماً من شاعر عربي مصري من
« هيني » الشيعة من « نييتشي » العراقي . قدال الدجيلي في مطلع قصيدة
« الحياة الاجتماعية » :

حديثك عن غير القوى حرام	وصميتك في نصر الضيف اثم
تحدث بيجسد الاقوياء ففهم	قعود باحكام الوردى وقيام
يزله مذ صار ابن آدم قوة	وما الكون الا قوة ونظام
اذا كنت بين العالمين اخا قويا	رعتك عيون الناس حين تنام
هي الغاب بأس اليك من كل طارق	ولم يمنع من فتك البراة حمام
يقولون ان الحق من فوق قوة	وما الحق الا مدفع وحمام

(١) Ernest Heneley

(٢) Frederick Nietzsche

ولما في هذه القصيدة مما لا يخفى شعر عربي منه ، اي العادي المبذل من
الفكر والتعبير ، جاءت في تجردها ، مثل شعر هنلي من اوهام الخيال وزخرف
الآمال ، فريدة في بابها . وقد تطرق الشاعر فيها الى ذكر الاديان فقال :

حكاية اديان الانام عجيبة تجمع فيها فرقة ووثام
تريد الهدى والحجر للناس كلهم وكم نار منها فتنة وغصام
وغايتها القسوى عبادة واحد حقيقته ما ان ترى وتراه
عظيم لديه يصغر الحق ككله وتستصغر الاجرام وهي عظام^(١)

مهما كان من ترزع عقيدة الشرقي فلا يحمله ذلك على الاحاد . بل
يظل مؤمناً بالله في ما صفا وتمسك من امره وخبره . وعلى ذكر الحجر ان
للدجيلي اسماً في شركة الخيام والي النوراس كما له في شركة الملا المعري .
فقد وصف الحجر ومدحها وضمها كذلك بعد الاختيار فكان في الثلاثة صادقاً .

الم يك ما نظمت بها صحيحاً ؟ فلي فيها تجارب واختبار

وقد جاء في قصيدة له عنوانها « بوليس بغداد » وهي احدى « منظومات
السيجن » :

ادرها علينا بالكبير فاننا كبار ومن شأن الصغار صغيرها
متي يندر الابريق عند انسكابها علينا يزدهنا من هواها هديرها

وفي هذه القصائد من التجريد ، ومن القول الصريح الشديد ، ما يجيز
المقابلة بينها وبين « منظومات المستنفي » للشاعر الانكليزي الذي ذكرت

الى ان وردنا السيجن والسيجن ضيق وقاعته محدوديات صغيرها
يشم حديث العهد منها تتانة يزيد اذا اشتد الهجير ظهورها

(١) وان عظموا كيوان عظم واحدًا يكون له كيوان اول ساجد
ابو الملا المعري

وفي الصبح ساقونا الى متحكمم باحكامه غر حكامه غريروها
وعائينا كالأبعشرين جلد فجيء بأسراط دقات سيورها

في آداب الافرنج وفنونهم طرائق شتى تشمل اغراض الحياة وطبائع
الناس كلها . منها ما يدعى « ريانيزم » Realism وهي طريقة من يلتزم في ما
يصف او يفصح عنه الحقيقة المجردة ، دون مبالغة ودون تجميل . وقد يجوز
احمال بعض اجزاء فيها حشمة ولياقة ، فلا يتقزز الفأريء ولا ترتعد فرائصه .
وهناك طريقة اخرى نشأت بعد الطريقة الاولى لتسد فراغاً مزعوماً فجاء
اصحابها وفي مقدمتهم اميل زولا بشكل ما هناك من هول الحقائق الراقمة
ومزعجات الوجود ، وفي شعر الدجيلي شيء من الطريقتين .

يا لك من آمرة ناهية	احكامها نافذة ماضية
جامعة الاضداد شيطانة	الاهة رشيدة غاوية
قاسية رفيعة الحاشية	سافلة عالية راقية
خبثية شريرة باغية	عليية طاهرة زاكية
يدفنها التفع على حب من	ينفعها ولو الى الهاوية

ليست المرأة من يصف بل هي . . . النفس التي حيرت افكار ارباب
« النهى السامية » . وقد قال فيها ما لا يخرج عن الحقيقة ، فكان في هجوه
صادقاً ولكنه جائر . والجور من شيعة الـ « نيتشين » وقد قال في عبادة
« الناس لله » :

عبد الناس المأ ما راوه وراهم
طمعاً فيه وخوفاً منه . هل يخفى هوامهم ؟

بل قال اكثر من ذلك ولم يستثن حتى نفسه او يتناساها :

ارى حياة الوردى جهاداً في معرك دائم النضال

يخضع فيه الفتى اخاه والحدود قد جاز في القتال
كل امرئ. ناصب جبالاً حتى انا ناصب حبالي

ان ادب الشاعر الحقيقي وان افقره ليقبه من جبال مثل هذه الحياة ،
وان علم العالم واخلاقه ليرفانه عليها فيسلك مسلكاً ينفي به ما يسجله على
نفسه . هذا لصوري فضل الادب والعلم حتى في من كانت عقيدتهم بالحياة
مادية دهرية . والشيوخ كالفيل الدجيلي بعيد عن التعصب العلمي بعمده عن
التعصب الديني . سألتني مرة رأيت في الارواح واستحضارها فقلت : لا اصدق
ولا انفي . يعني درس الموضوع ولا يترك لي التشيع . فقال : وانا من رأيك .
الحياة اخداد . وقد تتخذ الارواح لها جسماً من الكهرباء . في الفضاء . وقد
تكون الكهرباء . البحر الذي تعيش فيه الارواح بعد الموت كما يعيش السمك
في الماء . بل قد تكون هي مصدر الكهرباء . وهكذا فيمترج بعضها بعد
الانفصال عن المادة في الغيظ العام ، وبعضها تظل مدة على كورتيتها الارضية
فتدورنا اذا رغبنا بزيارتها وتبليد افكارنا .

ان هذا مثال من عقلية الرجل العلمية . اما عقلية الرواية فاحذرة تناب
فيها ، بل هي غالباً في حالة الاضطراب . اذكر يوم كنا في كربلاء . انه
تكلم في مجلس غص برجال الشيعة اخوانه وكانت الصراحة تسابق التسلط
في حديثه فاشقت عليه من نقصة المتعصبين . سمعته يمدح الامة الانكليزية لما
فيها من علم وادب وقوة ونظام ثم صاح بهم قائلاً :

- وامن العلم وامن القوة وامن النظام عندنا ؟ في حكمنا ائمة البرية
والعصر الماضي الذي تسون به مجيئاً انما كان عصر السفاحين ؟ في مدارسنا
وقد عشت الفساد حتى في الكتائب ؟ في بيوتنا وقد تراكت في زواياها
وفي صحنونها اوساخ التقاليد وعقود العادات القديمة ؟ في ديننا وقد حلت
الخرافات والقداسات المزعومة محل اليقين والعمل المفيد ؟

هوذا الدجيلي يتروّع أبناء قومه ، أبناء مذهبه ، فلا عجب اذا انقضى
المجتهدون غير مرة بتكفيره

مجيد الشاوي

ها قد عرفتك ايها القاري العزيز الى ثلاثة من يكفرونهم في العراق .
وقد ذكر الي قلت انهم اربعة اليك اذن جعل الكفوة كله . ان الرابع في
السجل الصوري عري تجاوز المقد الخامس من العمر ولا يزال فتياً — فتياً
برأيه ، فتياً بجهته ، فتياً بروحه وبواجب راحه . قد شغل هذا العربي مناصب
متعددة في الحكومة ، وما خرج من واحد منها أسفاً . هو من اولئك الموثقين
القبيل عدهم الذين يعطون المنصب اضاف ما يأخذون منه . فيخلصون
الخدمة ، يعدلون ويصلحون ، ولا يكون جزاؤهم غير جزاء من لا يعمل ولا
يصلح ، بل اقل . يبذلون من قواهم ومواهبهم ثوبها ، ويخرجون من دار
الحكومة والفقر يشيعهم الى البيت . على ان الزاغة توافقهم ايضاً وتلزمهم
دافاً فتعزبهم بعض التعزبة .

ان الرابع من اخص هذا الفصل بذكرهم هو عبد المجيد بك الشاوي ،
الشيخ عبد المجيد ، الذي يشبه السيامي الافرنسي الكبير كايمنصو ليس فقط
في وجهه بل في ذكائه المتأرجح وسلوكه البسيط الشاذ . وقد تكون صورة
الاسد في وجه الشيخ عبد المجيد اظهر من صورة النمر . الا انه في صوته لا
يهدر ولا يزجر .

كما في يوم الانتظار تنتظر الامر لتصعد الى بهو الاستقبال فسلم على
جلالة الملك فيصل وتقوم بالواجب الآخر الذي دبت له . وكان في المدهورين
العادبة من الانكليز العسكريين والمدنيين من جاءوا في اوابهم الرحمة
ونباشيتهم تتألا على صدورهم ، ومن جاءوا يلبسون الاسود القاتم وقد

صقلته المكواة وعززت اطرافه وحروفه . ولم يكن بين الوطنيين الذين ارتدوا كذلك الاسود المصقول ، والابيض الناصع المكوي ، طوعاً ولاسر الملكي المطبوع بماء الذهب على رقاع الدعوة ، غير واحد لم يكلف نفسه الطاعة وما تستوجبه مثل هذه الرهيبات . جاء في ثوبه الافرنجي اليومي وقد اكسبه الزمان لمعة في حناياه ، وهو يلبس قيصاً — استغفر الله اذا العين اخطأت او الذاكورة — لا تعرف النشا . حتى ولا المكواة . هو عبد الحميد الشاوي ، شيخ المعريين في بغداد .

وكان اول اجتماعي به تلك الليلة فاتحة الحب والاعجاب . لم يزني في الفندق ، ولم يسمع الي في غير مكان مثل غيره من الاخوان . ولكنه قال عندما تصافحنا : نحن ابناء عم وليس بيننا واجب التجل واللباقة . فلم افقه مراده ولم اظاهر بغير ذلك . فقال : انت ابن المعري وانا ابن الحيام والاثان اخوة . ليس في الانساب اشرف من هذا النسب . اهنتك واهني . نفسي

واذا اتبست وقلت اني واحد من خلقه فكفى بذلك تندياً
اراد المعري بقوله من خلق الله . ونحن فكراً ومبداً من خلقه اي من خلق المعري .

فقال احد الحضور : ولكن المعري كان متعشفاً الى حد النسك .
فاجاب الشيخ مجيد على الفور : لزوم ما لا يلزم . ونحن كذلك نتعشف الى حد الاضطراب .

فقال آخر : والمعري يقيم بنت الخان .

فاجاب الشيخ الذي امسى نقطة الدائرة : والحيام يمدحها . وهي تستحق الاثنين . الذي ينقص المعري يكمله الحيام . هما خير الرسل ، رسولان صادقان كورثان سريان — قبلي الاء ربكم تكذبان .

وقد برهن الشيخ عبدالمجيد تلك الليلة على انه من اتباع الاثنين
الصادقين . رأته الى المائدة يحسو من المشمشة الذهبية الكأس تلو الكأس
ومحمته يردد من اللزوميات وهو يميل الى جاره السيد افنان :

رويدك قد غررت وانت حر بصاحب حيلة يعط النساء
يحرم فيكم الصهباء صباحاً ويشربها على عمد ماء
يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء .

ثم رفع الكأس ولم يبق فيها غير النذر فشرب ثم قال :

وقد شرب الدهر صبغ الامام فلم يبق في الارض الا العكر

ليس الشيخ عبدالمجيد^(١) من اصحاب القوافي الا ان تكون غيره . وكان
به لا يضيع وقته في النظم وعنده اللزوميات يستعين بها على الزمان والاضاللة .
ولا هو ممن يسردون الاوراق ويبضون مع انه غزير المادة ، صافي الذهن ،
سريع الخاطر ، لا يسكب يراعه اذا راح عادياً في مضمار الانشاء . ولكنه
مثل سقراط يفضل الكلمة المقولة على الكلمة المكتوبة . هو عبدالمجيد
كتاب لنفسه ، يقرأ منه في المجالس ، ويعيد كلماته ويكتسبها حسب مقتضى
الحاجة . لا يداري ، ولا يحالي ، ولا يتهيب احداً . هو في صراحته مثل
الدجيلي والرضاوي ، ولكنه في سرعة خاطره ونكتته وميله الى الاحاض
اشبه بالنقيب السيد عبدالرحمن .

صكنا يوماً في مجلس ابن النقيب السيد محمود فدار الحديث على حروب
النبي محمد وما كان يظهر فيها من حنان صاحب النبوة وحلمه . فقال الشيخ
مجيد : حنان الذئب على الشاة . وابن الجنان وابن الحلم ، رعاك الله ، في

(١) رحمه الله . جني به مريضاً الى بيروت في صيف عام ١٢٧٧ هـ فأتاه نقيب
الجوء ، ولا نفع فيه العلاج والدواء .

تحليله الزنى واباحة النساء لرجاله . كانت حروبه مثل حروب تلك الايام ،
ولا تختلف عنها الا بالدعوة . . . وما ذنب النساء في الحروب ؟

فاجاب السيد محمود بان النبي صلى الله عليه وسلم اراد بالنساء خيراً حينما
كان يحجز سبيهن واسترقاقهن . لانه اذا دخلت جنود الاسلام بلاداً فمن
باب الشفقة على النساء ، يأخذ كل محارب قسمة منهن فيمولهن ويحميهم .

فقال الشيخ عبدالمجيد : هذا من باب الاجتهاد . ما اظن في النساء قديماً
وحديثاً من ترضى ان تكون عبدة اسيرة خوفاً من ان توث وهي حرة من
الجوع . دفاعك مثل دفاع الذئب عن الشاة عندما توب عليها ليحميها من
الضبع . . . لا تزال متأخرين ، متأخرين جداً يا سيد محمود ، اذا سكنا نرى
شيئاً من الحق في مثل هذا الدفاع عن مساوي اجدادنا وفظائعهم . . .
الغريب في امرنا نحن المسلمين اننا لا نتقدم الا اذا رجعنا الف سنة الى الوراء ،
لا نرتقي حقاً الا اذا رجعنا الى ابي العلاء المعري . فننقد الاضاليل كلها ولنبد
المتنطعين من عائلتنا الذين يشون هذه الاضاليل ويثبتونها في الناس .

نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديق

وقد قال ايضاً المعري ونعم القول :

ولا تطيعن قوماً ما ديانتهم الا احتيال على اخذ الاتوات

ان الشرائع القت بيننا احناً واوردتنا افانين العداوات

والاديان والمذاهب بآية الشرق الكهوى :

تألف في الناس شرقاً ومغرباً تكامل فيهم باختلاف المذاهب

نعم ، وفي قلوبنا منها السم ، وفي عقولنا المغرقة . يضحكني ويمكنني
صياح شعرائنا وخطبائنا ، يهددون الغرب بنهضة الشرق . وامري يجب ان
ينهض الشرق على نفسه ، قبل ان ينهض على الغرب ومدينته . ولا نتقدم

لنحس المسلمين الا اذا عدنا الف سنة الى الوراء - الى المعري ابي العلاء ^(١) .

ابن خلكان العراق

وفي العراق من الادباء كتشرون من هم شغفون بالحرية وبروح الادب الجديد . ولكن هذا الفصل يضيئ دون ذكرهم ، وهذا الكتاب «عالمك العرب» لا يسمح بفصل آخر اخصه بهم . الا اني افسح لكبيرهم عملاً لا سناً فتقف - ولا كرسى آخر للجلاس - بين من ذكرت

هو ذا دائرة معارف ادباء العراق وابن خلكانهم ، صديقهم الاكبر ، ناشر آثارهم ، حامل لوائهم ، روفائيل بطي . وهو منهم في الصف الاول . فقد حله حب الادب المصرية على تأليف كتاب «الادب المصري في العراق العربي» الذي نشر منه الجزء الاول وسيليه ثلاثة اجزاء . هو عمل ادبي كبير وهو جدير بالبطي المعروف بشهامه واخلاصه ، وبذوقه وغزارة علمه . لذلك هيته دائرة معارف ادباء العراق وابن خلكانهم .

ولوروفائيل اسلوب في الانشاء سهل منسجم جلي ، لا تكلف فيه ولا اغراب . وله في معالجة المواضيع مزية مستحبة ، هي انه يقف عند حد بين الاسهاب والاقتضاب فلا يطولها على نفسه فيعمل ، ولا يقصرها على القاري فيفضل

هاك مثلاً من الكتاب الذي اشترت اليه :

قال في الزهاوي :

«نشأ الزهاوي في بيئة تصوحت ازاهير الادب فيها بمد الازدهار ،

(١) ما اصدقها كلمة ، وما ابلغها ، وما اجدرها بالنقل والترداد . خندوها عن الشيخ عبيد واسحق حوا له الله . انما ان الحكم التي تضمنها لاصحابها : حكم من شاعر وكلم من ادب نلب على اللسان والفناء بكلمة بليغة ذهبت مثلاً او بيت عن الشعر فثبت به الركبان .

ودرس معالم العلم بعد ان تاطحت بعلموها الفضاء ، فراءه الجمود الهائل المستولي على القيوم والاقلام ، واستنكر الطريقة البالية التي يتبعها النظامون مقلدين غير مبتكرين . . . فلم تأنس روحه الناهضة هذه الحطاة ، وعز على عقله لتوقد ذكاه ان يبقى مصفداً باغلال التقليد . «^(١)

وقال في الرصافي :

هو اول شاعر جاء قومه العرب بما يحبون وصارحهم بما لا يحبون ، لم يعرف للتقليد او الخضوع للبيئة معنى لا في صناعته ولا في افكاره . كان من شعره صيحات عمت على تقويض معالم الاستبداد الحديدي ، كما انه ما لبث بعد نحية الدستور العثماني واستبشاره به ان رجع ينمي على القوم تحاذلهم لما شام فيهم من الرجومة . «^(٢)

وقال في الدجيلي :

« لو كان للعلم والادب قيمة في هذه الديار لكان لاشيخ كاظم الدجيلي مجال واسع لانفجار مواهبه وجذته على البحث . ولو كان لحرية الفكر حرمة في هذا القطر لرئت حقائق الدجيلي في شعره رنة تحدث بها المجالس . «^(٣)

ان دوقايل ايضاً من الشعراء العاملين في السبيل الذي فيه التحريم والتكفير . وسيكفرونه ولا شك تكفيراً مضاعفاً لانه يسبي الى اصحاب العقائد والاداب الشيعة اساسين في التفكير وفي الطريقة . اجل ، هو من انصار الشعر المنثور . وقد قال في قصيدة له عنوانها « النابغة » :

وجدتني في مجاهل ارض كل ما فيها يثغر الدهش والذهول .

(١) الادب المصري في العراق العربي - الجزء الاول - صفحة ٥ .

(٢) الادب المصري في العراق العربي - الجزء الاول - صفحة ٦٧ .

(٣) صفحة ١٨٧ .

ورأيت نفسي مكبلاً بسلاسل التقليد ، سجيناً في قفص
 الاوهام ، اسير عادات ، ورهين اوضاع .
 حطمت السلاسل ، وكسرت القيود ، وقوضت جدران الوهم ،
 وانعتقت تما درج عليه اجدادي
 فصاح اخواني وضجوا ، واعولوا وبكوا .
 راؤني بخارجاً عن سجنهم ، امتعج بحرية هم منها محرومون .
 شاهدوني ارفل بصحة وسلامة ، وهم في الامهم يتعذبون
 اولئك الذين يتخذون من جهل الشعب عليهم ، ومن ضعفه
 قوتهم . —

وقاك الله شرهم يا روفائيل .

الفصل السادس عشر

حجر الزاوية

الشعراء والسياسيون - المدارس العالية - المدارس العامة - بودقة التونسية - دار المعلمين - المدارس في العراق - الطريقة النورية في التعليم - الامكان - قارمون الفكرة الايطالية - مساعدات الحكومة للمدارس الخاصة - الحاجة الى معسكين - حل السوريين والعراقيين اوانهم - ساعد المصري - حديث عن المعلمين السوريين - جعل المخطولاته وقلم المعلمين - استعملوا بالسورين والمصريين .

الاعلانات في الاسواق - « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » - « خذوا بعينكم العلم » - « العلم اساس العمران » - المعهد العلمي مصدر الاعلانات - عميد المعهد ثابت عبدالمجيد - عميد الجمعية - لماذا خلق الله الانبياء ؟ - لماذا خلق الله القرابين ؟ - اخوان ثابت في العهد - مجلة سوق عكاظ - نقد عند العمود وائل الامة - ثابت يمهدني - ثمرة الاعلانات - تعاليم الاميين - بعد عودتي من نجد - لماذا خلق الله ثابت عبدالمجيد ؟ - ليعلم الاميين انهم باء - المدارس البليدة للجانبة - ثورة التقيش - ثابت يمضي في الليل ولا يمهدني بمعمود واحد - المبادئ الاجتماعية الجديدة - حجر الزاوية - انك فيصل يساعد المشروع - هرون الرشيد يزور متكرراً المدارس البليدة .

ليس بالشعراء والادباء يستدل على ترقى الامة ولا بالسياسيين والصحافيين تسير العقيدة المدنية فيها . فقد تمتاز امة بتعدد شعرائها وادباؤها ولا تمتاز بوطنيتها وقد بدو المنسكون من السياسيين شؤونها ولا يعززونها وقد يقود الصحافيون الرأي العام وليس فيه روح مدنية ترفع الامة المفككة الاوصال الى وطن صحيح سالم موحد المقاصد ، موثق العرى .

وقد تشكلت المدارس العالية في امة وتكون عليها ، كما هي في سوريا ، بلية من بلايا التفريق والشقاق . حتى ان المدارس العالية ، ولو كانت وطنية اساً وعملًا ، تنحصر فوائدها في عدد مخصوص من شبان الامة . وقد لا تفيدهم الافادة التي تؤهلهم للسعي والفوز في مضار الحياة . بل هي تخرج شباناً اذباء

يكونون غالباً نكلاء ، فتتألف منهم طبقة الافندية الذين قلما يصلحون
لعمل وطني مفيد .

لم يبق اذن غير المدارس العامة تعتمد عليها في تحسين عقلية البلاد المدنية ،
وتوليد روح وطنية جامعة راقية عاملة . اجل ، ان المدارس العامة لدليل الرقي
الحقيقي في الامة ، لانها تعمم التعليم وتوحد الحجة فيه . هي البوابة التي
تتكون فيها الروح الوطنية الجديدة . بل هي هي سياج الوطن وفيها عز
الملك وشرف الامة .

والكنها لا تكون كذلك ، لا تفلح في التكوين ، الا اذا كانت
اليودقة واحدة لا تتغير في تغيير المكان والمذهب واللغة . ان امة تعددت
شعوبها ، ومذاهبها الدينية ، ولغاتها ، لا يتكون منها وطن عزيز الجانب ،
رفيع الشأن ، معها كان سلطانها ، معها كان جيشها ، معها كانت ثروتها ، الا
اذا استت الحكومة فيها مدارس عامة ، مجانية ، لا مذهبية ، تنشئ كلها
على برنامج واحد ، ويكون التعليم فيها بلغة واحدة هي لغة البلاد الاصلية .

ماذا في العراق من هذه المدارس اليوم ؟ استبشرت بابل حفلة دعيت
للخطابة فيها وكانت في دار المعلمين . فاجتمعت هناك بوزير المعارف يومئذ
السيد هبة الدين الشهرستاني ومستشاره الانكليزي ومديره الاستاذ ساطع
بك المصري ، وبزهاء مئتين من المدرسين في المدارس الابتدائية وفيهم نفر
من السوريين والمصريين . كانت الحفلة عامرة بالخطباء والشعراء وكان
الحديث بعد الحفلة في موضوع المدارس والتدريس ، فتم عن اشياء نشبت
بعدئذ من مصادر شتى ، وهي مما يستوجب الاسف .

قد اشرت مراراً في ما تقدم الى الاغلاط التي ارتكبتها الانكليز في
العراق وهم انفسهم يعترفون بها او ببعضها . فمنها ما كانوا فيها مسيرين ،
ومنها ما كانوا فيها متمدنين ، وهم لا يعترفون هذه من الاغلاط . مثال ذلك

التعليم الابتدائي . قيل لي ان النية حسنة فيه ولكن الاعمال دون النيات .
وقال آخرون لا النيات حسنة ولا الاعمال .

عندما دخل الانكليز العراق كانت الطريقة في التعليم تركية ، اي
ان الدولة اجازت انشاء المدارس الاجنبية الطائفية ، وكانت تخصها بشيء من
المساعدة المالية . وفي هذه المدارس كان يتعلم التلاميذ دينهم ولغتهم اولا ،
ثم مما لا يضر بالروح الطائفية والجنسية من العلوم . لا يخفى ما في هذه الطريقة
من عوامل التفريق واسباب الشقاق . واذا خفي على الشرقيين فضلا يخفى
على الانكليز الذين تشبوا مع ذلك في التعليم العام على طريقة الترك . وهذا
كما يؤسف له جدا . كأنهم ارادوا ان يثبتوا الامة في طائفتها وتقسيها
ومع ان في العراق من ينصرون الطريقة الحديثة الجيدة من المذهبية ، وبطالون
ببرنامج واحد في التعليم وبلغة واحدة ، والاستاذ الحضري في مقدمة هؤلاء
المصلحين ، فالحكومة الانتداب لا تقبل بذلك . وما عذرهما غير عذر الحائض
من تسامح خصه فيخرج عليه متحد القوى .

اما قول الانكليز ان اهل العراق غير مستعدين اليوم لبرنامج يوحد
التعليم العام ، وان الحكومة لا تستطيع ان توحد اللغة في الاقل فتجعل العربية
لغة التدريس في الموصل وفي كركوك مثلها في بغداد والبصرة ، فهو قول
يحتاج الى برهان . لم تقدم الحكومة على ذا العمل ولا الانكليز اذنوا به
قد كان في اسكانهم ان يقوموا في البداية بنصف الاصلاح فقط ، فتسنع
الحكومة عن المدارس الخاصة - الطائفية - ^(١) المساعدة المالية وتقدم هذا
النال ، الذي لا يزال يبذل في سبيل التفريق ، لوزارة المعارف ، وهي احوج
اليه ، لسد نفقات مدارس الحكومة الابتدائية .

(١) في العراق من هذه المدارس الخاصة اكثروا من الاثنين مدرسة منها لليهود ومنها
للبوذية المسيحية اجنبية ووطنية ، ومنها اسلامية . والحكومة تقصها بمساعدات مالية

ان هذه المدارس تزداد عدداً كل سنة فتضاعف لدى وزارة المعارف الصعوبات في ادارتها . والحقيقة هي ان اقبال الامة العراقية على العلم هو اكثر من اهتمام الحكومة في تخصيص النفقات وتسهيل الاسباب . وقد يكون بعض النبعة عليها اي على الامة . ان عدد التلاميذ تضاعف في السنتين الاخيرتين ، صعد من ثمانية الاف الى سبعة عشر الفا . وان عدد المدرسين لم يزد اكثر من ثلاثين بالمئة ، ولم يتخرج من دار المعلمين في السنة الاخيرة غير خمسة وعشرين مدرساً . فما السبب في ذلك . هناك اسباب اولها الميزانية واخرها الوطنية العراقية . واليك البيان والبرهان .

ليس في العراق ما يكفي من المعلمين العراقيين لسد الحاجة في ازدياد عدد الصفوف والمدارس . ولم تكن في ذلك النقص منهم تلك الجدارة التي يتطلبها التعليم الحديث . حتى وان كانت الجدارة فدار المعلمين لا تكفي لتخرج العدد اللازم كل سنة . ان خير ما يعملون اذن في حل هذا المشكل هو ان يستعينوا بمعلمين من سوريا او من مصر . ولكن الوطنية العراقية تحول دون ذلك .

عب أنها وطنية صحيحة ، افستغني العراق اليوم عن المساعدة الاجنبية ؟ هذا اذا عدنا سوريا من اوربا . ولكن القطارين شقيقان لغة ، وجنساً ، وروحاً ، ومذهباً . فحبذا وطنية في التعليم اعلى من الوطنية في السياسة . حبذا وطنية مثل التي في مديرية المعارف . ان الاستاذ ابا غليون ساطع الحصري من الاخصائيين في علم التدريس الذي مارسه مدة في اماكن مختلفة وحكومات عديدة . وما هو بسوري ولا بعراقي . هو عربي لا غبار على عربيته غير لمجتها . ذلك لانه ، وان كان ولد في صناعا ، اليمن ، فقد اقام مدة في الاستانة يخدم الامة التركية . ثم تجرد لخدمة العرب عندما دخلوا الشام فكان وزير المعارف في الحكومة الفيصلية . ثم سافر مع من سافروا الى بغداد من رجال النهضة وهو لا يزال في وزارة المعارف يدير اهم شؤنها .

والاستاذ ابو خلدون من اولئك القلائل الذين حرروا انفسهم وميوتهم من قيود التقاليد الاجتماعية . اظن مجلسه هو الوحيد في بغداد الذي تستقبل فيه ربة البيت الزائرين سافرة وتشاركهم في الاحاديث .

اول مرة زرت الاستاذ وحرمة الفاضلة المهذبة اجتمعت في بيتهما بعدد من المعلمين السوريين الذين يعلمون في المدارس الابتدائية واكثرهم من خريجي الجامعة الاميركية ببغوت . وكانت وزارة المعارف يومئذ هدفاً لانتقاد فريق من الناس شتى عليهم ان يروا بعض التفضيل في معاملة المعلمين السوريين ، فقاموا يحتجون على وجود معلمين من الاجانب في سلك المدرسين ظننت اشد الاحتجاج ان اكثرهم من الاجانب فسألت الاستاذ الطهري فقال : عدد المدرسين اليوم سبعة وعشرون غير العراقيين منهم خمسة وعشرون .

ثم قالت حرمة باللغة الانكليزية : لو كان في العراق دار معلمين ثانية ! ولكن من اين المال ؟ الانكليز لا يساعدون ، والعراقيون لا يستطيعون . وهم يظنون ان دار المعلمين تعطيهم المعلمين بالمئات . ليحت دار المعلمين مثل معمل الشوكولاته يعمل مئة صندوق كل يوم . . . ومن هم الاجانب بين المدرسين ؟ نشكر الله يسوا باتراك . تأمل يا مستر ريحاني (كانت تسمى بالانكليزية لانني لا احسن التركية) انهم ينظرون الى المصري والى السوري نظراً الى الاجانب . وليس في السلك كله اكثر من ثلاثة بالمئة وما هم كلهم سوريين ومصريين . عندنا عشرة معلمين سوريين فقط وستة مصريين وتسعة انكليز . خمسة وعشرون معلماً اجنبياً ، اذا دعوتهم كذلك ، بين سبعة معلم من العراق .

اثنتان ونصف في المئة كان يجب ان تكون عشرين . ان في نفورنا من الاجانب الاوروبيين شيئاً من التعصب في بعض الاحايين ، فكيف به اذا كان يشمل من ليس من قطنوا من البلاد العربية . الاجانب السوريون ،

الاجانب المصريين ، الاجانب الاوروبيون - ان هذه العصبية اشبهة بالمذهبية . والويل لنا اذا كانت تحمل محل الوطنية العربية والقومية الجلوسية العامة . ما السوري ، خصوصاً في دوائر التعليم التي هي غير دوائر السياسة ، الا عربياً يساعد في تهذيب ناشئة عربية اينما كانت ، في العراق او في الكويت او في الحجاز . اني اذا ملت الانكليز لاتخاذهم في التعليم طريقة الاتراك اليوم العراقيين اشد اللوم في تضيقهم نطاق الوطنية الى حد العصبية المذهبية او بالحري القطرية فعدوا السوريين والمصريين من الاجانب .

ليست دار المعلمين بمعمل شو كولاته كما قالت حضرة حرم الاستاذ ابي خلدون ، واپس المدرس من بحسن العلوم التي يدرسها فقط ، كما اوضح الاستاذ في كتابه^(١) . اما وزارة المعارف في مثل هذه الحال ، اي بين عجزين في المال والرجال ، فهي تضطر احياناً ان تعين من ليس فيهم الجدارة ليسدوا بعض النقص في المدرسين . وكثيراً ما يؤدي ازدياد عدد التلامذة بالنسبة الى عدد المعلمين الى الجمع بين صفين اثناء التدريس ، فيخسر في هذا الجمع تلاميذ الصفين ، أفلا يجدر بالحكومة العراقية اذن ان تستعين بجارتها ، بسوريا او مصر ، لتتلافى النقص والخلل ؟ -

من يسكن في المدن الحديثة يألف نظرة الاعلانات في الاسواق فيراها ولا يقرأها ، كأنها جزء من الخائط او نقش على العمود الملتصقة به . ونسي عند الاسلاك الورقية وعمد المصابيح مثل الاشجار لدى الفلاح يصطدم بها فيظنها حجراً في طريقه فيسب بقرته او حماره ولا يسب الشجرة . كذلك كنت في بغداد وهي في عمده مصابيحها ، وفي جدران سوقها الواحد ، اشبه

(١) « دروس في اصول التدريس »

بمدينة اميركية يجيبك الاعلان فيها كيف اسرت ، وكيفما نظرت . واسكني ما سببت بقريقي ولا حماري ، بل كنت امشي في ذاك السوق « الجديد » كأني في الدهناء ، انظر الى الارض تارة وطوراً الى السماء . فتقاضيتي الاقدار يوماً ثمن هذه المسكابة . نعم ، نطعت عموداً من حديد ، فاضطرت ان اقف هتية ليعود اليّ صفاً نظري ، فقرأت كرهاً الاعلان الملصق به :

— طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة —

فقلت : والحمد لله . هوذا في الشرق شيء جديد — اعلان للعلم ابل اخذتني نازية صديقي الزهاوي فصحت مبتهجا : ايها الغرب افعال انظر ما في الشرق من جديد مفيد . ايها الغرب ا هوذا اعلان يستحيل وجوده في بلادك ، ليس لانه غير لازم بل لانه لا يستشر مباشرة وليس من يقوم باقتائه .

قرأت الاعلان ثم قرأته معجباً به مبتهجا . وصرت بعد ذلك امشي وانظري لسبيين على العمود . تباركت اليد الطابعة ، واليد الناشرة ، واليد الدافعة المال . وهذا اعلان آخر : اطلبوا العلم من المهد الى القبر . وهناك ية اخرى من آيات النور : لا حياة بمعهد العلم . وهوذا اعلان الامة جمعا : "علم اساس العمران . واليك على الحائط قاعدة النجاح والسعادة : تهذب . ابشع ما شئت . والاعجب من ذلك شكله هو عند باب الـ « سينما » على اللوحة التي تعلن الرواية الاخيرة . هناك تقرأ الانذار الاخير : بالعلم تحيا وبالجهل تموت !

استطلعت خبر هذه الاعلانات فعلت ان الحكومة بريئة منها ، وان المحسنين الاغنياء او الاغنياء غير المحسنين لم يسمعوها بها . ان في بغداد جمعية ادبية اصلاحية اسمها « المعهد العلمي » ، وهذا المعهد العلمي هو مخترع اعلانات العلم ، وهو طالبها وناشرها على نفقته مجاناً لوجه الله . ايها الغرب — العفو يا صديقي الزهاوي — هوذا الشرق ناهضاً ، وقد نبذ النظريات والخيالات

والاوهام. هوذا الشرق ايها العرب يحتذيك ويفوقك في النيرة المدنية هوذا اسلوب في الاصلاح علي - هوذا مثال واحد من مظاهر النهضة الحقيقية في العراق .

سأنت عن المعهد العلمي وسددت خطواني اليه ، فاجتمعت هناك بصيده الاول ، وهو فيه القوة الدافعة المحركة المدبرة ثابت عبد النور . حدثت ثابتاً فاجبني وازعجني جداً ، الفيتة شاباً في العقد الثالث ، له من الحسن ما كان ليوسف وعنده من القسخط ما كان لايوب . وهو مع ذلك سليم الجسم والعقل ، يراق العين والجبين ، صافي الذهن والصوت ، وطنه فوق مذهبه ومذهب اجداده ، وشرفه اكبر من دينه . شاب رائع قدس له الحياة بكل ما فيها من بواهر الامل ويوارق السعد والمجد ، وهو مع ذلك مثل ايوب ، بل مثل « دون كيشوت » ، حاملاً رحمه على الدنيا ، كذياً على الدوام .

حدثت ثابتاً فازعجني . سمعته يشكو ويتسخط ويئن ، وكأنه اصطدم بصعود في مادة الحياة ولا يزال التردد يتطاير من عينيه . - لماذا خلق الله الانكابر ؟ لماذا خلق الخواتين ؟ لماذا خلق السادة الاشراف ؟ لماذا خلق الله المنافقين والخونة ؟ وجاءني منه بعد ايام كتاب يدعوني لتناول الشاي في بيته - « فتجتمع بصفوة الناهضين ار بالثوذج منهم في الاقل ، بشبان وطنيين اثبت التجارب صدق عزيمتهم وخلصهم ، ومفتهم المنافقين وغيرهم من ذوي الالقاب الضخمة والابية الفارغة الذين ما يرحوا يسرقون الامة من سي - الى اسوا . . . الخ » فتسني ثابت كما ترى « صفوة الناهضين » الذين دعاني لاجتماع بهم في بيته .

هم اخوانه في المعهد وفي الجهاد ، يسلكون في الاصلاح ، اوسع السبل واطولها ، سبل العلم : تعليم يا فتى والجهل عار . وهو عيدهم المسؤول عن الاعلانات في شوارع بغداد . ان في هذا المعهد عقولاً عاملة مختزعة فلا مسوغ

فيه للنفوس المكتئبة . وقد كانت باصورة اعماله واختراعاته انه اعاد الى بغداد الجديدة القديمة احدى المفاخر العربية التي خلدتها سوق عكاظ . اقام جماعة المعهد العالمي سوق عكاظ في عاصمة العباسيين ، وكانت اول حفلة باهرة فريدة بعد التتويج ، حضرها جلالة الملك فيصل فجلس في فسطاط بين الدخيل يسمع الشعراء ينشدون والحطباء يخطبون . وكان قس بن ساعدة في مقدمة الخطباء يمثل احد الصبيان الاذكياء ، وكانت الحفساء في طليعة الشعراء تتلو قصيدتها احدى الاوانس المساءات سافرة صافرة .

فاز ثابت وزملاؤه في اقامة هذه السوق التي ستقام بعناية المعهد كل سنة ، وحاز فوق ذلك الجائزة الاولى في النثر . وهو مع ذلك يشي في جادة الحياة الضيقة فيصطدم بالعمد فيها . احببت ثابتاً ورافقه مراراً ، وكنت كل مرة نصل الى هود في السوق الجديد اقف امامه واتلو الاية فيضحك . العالم اساس العمران . ايس في ذلك ما يضحك يا ثابت . ان امركم كله جد ، وان من يجترع مثل هذه الاعلانات ويسعى في نشرها لمن اكبر الوطنيين ويحق له ان يفتخر ويفرك بديه . بل يجب عليه ان يشكر الله الذي هداه سواء السبيل . سر منك ودع المنافقين ينافقون . ان الله في خلقه مقاصد لا يدركها الناس . والانك كذا واصحاب الاتاب الضخمة من خلق الله .

نعم ، وعظمت ثابتاً ، بيد ان الودع ليس من شأني ، ولم اتأسف لذلك بل سررت بالنتيجة . وكيف لا تظهر النتيجة الحسنة وصديقي من الاذكياء . النجباء الحكماء . صار يشي في الجادة الضيقة والواسعة دون ان يصطدم بالعمد فيها . ثم جاءني ذات يوم يخبرني انه متابع للعمل الذي باشره بالاعلانات : قد فتحن في المعهد مدرسة ليلية لتعليم الاميين مجاناً ثم بشرني بعد اسبوع بفتح مدرسة اخرى خارج المعهد .

سافرت الى نجد وعدت بعد اربعة اشهر الى بغداد فاجتمعت بثابت
عبد النور ودهشت لتغير ظاهر فيه - في حديثه ، وفي وجهه ، وفي خطواته .
حدثته فما ذكر المناقنين ، مشينا في الشارع فكانت خطواته اكثر تسدداً
من خطواتي ، فلم يصطدم ببشر او بحيوان او بشي . من الاشياء الاخرى
الجامعة . سألته عن مشروعه فقال : نجاحاً باهراً يا استاذ . صار عندنا اربع
مدارس في المدينة وهي لا تكفي . تمال اليلة معي تر بعينك .

مشيت وثابت في الفسق ، في جادات بغداد الضيقة ، وهو يديرها بانوار
اماله العالية واعماله الناجحة . وسرنا الى مدرسة من مدارس المهدي فدهشت
اذ دخلت مما شاهدت وما سمعت . في القرفة الاولى التي دخلناها صف
الاولاد وسنهم يتراوح بين الخمس والخمس عشرة ، وكلهم يشتغلون في النهار
فيحرمون التعليم في مدارس الحكومة . هم من الطبقة الثالثة في الامة ، من
الشعب ، من العمال ، وفيهم يبيع الحطب ، ويبيع الليمون . وفيهم من يساعد
ايام الخلداد ، او عمه السنكري . وفيهم من يخدم ليتعلم صنعة من الصناعات .
وفيهم الحوذي والبرنجي والكتناس عند الحلاق .

وقفت عند صغير الصف فوقف وبده على رأسه يحيب على سؤالي .
اخبرني بحرية مدهشة انه يشتغل في احد الافران في النهار ، وانه لا يحب
الشغل ولا يحب المدرسة . فقلت : ولماذا تشتغل ؟ فقال : عندي ام وعندها
قضيبي . فقلت : ولماذا تحبني الى المدرسة ؟ فاجاب : امي تقول اذا تعلمت
الفرازة والكتابة اتخلص من الشغل في الفرن . واخبرني صغير اخر لا يتجاوز
الست سنناً بانه جاء المدرسة من تلقاء نفسه مع رفاقه في الحطب . وقد بان لي
من بجل الاجوبة ان اللام في هذه النهضة الشريفة فضلاً بذكر .

دخلنا القرفة الثانية في المدرسة فاذا فيها صف الشبان وبينهم الكهول .
جالت عيني في الصف فوقفت عند الكبير فيه ، وهو رجل معتم حسن البنية

يناهز الخمسين . ثم يوقوف ليجيب على سؤالي - النظام على الكبير والصغير -
فاشار المعلم قاطعاً ان يقبل رجائي ويظل جالساً . اخبرني انه تاجر في السوق
يتاجر بالسجاد ، وانه والحمد لله ناجح في تجارته مع انه قضى السنين فيها وهو
اممي . ثم قال : ولكن الزمان تغير يا افندي والرجل الذي لا يحسن الكتابة
والقراءة في هذه الايام يحتقره الناس . فكتب جاره على كلامه قائلاً : ويحتقره
خصوصاً الاجانب . عار علينا ونحن نطالب الاستقلال ان لا نحسن القراءة
والكتابة . وقال اخيراً المصحح الصباغ على يديه بصفته : انه سمع بهذه
المدارس الحديثة وكان دائماً يتوق الى تعلم القراءة والكتابة بشرط ان لا يمتعه
ذلك عن متابعة عمله في النهار ، لانه صاحب عيال وعليه رزقها . ومثله في
صف الشباب والرجال كثيرون ، فيهم الحداد والداغ ، والساعاتي والطيان ،
والبناء والحلاق والقران . وكلهم يزومون المدرسة الالمانية راغبين بجني ثمرها ،
شاكرون للعائنين بها .

قطعنا الجسر لنزور مدرسة اخرى في الكرخ ، فوجدنا وصات الزهراء
رأيت عند الباب جمهوراً من الاولاد والشبان يتسابقون ويتزاحمون كأنهم
داخلون الى الدنيا لا الى مدرسة القباء . البقية : ها هي ذى امه جئت
بالعلم . اخبرني مدير المدرسة بان عندهم ثلاث غرف فقط لتدرس وفي كل
غرفة من الخمسة وسبعين الى المئة طالب من الاولاد والشبان والرجال ، وانه
لو كان عندهم ثلاث غرف اخرى لامتلأت كلها ببليلة واحدة .

هناك صديقي وزملاؤه جماعة المهد العلمي بنجاح مشروعه هذا النجاح
المدعش . ومما هو جدير بالذكر انهم لا يقتصرون في تعليم الاميين على
الكتابة والقراءة وبعض مبادئ العلوم ^(١) فقد وضعوا لمشروعهم نظاماً

(١) الدروس مقسومة الى ثلاثة اقسام يسونها دورات فيتعلم الطالب :
في الدورة الاولى - القراءة ، الاملاء ، الحساب ، مبادئ معلومات ارضية ، مبادئ .

اقتطف منه ما يلي :

قد رأى مجلس ادارة المعهد العلمي في بغداد انه لا يتمكن من تحقيق مبادئه الاجتماعية اذا لم تستر الاكثريّة بنور العلم الصحيح وتتلقن مبادئ الاخلاق الراقية - تلك الاكثريّة التي قضي عليها ان تبقى جاهلة . . . ولهذا فانه عزم على مكافحة دا. الامية في بلاد العراق . . . فوضع نظاماً لهذا المشروع العلمي وقرر اذاعته مع المبادئ الاجتماعية الآتية :

- ١ - حب الوطن من الايمان
- ٢ - حب النظافة من الايمان
- ٣ - طلب العلم من المهد الى المجد.
- ٤ - مقت الكذب واحتقار الكاذبين .
- ٥ - حب الخير وعمله .

ويجب على مدير المدرسة ان يلقي الطالب قبل كل شيء هذه المبادئ، الخمسة الاساسية . مدارس ليلية تعلم الاميين ابناء الشعب الالفيا وحب الوطن والنظافة والصدق - هوذا حجر الزاوية في الرقي الحقيقي الثابت . هوذا الاساس الامن في بناء الامة الجديد ، بناء الوطنية الصادقة ، المبنية على العلم والتهديب ، المنيرة سبيل الاستقلال التام . هوذا حجر الزاوية ، وهو من صنع العراق ، لا يد اجنبية ساعدت في تحته ووضعه ، لا فضل لأجنبي فيه .

انه واهم انه لأجل وأحب ما شاهدت من مظاهر نهضة العرب في الاقطار العربية كلها . مشروع تعليم بدأ بثلاثين طالباً في غرفة صغيرة من المعهد العلمي

معلومات مدنية .

وفي الدورة الثانية - قراءة ، اعداد ، حساب ، جغرافية ، تاريخ ، مبادئ الصرف والنحو ، معلومات مدنية .

وفي الدورة الثالثة - قراءة ، اعداد ، انشاء ، حساب ، تاريخ ، جغرافية ، صرف ونحو ، معلومات مدنية ، مبادئ هندسية

فهم في سنة واحدة مدن العراق الكبيرة كلها من البصرة الى الموصل . وان عدد الطلاب الاميين الذين يداومون ويتعلمون ليلاً نهاراً يتجاوز اليوم الخمسة الاف ، وقد يصل الى عشرة الاف غداً بفضل ادارة المعهد المنظمة واساليهه المبثورة في التشويق ، وفي جمع ما يقتضيه المشروع من المال . فقد قررت بلديات المدن التي فيها مدارس ان تشترك في نفقاتها .

وهناك عدد من المؤازرين المتبرعين وفي مقدمتهم جلالة الملك فيصل الذي يعطف على المعهد ومشروعه عطف احد المؤسسين ويخصه سنوياً بمبلغ من المال . اجل ، قد اهتم جلالة اهتماماً خاصاً بشروع تعليم الاميين ، وزار متكرراً المدارس الاليلية فشاهد بعينه ما شاهده من مظاهر الفلاح ، وجدا التنكر في غير سبيل اللهو والسرور ، جبداً بغداد الجديدة ، وقد جئت بالعلم ، ورشدها الجديد ينشطها ويساعدها ، فيطوف ليلاً كاحد عامة الناس لا ليحدث الصياد ، ويضحك من العباد ، بل ليقف امام اللوح الاسود ، لوح الالقاء ، الذي يبيض منه وجه الامة ، فيستطلع خبر المشافئين عليه من رعيته .

والحق يقال ان جلالة الملك فيصل ، مهما كان من شأنه في السياسة والزعامة ، لمن اكبر ملوك العرب فية على العلم ، وله في بث روح العلم والعرفان ، وفي تشجيع الادب والمشاريع التهذيبية في الامة ، الفضل الذي سيجعل عهده ولا شك عهداً ذهبياً مجيداً .

واني اتنى ان يكون في كل قطر من الاقطار العربية مشروع مثل مشروع المعهد العلمي وامير مثل فيصل الاول يعضد المشروع ، فيقضى بعد ذلك على الامة والجهل في البلاد كلها .

الخلاصة

أو

تتممة البحث في الوحدة العربية

إذا كنت تصفحت هذا الكتاب ايها القارىء، أو ما جاء فيه من المباحث السياسية تجد من نفسك ميلاً ، مقروناً بالعالم الذي لا يشوبه شائب الغرض والتعصب ، لتقع هذا البحث .^(١)

قلت في الفاتحة ان البلاد شرقي الاردن هي جزء من الحجاز ، والحجاز جزء من تهامة التي تمتد جنوباً الى الحما ، والحما من اليمن ، واليمن هو الاصل الذي تنفرع منه بحران وعسير سهولاً وحزونا . وهذا شطر من اساس الوحدة العربية لو كانت للجغرافية سيادة على السياسة تدوم ، او لو كان الدين نفوذ في تلطيف مطامع الامراء ، او لو سكنت للقومية العربية سيطرة في القلوب حقيقة تسوقها في سبيل واحد الى محجة واحدة .

الاستنتاج من قلبي اذن ان الدين والجغرافية والروح القومية لا تساعد اليوم في تحقيق الوحدة العربية ؟ ليس من الصواب ان اجيب بلا او بنعم . ان المذهب الديني في شبه الجزيرة لا يزال متغلباً على الدين . وهناك مذهبان قويان عصبية وسياسية لا يقبلهما السنيون ، حنفين كانوا ام شوافع . وهذان المذهبان هما الوهابية في نجد والزيدية في اليمن . ومن عقبات القضية ان

(١) راجع خصوصاً الفصل الثامن من القسم الاول والفصلين السادس والرابع عشر من القسم الثاني والفصلين الحادي عشر والرابع عشر من القسم الثالث في الجزء الاول . والفصول السابع والثاني عشر والثالث عشر من القسم الخامس في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

حاكمي البلادين ، السلطان عبدالعزيز والامام يحيى يحكمان حكماً مذهبياً .
 هما مليكان بفضل المذهب وباسمه ويصح ان اقول ايضاً ومن اجله . هما بين
 اعظم ملوك العرب قوة واقتداراً .

فلو فرضنا ان اكثر الاقطار العربية دانت لابن سعود فيظل القطر الياباني
 عاصياً خارجاً محارباً . ولو فرضنا ان الامام يحيى اكتسح الاقطار الغربية
 والجنوبية كلها فبسط سيادته من طنج بل من حضرموت الى الطائف ومن
 نجران الى جيزان ، تقدم طالباً لتحقيق الوحدة كلها فانه ليجد في نجد سداً
 لمطامعه عالياً منيعاً .

هذا هو الداء الاول ومكروبه المذهبية . فهل نحقق اماني الوحدة او
 بعضها يا ترى اذا قتل المسكروب او عزل في الاقل من السياسة . لا يستطيع
 ان اجيب بلا او بنعم لان نجاح القضية لا يتوقف على هذا الاصلاح وحده .

ان روح القبائل لا تزال سائدة في البلاد العربية ومتغلبة في اكثر اقطارها
 على الروح القومية . فلو فرضنا ان الامام يحيى خرج باسم القومية يجاهد في
 سبيل الوحدة العربية ، وقد اتخذ لقباً مدنياً وانشأ في اليمن حكماً مدنياً ،
 فلا تنفي نهضته ان السيف سيفها لا يزال سيف قحطان ، وان قحطان لا
 تزال تازع الى عصبيتها ، مثيرة في نزوعها العصبية الاخرى . وبكلمة اوضح
 ان العداء بين قحطان وعدنان عموماً ، وبين قحطان وربيعه خصوصاً ، لا يزال
 مستحكماً في جنوبي نجد مثلاً وفي اعالي عسير . فضلاً عن ان نجداً ، والصولة
 فيها لا تزال لربيعه ، تأبى السيادة العامة ليس في قحطان فقط بل في مضر ايضاً
 وممقل مضر لا يزال الحجاز .

هذا هو الداء الثاني ومكروبه العصبية . فاذا تغلب امراء العرب الكبار
 على العصبية القديمة فيهم وقاموا باسم القومية العربية المحضة الشاملة يبنون
 الوحدة ، فهل يفلتزون بها يا ترى ؟ لا يجوز ان اجيب سلباً او ايجاباً لان

نجاح القضية لا يتوقف على هذين الاصلاحين فقط .

ان العوامل الطبيعية توجد في شكل اقسام من الارض وتقطيعها ، وفي من يسكنها ، ما يسي وحددة جغرافية تتشابه فيها الاجناس والطبائع والاعادات والتقاليد ، وتشارك فيها مصالح الاهالي وسياسات المتقدمين فيهم . غير ان هذه الوحدة لا تقوم الا بثلاث : حكومة منظمة عادلة ، ومدارس وطنية عامة ، وطرق مواصلات حديثة اي البرق والبخار . وليس في البلاد العربية اليوم ، ما سوى العراق ، غير قطرين في احكامهما شي . من النظام المدني ، هما الحجاز واليمن . وليس في البلاد العربية اليوم غير حكم واحد عادل ، هو حكم ابن سعود . اما المدارس الوطنية العامة فلا تجددها الا في الحجاز وطيح والبحرين والكويت . وليس في شبه الجزيرة كلها ، اذا استثنينا سكة حديد المدينة والتغرافات السلكية واللاسلكية في اليمن والحجاز ، شي . من البرق والبخار .

على ان في الحالة الجغرافية بعض الامل ، فيها ليس مما يثبت وحدتها ويشر بتعميم عواملها . وكأني بالقارى . يسأل سؤالا آخر . اذا تمت هذه العوامل الاقطار العربية كلها ، فأنشئت الحكومات المنظمة ، وطرق المواصلات الحديثة ، والمدارس الوطنية العامة فهل نفوز ايضا بالتنا المنشودة ؟

اجيب : نعم . ولكن بعد خمس وعشرين سنة في الاقل من بدائة هذه المؤسسات ، فتقول بواسطتها المصيبات القديمة لتجعل محلها روح القومية العربية الكبرى ، وتنبذ السیادات المذهبية من الاحكام المدنية ، فتقوم مقامها سيادة العقل والعدل والتساهل ، بل سيادة العقلية العربية الجديدة التي ترفع فوق كل مصلحة وفوق كل سياسة ، مصلحة العرب المشتركة وسياسة العرب الموحدة . اذن لا امل للعرب في تحقيق الوحدة العربية الكلية اليوم ^(١) . فهل من الممكن ان يتفاهم ملوكها ويتآفون ؟ اجيب : نعم . واقول فوق ذلك انه

عن المسكن ان يؤلفوا وحدتين اوليتين تقسمان شبه الجزيرة شطرين في الحكم
كما قسمتها الطبيعة ، اي الشطر الغربي والشاطر الشرقي . وما كان هذا ايم
اليوم لولا سقوط الخلافة وتنازل الاتراك عنها .

اما رأيي فيها انا اذا عرضة على سادتي ملوك العرب . الخلافة يا سادتي في
قريش - حديث شريف . ومن في قريش اليوم ومن سلالة الرسول اصلح
واشرف من جلالة الملك حسين ؟^(١) ولكننا في القرن الرابع عشر بعد البعثة
النبوية ، وسنة التطور سنة الله . فاذا استنكرنا عمل الاتراك فلا يجوز ان
نتماي عما هو صالح فيه ، بدأ مصطفى كمال وزلاذه في فصل الخلافة عن
السلطنة وهذا هو النصف الصالح في اصلاحهم . واني اظن ان الاسلام لا
يفقد بعد اليوم الى التقليد القديم .

افلا يحذر بالعرب اذن ان يخطوا هذه الخطوة الى الامام فيقبأون من
مصطفى كمال نصف برنامج اصلاحه ؟ وهم اذا بايعوا حسيناً بن علي على الخلافة
فيجأون مقره مكة اي كابلأبا في رومه ، ويقسمون بمدن ملوكا غيره منهم .
اذا سلمت بهذا اتقدم واياك الى ما يليه . افترض ان الملك حسين قبل
الزعامة الدينية الكبرى فمن ملوك العرب اليوم يستحق الزعامة المدنية
الكبرى ويحقق امال العرب بها ؟ لا اظنك اذا كنت قرأت ما تقدم تتردد
في الجواب . نعم ، ابن سعود وابن حميد الدين . فيحكم الاول الجزء الاكبر
من شطر البلاد الشرقي ، والثاني الجزء الاكبر من شطرها الغربي . فلماذا لا
نساعد كلا منهما اذن ليمسك حكمه على سائر الشطر الذي هو اليوم السيد
الاكبر فيه ؟

اني احدثك ايها القاري . بلغة فيها سداد المنطق وبساطة الف باء . ولا

(١) قد كتب هذا الفصل قبل سقوط الملك حسين . وبمده كان لا يزال المؤلف
على رأيه ان فصل الخلافة عن السيادة المدنية والزعامة هو خير للاسلام والمسلمين .

انتقل من مقدمة الى اختها قبل ان ابرن باجلى بيان الحقيقة فيها . سلنا بالخلافة للحسين ، وبالملاكية للملكين . ولكننا السبيل الى ذلك ، ما هي ؟ وما هي العقبات التي تقوم في وجه المشروع ؟ وكيف نُذَلُّ .

ان في سبيل الفلاح عقبتين لا يستغف بهما ، الاولى في داخل البلاد والاخرى خارجها . اسم الاولى امراء العرب واسم الثانية دولة بريطانيا العظمى . وان بين الاثنين صلة لا تقطع اليوم ، ولست بمن بطلان بقطعها . انما اقترح ان تنتقل من الفروع الى الاصل ، ارتقي ان يتألف من الصلات المتعددة صلة واحدة او بالحري صلتان لا غير . اما اذا اعترض الانكليز قائلين ان الامراء لا يقبلون بذلك فاجيب : ان الامراء ، ولوجهاء العرب الحق في معالجة الامر دون تدخل حكومة بريطانيا على شريطة انهم منذ البدء يؤكدون لها ان مصالحها في البحر الاحمر والبحر العربي وخليج فارس لا تنس بضر بتاتا .

اما الامراء الحاكمون اليوم فاول ما يجب اقراره هو ان احلهم يبقى في بيوتهم كما كان منذ القدم ، اي ان آل صباح يظلون في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والمبادلة في سلج ، والادراة في عسير الخ . ولا يتغير في استقلالهم غير اعترافهم بالسلطان الاكبر واشترائهم واياء في الدفاع عن البلاد وفي عقد المعاهدات ، وفي نظام واحد يختص بالمسائل الاقتصادية والمصالح العامة .

ليس في هؤلاء الامراء اليوم واحد مطلق من نفوذ الانكليز منها كان ضيالا . وليس فيهم من لا اتفاق او معاهدة بينه وبين دولة بريطانيا العظمى فهل يفضل ان يكون النفوذ لامر عربي كبير اذا توفرت فيه شروط الرقابة فيعزز بذلك شأن الاثنين ؟ وهل تخسر دولة بريطانيا العظمى ار تصادي بشي . من مصالحها اذا عقد السلطان الاكبر معاهدة معها شبيهة بمبدأ المعاهدة او الاتفاق الذي كان بينها وبين الامراء ؟

انني اذكرك انها تفضل ان يكون اتفاقها مع كل امير على حدة ، لان في ذلك تقسم قواهم والاقتصاد بقواها . ولكن الامراء ، اذا هم فكروا ملياً ، يرون مصلحتهم الكبرى في غير هذه السياسة . فهم اذا وحدوا سياستهم يعتزون ويتخلصون من تدخل عمال الانكليز الشبه الرممي وغير الرسمي ايضاً ذلك التدخل الذي ينتون كلهم اليوم منه . وان بريطانيا العظمى لتكتسب ثقة العرب وحبهم اذا قبلت مثل هذا الاصلاح وفيه ضمان مصالحها . ان ابن سعود صديقها وحليفها . فافضلها اذا كان هو الموقع للمعاهدات والاتفاقات التي بينها وبين البحرين والكويت وقطر وعمان ؟ وما ضر هؤلاء . لو كان ابن سعود ، وهو صاحب الصولة والاقتدار ، الضامن لسلامتهم ، واستقلالهم ، العامل في سبيلهم - على شرط - الا يكون لسيادته فيهم صبغة مذهبية . واكثر هؤلاء الامراء مثل ابن سعود من قبيلة واحدة من ربيعة ويمتثلون الى بكر بن وائل .

ليس في ذا الامر اذن شيء مستحيل . والخطوة الاولى في سبيله هو ان يعقد مؤتمر عربي عام في مكة مثلاً يحضره كل الامراء فتتم فيه مبايعة الملك حسين على الخلافة ، ثم مبايعة الامام يحيى على الملك في العرب والسلطان عبدالعزيز في الشرق ، ويكون بين الملكين معاهدة ولائيه اقتصادية واتفاق بان يكون ايضاً بينهما وبين بريطانيا مثل هذه المعاهدة او ما يقترون بها مبدئياً . اما الملك حسين فيشتترط العرب في بيعتهم انه يقبل ان يقيمونه ملكاً عليهم . واذا بايعه كل العرب يبايعه ولا شك المسلمون في الهند وفي الاقطار الاسلامية الاخرى . فهنا يرضى ، وهو الحليف الحكيم ، ان يكون خليفة ينجو منه المسلمون اجمع ، ولا يكون ملكاً في الحجاز همومه السياسية الخارجية والداخلية هي اشد من هموم حاكم من حكام الدول العظمى في هذه الايام ؟ ان في البلاد العربية اليوم ^(١) اربعة ملوك كبار ، وان في نفسية الرعايا

وعايناهم نصاً على شخصية أولئك الملوك وشرحاً على حالة تسود سياستهم في البلاد .

رعية الملك حسين تطيعه وتحافه .

رعية ابن سعود تطيعه وتحبه .

رعية الامام يحيى تطيعه دون حب وكدون خوف .

رعية الملك فيصل لا تحاف ولا تحب ولا تطيع الا مكرهه .

فن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق ان يسرد العرب 9

تم تأليف الكتاب « ملوك العرب » في ١٤ ايلول سنة ١٩٣٤

و ١٥ صفر سنة ١٣٥٣

فهرس الاعلام

ملاحظة

- تدل على اوجوب تعداد الارقام ما بين الرقبي - مثلاً ١ - ٥ يعني ٥ ٤ ٣ ٢ ١
او ان هذه الكلمة وردت في اكثر الصلحات الواردة بين حذين الرقبين

- حرف الالف -

ابن حسن (ابو طاهر سليمان) ٢٣٥	آري ١٦٢
ابن خلدون ٢٣٢	ابراهيم (آل) ١٦٦ ٢٥١
ابن الخطاب (عمر) ٣٨٦ ٧٨	ابراهيم آل (الشيخ يوسف) ١٦٦ ١٧٠
ابن خلكان ٤٣٧	١٧٢ ١٧١
ابن الدخيل ٩٣	ابراهيم باشا بن محمد علي ١٠٨ ٢٤٥
ابن الرشيد (عبدالعزير) امير جبل شعر	ابراهيم الخادم ١٢٧ ١٢٨ ١٣٨ ١٣٩ ١٥٠
١٤٦ ١٢٥ ٩١ ٦٩ ٦٣ ٦٠ ٥٨ ٤١	١٥٤ ١٥٣
٣١٩ ١٧٢ ١٧١ ١٦٦	ابن ابي سلمى (زهير) ٩٣
ابن الرشيد (فيصل) ٤٩	ابن ابي طالب (الحسن بن علي) ١٠٣ ٢٣٢
ابن زائد (عزاج بن سلطان) حاكم عمان	ابن ابي طالب (الحسين بن علي) ١٠٣ ٢٣٢
٩٣ ٩٢	٣٨٨ ٣٧٧ ٣١٢
ابن زياد الحارثي (الربيع) ٢٢١	ابن ابي العاص (عمان) ٢٣١
ابن سعدون ٨٨	ابن الاثير ٢٣٢
ابن صويط (جود) ٩٣ ٩٢	ابن احمد (الشيخ سليمان) ٢٢٦
ابن طوالة ١٦٠ ١٧٣	ابن بطوطة ٢١٦
ابن علي آل ٢٢٧	ابن ثاني (قاسم) ٢٥٤
ابن عبد ١٣١	ابن جابر (ارجة الجلامنة) ٢٤٠ ٢٤٤ -
ابن جلال ٩٣	٢٥٠
ابن مهنا ١٢٥	ابن جابر (بشر بن ارجة) ٢٥٠ ٢٥٢ ٢٥٣
ابن ثابت ٩٣	ابن جلوي (عباد) امير الحسا ٧٨ ٧٩
ابن - حصن - مدينة ١٢ ٧٦ ٧٧	ابن حميمة (ابراهيم) ٨٩ ٩١ ٩٢
ابن بكر (الخليفة) ٢٣٠	ابن حنين شيخ النجاشي ١٨٤

ابو الحسن (جعفر) ٣٦٥ ٣٠٠	ارسلان (الامير امين) ٣٣٣
ابو الحارس ٣٠٠	ارسلان (الامير عادل) ٣٣٥
ابو حنيفة ٤٣٧	الارطاوية ٨٨ ١٤٩
ابو خليفة - بلد ١٥٩	ارفع (السردار) ١٨٧
ابو زيدان - عين ٣٣٦	ازمينا - ارمي - ارمي ٣٧٨ ٣٨١ ٣١٢
ابو سعيد (حمدان) ٣٤٨ ٣٣٤ ٣٣٣ ٣٣٢	٣٣٠ ٣٣٣ ٣٣٦ ٣٣٥
ابو سعيد (القرطبي) ٣٣٣	ازواد - جزيرة ٣٥٤
ابو شهر - اسكة - ١٦٦ ١٧٠ ١٧٢ ٣٣٩	ازواد بيلوس ٢١٠
٢٤١ ٢٥٣ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٨ ٢٦٣ -	ازيجا ٢٢٠
٢٦٥ ٢٧١ ٢٧٩	ازدرشت ٢٢٥
ابو طاهر ٢٣٩ ٢٣٤ ٢٣٥	الاميان - اسبانولية ١٦٩ ١٦٢ ١٦٨
ابو العلاء العربي ٢٠٨ ٢٠٧ ٢١٣ ٢١٩	الاسنانة ٢٢ ١٢٦ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٤ ١٢٣
٢٢٥ ٢٣٠ ٢٣٤ ٢٣٦ ٢٣٧	٢٨٦ ٢٠٠ ٢٠٤ ٢٠٨ ٢١٠ ٢١٣ ٢١٤
ابو فديك الخارجي ٢٣٤	٢١٧ ٢٢٣
ابو غي ٣١٢	استرايون ٢٠٩ ٢١١
ابو النوايس ٢٣٠	استراي - استرايون ٢٢٨
ايبكودريس ١٨٦ ١٨٨	اسد (بنو) ٢٥٩ ١٦٦
اثائية - قرية - ١١٦	الاسد (كامل بك) ٣٥٥
اجا - جبل - ٩٤	الاسكندر ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٣
اجل (السردار) ١٨٧	الاسكندرون ٣٢٩ ٣٣٢
الاجفاف ١٢	الاسلام ٢٦ ٨٢ - ٨٤ ٩٧ ١٢٢ ١٢١ ١٤٢
الاشوران ٢٥ ٢٨ ٨١ - ٨٩ ٩٠ ٩٥ ٩٩	٢٠١ ٢٠٢ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٣٠ ٢٣٨
١٠٠ ١٠٥ ١١٠ ١١٣ ١١٤ ١٢١ ١٢٧	٢٣٩ ٢٣٣ ٢٣٨ - ٢٨١ ٢٨٤ ٢٩٥ ٣٠٠
١٣٩ ١٤١ ١٥١ ١٥٤ ١٥٤ ١٦٢ ١٧٤	٣١٠ ٣١٤ ٣١٨ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٣٥ ٣٣٩
١٨٦ ١٩١ ٢٠٦ ٢٠٣	٢١٤ ٢١٦ ٢١٧ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٣٢
الادارة ٤٥٧	٤٤٠ ٤٤٢ ٤٤٦ ٤٥٦ ٤٥٨
الادريسي (محمد بن علي) حاكم عسير ٣٦	الاعيلي - اعاعيلون ١٩٧ ٢٣٣ ٢٧٨
١٠٢ ١٠٣ ١٠٤	الاسياح ١٢٧ ١٢٨ ١٣٢ ١٣٥
اراقون ١٧	اشيا ٤٠٣ ٤٠٤
ارجحة الجلامية ٢٤٥ ٢٤٤ ٢٥٠ -	اشور - اشوربون ٢١٠ ٢٧٨
الاردن ٣٢٠ ٣٢٣	اصاف (يوسف بك) ٣٥٤

اوما - بلدة ٢٢٨	الاهواز - الاهوازيون ١٨٩ ٢٢٢
ايران - ايراني - ايرانيون ١٨٦ ١٨٢	اوال ٢٢٢ ٢٢٨ ٢٢٠
١٩٩ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٢٠	اور الكلدانيين ٢٧٩ ٢٨٥
٢٥٦ ٢٥٢ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٧٨ ٢٠٠ ٢٦٩	اوروبا - اوروبي - اوروبيون ٤٦ ٤٦ - ٤٩
٤٠٢ ٤٠٢	٥٥ ٥٢ ٥٢ ٦٤ ٧١ ٧٥ ١٠٥ ١٢٩ ١٦٢
ايطاليا - ايطالي - ايطاليون ٢١٢ ٢٢٨ ٢٢٠	١٦٢ ١٩٠ ١٩٩ ٢٠٢ ٢٠٥ ٢١٩ ٢٢٥
٢٦٨ ٤٠٤	٢٢٧ - ٢٢٨ ٢٢٢ ٢٦٧ ٢٧٢ ٢٨٠
ايلياس الجريك (بطريك الموازنة) ٢٤٠	٢٨٤ ٢٨٢ ٢٨٩ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢
٢٥١ ٢٥١	٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ -
ايوب (صديق ٤٤٧	٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٨ ٢٠٠ ٢٢٨ ٢٢٤ -
الاوي (شكوي) ٢٢٧ ٢٢٨	٢٢٥
ايفل - برج ٩٢	اوقبر ٢١٠ ٢١٤
	الاوقيانوس الهندي ٢٢٧

- حرف الباء -

باعدور (محمد شريف خان) ٢٦٥ ٢٦٨	الباب ٢٨٩
البقرة - اسم نقد ١١٧	بابل ٢١٠ ٢١٢
البحر الابيض ٢١٠	البايجي (محدي) ٢٠٠
البحر الاحمر ٢٢ ١٧٧ ١٩٨ ٢٠١ - ٢١٥	البادية ٥٠ ٥٧ ٧٠ ٧٢ - ٧٥ ٩٠ ٩١ ١٥٢
٢٣٧ ٢٢٢ ٢٥٧	١٦٠ ١٧٢ ١٧٩ ٢٠٢ ٢٢٧ ٢٢٢
بحر اوقاس ٢١٥	٢٢٨ ٢٢٤
بحر فارس ٢١٥ ٢٢٢	بادية التيه ٢١٧
البحر العربي ٢٥٧	بادية سين ٢١٧ ٢١٨
بحر عمان ٢٢٢	بادية الشام ٢٢ ٢٨ ٢٦ ١٧٢
البحر المتوسط ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٢ ٢٢٦	باريس ١٠٥ ١١٨ ١٢٠ ١٢٠ ١٢٥ ١٥٠ ٢٠٢
البحر الميت ٢١٢ ٢١٩ ٢٢٠	٢٢٨ ٢١٥ ٢٢٦ ٢٢٩ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٦
البحر الهندي ٢٢ ٢٢ ٢٢٨	٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٢٠ -
البحرانيون ان البحارنة ٢٢٠ ٢٢٨ ٢٢٥	٢٢٢ ٢٢٢
٢٢٨ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢	باش اعيان (الشيخ محمد امين عالي) ١٦١
٢٦٨ ٢٦٧ ٢٦٥	الباطن ١٤٤ ١٤٥ ١٤٩

٢٨٨ ٢٩٠ ٢٩٦ - ٢٩٨ ٢٠٠ -
 ٢٠٦ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢٢٤ - ٢٢٦ ٢٢٨
 ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ - ٢٢٤ ٢٢٥
 ٢٠٦ ٢٠١ ٢٠٤ ٢٠٦ - ٢٠٨ ٢١٠
 ٢٢٧ - ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١
 ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ - ٢٣٦ ٢٣٧
 ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ - ٢٤٢ ٢٤٣

برقوتند (الكولونال) ٢٢١

بسام آل ١٢١

البسام (عيادته) ١١٨ ١٢١ - ١٢٤

البصرة ١٥ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨
 ١٠٥ ١٢٠ ١٥٠ ١٥١ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢
 ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨
 ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤
 ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠
 ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦
 ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢
 ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨
 ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤
 ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠

البصير (الشيخ مهدي) ٢٩٨ ٢٩٥ - ٣٠٠

بطي (روقايل) ٣٠٤ ٣٠٧ - ٣٠٩

بعبدا ٣٣٤

بقوية ٣٠٧ ٣١٢

بعلبك ٣٣٤ ٣٣٩

بغداد ١٥ - ١٨ ٢٠ ٢١ ٢٢ - ٢٣ ٢٤ ٢٥

٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ - ٣٠ ٣١ ٣٢

٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ - ٤١ ٤٢ ٤٣

٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ - ٥٢ ٥٣ ٥٤

٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ - ٦٣ ٦٤ ٦٥

٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ - ٧٤ ٧٥ ٧٦

٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ - ٨٥ ٨٦ ٨٧

٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ - ٩٦ ٩٧ ٩٨

البحرين ١٢ - ١٨ ٢٤ - ٢٧ ٣٠ ٣٢

٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ - ٤١ ٤٢ ٤٣

٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ - ٥٢ ٥٣ ٥٤

٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ - ٦٣ ٦٤ ٦٥

٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ - ٧٤ ٧٥ ٧٦

٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ - ٨٥ ٨٦ ٨٧

٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ - ٩٦ ٩٧ ٩٨

٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ - ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩

١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ - ١١٨ ١١٩ ١٢٠

١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ - ١٢٩ ١٣٠ ١٣١

١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ - ١٤٠ ١٤١ ١٤٢

١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ - ١٥١ ١٥٢ ١٥٣

١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ - ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤

١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ - ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥

١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ - ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦

١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ - ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧

١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ - ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨

٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ - ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩

٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ - ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠

٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ - ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١

٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ - ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢

٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ - ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣

٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ - ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤

٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ - ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥

٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ - ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦

٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ - ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧

٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ - ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨

٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ - ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩

٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ - ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠

٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ - ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١

٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ - ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢

٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ - ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣

٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ - ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤

٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ - ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥

٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ - ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦

٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ - ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧

٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ - ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨

٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ - ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩

٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ - ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠

٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ - ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١

٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ - ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢

٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ - ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣

٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ - ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤

٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ - ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥

٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ - ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦

٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ - ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧

٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ - ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨

٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ - ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩

٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ - ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠

٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ - ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١

٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ - ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢

٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ - ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣

٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ - ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤

٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ - ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥

٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ - ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦

٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ - ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧

٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ - ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨

٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ - ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩

٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ - ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠

٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ - ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١

٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ - ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢

٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ - ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣

٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ - ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤

٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ - ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥

٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ - ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦

٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ - ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧

٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ - ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨

٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ - ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩

٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ - ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠

٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ - ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١

٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ - ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢

٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ - ٨١١ ٨١٢ ٨١٣

٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ - ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤

٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ - ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥

٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ - ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦

٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ - ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧

٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ - ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨

٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ - ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩

٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ - ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠

٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ - ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١

٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ - ٩١٠ ٩١١ ٩١٢

٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ - ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣

٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ - ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤

٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ - ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥

٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ - ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦

٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ - ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧

٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ - ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨

٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ - ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩

٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ - ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠

بنو زيد ٢١٤	٤٠٤ ٤٠٨ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٣ - ٤١٥
بنو سعد ٢١٣	٤١٧ ٤٢٠ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٢
بنو السملان ٦١	- ٤٤٩ ٤٥١ ٤٥٢
بنو طي ٩٤	٣٥٩ (البقاع)
بنو عتبة ٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩	٣٥٩ بكا - قرية
بنو عثمان ٣١٣	٣٠٥ بل (جرتود) ١٩ - ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤
بنو علي آل س ٢٦٢ ٢٥٩ ٢٥٣ ٢٥١ ٢٤٠ ٢٣٠ ٢٢٧ ٢٢٤ ٢٢١	٣٨٨ ٣٧٦ ٣٧٥ ٣٧٤ ٣٧٣ ٣٧٢ ٣٧١
بنو كلب ١٦٦	٤١٥ ٤١٠ - ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥
بنو مرة ١٣ ٧٤ ٧٧ ٧٨ ٧٥	١٠٩ بلد الشيخ
البيضاء او البيضاء ٢١٩	٣٣١ ٣٢٨ ٣٢١ ٣٢٠ ٣١٩ ٣١٨
البهاء والهازيون ٣٨٩ ٣٧٨	٣٢٠ بلقي - باشقرون
بورت سيد ٣٢٢ ٣١٢	٣٢٩ بلقين (الجبال)
بولك ٣٥٦	٣٢٤ (البقاع)
بياباب (الكولونيل) ٣٢٨	٣٣٧ بلقي (هاورد)
بيارتو ٢٠٢	١٩٨ ١٩٥ ٢٠٥ ٢٠ ١٨ ١٦ - ١٥
بيو سم ٢١٨ ٢١٧	١٩٩ ٢١٨ ٢٥٨ ٢٧٠ ٢٧٩ ٢٨١ - ٢٨٥
بيو ليفة ١٢	٢٨٦ ٢٩١ ٢٨٣
بيو منيا ١٢	١٨٨ بناد كوس الخاقس عشر (بابا روما)
بيزافي (الملازم) ٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢١	٢١٢ بنت (ثودور)
بيش - قلعة ٢٢٠	١٦٢ البتجاب - مقاطعة
بيشون ٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢ ٢٢١ ٢٢٠ ٢١٩ ٢١٨ ٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٠٥ ٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٢ ٢٠١ ٢٠٠ ١٩٩ ١٩٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٤ ١٩٣ ١٩٢ ١٩١ ١٩٠ ١٨٩ ١٨٨ ١٨٧ ١٨٦ ١٨٥ ١٨٤ ١٨٣ ١٨٢ ١٨١ ١٨٠ ١٧٩ ١٧٨ ١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	
بيروت ١٦٠	٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١

- حرف التاء -

٧٧-٧٤-٦٠	٢٥٠ تاروت
٢٢٧ ٢٢٩ ١٧٢ ١٧٠ ١٣٥ ١٢٢ ٨١	٣١٩ توك
٢٧٨ ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٥ ٢٥٤ ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٥١ ٢٥٠ ٢٤٩ ٢٤٨ ٢٤٧ ٢٤٦ ٢٤٥ ٢٤٤ ٢٤٣ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٤٠ ٢٣٩ ٢٣٨ ٢٣٧ ٢٣٦ ٢٣٥ ٢٣٤ ٢٣٣ ٢٣٢ ٢٣١ ٢٣٠ ٢٢٩ ٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢ ٢٢١ ٢٢٠ ٢١٩ ٢١٨ ٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٠٥ ٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٢ ٢٠١ ٢٠٠ ١٩٩ ١٩٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٤ ١٩٣ ١٩٢ ١٩١ ١٩٠ ١٨٩ ١٨٨ ١٨٧ ١٨٦ ١٨٥ ١٨٤ ١٨٣ ١٨٢ ١٨١ ١٨٠ ١٧٩ ١٧٨ ١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	٢٥٠ تربة - قرية ٦٣ ١٤٠

الجوف (١١ ٧٤ ٨٨ ١٢٦ ٣١٩
 جيزان ١٢٧ ٤٥٤
 الجيلاني (الولي عبد القادر) ٣٨٨ ٣٩١
 ٣٩٣ ٣٩٥

الجواد (الامام محمد) ٤٢٧
 جودت بك ٣١٦ ٣٢٤ ٣٢٥
 جورج الخامس (ملك الانكليز) ١٨٢
 ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٨٣ ٣٨٤
 جورج (لويد) ٢٤ ٣٣٧

— حرف الحاء —

الحاء - قلعة ٣٢٣
 الحاء او الاحساء ٢٥٠ ٢٢ - ٢٧ ٣٣ -
 ٣٧ ٣٩ ٤٤ ٥٦ ٥٧ ٥٩ ٦٠ ٦٦ ٦٨
 ٧١ ٧٢ ٧٤ ٧٦ - ٨٠ ٨٦ ٩٩ ١٠٠
 ١١٥ ١٢٣ ١٦٦ ١٦٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨٤
 ١٩٣ ١٩٨ - ٢٠١ ٢٠٩ ٢٢١ - ٢٢٢
 ٢٢٥ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٤ - ٢٣٧ ٢٤٢
 ٢٥٣ ٢٥٩ ٢٦٩ ٢٧٣ ٢٧٩ ٢٨٦
 الحسن (ابن ابي طالب) ١٠٣ ٢٢٢
 الحسين (ابن ابي طالب) ١٠٣ ٢٢٢ ٢٧٧
 ٣٨٨
 الحسين (بن علي ملك الحجاز) ٤١ ٥٩
 ٦١ - ٦٤ ٩٧ ١٠٢ ١٢٧ ١٤١
 ١٨٦ ٢٠٤ ٢٧٣ ٣١٢ - ٣١٧ ٣٢٧
 ٣٣١ ٣٣٩ ٣٤٤ ٣٥٠ ٣٧٢ ٣٧٥ ٤٥٦
 ٤٥٩ -
 الحضري (سامع) ٤٤٠ ٤٤٤
 الحضرة ٣٧٧
 حضرة ١٠٩ ٣٣٥ ٤٥٤
 الحضري (عبد الله بن اباد البلاد)
 ٢٢٩ ٢٣١ - ٢٢٩
 الحضر - ١٠٤ ١٠٧ - ١٤٤ ١٤٦ ١٤٩
 ١٥٠ ١٥٢

حائل ١٣ ٣٣ ٨٦ ٩١ ٩٢ ٩٤ ١٢٦ ١٤٠
 ٢٠٠ ٣١٩ ٤١١
 حبوبه ٢٠٠
 الحجاج بن يوسف ٣٩١
 الحجاز - حجازي - حجازيون ١٢ ١٦
 ١٩ ٢٥ ٢٨ ٢٩ ٣٢ ٣٤ ٥٥ ٥٩
 ٦١ - ٦٦ ٨٤ ٩٠ ٩٦ ١٠٩ ١٢٥ ١٦٦
 ١٧١ ١٩٨ ٢٠٠ ٢٠٤ ٢٠٧ ٢٢٤ ٢٨١
 ٢١٢ ٢١٧ ٢١٨ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٤ -
 ٢٢٦ ٢٣١ ٢٣٦ ٢٣٩ ٢٤٢ ٢٤٤ ٢٧٦
 ٢٠٢ ٢٤٥ ٢٥٣ - ٢٥٨ ٢٥٥
 الحجرة ١٦٧
 الحجير - وادي ٣٤٧
 حجلة ١٣٠
 الحد - حدثة ١٩٧ ٢٢٢ ٢٢٧
 الحديدة ١٨ ٢٨ ٢٣٧
 حرب - قبيلة ١٣ ١٢٥
 الحرين ١٠٩ ١٠٩ ٢٤٢
 الحرير - وادي ٣٥٩
 الحريري ٢٨٣
 حريظة - بلد ١٦ ١٧ ١٨
 حرقيل (حاسون افندي) ٣٧١ ٣٧٥ ٣٨٨
 ٣٩٩ ٤٠٠ ٤١٠

حاني - حنفيون ٢٠٨ ٢٢٤ ٢٧٨ ٤٥٢	حابه ١٨٧ ٢٢٢ ٢٢٥ - ٢٢٧ ٢٢٩ ٢٢٢
حنيفة - وادي ١٠٨ ١٠٢ - ١١٠ ١١٢	٢٢٢ ٢٢٣ ٢٥١ ٢٥٤ ٢٥٤
٢٢٢ ١٣٩ ١١٢	الحلة ٢٦٧
حواء ٣٩١ ٣٨٨	الحاد ٢٣٤
حوران - وادي ٢٥٠	حام ٢٢٥ ٢٢٢
الحولة ٣٤٧ ٣٤٥	حد ١٢٨ ١٣٨ ١٥٢ ١٥٢
حوكل ١١٦	حدان (ابن سعيد) ٢٢٣ ٢٢٤
الحويطة - قرية ٢٥٠	حمدي باشا ١٦٩
حيدر (رسم) ٢٨٠ ٢٩٢ ٣٠٩ ٣١٠	حص ٢٢٥ ٢٢٢
الحبيبة ١١٢ ١١٣	جود ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ - ١٤١ ١٥٠ ١٥٢
حيفا ٣٥٣ ٢٦٧ ٣٨٩	حنيلي - حنابلة ٢٢٤ ٢٢٨

- حرف الحاء -

٢٥٢ - ٢٥٤ ٢٥٩ ٢٦٣ ٤٥٧	الحاصي (الشيخ مهدي) ٢٠٢ ٣٠٠
خليفة (الشيخ ابراهيم بن محمد آل) ١٩٨	حبرة الدويش ١٥٠ ١٥٩ ١٨٠
٢٠٤ - ٢٠٦ ٢٥٦ ٢٥٨	الحرج - مقاطعة ٩٤ ١٠٨ ١١٥
خليفة (الشيخ احمد بن سلمان آل) ٢٤٩	الحرمة - قرية ٢٠٠ ٢٠٠
خليفة (الشيخ احمد الفاتح آل) ٢٤٠	حزعل خان (امير تويان) ١٦٠ ١٦٥ ١٧٤
٢٥٨	١٨٢ ١٨٦ - ١٩٢ ٢٠٢ ٢٠٢
خليفة (الشيخ حمد آل الامير الحالي)	الحطاب (عمر) ٣٨٦ ٧٨
١٩٥ ٢٢٦ ٢٢٦ ٢٦٨	خليج فارس ١٢ ١٨ ٢٠ ٢٢ ٢٧ ٢٢ - ٣٥
خليفة (الشيخ خالد بن علي آل) ٢٢٦	٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣

الدويش (فيصل) ٨٨	١١١ ١١٦ ١٢٩ ١٤٢ ١٥٤ ٢٢٣ ٢٢٦
ديالي ٣٧٠ ٣٠٧ ٢٧٨	٣٨٦
دين المناثر - قرية ٣٥٩	الدوحة ٢٥٤
الدياس ٣٥٩	دوران (القبطان) ٢١٢
الديوانية ٣٧٠ ٢٨٥	دوني (شارلس) ١٢٤ ١٢٢
	دون كيشوت ٤٤٢

- حرف الذال -

ذو الفقار ٣٩٢ | ذكير (آل) ١٢١

- حرف الراء -

الرفي (الشريف) ١٨٨	راس البر ٢٢٣
الرفاع ١٩٤ ٢١١ ٢٢٣ ٢٢٦ ٢٥١ ٢٥٢	راس الرجاء الصالح ٢٣٧
الرفاعي (السيد فاشم بن السيد احمد) ٢٥	راس الفلية ١٢
- ٢٧ ٣٠ ٣١ ٣٦ ٣٦ - ٤٥ ٤٥ ٤٦	راس المشعب ١٢ ١٥٩ ٢١٤
١٢٩ ١٠٢ - ١٠٣ ٦٦ ٦٢ ٥٥	الرائدين ٢٩٥
الرمه ١١٨ ١٢٤ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٥ ١٢٩	رامي (الدكتور) ١٩١
روذقت (ثيودور) ٣٩٨	رامو (الملازم) ٣٢١
روضة مهنا ١٧٢	الرياح ١٣٥ ١٣٦
رولفسون (جورج) ٢٠٩ ٢١٠ ٢١٢	الربيع الخالي ١٢ ٥٣ ٥٤ ٧٣ ٧٤ ٧٧ ١٣٣
٢٥١ ٢١٣	ريشة ٦١ ١٢٦ ١٦٦ ٢٤٢ ٢٥٩ ٢٧٨ ٤٥٤
الرولا - قبيلة ٥٩ - ٦١ ٣٨٨	٤٥٨
روم ارثوذكس ٢٧٨	رجب باشا ١٦٩ ١٧٠
روما ١٨٦ ١٨٨ ٤٥٦	الرده ٢٣٩ ٢٣٠
روماني ٧٩	رزق (الشيخ احمد) ٢٢٦
الرياض ٢٣ ٢٥ ٢٧ ٢٧ ٢٩ ٢٩ - ٨١ ٨٤	الرشيد (هارون) ٥٨ ٢٩٧ ٣٧٨ ٤٤٠
٨٨ ٨٩ - ٩١ ٩٣ - ٩٥ ٩٦ ١٠٠	الرصافي (معروف) ٢٠٦ ٤١٣ - ٤١٩
١٠٣ ١٠٥ - ١٠٨ ١١٠ ١١٢ ١١٣	٤٢٢ ٤٢٤ ٤٢٧ ٤٣٨
١٢٣ ١٢٦ ١٢٧ ١٣٠ ١٣٨ ١٥١	رضا خان ١٩٢

٢٢٢ ٢٠٠ ١٧٩ ١٧٦ ١٧٤ ١٧٢	رياق ٣٥٥
٢٨٠ ٢٦٨	ريمان (الذكثور) ١٨٩ ١٩٤

- حرف الزاي -

٢٣٦	الزنجيون	٢٠٧	زايد (عبدالله بن علي آل)
٤١٩ ٤١٣ ٣٠٦	الزعاوي (جبل صدقي)	٢٦٢ ٢٥١ ٢٤٤ - ٢٣٩	الزبارة ٢٢٦ ٢٣١ ٢٣٩
٤٤٦ ٤٣٧ ٤٢٧ ٤٢٥ - ٤٢٢ ٤٢٠			الزبداني ٣٥٨
١٥٢ ١٥١	الزوز - جبل	١٣٢ ١٢٧	زيدة (امرأة هارون الرشيد)
٤٣١	زولا (امل)	١٣٤ -	
٣١٥ ٣٠٥	زيد بن حسين بن علي (الامير)	٢٣٢ ١٧٨	الزير ١٧٨ ٢٣٢
٢٧٨	زبيدي - زيود		الزجاج (ابو جلول محمد بن يوسف)
٤٥٣	الزبيدية	٢٣٦ ٢٣٥	
٣٦٩	زبلا - بلد	٢٣٥	زمرم - بلد
١٣٦	زين العابدين	٢٣٦ ٢٣٣ - ٢٣١ ٢٢٩	الزنج (صاحب)
١٦	زينل (الحاج علي رضا)	١٧٧	زنجبار - جزائر

- حرف السين -

٢٠٥ ٢٠٤ ١٩٨	سركيس (سليم)	١٥٢ ١٤٨ ١٤٤ ١٤١ ١٤٠	سالم ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠
٢٧٨	سريان		١٥٤
٢٣٦	سعد الزغي (ابو بكر بن)		سامر ٢١٧
٣٦٩	السعدون (آل)	٤٠٢ ٢١٣ ٢١٠ ١٦٢	السامي - الساميون
٤٠٠	السعدون (عبدالكريم)	٢٣٠ ٢٢٩	ساوي (المنذر بن)
٣٨٦ ٣٨٠	السعدون (عبدالحسن بك)	١١٥ ١١٤	السيابي (محمد)
٤١٥ - ٤٠٨ ٤٠٤ ٤٠٢ - ٣٩٨ ٣٨٨			سبيع ١٣
٤٠٠	السعدون (قهد باشا)	٢٤٨	سفرة - جزيرة
١٠٩ ١٠٨ ٩٨ ٩٠ ٨٩ ٦٠	سعود (آل)	١٤٣ ١٣٧	سدوس - بلد
٣٨٦ ١٧١ ١٦٦		١١٦ ١١٥ ١٠٦ ١٠٤ ١٠٣	سدين - ناحية
٢٤٥ - ٢٤٣	سعود (الامير سعود آل)		السر - وادي
١٢٥ ١٠٩	سعود (عبدالعزيز الاول)	١١٨ -	
٢٤٣ ٢٤٢ ٢٤٠		٧٦ ٧٤	سرخان - وادي

٤٥٣	سعود (الامام عبدالرحمن الفيصل آل)
سني - مليون ٨٦ ١٨٦	١٧١
السودان ١٩	سعود (فيصل آل) ١٦٨ ٢٥٤ ٢٥٣
سوريا ١٦٤ ١٢٦ ٦٢ ٦١ ٢٩ ٢٧ ٢٤ ٢٣	سعود (محمد الفيصل آل) ٢٩
٢٧٣ ٢٥٠ ٢٣٨ ٢١٠ ٢٠٠ ١٨٥ ١٧٣	السعيد (نوري باشا) ٢٨٤ ٢١٦ ٢٢٣ ٢٢٤
٢١٨ ٢٨٢ ٢٩٦ ٢٠٤ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٨	٢٠٠ ٢٩٩ ٢٥٣
٢٥٠ ٢٤٦ - ٢٢٦ ٢٢٤ - ٢٢٦ ٢٢٤	مقاط ٤٣٥
٢٧٤ ٢٦٧ ٢٦٢ ٢٥٦ - ٢٥٤ ٢٥٢ -	السليمانية - الدولة ٢٣٦
٢٧٨ ٢٠٤ ٢٠٨ ٢١١ ٢١٢ ٢١٢	السلطان ٢٢٣
سوري - سوربون ٦١ ١١٠ ١٩١ ٢٠٩	سلطان (السيد) ٢٤٢
٢٢٧ ٢٢٢ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢	سلطان (السيد سعيد بن) ٢٤٢ - ٢٤٤
٢٦٧ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٤ ٢٤٥	٢٤٧ ٢٤٨ ٢٥٠
السويول - قبيلة ٣١	السابل ١٢
سوق مكاز ٢٤٨ ٢٤٠	سلطان (آل) ٢٥٩ ٢٤٠
السويدي ٢٢٢	سلمي - جبل ٩٤
السويدي (ناجي باشا) ٢٠٩ ٢٠٣ ٢٠٠	سلمي (آل) ١١٨ ١٢١
السويدي (يوسف) ٢٦٥	سلمي (عبدالله بن خالد آل) ١٢٣
السويين - ترعة ٢٢٢ ٢٢١ ٢١٤ ٢١٣	سلمي (عبدالعزيز بن عبدالله آل) ١٢٢
سويلم (بن سويلم) ١١٨ ١٢٦ ١٢٨ ١٣٠	سلمي (عقبه بن) ٢٣١
سويدي ٢٨٣	سلمي (سلطان تركيا) ٢٣٨
ميكس ليكو - ٢٢٩ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢	سلطان القانوني (سلطان تركيا) ٢٣٨
سويلان ٢٢٠ ٢٢٠	السليمانية ٢٧٨
سينا ٢٢٥ ٢١٨	سلاو ٢٨٥
سويات - بلد ٢٥٠	سلاو ٢٧١
	سنيك (آدم) ٢٠٦
	السنة ١٣ ٨٢ ٨٣ ١٠٩ ١٩٧ ٢٢١ ٢٧٨

- حرف الشين -

الشافي - الشوافع ١٠٦ ٢٢٤ ٢٧٨ ٤٥٣
 الشام ٢٨ ٥٨ ٧٠ ١٤٠ ١٨٧ ٢١٠ ٢٢٤

شاربتيه ٢٤٨
 شارلس (ملك الانكليز) ٨٣

١٣٢ ١١٦ ١١٣ ١٠٦ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠ ١٠٠	٢٢١ ٢١٨ ٢١٦ ٢١٤ ٢١٢ ٢١٠ ٢٠٨ ٢٠٦
الشقيري (الشيخ احمد) ٢١٢	٢٢٨ ٢٢٦ ٢٢٤ ٢٢٢ ٢٢٠ ٢١٨ ٢١٦ ٢١٤
شكسبير (وليم) ١٣٢	٢١٤ ٢١٢ ٢١٠ ٢٠٨ ٢٠٦ ٢٠٤ ٢٠٢ ٢٠٠
الشهاب (محمد بن صالح) ٩٥٠٩٤	٢٠٠ ١٩٨ ١٩٦ ١٩٤ ١٩٢ ١٩٠ ١٨٨ ١٨٦
السمعان ١٦٧	١٨٦ ١٨٤ ١٨٢ ١٨٠ ١٧٨ ١٧٦ ١٧٤ ١٧٢
الشرستاني (السيد عبد الدين) ١٤١	١٧٢ ١٧٠ ١٦٨ ١٦٦ ١٦٤ ١٦٢ ١٦٠ ١٥٨
الشويفات ٢٩٦	١٥٨ ١٥٦ ١٥٤ ١٥٢ ١٥٠ ١٤٨ ١٤٦ ١٤٤
الشيعة ١٠٠ ١٥٩ ١٩٧ ٢٣٩ ٢٦٤ ٢٦٤	١٤٤ ١٤٢ ١٤٠ ١٣٨ ١٣٦ ١٣٤ ١٣٢ ١٣٠
٢٧٨ ٢٩٨ ٣٠٦ ٣٢٧ ٣٨٨ ٤٠٢ ٤٠٣	١٣٠ ١٢٨ ١٢٦ ١٢٤ ١٢٢ ١٢٠ ١١٨ ١١٦
٤٢٧ ٤٢٩ ٤٣٢	١١٦ ١١٤ ١١٢ ١١٠ ١٠٨ ١٠٦ ١٠٤ ١٠٢
شعير - شعيون ٨٢ ١٨٧ ٢٦٤ ٣٠٠ ٣٠٩	١٠٢ ١٠٠ ٩٨ ٩٦ ٩٤ ٩٢ ٩٠ ٨٨
٣٨٨	٨٨ ٨٦ ٨٤ ٨٢ ٨٠ ٧٨ ٧٦ ٧٤
شمر - جيل ٨٦ ٨٦ ٩٤ ١٤٥ ١٤٦	٧٤ ٧٢ ٧٠ ٦٨ ٦٦ ٦٤ ٦٢ ٦٠
١٦٦ ٤١١	٦٠ ٥٨ ٥٦ ٥٤ ٥٢ ٥٠ ٤٨ ٤٦
شمر - قبيلة ٢٧٨	٤٦ ٤٤ ٤٢ ٤٠ ٣٨ ٣٦ ٣٤ ٣٢
	٣٢ ٣٠ ٢٨ ٢٦ ٢٤ ٢٢ ٢٠ ١٨

- حرف الصاد -

صباح (سالم آل) ١٦٦ ١٧٣ ١٧٥	٢٨٧ (الصابئة)
صباح (صباح آل) ١٦٧	الصادق (محمد بن اسماعيل بن جعفر)
صباح (صباح الاول آل) ١٦٧ ١٧٥	٢٣٣
صباح (الشيخ عبد الله آل) ١٦٦ ١٦٧	الصالحية ١٦٠ ١٦١
١٧٥ ٢٥٧	الصانع (احمد باشا) ٢٥
صباح (الشيخ عبد الله خليفة آل) ١٦١	صباح (آل) ١٥٨ ١٦٦ ١٦٩ ١٧٥ ١٨٠
١٦٧ ١٦٨ ١٧٥	١٨١ ١٨٦ ١٩١ ٢٥٧ ٢٥٧
صباح (جابر بن عبد الله آل - جابر الاول)	صباح (الشيخ احمد آل - امير الكويت)
١٧٥	١٠٥ ١٢٥ ١٥١ ١٥٧ ١٦٠ ١٦٢ ١٧٤
صباح (الشيخ عبد الله سالم آل) ١٨١	١٧٦ ١٧٩ ١٨٥ ١٨٩ ١٩١
صباح (مبارك آل) ١٦٦ - ١٧٥ ١٨٤ ١٨٨	صباح (جابر آل) ١٦٦ ١٦٧ ١٧٥
صباح (محمد آل) ١٦٦ - ١٧٥	صباح (جراح آل) ١٦٦ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٣

الصان - قفر ١٦٥ ١٣٠	صباح (حمود آل) ١٧١
صنعا ١٤ ٢٥ ٤٤٣	الصبيحية ١٥٩ ١٨٠
الصهيونية ٣٥٥	الصجابة ١١٠
صرد - بلد (٢٠٩ ٢١٢ ٢١٢)	الضخير - قرية ٢٢٣ ٢٢٦
السومال ٣٦٩	المدر (الكيد حسن) ٣٠٠ ٣٠١ ٤٠٢
صيدا ٣٤٨ ٣٦٩	المريف ١٧١ ١٧٢
الصين ٩٧	الصفرا - قفر ١٢٠
صبي - صيدون ١٢٦ ٢١٠	الصنوي (الشاء عباس الاول) ٢٣٩

- حرف الضاد -

الضفير - قبيلة ٥٩ ٦٠ ٩٣ ١٤٥ ١٤٦	ضرمه ١٦ ١٧ ١٨
---------------------------------	---------------

- حرف الطاء -

طهران ١٩٢ ٣٦٩ ٤٠٣	الطائف ١٤١ ٣١٢ ٤٥٤
طواله (ضاري بن) ١٧٣	طبرستان ٢٣١
طوروس ٣٣١	طبرية ١٦٣
طويق - جبل ١٠٨ ١١٣ ١١٥	طريف (عيسى بن) ٢٥٣ ٢٥٩
طي - بلاد ١٢٢ ١٦٧	الطوقيل ٣١٢ ٣١٩

- حرف الظاء -

ظهر العروش ١٣٢

- حرف العين -

عامل - جبل ٣٤٧ - ٣٤٩	عائشة ٢٣٢
عبادان ٣٥ ٦٦ ٧١ ٧٢ ١٨٣ ٣٦٨	المنارض ٨٠ ٨١ ٨٥ ٨٦ ١٠٨ ١١٨ ١٢٨ -
(المبادلة) ٤٥٧	١٣٠ ١٣٧ ٢٠٩ ٢٢٢
العباس ٢٣٢	عائيه ٣٦٠

العجوان - قبيلة ١٣ ٧٧ ١١١ ١٢٣ ١٨٤
عدن ١٤ ١٥ ١٨ ٢٨ ٢٢ ٣٢ ٦٤ ٧٢
٢١٠ ٢٢٧ - ٢٣٨ ٢٥٨ ٢٧٩ ٢٩٤

عدنان ١١٤ ١٢٦ ١٦٦ ٢٥٩ ٣٥٤
العراق او الحكومة العراقية ١٢ ١٤ - ٢٣

٢٥ ٢٧ - ٢٩ ٣٢ ٣٣ ٣٨ ٤٢ ٥١ ٥٥

٥٧ - ٦١ ٦٦ ٧٠ ٧٢ ٧٤ ٨٨ ٨٨

١٠٥ ١٠٩ ١٢٤ ١٥٠ ١٦٦ ١٧٣ ١٧٩

١٧٧ ١٨٤ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٨٤

٢٨٦ ٢٨٨ ٢٩٣ ٢٩٨ ٣٠١ ٣٠٨

٣١٠ ٣١٧ ٣١٨ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦

٣٤٤ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٨ ٣٦٠ ٣٦٢

٣٨٤ ٣٨٦ ٣٨٨ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٨

٤٠٣ ٤٠٥ ٤٠٩ ٤١١ ٤١٣ ٤١٧

٤١٩ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٦ ٤٢٩ ٤٣٤

٤٣٧ ٤٣٨ ٤٤٠ - ٤٤٢ ٤٤٧ ٤٥١

٤٥٢ ٤٥٢

عراقي - عراقيون ١٩ ٢٢ ٢٢ ٢٢ ٢٨١

٢٩٦ ٢٩٨ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤

٣٠٨ ٣١٠ ٣١٢ ٣١٤ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨

٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٥ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٩٠

٣٩٤ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠١ ٤٠٤ ٤٠٨ ٤١٠

٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥

عرب - وردت هذه الكلمة في معظم

صفحات هذا الكتاب

عربستان ١٨٦ ١٨٩ ١٩٢ ٢٠٣

السكري (جعفر باشا) ٢٠٦ ٢٠٦ ٢٠٦ ٢٠٦

٢٧٢ ٢٧٥ ٢٨٨ ٣٠٠ ٣٠٤ ٣٠٩

عرب ١١ ٢٢ ٢٢ ٢٢ ١٠٧ ١٠٩ ٢٠٠ ٢٠٢

٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٣

العقصة (يوسف) ٢٥٧ ٢٥٨ - ٢٦١

العقاديون ١٨ ١٨٦ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٤ ٢٨٧

٢٩٨ ٣٧٨ ٣٩٨

عبد الله (آل) ٢٤٠

عبد الله بن حسين بن علي (أمير شرقي

الاردن) ٦ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ٢٠٤ ٢١٢

٢١٤

عبد الله بن متعب (أمير حائل) ٢٩

عبد الوهاب ٢٨٩

عبد الحميد (سلطان تركيا) ٢٥٨ ٢٠٠

عبد العزيز آل فيصل آل سعود (سلطان

عبد) ١٠ ١١ ١٤ ١٨ ٢٠ ٢٦ ٤٠ ٦٦

٦٨ ٦٩ ٧١ - ٨٢ ٨٤ ٨٦ ١٠٤ ١٠٧

١١٤ ١٢٣ ١٢٥ - ١٢٧ ١٢٩ ١٤٩ ١٥٤

١٦٨ ١٧١ ١٧٢ ١٧٤ ١٧٦ ١٧٨ - ١٨١

١٨٤ ٢٠٤ ٢٢٤ ٢٢٨ ٢٣٨ ٢٤٠ ٢٠٢

٢٠٤ ٢٨٦ ٢٥٤ - ٢٥٦ ٢٥٨ ٢٥٩

عبد قيس (علي بن محمد بن) ٢٢١ - ٢٢٤

عبد قيس - قبيلة ٢٢٣ ٢٢٣ ٢٢٣ ٢٢٥

عبد الملك بن مروان ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٣ ٢٢٨ ٢٣١

عبد النور (ثابت) ٢٢٢ ٢٢٢ - ٢٢٩

العبدى مسعود بن أبي زيدة ٢٣١

العروية ٢٢٩ ٢٣٦

عزية ١٣ ١٢٥

عنان بن أبي العاص ٢٣١

العقبة (الدولة) ٩٠ ١٦٨ ١٧٠ ١٧٣

٢١٠ ٢١٠

العقبة (راجع الترك)

عجاج - قلعة ٢٣٨

العجم ٢٠ ١٧٠ ٢١٤ ٢٢٥ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٦

٢٥٥ ٢٦٥ ٢٦٧ ٢٦٧ ٢٦٧ ٢٦٧ ٢٦٧

٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٥ ٢٩٢

٢٢٥	غزوان (عتبة بن) ٢٣١
٢٥١ ٢٥٠ ٢٤٨ ٢٤٦ (الجبال)	نخاس (آل) ١٢١
٢٥٨ ٢٥٥ ٢٥٤	المنظاس ١٥٩
	غنطو برون (الكونت دي) ٢١٨ ٢١٥

- حرف الفاء -

٢١٥ ٢١٤ ٢١٢ ٢١١ ١٠٨	فارس - بلاد ٢٢٩ ٢٢٦ ٢٢١ ٢٢٩ ٢٢٤
فضل (عشيرة آل) ٢٤٧	٢٥٢ ٢٤٤
فضل (الشيخ عبدالرحمن بن راشد آل)	فارسي - فرنس - فارسية ١٥٩ ٨٤ ٧١
٢٤٧ ٢٤٥ ٢٤٤	٢٢٩ ٢٢٠ ٢٢٩ ٢٢٥ ٢٠٨ ١٩٧ ١٩٦
فلي (سان جان) ١٤٦ ٩٢ ٩١ ٨٩ ٨٠	٢٨٨ ٢٦٨ ٢٩٥ ٢٧٨ ٢٥٦ ٢٤١
١٤٧	فلس ١٨٩ ١٩٢
فلسطين - الفلسطينيون ٢٢١ ٢١٧ ٢١٦ ٢٢١	قاطبة الزمرا ٢٨٨
٢٢٥ ٢٢٩ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤	قاطبة الخضصاني ٢٢٨
فن بئدرس (لبنان) ٢١٧ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤	القاعور (الامير محمد) ٢٤٧
فورد (المشر) ٢٠٢ ١٩٨	قان بورسم (الدكتور) ٢٠١
فيصل بن حسين بن علي (ملك العراق)	الفرات - نهر ٢١٠
١٨ ١٩ ٥٩ ٦١ ٦٢ ١٨٢ ٢٧٦ ٢٧٧	فوانس (انطول) ٢٩٢
٢٧٩ ٢٩١ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦	فرساي (مؤقر) ٢٩٣ ٢٢٦ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤
٢٢١ ٢٢٥ ٢٢٨ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤	٢٥٠ ٢٢٧
٢٥٧ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩	فرنا او الحكومة الفرنسية ٦١ ٢١٥
٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦	٢١٨ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩
٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠	

- حرف القاف -

١٠٧ ١١٦ - ١٢٠ ١٢٤ - ١٢٨ ١٢٩ -	قاضي (آل) ١٢١
١٣٠ ١٤٦ ١٥٢ ١٨٠ ١٨٤ ٢١٥	القاهرة ١٩٩ ٢٠٢ ٢٠٧ ٢١٤ ٢٢٥ ٢٢٨ ٢٠٤
قطر - ناحية ١٢ ٧٧ ١٧٢ ٢٢٢ ٢٢٤ ٢٢٦	٢٠٥
٢٢٧ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٤ ٢٤٥	قبرص ٢٢٢
٢٥١ ٢٥٢ - ٢٥٦ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦٣ ٢٦٩	قبة ١٢٩
٢٧٣ ٢٥٨	قحطان ١٣ ١٠٣ ١١٢ ١١٦ ١١٧ ١٢٥
(القطر) ٢٢٢	القداح (عبد الله) ٢٢٣
(القطيف) ١٦٨	القدس ٢١٨ ٢٢٢
القطيف - اسكلة ١٤ ٤٦ ٢٩ ٣٠ ٣٥ ٣٧	القرامطة ٢٢٩ ٢٣٣ - ٢٣٦
٦٠ ٧٤ ٧٦ - ٧٨ ٧٧ ١٧٩ ٢١٤ ٢٢١ -	القرنة - بلدة ٢٠٩
٢٢٤ ٢٣٠ ٢٣٤ - ٢٣٧ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥٢ -	قرش ٢٢٩ ٢٥٦
٢٦٩ ٢٥٥	القرين - جبل ١٥٩
قنوج - وادي ٢٥٩	القزويني ٢٠٩ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٩ ٢٢١ ٢٢٧
القليعة ١٥٩ ٢٤٥ ٢٤٨	قس بن ساعدة ٢١٨
قرآن - جزيرة ٢٢٧	القصري (عبد الله) ١٤ ١٦ ٢٦ ٢٧ ٣١ ٣٣
القنطرة - ميناء ٢١٢	القصري (عبد العزيز) ١٤ ٣١ ٣٣
القنبي (عبد الله) ١٢٤	القصم - ناحية ٦٠ ٧٦ ٨٠ ٨٤ ٨٦ ٩٤
قيس - جزيرة ٢١٤ ٢٢٢ ٢٥٢	

- حرف الكاف -

الكوخ ٢٢٧ ٢٥٠	كاتوليك ٢٧٨ ٢٢٦
الكرد أو الاكراد ٢٧٨ ٢٩٥ ٣٠١	كادي (الضابط) ٢٢١
٢٠٤ ٢٦٢ ٢٠٠	كارشي ٢٨٣
الكرك ٢١٢ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٥	الكاظم (الامام موسى) ٢٢٧
كر كوك ٢٧٨ ٢٤٢	الكاظمية ٢٠٣ ٢١٣ ٢٢٧
الكرملي ٢١٣ ٢٢٧	الكاظمين - جامع ٣٠٠
كرموزيل ٨٣	كرمبلا ٢٧٨ ٢٧٠ ٢٧٧ ٢٩٧ ٢٢٧ ٢٢٢

٢٢٥ ٢٢٣ ٢٢١ ٢٠٣ ١٠٣ ١٠١ - ٩٦	١٤٦ ١٤١
٢٢٧ - ٢٢٨ ٢٢٤ ٢٥٨ ٢٦٥ ٢٦٦	مطيري ١٣٢ ١٤٩
المتصر بن المتوكل ٢٢٢	مبان ١٦١ - ٢٢٤
المتفق ٢٧٨ ٢٦٢ ٢٩٩ ٤٠٨ ٤٠٠	مداوية ١٨٦
المنديل (عبد اللطيف باشا) ٢٧٢ ٢٢	المرقة ٤١٣
٤٠٠ ٢٨٦ ٢٨٠	المقول ٢٣٦
النصور ٢٧٨ ٢٩٧ ٢٩٣	مقدوني ٢١٢
النصور (أبو جعفر العياشي) ٢٣١	مقرن (مرد بن) ١١٠
النمسة ٢٢٥	مكة ٢٨ ٢٤ ٢١ ١٦٦ ١٧١ ٢٠٤ ٢٣٠
النفوحة ١٠٨ ٩٩	٢٣٤ ٢٣٥ ٢٤١ ٢٥٨ ٢٥٢ ٢١٦
مرد (الجنرال) ٢٨٨	٢٢٤ ٢٧٤ ٢٧٦ ٤٠٤ ٤٥٦ ٤٥٨
مروقة (شفقة السيد سعيد بن سلطان) ٢٤٨	المكثفي بن المتضد ٢٣٥
موسى - وادي ٣١٩	مكدونالد ٢٨٦
الموصل ٢٧٨ ٢٨٩ ٢٠١ ٢٠١ ٢٤٠ ٢٦٢	المكدي ٢٣١
٢٢٠ ٢٨٦ ٤٤٢ ٤٥٢	الماليك ٢٣٨
ميدي - مينا ١٧٧	الناصر - قبيلة ٧٧
ميساون ٢٥٧ - ٢٦١ ٤٠٤	المنامة - مدينة ٢٦ ٢٣ ١٩٧ ١٩٨ ٢٠٢

- حرف النون -

١٠٧ - ١١٠ ١١٢ ١١٤ ١١٥ ١١٨ -	نابلس ٢٤٦
١٢٠ ١٢٣ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٩ ١٣٣ -	الناصر ٢٢٣
١٣٥ ١٣٧ ١٤١ ١٤٤ ١٤٦ - ١٤٩	الناصرية ٤٠٠
١٥٢ ١٥٣ ١٥٩ ١٦٠ ١٦٢ ١٦٦ ١٦٧	نبتون ٢٣
١٧٢ ١٧٤ ١٧٦ ١٧٨ - ١٨٤ ١٨٢	النهبان (الشيخ خليفة بن محمد) ٢١٦
١٩٨ - ٢٠٠ ٢٠٧ ٢٠٩ ٢٢١ ٢٢٣ -	٢١٩ ٢٢٩ ٢٣٨
٢٢٥ ٢٢٨ - ٢٣٠ ٢٤٠ ٢٤٢ - ٢٤٦	نبوخذ نصر ١٣٣
٢٥٠ - ٢٥٣ ٢٥٩ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٧	نجد ١٠ ١١ ١٤ ١٨ - ٢٠ ٢٣ - ٢٥ ٢٠
٢٦٨ ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٦ ٢٨٩	٢٢ - ٢٥ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥
٤٤٠ ٤٤٩ ٤٥٤	٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٨ ٦٠ ٦٧ ٦٩ ٧١ -
نجران ٢٠٠ ٤٥٤ ٤٥٤	٧٤ ٧٦ ٧٨ ٨٠ ٨٢ ٨٤ ٨٦ ٩١ ٩٢

النجف (السيد عبد الرحمن الجيلاني)	٣٧٠ ٣٦٧ ٣٦٥ ٣٦٢ ٣٩٨ ٣٩٥
٣٧٥ ٣٧٤ ٣٧١ ٣٦٢ ٣٠٤ ٣٩٩ ٣٩٥	٤٢٧ ٣٩٧ ٣٧٧
٣٨٨ ٣٨٦ ٣٨٥ ٣٨٣ ٣٨٢ ٣٨٠ ٣٧٧	النجفي ١٨٨ ٣٠٠
٤٠٠ ٣٩٩ ٣٩٧ - ٣٩٤ ٣٩١ ٣٩٠	النجف ٧٧
٤٣٥ ٤٠٥ ٤٠٢	الساطرة ٣٧٨
النجف (السيد محمود بن عبد الرحمن الجيلاني)	نشأت (صبح بك) ٣٩٩ ٤٠٠
٤١٣ ٣٦٠ ٣٠٧ ٣٠٤ ٣٠١ ٣٠٠	النصارى ٢٤ ١٩٧ ٢٢٩ ٢٨٧ ٣٤٥ ٣٢٧
٤٣٦ ٤٣٥	أمرت الملك ١٨٦ ١٨٧
النعمان ٤١٠	النصور - قبيلة ٢٤٤
نوري باشا السيد (راجع السيد نوري باشا)	النماني (عارف) ٣٥٣
نويان ١٨٦	النعم - قبيلة ٢٥٤ ٢٥٩
نياجر (الكولونيل) ٣٤٩ ٣٤٥	النفوذ ٤٢ ٣٩ - ٣٩ ٤٦ ٥٤ ٥٩ ٦٦ ٧٧
نيشي (فريدريك) ٤١٤ ٤٢٩ ٤٣١	١٠٥ ١١٦ ١١٨ ١٢٠ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٧
نيرين راجع دارين	١٢٩ ١٣٠ ١٣٢ - ١٣٤ ١٤٦ ١٤٨
النيل ٣٩٥	١٨٥ ٢٢٢
نيويوك ٢٩٣ ٩٤	النجف (السيد طالب) ٣٠٢ - ٣٠٤ ٣٠٤ ٣٦٢
	٣٧٦ - ٣٧١
	النجف (السيد عبد الرحمن) ١٦٦

- حرف الهاء -

الهدال (بنو) ٦٠ ٦١	هاجر (بنو) ٧٧ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٦٣
الهدال (فهد شيخ العارات) ٥٤ ٥٢ ٥١	الحاشمي - الحاشمية ٣١ ٣١٢ ٣٢٤
٢٥٠ ٧٢ - ٦٩ ٦٦ ٥٩	٤١٠
هدال (مزيد بن) ٢٥٠	الحاشمي (ياسين باشا) ٣٨٨ ٣٩٩ ٤٠٨
هدال ١٠٧ ١٠٨ ١١٠ ١١١ ١١٦ ١١٨	٤٠٩
١٤٤ ١٢٧ ١٢٨ ١٣٢ ١٣٨ - ١٤٤	مالدين (السر آقاي) ٣٦٢ ٣٦٤ ٣٦٥
١٦٠ ١٥٤ ١٥٢ ١٥١ ١٤٩ ١٤٧	هتم - قبيلة ١٢٥
هرمز - جبل ٢٢١	الهجانة ٣٦٠
هرمز - مضيق ٢٣٨ ٢٣٧	هجر ٩٩ ١٤٦ ٢٢٣ ٢٢٢
الحقوف ٧٩ - ٧٦ ٧٤ ١٣	الهدال ٢٦٠

٢٨٢ - ٢٨٤ ٢٨٤ ٢٢٥ ٢٦٢ ٢٦٩	هلال (بنو) ١٤٤
الهندوس ١٢١ ١٩٧ ٢٧٨ ٢٢٥	منجم - جزيرة ٣٠٠
هنلي ٤١٣ ٤٢٩ ٤٣٠	الهند او الحكومة الهندية ١٦ ١٧ ١٩
مولندية ٢٠٠	٢٦ ٢٩ ٧٥ ٩٢ ٩٧ ١٢٠ ١٢٤ ١٢٢
مورث (الكرنل) ٢٢٢	١٧٦ ١٧٧ ١٩٩ ٢١٠ ٢١٢ ٢١٣ ٢٢٤
مورغو (فكتور) ١٣٧	٢٢٥ ٢٢٧ ٢٣٧ - ٢٣٩ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٥٤
مولس (الميجر فرانك) ٧٢ ٧١ ٦٦	٢٥٥ ٢٦٤ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٩ ٢٨٢ -
الموبدر ٣٠٢ ٣٠٧	٢٨٤ ٢٨٧ ٢٨٨ ٣٠٠ ٣٢٥ ٣٦٢ - ٣٦٥
ميرودوط ٢٠٩ ٢١١	٣٦٧ ٣٦٩ ٣٩٥ ٤٥٨
	هندي - منسود ١٦٢ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٧٩

- حرف الواو -

ولس ٢٨٦	وادي الحرير ٣٥٩
ولسون (البر آرنلد) ٧١ ٢٧١ ٢٩٥	واشنطن (العاصمة) ٣٤٦ ٣٨٤ ٣٩٣
٢٩٩ ٣٦٢ - ٣٦٥ ٣٦٨ ٣٦٩	الواق الواق - جزر ٧٣
ولسون (وودرو) ٤٦ - ٤٨ ٢٧٩ ٢٨٦	واثل (بكر بن) ١٦ ١٦٦ ٢٢٣ ٢٣٠ ٤٥٨
٣٣٧ ٣٣٦	واثل (بنو) ١١٦ ١١٦ ٢٢٣ ٢٢٩
الوليد (خالد بن) ٢٢٩ ٢٣٠	واثل (تغلب بن) ٢٢٣
وعالي - ومايون ٢٨ ٢٩ ٥٢ ٥٢ ٥٢ ٨٢	الويرة ١٥٩
١٢٤ ١٧٤ ١٩٧	وثني - وثنيون ٢٣٩
الوهاية ١٣ ٨١ - ٨٣ ٩٩ ١٠٨ ٢٤٢	الوشم - سهل ١٠٤ ١٠٤ ١٠٦ ١١٣ -
٤٥٣ ٤٥٣	١١٦ ١٤٤

- حرف الياء -

٤٥٩ ٤٥٨	اليابان ٩٧ ١٢٠ ٢٢٣ ٢٢٨
البرموك - وادي ٢٢٣	ياقوت ٢٢٣
يريدية ٢٧٨	يحي بن حميد الدين المتوكل على الله (امام
يساقبة ٢٧٨	اليسن) ٦٣ ١٠٢ ٢٧٣ ٤٥٤ ٤٥٦

يشع - مينا. ٣١٦	اليامه ١٠٨ ١٦٦ ٢٠٩ ٢٢٢ ٢٣٠
جودي - جود - او اسرائيلون ١٥٩	باني ١٣٥
١٩٧ ٢٢٥ ٢٢٨ ٢٨٦ ٣٢٣ ٣٦٦ ٤٠٠	اليسن ٢٢ ٢٥ ١٠٩ ١١٨ ١٢٠ ٢٠٠ ٢٠٧
٤٤٢	٢٢١ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٨٠ ٢٨٣ ٣١٠ ٣٣١
يوسف بن يعقوب ٩٥ ١٣٥ ١٣٦ ١٤٧	٢٦٦ ٢٢٥ ٢٤٣ ٢٥٣ - ٢٥٥

BOBST LIBRARY



3 1142 02821 6623



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

